مخْتَصَرُ
مِنْهَاجِ السُّنَّة

لأبي العباس شيخ الإسلام أحمد بن تيمية

رحمه الله

اختصره

المقدمة

الحمد لله مظهر الحـق ومعليـه ، وقـاطع الباطـل وذويـه ، قال الله تعالى : ﴿**بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَـدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّـا تَصِـفُون**﴾ ، ﴿ **وَقُـلْ جَـاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِـلُ إِنَّ الْبَاطِـلَ كـَانَ زَهُوقًـا** ﴾ ،] **قُ لْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيد** [. أحمده حمدا كـثيرا طيبا مباركا فيه ، وأشهد أن لا إلـه إلا اللـه وحـده لا شـريك لـه ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أرسله بالهـدى وديـن الحـق ، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

أمـا بعـد:(فـإن منهـاج السـنة النبويـة فـي نقـض دعـاوي الرافضة والقدريـة) مـن أعظـم كتـب الإمـام المجاهـد الصـابر المصابر شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبـد السـلام بـن تيمية ، قد ناضل فيه عن الحق وأهله ، ودحض الباطل وفضحه . وشباب الاسلام اليوم بأمس الحاجـة إلـى قـراءة هـذا الكتـاب ، ومعرفة محتواه حيث أطل الرفض على كل بلد من بلاد الاسلام ، وغيرهـا بـوجهه الكريـه ، وكشـر عـن أنيـابه الكالحـة ، وألقـى حبائله أمام من لا يعرف حقيقته ، مظهرا غير مبطن ديـدن كـل منافق مفسد ختال ، فاغتر به من يجهل حقيقته ، ومن لـم يقـرأ مثل هذا الكتاب.

والغالب على مذاهب أهل البدع والأهواء ، أنها تتراجع عـن الشطح وعظيم الضلال ما عدا مذهب الرفض فإنه يزداد بمرور الأيام تطرفا وانحدارا، وتماديا فـي محاربـة أوليـاء اللـه وأنصـار دينه ، وقد ملئـت كتـب الرافضـة بالسـباب والشـتائم واللعنـات لخير خلق اللـه بعـد الأنبيـاء ، أعنـي ، أصـحاب رسـول اللـه ، ورضي الله عنهم ، وهـم لا يتورعـون عـن تكفيـر الصـحابة ، ولا سيما كبـارهم وسـادتهم ، مثـل أبـي بكـر الصـديق ، وعمـر بـن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وإخوانهم _ رضوان الله عليهـم _ الـذين اطفـؤوا نـار المجـوس ، وهـدموا معبـوداتهم ، وإكفـار الصحابة ومن يتولاهم فـي كتبهـم المعتمـدة عنـدهم لا يحصـره نقل ، فهم يتعبدون بلعن صحابة رسول اللـه ، ويعتقـدون أن الشيعة بأئمتهم هم الناس ، وما عداهم همج للنـار وإلـى النـار ، والله لا يقبل من مسلم حسنة مهما بـالغ فـي الإحسـان مـا لـم يكن شيعيا كما في كتابهم (الوافي ، الباب السابع والثـامن بعـد

المائة) ، وفي (الكافي) أحد الكتب الموثوق بها - عندهم - ما يبين عن حقدهم الدفين على الاسلام ومن جاء به ، ومـن حملـه واعتنقه ، وهم يرون أن القرآن نزل لشـيئين أحـدهما : الثنـاء و المدح على علي بن أبى طالب وإعلاء شأنه وذريته ، والثاني : ثلب أصحاب رسول الله وذكر معايبهم ، ولهذا قالوا : إنه ضاع من القرأن ثلثاه أو ثلاثة أرباعه ، وهم يعتمدون في دينهـم علـى الكذب الذي يلصقونه بأئمتهم ، والادعاءات الكاذبة فصاروا مـن أكذب الناس ، وأكثرهم تصديقا للكذب ، وتصديقا بالباطل ، ومع ذلك يرمون الصحابة بالنفاق ، ونبتهل إلى الله تعالى أن يزيدهم غيظا وأن يكبتهم بكمدهم وكل من غاظه الاسلام .

و لما كان كتاب منهاج السنة مشتملا على مباحث مطولـة . وغير مطولة في الرد على القدرية والمتكلميـن وغيرهـم مـن سائر الطوائـف أحببـت أن أجـرد مـا يخـص الرافضـة مـن الـرد عليهم فيما يتعلق بالخلافة والصـحابة وأمهـات المـؤمنين وغيـر ذلك . ولم أضف إليه شيئا من عندي ، لا في أصـله ، ولا تعليقـا ، لأن كلام الإمام ابن تيمية فيه من القـوة والرصـانة والمتانـة مـا يغني عن كل تعليق ، وعليه من نور الحق ووضوح البيـان وقـوة الحجة ما لا يحتاج إلى غيره . فالله يجزيه على جهاده ومنـافحته عن الاسلام وأهله خير الجزاء ، ونسأله تعـالى أن يشـركنا معـه في جهاده وجزائه إنه خير مسؤول ، وأكرم مأمول ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأزواجه وأصحابه .

قال شيخ الإسلام :

الحمد لله الذي] **بَعَثَ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَـابَ بِـالْحَقِّ لِيَحْكُـمَ بَيْـنَ النَّـاسِ فِيمَـا اخْتَلَفُوا فِيهِ ، وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِـنْ بَعْـدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللـهُ الَّـذِينَ آمَنُـوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللهُ يَهْدِي مَـنْ يَشَـاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم** [1].

(1) الآية 213 من سورة البقرة .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه ، كمـا شـهد هـو سبحانه وتعالى أنه لا إله إلا هو ، والملائكة ، وأولو العلم ، قائمـا بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم .

وأشهد أن محمـدا عبـده ورسـوله ختـم بـه أنبيـاءه ، وهـدى بـه أوليـاءه ، ونعتـه بقـوله فـي القـرآن الكريـم :] **لَقَـدْ جَـاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُم عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُـمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيم . فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللـهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيم** [(1) . صلى الله عليه أفضل صلاة وأكمل تسليم .

(أمـا بعـد) : فـإنه أحضـر إلـي طائفـة مـن أهـل السـنة والجماعة كتابا صنفه بعض شيوخ الرافضة، فـي عصـرنا منفقـا لهذه البضاعة ، يـدعو بـه إلـى مـذهب الرافضـة الإماميـة ، مـن أمكنه دعوته مـن ولاة الأمـور وغيرهـم ، أهـل الجاهليـة ، ممـن قلت معرفتهم بالعلم والدين ، ولم يعرفوا أصل دين المسـلمين .

وأعـانه علـى ذلـك مـن عـادتهم إعانـة الرافضـة ، مـن المتظاهرين بالاسلام، من أصـناف الباطنيـة الملحـدين ، الـذي هم في البـاطن مـن الصـابئة الفلاسـفة الخـارجين عـن حقيقـة متابعـة المرسـلين ، الـذين لا يوجبـون اتبـاع ديـن الاسـلام ، ولا يحرمون اتباع ما سواه من الأديان، بـل يجعلـون الملـل بمنزلـة المـذاهب السياسـية الـتي يسـوغ أتباعهـا ، وأن النبـوة مـن السياسة العادلة التي وضعت لمصلحة العامة في الدنيا .

فـإن هـذا الصـنف يكـثرون ويظهـرون إذا كـثرت الجاهليـة وأهلها، ولم يكن هناك من أهل العلم بالنبوة والمتابعـة لهـا مـن يظهر أنوارها الماحية لظلمة الضلال ، ويكشـف مـا فـي خلافهـا من الإفك والشرك والمحال .

وهؤلاء لا يكذبون بالنبوة تكـذيبا مطلقـا ، بـل هـم يؤمنـون ببعض أحوالها ويكفرون ببعـض الأحـوال ، وهـم متفـاوتون فيمـا يؤمنـون بـه ويكفـرون مـن تلـك الخلال ، فلهـذا يلتبـس أمرهـم بسبب تعظيمهم للنبوات على كثير من أهل الجهالات .

---

[1](2) الايتان 128، 129 من سورة التوبة .

والرافضة والجهمية هم البـاب لهـؤلاء الملحـدين ، ومنهـم يدخلون إلى أصناف الإلحاد فـي أسـماء اللـه وفـي آيـات كتـابه المبين ، كما قرر ذلك رؤوس الملحدة من القرامطة الباطنيــة ، وغيرهم من المنافقين .

وذكر من أحضر هذا الكتاب أنه من أعظم الأسباب في تقرير مذاهبهم عند من مال إليهم ، من الملـوك وغيرهـم ، وقـد صنفه للملك المعـروف الـذي سـماه : خدابنـده ، وطلبـوا منـي بيان ما في هذا الكتاب من الضلال وباطـل الخطـاب ، لمـا فـي ذلك من نصر عباد الله المؤمنين ، وبيان بطلان أقوال المفترين الملحدين ، فـأخبرتهم أن هـذا الكتـاب وإن كـان مـن أعلـى مـا يقولونه في باب الحجة والدليل ، فالقوم من أضـل النـاس عـن سواء السبيل . فإن الأدلة إما نقلية ، وإما عقليـة، و القـوم مـن أضل الناس في المنقول والمعقول ، في المذهب التقرير، وهم من أشبه الناس بمن قال الله تعالى فيهـم :] **وَقَالُوا لَـوْ كُنَّـا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِير** [[1].

وهم من أكذب الناس في النقليات ، ومن أجهل الناس في العقليات ، يصدقون من المنقول بمـا يعلـم العلمـاء بالاضـطرار أنه من الأباطيل ، ويكـذبون بـالمعلوم مـن الاضـطرار المتـواتر أعظم تواتر في الأمة جيلا بعد جيل .

ولا يميزون فـي نقلـة العلـم ورواة الأخبـار بيـن المعـروف الكذب ، أو الغلط ، أو الجهل ، بما ينقل ، وبيـن العـدل الحـافظ الضابط المعروف بالعلم ، والآثار ، وعمـدتهم فـي نفـس الأمـر علـى التقليـد ، وإن ظنـوا إقـامته بالبرهانيـات . فتـارة يتبعـون المعتزلة والقدرية ، وتارة يتبعون المجسمة والجبرية .

وهم من أجهل هذه الطوائف بالنظريات ، ولهذا كانوا عنــد عامة أهل العلـم والـدين ، مـن أجهـل الطوائـف الـداخلين فـي المسلمين ، ومنهم مـن أدخـل علـى الـدين مـن الفسـاد ، مـا لا يحصــيه إلا رب العبــاد فملاحــدة الاســماعيلية ، والنصــيرية ، وغيرهم من الباطنية المنافقين ، من بابهم دخلوا .

وأعداءالاسـلام مـن المشـركين وأهـل الكتـاب بطريقهـم وصـلوا ، واسـتولوا بهـم علـى بلاد الاسـلام ، وسـبوا الحريـم ،

---

[1](1) الآية 10 من سورة الملك .

وأخذوا الأمـوال ، وسـفكوا الـدم الحـرام ، وجـرى علـى الأمـة بمعاونتهم من فساد الدنيا والدين ما لا يعلمه إلا رب العالمين .

إذا كان أصل المذهب من إحداث الزنادقـة المنـافقين ، الذين عاقبهم في حياته علي أمير المؤمنين _ _ فحـرق منهـم طائفة بالنـار ، وطلـب قتـل بعضـهم ففـروا مـن سـيفه البتـار ، وتوعد بالجلد طائفة مفترية فيما عرف عنه من الأخبـار ، إذ قـد تواتر عنه من الوجوه الكثيرة أنه قال . على منبر الكوفة ، وقــد أسمع من حضر : ((خير هذه الأمة بعد نبيها ، أبو بكر ثم عمر)) [1] وبذلك أجاب ابنه محمد بن الحنفية ، فيما رواه البخاري ، في صحيحه وغيره من علماء الملة الحنيفية .

ولهذا كانت الشيعة المتقدمون الذين صحبوا عليا ، أو كانوا في ذلك الزمان ، لم يتنازعوا في تفضيل أبي بكر وعمر ، وإنمـا كان نزاعهم في تفضـيل علـي وعثمـان ، وهـذا مم ا يعـترف بـه علماء الشيعة الأكابر من الأوائل والأواخر حـتى ذكـر مثـل ذلـك أبو القاسم البلخي .

قال : سأل سائل شريك بن عبد الله ، فقال له أيهما أفضل أبــو بكر أو علي ؟ فقال له : أبو بكر . فقال له السـائل : تقـول هـذا وأنت شيعي ؟ فقال له نعم . من لـم يقـل هـذا فليـس شـيعيا ، والله لقد رقى هذه الأعواد علي ، فقال : ألا إن خير هـذه الأمـة بعد نبيها أبو بكر ، ثـم عمـر فكيـف نـرد قـوله ؟ وكيـف نكـذبه ؟ والله ما كان كذابا . نقل هـذا عبـد الجبـار الهمـداني فـي كتـاب تثبيت النبوة [2] .

قـال ذكـره أبـو القاسـم البلخـي فـي النقـض علـى ابـن الراوندي على اعتراضه على الجاحظ .

---

[1](1) انظر البخاري ج 5ص 7 فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وسنن أبي داود ج 4ص 288 وابن ماجه ج 1ص 39 وغيرها .

[2](1) هو القاضي عماد الدين أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد الهمداني شيخ المعتزلة في وقته وكتابه تثبيت دلائل النبوة من أحسن الكتب في هذا الباب وانظر هذا الأثر فيه ج 2ص 549.

(فصل)

فلما ألحوا في طلب الرد لهذا الضلال المبين ، ذاكرين أن في الإعراض عن ذلك خـذلانا للمـؤمنين ، وظـن أهـل الطغيـان نوعا من العجز عن رد البهتان، فكتبت ما يسره الله تعـالى مـن البيان ، وفاء بما أخذه الله من الميثاق على أهل العلم والإيمـان ، وقياما بالقسط وشهادة لله ، كما قال تعالى :] **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَـوَّامِينَ بِالْقِسْـطِ شُـهَدَاءَ لِلـهِ وَلَـوْ عَلَـى أَنْفُسِكُم أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًـا أَوْ فَقِيـرًا فَاللهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا** [(1) .

واللي هو تغيير الشهادة ، والإعراض هو كتمانها .

والله تعالى قـد أمـر بالصـدق والبيـان ، ونهـى عـن الكـذب والكتمان ، فيما يحتاج إلى معرفتـه وإظهـاره ، كمـا قـال صـلى الله تعالى عليه وسـلم فـي الحـديث المتفـق عليـه : ((البيعـان بالخيار مالم يتفرقا فإن صدقا وبينـا ، بـورك لهمـا فـي بيعهمـا ، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما)) (2) .

لا سيما الكتمان إذا لعن آخر هذه الأمة أولها ، كما في الأثر (إذا لعن آخر هذه الأمة أولها ، فمن كان عنـده علـم فليظهـره ، فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل الله على محمد)(3) .

وذلك أن أول هذه الأمة هم الذين قاموا بالـدين ، تصـديقا وعلما وعملا ، وتبليغا ، فالطعن فيهم طعن في الـدين ، مـوجب للإعراض عما بعث الله به النبيين .

وهذا كان مقصود أول من أظهر بدعة التشيع ، فإنمـا كـان قصده الصد عن سبيل الله ، وإبطال ما جـاءت بـه الرسـل عـن الله تعالى ، ولهذا كـانوا يظهـرون ذلـك بحسـب ضـعف الملـة ، فظهر في الملاحدة حقيقة هذه البدعة المضلة .

---

[1](1) الآية 135 من سورة النساء .

[2](2) الحديث في البخاري في أماكن متعددة انظر كتاب البيوع ج 3ص 58 ومسلم كتاب البيوع أيضا ج 3ص 1164 .

[3](3) رواه ابن ماجه في سننه ج 1 ص 96-97 عن جابر مرفوعا ، و هو ضعيف .

لكن راج كثير منها على من ليس من المنافقين الملحـدين ، لنـوع مـن الشـبهة والجهالـة المخلوطـة بهـوى ، فقبـل معـه الضلالة وهذا أصل كل باطل ، قال تعالى :] **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُـوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُـوحَى** [فنـزه اللـه رسـوله عـن الضـلال والغـي ، والضـلال عـدم العلـم ، والغـي اتبـاع الهـوى كمـا قـال تعـالى] **وَحَمَلَهَا الإِنْسَان إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً** [(1) فالظلوم غـاو ، والجهول ضال ، إلا من تاب الله عليه .

وهذا حال أهل البدع المخالفة للكتـاب والسـنة ، فـإنهم إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ، ففيهم جهل وظلم ، لا سيما الرافضة ، فإنهم أعظم ذوى الأهواء جهلا وظلما ، يعـادون خيـار أولياء الله تعالى - من بعد النبيين ، من السابقين الأوليـن ، مـن المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان م ورضوا عنه ،و يوالون الكفـار والمنـافقين مـن اليهـود والنصـارى والمشـركين وأصـناف الملحـدين ، كالنصـيرية والإسـماعيلية وغيرهـم مـن الضالين ، فتجدهم أو كثيرا منهم إذا اختصم خصـمان فـي ربهـم من المؤمنين والكفار ، واختلف النـاس فيمـا جـاءت بـه الأنبيـاء فمنهم من آمن ومنهم من كفـر ، سـواء كـان الاختلاف بقـول أو عمل ، كالحروب التي بين المسلمين وأهل الكتاب والمشـركين .

تجدهم يعاونون المشركين وأهل الكتاب علـى المسـلمين أهل القرآن ، كما قد جربـه النـاس منهـم غيـر مـرة ، فـي مثـل إعـانتهم للمشـركين مـن الـترك وغيرهـم علـى أهـل الاسـلام ، بخراسان والعراق والجزيرة والشام ، وغير ذلك .

وإعانتهم للنصارى على المسلمين بالشـام ، ومصـر وغيـر ذلك في وقائع متعددة .

من أعظم الحوادث التي كـانت فـي الإسـلام ، فـي المائـة الرابعة والسابعة، فإنه لما قدم كفـار الـترك إلـى بلاد الإسـلام ، وقتل من المسلمين ما لا يحصى عدده إلا رب الأنام ، كانوا مـن أعظـم النـاس عـداوة للمسـلمين ومعاونـة للكـافرين، وهكـذا معاونتهم لليهود أمر شهير ، حتى جعلهم الناس لهم كالحمير.

---

(1)[1] الاية 72 من سورة الأحزاب .

(فصل)

مشـابهة الرافضـة لليهـود والنصـارى مـن وجـوه كثيرة

وهذا المصنف سـمى كتـابه : منهـاج الكرامـة فـي معرفـة الإمامة، وهو خليق بـأن يسـمى : منهـاج الندامـة ، كمـا أن مـن ادعى الطهارة ، وهو من الذين لم يـرد اللـه أن يطهـر قلـوبهم ، بل من أهل الجبت والطاغوت والنفـاق ، كـان وصـفه بالنجاسـة والتكدير ، أولى من وصفه بالتطهير .

ومن أعظم خبـث القلـوب أن يكـون فـي قلـب العبـد غـل لخيار المؤمنين ، وسـادات أوليـاء اللـه بعـد النـبيين ، ولهـذا لـم يجعل الله تعالى في الفيء نصيبا لمن بعدهم ، إلا الذين يقولون :] **رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَـبَقُونَا بِالإِيمَـانِ وَلاَ تَجْعَـلْ فِـي قُلُوبِنَـا غِلاًّ لِلَّـذِينَ آمَنُـوا رَبَّنَـا إِنَّـكَ رَؤُوفٌ رَحِيم** [.

ولهذا كان بينهم وبين اليهود مـن المشـابهة واتبـاع الهـوى وغير ذلك من أخلاق اليهود .

وبينهم وبين النصارى مـن المشـابهة فـي الغلـو والجهـل ، واتباع الهوى وغير ذلك من أخلاق النصارى ، ما أشبهوا به هـؤلاء من وجه وهؤلاء من وجه ، وما زال الناس يصفونهم بذلك .

ومن اخبر الناس بهم الشعبي ، وأمثاله من علماء الكوفة .

وقـد ثبـت عـن الشـعبي أنـه قـال : مـا رأيـت أحمـق مـن الخشبية ، لو كانوا من الطير لكانوا رخما ، ولو كانوا من البهـائم لكانوا حمرا ، والله لو طلبت منهم ان يملؤا هذا البيت ذهبا على أن أكذب على علي لأعطوني ، والله ما أكذب عليـه أبـدا ، وقـد روى هذا الكلام عنه مبسوطا لكـن ، الأظهـر أن المبسـوط مـن كلام غيره .

كما روى أبو حفص بن شاهين [1] في كتاب اللطف في السنة : حدثنا محمد بن أبي القاسم بن هارون ، حدثنا أحمد بـن الوليد الواسطي ، حدثني جعفر بن نصير الطوسي الواسـطي ، عن عبد الرحمن بـن مالـك بـن مغـول ، عـن أبيـه ، قـال . قـال الشعبي : أحذركم أهل هذه الأهواء المضلة ، وشرها الرافضـة ، لم يدخلوا في الاسلام رغبة ولا رهبة، ولكن مقتـا لأهـل الاسـلام وبغيا عليهم ، وقد حرقهم علي ونفاهم إلى البلدان .

ومنهم عبد الله بن سبأ من يهود صنعاء ، نفاه إلى سـباباط ، وعبد الله بن يسار نفاه إلى خاذر ، وآية ذلك أن محنة الرافضة ، محنة اليهود . قالت اليهـود : لا يصـلح الملـك إلا فـي آل داود ، وقالت الرافضة لا تصلح الإمامة إلا في ولد علي ، وقالت اليهود : لا جهاد في سبيل اللـه حـتى يخـرج المسـيح الـدجال ، وينـزل سيف من السماء ، وقالت الرافضـة : لا جهـاد فـي سـبيل اللـه حتى يخرج المهدي، وينادي مناد من السماء .

واليهود يـؤخرون الصـلاة إلـى اشـتباك النجـوم ، وكـذلك الرافضة يؤخرون المغرب إلى اشتباك النجـوم ، والحـديث عـن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال :((لا تزال أمـتي علـى الفطرة مالم يؤخروا المغرب إلى اشتباك النجوم))[2] .

واليهود تزول عن القبلة شيئا ، وكـذلك الرافضـة ، واليهـود تنود في الصلاة ، وكذلك الرافضة ، واليهـود تسـدل أثوابهـا فـي الصلاة ، وكذلك الرافضة .

واليهـود لا يـرون علـى النسـاء عـدة ، وكـذلك الرافضـة ، واليهود حرفوا التوراة ، وكذلك الرافضة حرفوا القرآن . واليهود قالوا : افترض الله علينا خمسين صلاة ، وكذلك الرافضة .

واليهود لا يخلصون السلام على المـؤمنين إنمـا يقولـون : السام عليكم _ والسام الموت _ وكـذلك الرافضـة ، واليهـود لا يأكلون الجرى[3] والمرماهى . والذناب ، وكذلك الرافضة.

واليهود لا يرون المسح على الخفين ، وكذلك الرافضة .

---

[1](1) هو أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان البغدادي تـوفي سـنة 385 انظر تذكرة الحفاظ ج 3ص 183.

[2](1) رواه أبو داود في السنن ج 1ص 169وابن ماجه ج 1ص 225وأحمد في المسند ج 4ص 147وج 5ص 422

واليهود يستحلون أموال الناس كلهم ، وكذلك الرافضة . وقد أخبرنا الله عنهم في القـرآن أنهـم:] **قَالُوا لَيْـسَ عَلَيْنَـا فِـي الأُمِيِّينَ سَبِيل** [(1) وكذلك الرافضة.

واليهود تسجد على قرونها في الصلاة ، وكذلك الرافضــة ، واليهـود لا تسـجد حـتى تخفـق برؤوسـها مـرارا شـبه الركـوع ، وكذلك الرافضة .

واليهود تبغض جبريل ، ويقولون هـو عـدونا مـن الملائكـة ، وكذلك الرافضة ، يقولون غلط جبريل بالوحي على محمد .

وكذلك الرافضة وافقـوا النصـارى فـي خصـلة : النصـارى ليس لنسائهم صداق إنما يتمتعون بهن تمتعا ، وكـذلك الرافضـة يــتزوجون بالمتعــة ، ويســتحلون المتعــة ، وفضــلت اليهــود والنصارى على الرافضة بخصلتين ، سئلت اليهود : من خير أهل ملتكم ؟ قالوا : أصحاب موسى ، وسئلت النصارى من خير أهل ملتكم ؟ قالوا : حواري عيسى . وسئلت الرافضة من شر أهــل ملتكم ؟ قالوا أصحاب محمد .

أمروا بالاستغفار لهم ، فسبوهم والسـيف عليهـم مسـلول إلى يوم القيامة ، لا تقوم لهم راية ، ولا يثبت لهم قدم ولا تجتمع لهم كلمة ، ولا تجاب لهم دعوة ، دعـوتهم مدحوضـة ، وكلمتهـم مختلفة ، وجمعهم متفرق ، كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله .

(قلت) : هذا الكلام بعضه ثابت عن الشعبي كقـوله : لـو كانت الشيعة من البهائم لكـانوا حمـرا ، ولـو كـانت مـن الطيـر لكانوا رخما ، فإن هذا ثابت عنه .

قال ابن شاهين : حدثنا محمد بن العباس النحـوي ، حـدثنا ابراهيم الحربي ، حـدثنا أبـو الربيـع الزهرانـي، حـدثنا وكيـع بـن الجراح ، حدثنا مالك بن مغول ، فذكره وأما السـياق المـذكور ، فهو معروف عن عبد الرحمن بن مالـك بـن مغـول ، عـن أبيـه ، عن الشعبي .

---

[3](2) نوع من السمك زعموا أن السمك خاطب عليا إلا هذين النوعين منه .

[1](1) الآية 75 من سورة آل عمران .

وروى أبو عاصم خشيش بن أصرم[2] في كتابه ورواه من طرقه أبو عمرو الطلمنكي ، في كتابه في الأصول ، قال . حدثنا ابن جعفر الرقي ، عن عبد الرحمن بن مالك بن مغول ، عن أبيه ، قال قلت لعامر الشعبي : ما ردك عن هؤلاء القوم ، وقد كنت فيهم رأسا ، قال رأيتهم يأخذون بأعجاز لا صدور لها .

ثم قال لي : يا مالك لو أردت أن يعطوني رقابهم عبيدا ، أو يملؤا لي بيتي ذهبا ، أو يحجوا إلى بيتي هذا ، على أن اكذب على علي لفعلوا ، ولا . والله أكذب عليه أبدا ، يا مالك إني قد درست أهل الأهواء فلم أر فيهم أحمق من الخشبية ، فلو كانوا من الطير لكانوا رخما ، ولو كانوا من الدواب لكانوا حمرا ، يا مالك لم يدخلوا في الاسلام رغبة فيه لله ولا رهبة من الله ، ولكن مقتا من الله عليهم ، وبغيا منهم على أهل الإسلام .

يريدون أن يغمصوا دين الإسلام ، كما غمص يولص بن يوشع ملك اليهود دين النصرانية ، ولا تتجاوز صلاتهم آذانهم .

قد حرقهم علي بن أبي طالب بالنار ، ونفاهم من البلاد .

منهم عبد الله بن سبأ ، يهودي من يهود صنعاء ، نفاه إلى ساباط وأبو بكر الكروس ، نفاه إلى الجابية ، وحرق منهم قوما ، أتوه فقالوا : أنت هو . فقال : من أنا . فقالوا : أنت ربنا . فأمر بنار فأججت ، فألقوا فيها ، وفيهم قال علي :

لما رأيت الأمر أمرا منكرا أججت ناري ودعوت قنبرا

يا مالك إن محنتهم محنة اليهود ، قالت اليهود : لا يصلح الملك إلا في آل داود ، وكذلك قالت الرافضة : لا تصلح الإمامة إلا في ولد علي .

وقالت اليهود : لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المسيح الدجال وينزل سيف من السماء ، وكذلك الرافضة قالوا : لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج الرضا من آل محمد وينادي مناد من السماء اتبعوه .

---

[2](1) هو خشيش بن أصرم بن الأسود ، أبو عاصم ، النسائي توفي سنة 253 ، وأنظر تهذيب التهذيب ج 3ص 142

وقالت اليهود : فرض الله علينا خمسين صلاة في كل يوم وليلة ، وكذلك قالت الرافضة .

واليهود لا يصلون المغرب حتى تشتبك النجوم ، وقد جاء عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : ((لا تزال أمتي على الاسلام مالم تؤخر المغرب إلى اشتباك النجوم))[1] مضاهاة لليهود، وكذلك الرافضة، واليهود إذا صلوا زالوا عن القبلة شيئا ، وكذلك الرافضة.

واليهود تنود في صلاتها ، وكذلك الرافضة . واليهود يسدلون أثوابهم في الصلاة ، وقد بلغني أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مر برجل سادل ثوبه فعطفه عليه ، وكذلك الرافضة .

واليهود حرفوا التوراة ، وكذلك الرافضة حرفوا القرآن . واليهود يسجدون في صلاة الفجر الكندرة ، وكذلك الرافضة . واليهود لا يخلصون بالسلام إنما يقولون : سام عليكم . وهو الموت _ وكذلك الرافضة ، واليهود عادوا جبريل فقالوا : هو عدونا . وكذلك الرافضة قالوا : أخطأ جبريل بالوحي . و اليهود يستحلون أموال الناس ، وقد نبأنا الله عنهم أنهم قالوا **قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيل** ، وكذلك الرافضة يستحلون مال كل مسلم .

واليهود ليس لنسائهم صداق وإنما يتمتعون متعة ، وكذلك الرافضة يستحلون المتعة ، واليهود يستحلون دم كل مسلم ، وكذلك الرافضة .

واليهود يرون غش الناس ، وكذلك الرافضة . واليهود لا يعدون الطلاق شيئا إلا عند كل حيضة ، وكذلك الرافضة .

واليهود لا يرون العزل عن السرارى ، وكذلك الرافضة . واليهود يحرمون الجرى والمرماهى ، وكذلك الرافضة .

واليهود حرموا الأرنب والطحال ، وكذلك الرافضة . واليهود لا يرون المسح على الخفين ، وكذلك الرافضة . واليهود لا يلحدون، وكذلك الرافضة . وقد ألحد لنبينا صلى الله تعالى

---

[1](1) تقدم ذكرمن رواه قريبا .

عليه وسلم . واليهـود يـدخلون مـع موتـاهم فـي الكفـن سـعفة رطبة ، وكذلك الرافضة.

ثم قال يا مالك : وفضلهم اليهود والنصارى بخصـلة ، قيـل لليهود : من خير أهل ملتكم ؟ قـالوا : أصـحاب موسـى ، وقيـل للنصارى من خير أهل ملتكم؟ قـالوا : حـواري عيسـى ، وقيـل للرافضة من شر أهل ملتكم ؟ قـالوا : حـواري محمـد _ يعنـون بذلك طلحة والزبير _ أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم ، والسيف مسلول عليهم إلى يوم القيامة ، ودعوتهم مدحوضـة ، ورايتهـم مهزومة ، وأمرهم متشتت ، كلمـا أوقـدوا نـارا للحـرب أطفأهـا الله ، ويسعون في الأرض فسادا ، والله لا يحب المفسدين .

وقد روى أبو القاسم الطبري[1] في شرح اصول السنة نحو هذا الكلام من حديث وهب بن بقية الواسطي ، عـن محمـد بـن حجر الباهلي ، عن عبد الرحمن بن مالك بـن مغـول مـن وجـوه متعددة يصدق بعضها بعضا ، وبعضها يزيد على بعض ، لكن عبـد الرحمن بن مالك بن مغول ضعيف ، وذم الشعبي لهم ثابت مـن طرق أخرى، لكن لفظ الرافضة إنما ظهـر لمـا رفضـوا زيـد بـن علي بن الحسين ، في خلافة هشام ، وقصـة زيـد بـن علـي بـن الحسين ، كانت بعد العشرين ومائة سـنة إحـدى و عشـرين ،أو اثنتين وعشرين ومائة فـي آخـر خلافـة هشـام . قـال أبـو حـاتم البستى : قتل زيد بـن علـي بـن الحسـين بالكوفـة سـنة اثنـتين وعشرين ، فصلب على خشبة ، وكـان مـن أفاضـل أهـل الـبيت وعلمائهم ، وكانت الشيعة تنتحله .

---

[1](1) هو اللا لكائي.

متى سموا رافضة وكذا الزيدية

(قلت) : ومن زمن خروج زيد افترقت الشيعة إلى رافضة وزيدية ، فإنه لما سئل عن ابي بكر وعمر . فترحم عليهما ، رفضه قوم فقال لهم : رفضتموني ، فسموا رافضة ، لرفضهم إياه ، وسمي من لم يرفضه من الشيعة زيديا ، لانتسابهم إليه ، ولما صلب كانت العباد تأتي إلى خشبته بالليل ، فيتعبدون عندها .

والشعبي توفي في أوائل خلافة هشام ، أواخر خلافة يزيد بن عبد الملك أخيه ، سنة خمس ومائة ، أو قريبا من ذلك . فلم يكن لفظ الرافضة معروفا إذ ذاك .

وبهذا وغيره يعرف كذب لفظ الأحاديث المرفوعة التي فيها لفظ الرافضة ، ولكن كانوا يسمون بغير ذلك الاسم ، كما يسمون بالخشبية لقولهم إنا لا نقاتل بالسيف إلا مع إمام معصوم ، فقاتلوا بالخشب .

ولهذا جاء في بعض الروايات عن الشعبي : ما رأيت أحمق من الخشبية، فيكون المعبر عنهم بلفظ الرافضة ذكره بالمعنى ، مع ضعف عبد الرحمن ، ومع أن الظاهر أن هذا الكلام ، إنما هو نظم عبد الرحمن بن مالك بن مغول وتأليفه ، وقد سمع منه طرفا عن الشعبي ، وسواء كان هو ألفه ونظمه لما رآه من أمور الشيعة في زمانه ، ولما سمع عنهم ، أو لما سمع من أقوال أهل العلم فيهم ، أو بعضه أو مجموع الأمرين ، أو بعضه لهذا وبعضه لهذا ، فهذا الكلام معروف بالدليل الذي لا يحتاج فيه إلى نقل وإسناد ، وقول القائل : إن الرافضة تفعل كذا ، المراد به بعض الرافضة ، كقوله تعالى :] **وَقَالَتْ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ الله** [(1)] **وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِم** [(2).

لم يقل ذلك كل يهودي ، بل فيهم من قال ذلك . وما ذكره موجود في الرافضة .

---

(1)[1] الآية 30من سورة التوبة .
(2)[2] الآية 64 من سورة المائدة .

وفيهم أضعاف ما ذكره ، مثل تحريم بعضـهم للحـم الأوز ، والجمل ، مشابهة لليهود .

ومثل جمعهم بين الصلاتين دائما ، فلا يصلون إلا فـي ثلاثـة أوقات ، مشابهة لليهود .

ومثـل قـولهم أنـه لا يقـع الطلاق إلا بالإشـهاد علـى الـزوج مشابهة لليهود ، ومثل تنجيسهم لأبدان غيرهـم مـن المسـلمين وأهل الكتاب وتحريمهم لذبائحهم ، وتنجيسـهم مـا يصـيب ذلـك من المياه والمائعات ، وغسل الآنيـة الـتي يأكـل منهـا غيرهـم ، مشابهة للسامرة الذين هم شر اليهـود ، ولهـذا تجعلهـم النـاس في المسلمين كالسامرة في اليهود .

ومثل استعمالهم التقيـة ، وإظهـار خلاف مـا يبطنـون مـن العداوة، مشابهة لليهود ونظائر ذلك كثير .

ذكر بعض حماقات الرافضة

وأما سـائر حماقـاتهم فكـثيرة جـدا ، مثـل كـون بعضـهم لا يشرب من نهر حفره يزيد ، مـع أن النـبي والـذين كـانوا معـه كانوا يشربون من آبار وأنهار حفرها الكفار .

وبعضهم لا يأكل من التوت الشـامي ، ومعلـوم أن النـبي ومن معه كانوا يأكلون مما يجلب مـن بلاد الكفـار ،مـن الجبـن ، ويلبسون ما تنسجه الكفار، بل غـالب ثيلبهـم كـانت مـن نسـيج الكفار .

ومثل كونهم يكرهون التكلـم بلفـظ العشـرة ، أو فعـل أي شيء يكون عشرة ، حتى في البناء لا يبنون على عشرة أعمدة ، ولا بعشرة جذوع ونحو ذلك ، لكونهم يبغضون خيار الصـحابة _ وهم العشرة _ المشهود لهم بالجنـة ، أبـو بكـر وعمـر وعثمـان

وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح رضوان الله عليهم أجمعين ، يبغضون هؤلاء إلا علي بن أبي طالب ، ويبغضون السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، الذين بايعوا رسول الله ، تحت الشجرة ، وكانوا ألفا وأربعمائة .

وقد أخبر الله أنه قد رضي عنهم . وثبت في صحيح مسلم وغيره ، عن جابر أيضا . أن غلام حاطب بن أبي بلتعة قال : يا رسول الله والله ليدخلن حاطب النار ، فقال النبي : ((كذبت ، إنه شهد بدرا والحديبية))[1] .

وهم يتبرؤون من جمهور هؤلاء . بل يتبرؤون من سائر أصحاب رسول الله ، إلا نفرا قليلا نحو بضعة عشر ، ومعلوم أنه لو فرض في العالم عشرة من أكفر الناس ، لم يجب هجر هذا الاسم لذلك ، كما أنه سبحانه وتعالى لما قال : **وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلاَ يُصْلِحُون** [2].

لم يجب هجر اسم التسعة مطلقا ، بل اسم العشرة قد مدح الله مسماه في مواضع ، كقوله تعالى في متعة الحج :] **فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَة** [[3] .

وقال تعالى : **وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْر فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَة** [[4] .

وقال تعالى :] **وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْر**[.

وقد ثبت في الصحيح أن النبي كان يعتكف العشر الأواخر من شهر رمضان حتى توفاه الله تعالى[5] .

وقال في ليلة القدر التمسوها في العشر الأواخر[6] .

---

[1](1) انظر الحديث في مسلم ج 4 ص 1942 .

[2](1) الآية 48 من سورة النمل .

[3](2) الآية 196 من سورة البقرة .

[4](3) الآية 142 من سورة الأعراف .

[5](4) انظر البخاري ج 3ص 47-48 ومسلم ج 2ص 830-831 .

[6](5) انظر كتاب الصوم من البخاري الباب 72 ومسلم ج 2ص 823 .

وقد ثبت في الصحيح أن النبي قال : « ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى اللـه مـن هـذه الأيـام العشـر» [1] نظـائر ذلك متعددة .

ومن العجيب أنهـم يوالـون لفـظ التسـعة ، وهـم يبغضـون التسعة من العشرة فإنهم يبغضونهم إلا عليـا ، وكـذلك هجرهـم لاسـم أبـي بكـر وعمـر وعثمـان ولمـن يتسـمى بـذلك ، حـتى يكرهون معاملته ، ومعلوم أن هؤلاء لو كانوا من أكفـر النـاس ، لم يشرع أن لا يتسمى الرجل بمثـل أسـمائهم ، فقـد كـان فـي الصحابة من اسمه الوليد .

وكان النبي يقنت في الصلاة ، ويقول اللهم أنج الوليد بن الوليد بن المغيرة[2]وأبوه وكان مـن أعظـم النـاس كفـرا ، وهـو الوحيد المذكور في قوله تعالى :] **ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا** [[3] وفي الصحابة من اسمه عمرو ، وفي المشركين من اسـمه عمرو بن عبدود ، وأبو جهل اسمه عمرو بن هشام .

وفي الصحابة خالـد بـن سـعيد بـن العـاص مـن السـابقين الأولين ، وفي المشركين خالد بن سفيان الهذلي .

وفي الصحابة من اسمه هشام مثل هشام بن حكيم ، وأبـو جهل كان اسم أبيه هشاما . وفي الصحابة من اسمه عقبة مثـل أبي مسعود عقبة بن عمرو البدري ، وعقبة بـن عـامر الجهنـي ، وكان في المشركين عقبة بن أبي معيط .

وفي الصحابة علـي وعثمـان ، وكـان فـي المشـركين مـن اسمه علي مثل علي بن أمية بن خلف ، قتـل يـوم بـدر كـافرا ، ومثل عثمان بن طلحة قتل قبل أن يسلم ، ومثل هذا كثير .

فلم يكن النبي والمؤمنون يكرهـون اسـما مـن الأسـماء لكونه قد تسمى به كافر مـن الكفـار ، فلـو قـدر أن المسـلمين بهذه الأسماء كفار ، لـم يـوجب ذلـك كراهـة هـذه الأسـماء مـع

---

[1](6) انظر البخاري ج 2ص 20 والترمذي ج 2ص 129 .

[2](1) انظره في البخاري ج 6ص 48-49 .
[3](2) الآية 11 من سورة المدثر .

العلم لكل أحد بأن النبي كان يدعوهم بها ، ويقر النـاس علـى دعائهم بها .

وكثير منهم يزعم أنهم كانوا منافقين ، وكان النـبي يعل م أنهم منافقون، وهو مع هذا يدعوهم بها ، وعلي بن أبي طـالب قد سمى بها أولاده فعلم أن جواز الـدعاء بهـذه الأسـماء سـواء كان ذلك المسـمى بهـا مسـلما أو كـافرا أمـر معلـوم مـن ديـن الاسلام ، فمن كـره أن يـدعو أحـدا بهـا كـان مـن أظهـر النـاس مخالفة لدين الإسـلام ، ثـم مـع هـذا إذا تسـمى الرجـل عنـدهم باسم علي، أو جعفر أو حسن او حسين أو نحـو ذلـك ، عـاملوه وأكرموه ، ولا دليل لهم في ذلك على أنه منهم .

ومن حماقاتهم أيضا أنهم يجعلـون للمنتظـر عـدة مشـاهد ينتظرونه فيهـا ، كالسـرداب الـذي بسـامرا الـذي يزعمـون أنـه غائب فيه.

ومشاهد أخرى وقد يقيمون هناك دابة إما بغلة وإما فرسـا ، وإما غير ذلك ليركبها إذا خرج ، ويقيمون هناك إما في طرفـي النهار وإما في أوقات أخرى من ينادي عليـه بـالخروج يـا مولانـا اخرج ، ويشهرون السـلاح ولا أحـد هنـاك يقـاتلهم ، وفيهـم مـن يقـوم فـي أوقـات دائمـا لا يصـلي ، خشـية أن يخـرج وهـو فـي الصلاة فيشتغل بهـا عـن خروجـه ، وخـدمته ، وهـم فـي أمـاكن بعيدة عن مشهده كمدينة النبي إم ا فـي العشـر الأواخـر مـن شهر رمضان.

وإما في غير ذلك يتوجهون إلى المشرق ، وينادون بأصوات عالية يطلبون خروجه ، ومن المعلوم أنه لـو كـان موجـودا وقـد أمره الله بالخروج فإنه يخرج ، سواء نـادوه أو لـم ينـادوه ، وإن لم يؤذن له فهو لا يقبل منهـم ، وإنـه إذا خـرج فـإن اللـه يؤيـده ويأتيه بما يركبه ، وبمن يعينـه وينصـره ، لا يحتـاج أن يوقـف لـه دائمـا مـن الآدميـن مـن ضـل سـعيهم فـي الحيـاة الـدنيا وهـم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، والله سـبحانه وتعـالى قـد عـاب في كتابه من يدعو من لا يستجيب دعاءه فقال تعالى :] **ذَلِكُـمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ إِن تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا اسْتَجَابُواْ لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُـرُونَ بِشِـرْكِكُمْ وَ لا**

يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ [(1)]هذا مع أن الأصنام موجودة ، وكـان يكـون بها أحيانا شياطين تتراءى لهم وتخاطبهم .

ومن خاطب معدوما كانت حالته أسوأ من حال من خاطب موجودا ، وإن كان جمادا ، فمن دعا المنتظر الذي لم يخلقه الله ، كان ضلاله أعظم من ضلال هؤلاء ، وإذا قال أنا أعتقـد وجـوده كان بمنزلة قول أولئك نحن نعتقد أن هذه الأصـنام لهـا شـفاعة عنـد اللـه فيعبـدون مـن دون اللـه مـا لاينفعهـم و لا يضـرهم و يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله .

و المقصود أن كليهما يدعو من لا ينفع دعاؤه ، وإن كان أولئك اتخذوهم شفعاء آلهة ، وهؤلاء يقولون هـو إمـام معصـوم فهـم يوالـون عليـه . ويعـادون عليـه كمـوالاة المشـركين علـى آلهتهم ، ويجعلونه ركنا في الإيمان لا يتم الدين إلا به ، كما يجعل بعض المشركين آلهتهم كذلك وقال تعـالى :] **مَا كَـانَ لِبَشَـرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُـولَ لِلنَّـاسِ كُونُواْ عِبَاداً لِّي مِن دُونِ اللهِ وَلَكِن كُونُـواْ رَبَّـانِيِّينَ بِمَـا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ . وَلاَ يَـأْمُرَكُم أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلآئِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْـدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ** [(2)] .

فإذا كان من يتخذ الملائكة والنبيين أربابـا بهـذه الحـال ، فكيف بمن يتخذ إماما معدوما لا وجود لـه؟ وقـد قـال تعـالى :] **اتَّخَـذُواْ أَحْبَـارَهُمْ وَرُهْبَـانَهُمْ أَرْبَاباً مِّـن دُونِ اللـهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهاً وَاحِـداً لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ** [(3)] وقد ثبت في الترمذي وغيره من حديث عدي بن حاتم أنه قـال : ((يـا رسـول اللـه مـا عبدوهم . فقال : إنهم أحلوا لهم الحرام وحرمـوا عليهـم الحلال فأطـاعوهم ، فكـانت تلـك عبـادتهم إيـاهم)) [(4)] فهـؤلاء اتخـذوا أناسا موجودين ، أربابا .

وهؤلاء يجعلون الحـرام والحلال معلقـا بالإمـام المعـدوم ، الذي لا حقيقة له ، ثم يعملون بكل ما يقول المثبتون أنـه يحللـه ويحرمه ، وإن خالف الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة ، حـتى

---

(1)[1] الآيتان 13،14 من سورة فاطر .

(2)[2] الآيتان 79 ، 80 من سورة آل عمران .

(3)[3] الآية 31 من سورة التوبة .

(1)[4] انظر سنن الترمذي ج 4 ص 341 ، وقال : غريب .

إن طائفتهم إذا اختلفت على قولين فالقول الذي لا يعرفه قائله هو الحق ، لأنه قول هذا الإمام المعصـوم ، فيجعلـون الحلال مـا حلله والحرام ما حرمه هذا الذي لا يوجد . وعنـد مـن يقـول إنـه موجود لا يعرفه أحد ، ولا يمكن أحدا أن ينقل عنه كلمة واحدة .

ومن حماقاتهم تمثيلهم لمن يبغضونه مثـل اتخـاذهم نعجـة وقد تكون نعجة حمراء ، لكون عائشة تسمى الحميـرا يجعلونهـا عائشـة ويعـذبونها بنتـف شـعرها، وغيـر ذلـك ، ويـرون أن ذلـك عقوبة لعائشـة و مثـل ا تخـاذهم حلسـا مملـوءا سـمنا يشـقون بطنه فيخرج السمن فيشربونه ، ويقولون هذا مثل ضـرب عمـر وشرب دمه .

ومثل تسمية بعضهم لحمارين من حمر الرحا أحدهما بأبي بكر ، والآخر بعمر ثم عقوبة الحمارين جعلا منهـم تلـك العقوبـة عقوبة لأبي بكر وعمـر ، وتـارة يكتبـون أسـماءهم علـى اسـفل أرجلهم حتى أن بعض الولاة جعل يضرب رجلي مـن فعـل ذلـك ويقـول إنمـا ضـربت أبـا بكـر وعمـر ، ولا أزال أضـربهما حـتى أعدمهما .

ومنهم من يسمي كلابه باسـم أبـي بكـر وعمـر ، ويلعنهمـا ومنهم من إذا سمى كلبه فقيل له بكير يضارب من يفعل ذلـك ، ويقول تسمى كلبي باسم أصحاب النار .

ومنهم من يعظم أبـا لؤلـؤة المجوسـي الكـافر الـذي كـان غلاما للمغيرة بن شعبة ، لما قتل عمر ، ويقولون : واثارات أبي لؤلؤة فيعظمون كافرا مجوسيا باتفـاق المسـلمين لكـونه قتـل عمر .

ومن حماقاتهم إظهارهم لما يجعلونه مشهدا ، فكـم كـذبوا الناس، وادعوا أن في هذا المكان ميتا مـن أهـل الـبيت ، وربمـا جعلوه مقتولا، فيبنون ذلك مشهدا ، وقد يكون ذلك كافرا أو قبر بعض الناس ، ويظهر ذلك بعلامات كثيرة .

ومعلوم أن عقوبة الدواب المسماة بذلك ونحو هذا الفعـل لا يكون إلا من فعل أحمق الناس وأجهلهم ، فـإنه مـن المعلـوم أنا لو أردنا أن نعاقب فرعون وأبا لهب وأبا جهل وغيرهـم ممـن ثبت بإجماع المسلمين أنهم من أكفر الناس مثـل هـذه العقوبـة

لكان هذا من أعظم الجهل ، لأن ذلك لا فائـدة فيـه بـل إذا قتـل كافر ، يجوز قتله أو مات حتف أنفه ، لم يجز بعـد قتلـه أو مـوته أن يمثل به فلا يشق بطنه أو يجدع أنفه وأذنـه ولا تقطـع يـده إلا أن يكون ذلك على سبيل المقابلة .

فقد ثبت في صحيح مسلم وغيره ، عن بريدة ، عن النبي ، أنه كان إذا بعث أميرا على جيش أو سرية ، أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله ، وأوصاه بمن معه من المسلمين خيرا وقال : ((اغزو في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، لا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلـوا ، وليـدا)) [1] وفـي السـنن أنـه كـان فـي خطبته يأمر بالصدقة ، وينهى عن المثلة[2] .

مع أن التمثيل بالكافر بعد موته فيـه نكايـة بالعـدو ، ولكـن نهى عنه لأنه زيادة إيـذاء بلا حاجـة ، فـإن المقصـود كـف شـره بقتله ، وقد حصل . فهؤلاء الذين بيغضونهم لو كانوا كفـارا وقـد ماتوا لم يكن لهم بعد موتهم أن يمثلوا بأبدانهم ، لا يضـربونهم ، ولا يشقون بطونهم ولا ينتفون شعورهم ، مع أن في ذلك نكايـة فيهم . أما إذا فعلوا ذلك بغيرهم ظنا أن ذلك يصـل إليهـم كـان غاية الجهل ، فكيف إذا كان بمحرم كالشاة الـتي يحـرم إيـذاؤها بغير حق ، فيفعلون ما لا يحصل لهم به منفعة أصلا بل ضرر في الدين والدنيا ، والآخرة ، مع تضمنه غاية الحمق والجهل .

ومن حماقتهم إقامة المـأتم والنياحـة علـى مـن قتـل مـن سنين عديدة ، ومن المعلوم أن المقتول وغيره مـن المـوتى إذا فعل مثـل ذلـك بهـم عقـب مـوتهم كـان ذلـك ممـا حرمـه اللـه ورسوله ، فقد ثبت في الصحيح عـن النـبي أنـه قـال : ((ليـس منـا مـن لطـم الخـدود ، وشـق الجيـوب ، ودعـا بـدعوى الجاهلية))[3] . وثبـت فـي الصـحيح عنـه أنـه بـرئ مـن الحالقـة والصالقة والشاقة[4] . فالحالقة لتي تحلق شعرها عند المصـيبة ، والصالقة التي ترفع صـوتها عنـد المصـيبة بالمصـيبة والشـاقة التي تشق ثيابها .

---

[1] (1) انظره في مسلم ج 3ص 1356

[2] (2) انظر سنن أبي داود ج 3ص 72 والدارمي ج 1ص 390 .

[3] (1) انظر البخاري ج 2ص 82 . في أماكن متعددة ومسلم ج 1ص 99.

[4] (2) البخاري ج 2ص 81 ومواضع أخرى . ومسلم ج 1ص 100 .

وفي الصحيح عنه أنه قال :((من نيح عليه فإنه يعـذب ، بمـا نيح عليه))[1]. وفي الصحيح عنـه أنـه قـال : ((إن النائحـة إذا لـم تتـب قبـل موتهـا فإنهـا تلبـس يـوم القيامـة درعـا مـن جـرب ، وسربالا من قطران))[2] .

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة ، وهؤلاء يأتون من لطم الخـدود ، وشـق الجيـوب ، ودعـوى الجاهليـة ، وغيـر ذلـك مـن المنكرات بعد الموت بسـنين كـثيرة مـا لـو فعلـوه عقـب مـوته لكان ذلـك مـن أعظـم المنكـرات الـتي حرمهـا اللـه ورسـوله ، فكيف بعد هذه المدة الطويلة ؟ .

ومن المعلوم أنه قد قتل مـن الأنبيـاء وغيـر الأنبيـاء ظلمـا وعدوانا من هـو أفضـل مـن الحسـين ، قتـل أبـوه ظلمـا ، وهـو أفضـل منـه ، وقتـل عثمـان بـن عفـان، وكـان قتلـه اول الفتـن العظيمة التي وقعت بعد موت النبي ، وترتب عليه من الشر والفساد أضعاف ما ترتب على قتل الحسين .

وقتل غير هؤلاء ومات ، وما فعل أحـد مـن المسـلمين ولا غيرهم مأتما ولا نياحة على ميت ، ولا قتيل بعد مدة طويلـة مـن قتله ، إلا هؤلاء الحمقى الذين لو كانوا من الطير لكـانوا رخمـا ، ولو كانوا من البهائم لكانوا حمرا [3] .

ومن ذلك أن بعضهم لا يوقد خشب الطرفاء ، لأنـه أبلغـه أن دم الحسين وقع على شجرة من الطرفاء . ومعلوم أن تلـك الشجرة بعينها لا يكره وقودها ولو كان عليهـا مـن أي دم كـان ، فكيف بسائر الشجر الذي لم يصبه الدم ؟

---

[1](3) انظر مسلم ج 2ص 644 والبخاري ج 2ص 80 .

[2](4) انظره في مسلم ج 2 ص 644 .

[3](1) اتخاذهم يوم عاشوراء مأتما على الحسين هو من أجل إيقاد نار الغل والحقد على أهل السنة لأنهم في تصويرهم هم الذين قتلوه ، وليـس ذلـك حبا للحسين وأهل بيته .

ومن حماقاتهم ما يطول وصفها ولا يحتاج أن تنقل بإسناد ، ولكن ينبغي أن يعلم مع هذا أن المقصود أنه من ذلك الزمان القديم يصفهم الناس بمثل هذا، من عهد التابعين وتابعيهم كما ثبت بعض ذلك ، إما عن الشعبي ، وإما أن يكون من كلام عبد الرحمن ، وعلى التقديرين فإن المقصود حاصل ، فإن عبد الرحمن كان في زمن تابعي التابعين .

وإنما ذكرنا هذا لأن عبد الرحمن كثير من الناس لا يحتج بروايته المفردة ، إما لسوء حظه ، وإما لتهمته في تحسين الحديث ، وإن كان له علم ومعرفة بأنواع من العلوم ، ولكن لا يصلح للاعتضاد ، والمتابعة ، كمقاتل بن سليمان ، ومحمد بن عمر الواقدي ، وأمثالهم ا ، فإن كثرة الش هادات والأخبار قد توجب العلم ، وإن لم يكن كل من المخبرين ثقة حافظا حتى يحصل العلم بمخبر الأخبار المتواترة ، وإن كان المخبرون من أهل الفسوق ، إذا لم يحصل بينهم تشاغر وتواطؤ .

والقول الحق الذي يقوم عليه الدليل يقبل من كل من قاله ، وإن لم يقبل بمجرد إخبار المخبر به .

فلهذا ذكرنا ما ذكره عبد الرحمن بن مالك بن مغول ، فإن غاية ما فيه أنه قاله ذاكرا الأثر وعبد الرحمن هذا يروي عن أبيه ، وعن الأعمش ، وعن عبيد الله بن عمر ، ولا يحتج بمفرداته ، فإنه ضعيف.ومما ينبغي أن يعرف أن ما يوجد في جنس الشيعة من الأقوال والأفعال المذمومة ، وإن ك ان أض عاف م ا ذكرناه لكن قد لا يكون هذا كله في الإمامية الاثني عشرية ، ولا في الزيدية ولكن يكون كثير منه في الغالية ، وفي كثير من عوامهم مثل ما يذكر عنهم من تحريم لحم الجمل ، وأن الطلاق يشترط فيه رضا المرأة ، ونحو ذلك مما يقوله من يقوله من عوامهم وإن كان علماؤهم لا يقولون ذلك ، ولكن لما كان أصل مذهبهم مستند إلى جهل ، كانوا أكثر الطوائف كذبا وجهل.

(فصل)

الرافضة أكذب الناس ، وذلـك فيهـم قـديم وليسـوا أهـل علم

ونحن نبين إن شاء الله تعالى طريق الاستقامة في معرفة هذا الكتاب ، منهاج الندامة بحول الله وقوته ، وهذا الرجل سلك مسلك سلفه ، شيوخ الرافضة كابن النعمـان المفيـد ، ومتبعيـه كالكراجكي ، وأبي القاسم الموسوي ، والطوسي ، وأمثالهم .

فإن الرافضة في الأصل ليسوا أهل علم ، وخـبرة بطريـق النظر والمناظرة ، ومعرفة الأدلة ، ومـا يـدخل فيهـا مـن المنـع والمعارضــة ، كمــا أنهــم أجهــل النــاس بمعرفــة المنقــولات ، والأحـاديث والآثـار ، والتمييـز بيـن صـحيحها وضـعيفها ، وإنمـا عمدتهم في المنقولات علـى تواريـخ منقطعـة الإسـناد ، وكـثير منها من وضع المعروفين بالكذب وبالإلحاد .

وعلماؤهم يعتمدون على نقل مثـل أبـي مخنـف لـوط بـن علي ، وهشام بن محمد بن السائب ، وأمثالهما من المعروفيـن بالكـذب عنـد أهـل العلـم ، مـع أن أمثـال هـؤلاء هـم أجـل مـن يعتمدون عليه ، في النقل إذ كانوا يعتمـدون علـى مـن هـو فـي غاية الجهل والافتراء ، ممن لا يذكر في الكتب ، ولا يعرفـه أهـل العلم بالرجال .

وقد اتفق أهـل العلـم بالنقـل والروايـة والاسـناد علـى أن الرافضة أكذب الطوائف ، والكذب فيهم قديم ، ولهذا كان أئمـة الاسلام يعلمون امتيازهم بكثرة الكذب .

قال أبو حاتم الرازي سمعت يونس بن عبـد الأعلـى يقـول قال أشهب بن عبد العزيز : سئل مالك عن الرافضـة فقـال : لا تكلمهم ولا ترو عنهم فإنهم يكذبون .

وقال أبو حاتم حدثنا حرملة قال سمعت الشافعي يقــول : لم أر أحدا أشهد بالزور من الرافضة .

وقال مؤمل بن أهـاب : سـمعت يزيـد بـن هـارون يقـول : نكتب عـن كـل صـاحب بدعـة إذا لـم يكـن داعيـة إلا الرافضـة ، فإنهم يكـذبون . وقـال محمـد بـن سـعيد الأصـفهاني سـمعت شريكا يقول احمل العلم عن كل من لقيت إلا الرافضة ، فإنهم يضعون الحديث ، ويتخذونه دينا .

وشريك هو شريك بن عبد اللـه القاضـي ، قاضـي الكوفـة من أقران الثوري وأبي حنيفة ، وهو مـن الشـيعة ، الـذي يقـول بلسانه أنا من الشيعة . وهذه شهادته فيهم . وقـال أبـو معاويـة سـمعت الأعمـش يقـول : أدركـت النـاس ومـا يسـمونهم إلا الكذابين ، يعني أصحاب المغيرة بن سعيد .

وقال الأعمش ولا عليكم أن تذكروا هذا فـإني لا آمنهـم أن يقولوا إنا أصبنا الأعمش مع امرأة ، وهـذه آثـار ثابتـة قـد رواهـا ابوعبد الله بن بطة في الإبانة الكبرى ، هو وغيره .

وروى أبو القاسم الطبري : كان الشافعي يقول : ما رأيت في أهل الأهواء قوما أشهد بالزور من الرافضة ، وهـذا المعنـى إن كان صحيحا فاللفظ الأول هو الثابت عن الشافعي .

والمقصود هنا أن العلماء كلهـم متفقـون علـى أن الكـذب في الرافضة أظهر منه في سائر طوائف أهل القبلة .

والرافضة أصل بدعتهم عن زندقة وإلحاد ، وتعمـد الكـذب فيهم كثير ، وهم يقرون بذلك ، حيث يقولون ديننا التقيـة ، وهـو أن يقول أحدهم بلسانه خلاف مـا فـي قلبـه ، وهـذا هـو الكـذب والنفاق ، ويدعون مع هذا أنهم هـم المؤمنـون دون غيرهـم مـن أهل الملة .

ويصفون السابقين الأولين بالردة والنفاق ، فهم فـي ذلـك كما قيل : (رمتني بدائها وانسـلت) ، إذ ليـس فـي المظهريـن للاسلام أقرب إلـى النفـاق والـردة منهـم ، ولا يوجـد المرتـدون والمنـافقون فـي طائفـة أكـثر ممـا يوجـد فيهـم ، واعتـبر ذلـك بالغاليـة مـن النصـيرية وغيرهـم ، وبالملاحـدة والاسـماعيلية وأمثالهم.

وعمدتهم في الشرعيات ما ينقل لهم عن بعض أهل البيت ، وذلك النقل منه ما هو صدق ، ومنه ما هو كذب عمدا ، أو خطأ

وليسوا أهل معرفة بصحيح المنقول وضـعيفه ، كأهـل المعرفـة بالحديث ، ثم إذا صح النقل عن هؤلاء فإنهم بنـوا وجـوب قبـول قول الواحد من هـؤلاء علـى ثلاثـة أصـول علـى أن الواحـد مـن هؤلاء معصوم مثل عصمة الرسول .

وعلى أن ما يقول أحدهم فإنمـا يقـوله نقلا عـن الرسـول، ويدعون العصمة في هذا النقل .

والثالث أن إجماع العترة حجة ، ثم يـدعون أن العـترة هـم الاثنا عشر ، ويدعون أن ما نقل عن أحدهم فقـد أجمعـوا كلهـم عليه ، فهذه أصول الشرعيات عنـدهم ، وهـي أصـول فاسـدة ، كما سنبين ذلك في موضعه ، لا يعتمدون على القرآن ، ولا على الحديث ، ولا على الإجماع ، إلا لكون المعصوم منهم.

ولا على القياس ، وإن كان جليا واضحا . وأما أعمدتهم في النظر والعقليات : فقد اعتمـد متـأخروهم عل ى كتـب المعتزلـة في الجملة .

والمعتزلة أعقل وأصدق ، وليس في المعتزلة مـن يطعـن في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهـم أجمعيـن ، بل هم متفقون على تثبيت خلافة الثلاثة ، وأما التفضيل فأئمتهم وجمهورهم كانوا يفضلون أبا بكر وعمر ما، وفي متأخريهم من توقف فـي التفضـيل وبعضـهم فضـل عليـا ، فصـار بينهـم وبيـم الزيدية نسب راجح من جهـة المشـاركة ، فـي التوحيـد والعـدل والإمامة والتفضيل .

الفصل الأول

زعم الرافضة أن الإمامة من أهم أصول الدين

قال المصنف الرافضي أما بعد : فهذه رسالة شريفة ، ومقالة لطيفة اشتملت على أهم المطالب في أحكام الدين ، وأشرف مسائل المسلمين وهي مسألة الإمامة ، التي يحصل بسبب إدراكها نيل درجة الكرامة ، وهي أحد أركان الإيمان ، المستحق بسببه الخلود في الجنان ، والتخلص من غضب الرحمن ، فلقد قال رسول الله : ((من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية)) . خدمت بها خزانة السلطان الأعظم مالك رقاب الأمم ، ملك ملوك طوائف العرب والعجم ، مولى النعم ومسدي الخير والكرم ، شاهنشاه المكرم غياث الملة والحق والدين (أولجايو خدابنده) ، قد لخصت فيه خلاصة الدلائل ، وأشرت إلى رؤوس المسائل ، وسميتها منهاج الكرامة ، في معرفة الإمامة ، وقد رتبتها على فصول . **الفصل الأول** في نقل المذاهب في هذه المسألة ، ثم ذكر **الفصل الثاني** في أن مذهب الإمامية واجب الاتباع ، ثم ذكر **الفصل الثالث** في الأدلة على إمامة علي بعد رسول الله ، ثم ذكر **الفصل الرابع** في الاثني عشر ثم ذكر **الفصل الخامس** في إبطال خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ، فيقال الكلام على هذا من وجوه :

(أحدها) : أن يقال أولا أن القائل : أن مسألة الامامة أهم المطالب في أحكام الدين ، وأشرف مسائل المسلمين ، كذب بإجماع المسلمين ، سنيهم وشيعيهم ، بل هو كفر ، فإن الإيمان بالله ورسوله أهم من مسألة الامامة .

وهذا معلوم بالاضطرار من دين الاسلام ، فالكافر لا يصير مؤمنا حتى يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وهذا هو الذي قاتل عليه الرسول الكفار كما استفاض عنه في الصحاح وغيرها أنه قال: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا

الزكاة ، فـإذا فعلـوا ذلـك عصـموا منـي دمـاءهم وأمـوالهم ، إلا بحقها))[1]

وقد قال تعالى :] **فَإِذَا انسـَلَخَ الأشـْهُرُ الْحُـرُمُ فَـاقْتُلُواْ الْمُشـْـرِكِينَ حَيْـثُ وَجَـدتُّمُوهُمْ وَخُـذُوهُمْ وَاحْصـُرُوه وَاقْعُدُواْ لَهُـمْ كُـلَّ مَرْصـَدٍ فَـإِن تَـابُواْ وَأَقَـامُواْ الصَّـلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ** [[2] . وكذلك قال لعلي لما بعثه إلى خيبر وكذلك كان النبي . يسير في الكفار فيحقن دماءهم بالتوبة من الكفر لا يذكر لهم الامامة بحال وقد قـال تعـالى بعـد هذا :] **فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ** [[3] .

فجعلهم إخوانا في الدين بالتوبـة ، فـإن الكفـار علـى عهـد رسول الله كانوا إذا أسلموا أجرى عليهم أحكام الاسلام ، ولم يذكر لهم الإمامة بحال ، ولا نقل هذا عن الرسول أحد مـن أهـل العلم ، لا نقلا خاصا ولا عاما ، بل نحن نعلم بالاضطرار أن النبي صلى الله عليه لم يكن يذكر للناس إذا أرادوا الدخول فـي دينـه الإمامة لا مطلقا ولا معنيا .

فكيف تكون أهم المطالب في أحكام الـدين ؟ ومما يـبين ذلك ان الامامة بتقدير الاحتياج إلى معرفتها لا يحتـاج إليهـا مـن مات على عهـد رسـول اللـه _ فكي ف يكـون أشـرف مسـائل المسلمين وأهم المطالب في الدين لا يحتاج إليه أحد على عهد النبي .

أوليـس الـذين آمنـوا بـالنبي ف ي حيـاته واتبعـوه باطنـا وظـاهرا ولـم يرتـدوا ولـم يبـدلوا هـم أفضـل الخلـق باتفـاق المسلمين أهل السنة والشيعة ، فكيف يكون أفضل المسـلمين لا يحتـاج إلـى أهـم المطـالب فـي الـدين ؟ وأشـرف مسـائل المسلمين ؟ .

فإن قيل إن النبي كان هو الإمام في حياته، وإنمـا يحتـاج إلى الامام بعد مماته فلم تكن هذه المسألة أهم مسـائل الـدين

---

[1](1) انظر البخاري ج 1ص 10 وأماكن أخر ، ومسلم ج 1ص 52-53.

[2](2) الآية 5 من سورة التوبة .

[3](3) الآية 11 من سورة التوبة .

فـي حيـاته وإنمـا صـارت أهـم مسـائل الـدين بعـد مـوته قيـل: الجواب عن هذا من وجوه :

(أحدها) : أنه بتقدير صـحة ذلـك لا يجـوز أن يقـال إنهـا أهم مسائل الدين مطلقا ، بل في وقت دون وقـت ، وهـي فـي خير الأوقات ليست أهم الطالب فـي أحكـام الـدين ولا أشـرف مسائل المسلمين .

(الثاني) : أن يقال الإيمان بالله ورسوله في كل زمـان ومكان أعظـم م ن مسـألة الامامـة ، فلـم تكـن ف ي وقـت مـن الأوقات لا الأهم ولا الأشرف .

(الثالث) : أن يقال فقـد كـان يجـب بيانهـا مـن النـبي لأمته البـاقين مـن بعـده ، كمـا بيـن لهـم أمـور الصـلاة والزكـاة والصيام والحج ، وعين أمر الإيمان بالله وتوحيده واليوم الآخر .

ومن المعلوم أنه ليـس بيـان مسـألة الإمامـة فـي الكتـاب والسنة ببيان هذه الأصول ، فإن قيل بل الإمامة فـي كـل زمـان هي الأهم والنبي كان نبيا إماما وهذا كان معلوما لمن آمـن بـه أنه كان إمام ذلك الزمان قيل الاعتذار بهذا باطل من وجوه :

(أحدها) : أن قول القائـل الإمامـة أهـم المطـالب فـي أحكام الدين إما أن يريد به إمامة الاثني عشر أو إمامة إمام كل زمان بعينه فـي زمـانه بحيـث يكـون الأهـم فـي زماننـا الإيمـان بإمامة محمدالمنتظر، والأهم في زمان الخلفاء الأربعـة الإيمـان بإمامة علي عندهم ، والأهم في زمان النبي الإيمان بإمامته .

وإما أن يريد به الإيمان بأحكام الإمامة مطلقا غيـر معيـن . وإما أن يريد به معنى رابعا ، أما الأول فقـد علـم بالاضـطرار أن هذا لم يكن معلوما شائعا بين الصحابة ولا التـابعين بـل الشـيعة تقول أن كل واحد إنما يعين بنص من قبله ، فبطل أن يكون هذا أهم أمور الدين.

وأما الثاني فعلى هذا التقدير يكون أهم المطالب فـي كـل زمان الإيمان بإمام ذلك الزمان ، ويكون الإيمان من سنة ستين ومـائتين إلـى هـذا التاريـخ إنمـا هـو الإيمـان بإمامـة محمـد بـن الحسن ، ويكون هذا أعظم من الإيمـان بـأنه لا إلـه إلا اللـه وأن

محمدا رسول الله ، ومن الإيمان بـالله وملائكتـه وكتبـه ورسـله والبعث بعـد المـوت ، ومـن الإيمـان بالصـلاة والزكـاة والصـيام والحج وسائر الواجبات ، وهذا مع أنه معلوم فساده بالاضــطرار من دين الاسلام ، فليس هو قول الإمامية ، فإن اهتمامهم بعلـي وإمامته أعظم مـن اهتمـامهم بإمامـة المنتظـر كمـا ذكـره هـذا المصنف ، وأمثاله من شيوخ الشيعة .

وأيضا فإن كان هذا هو أهم المطالب في الـدين فالإماميـة آخر الناس في صفقة هذا الدين ، لأنهم جعلوا الإمام المعصوم ، هو الإمام المعدوم الـذي لـم ينفعهـم فـي الـدين والـدنيا ، فلـم يستفيدوا م أهم الأمور الدينية شيئا من منافع الدين ولا الدنيا .

وإن قالوا : إن المراد أن الإيمان بحكم الإمامة مطلقـا هـو أهم أمور الدين، كان هذا أيضا باطلا للعلم الضـروري أن غيرهـا من أمور الدين أهم منها ، وإن أريد معني رابع فلا بـد مـن بيـانه لنتكلم عليه .

(الوجه الثاني) أن يقـال إن النـبي لـم تجـب طـاعته على الناس لكونه إماما ، بـل لكـونه رسـول اللـه إلـى النـاس ، وهذا المعنى ثابت له حيا وميتا ، فوجوب طاعته على مـن بعـده كوجوب طاعته علـى أهـل زمـانه ، وأهـل زمـانه فيهـم الشـاهد الذي يسمع أمره ونهيه ، وفيهم الغائب الذي بلغه الشاهد أمــره ونهيه .

فكما يجب على الغائب عنه في حياته طاعة أمـره ونهيـه ، يجب ذلك على من يكون بعـد مـوته ، وهـو أم ره شـامل عـام لكل مؤمن شهده أو غاب عنـه ، فـي حيـاته وبعـد مـوته ، وهـذا ليس لأحد من اهل الأئمة ولا يستفاد هذا بالإمامة .

حتى إنه إذا أمـر ناسـا معينيـن بـأمور وحكـم فـي أعيـان معينة بأحكام لم يكن حكمه وأمره مختصا بتلـك المعينـات ، بـل كان ثابتا في نظائرها وأمثالها إلى يـوم القيامـة ، فقـوله لم ن شهده :«لا تسبقوني بالركوع ولا بالسـجود »[1] هـو حكـم ثـابت لكل مـأموم بإمـام أن لا يسـبقه بـالركوع ولا بالسـجود ، وقـوله لمن قال : « لم أشعر فحلقـت قبـل أن أرمـي . قـال : ارم ولا

---

[1](1) انظر مسلم ج 1ص 320 وابن ماجه ج 1ص 308-309 .

حرج . ولمن قال نحرت قبل أن أحلق . قال : احلـق ولا حـرج »[1] . أمر لمن كان مثله .

وكـذلك قـوله لعائشـة ا لمـا حاضـت وهـي معتمـرة : «اصنعي ما يصنع الحاج غير أن لا تطوفي بـالبيت »[2] ، وأمثـاله هذا كثير ، بخلاف الإمام إذا أطيع .

وخلفاؤه بعده في تنفيذ أمره ونهيـه كخلفـائه فـي حيـاته ، فكل آمر بأمر يجب طاعته فيه ، إنما هو منفذ لأمر رسول الله _ لأن الله أرسله إلـى النـاس وفـرض عليهـم طـاعته ، لا لأجـل كونه إماما له شوكة وأعوان ، أو لأجل أن غيره عهد له بالإمامـة ، أو غير ذلك ، فطاعته لا تقف على ما تقف عليـه طاعـة الأئمـة من عهد من قبله ، أو موافقته ذوي الشوكة أو غير ذلك بل تجب طاعته _ وإن لم يكن معه أحد ، وإن كذبه جميع الناس.

وكانت طاعته واجبة بمكة قبل أن يصير له أعوان ، وأنصار يقاتلون معه ، فهـو كمـا قـال سـبحانه فيـه :] **وَمَا مُحَمَّـدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُـلُ أَفَـإِيْن مَّـاتَ أَوْ قُتِـلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِـبْ عَلَـى عَقِبَيْـهِ فَلَـن يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ** [[3] بين سـبحانه وتعـالى أنـه ليـس بمـوته ولا قتـل ينتقـض حكـم رسـالته ، كمـا ينتقـض حكـم الإمامـة بمـوت الأئمـة وقتلهـم ، وأنـه ليـس مـن شرطه أن يكون خالدا لا يمـوت ، فـإنه ليـس هـو ربـا وإنمـا هـو رسول قد خلت من قبله الرسل .

وقد بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد فـي اللـه حق جهاده وعبد الله حتى أتاه اليقين من ربـه ، فطـاعته واجبـة بعد مماته وجوبهـا فـي حيـاته، وأوكـد لأن الـدين كمـل واسـتقر بموته فلم يبق فيه نسخ ، ولهذا جمع القـرآن بعـد مـوته لكمـاله واستقراره بموته ، فإذا قال القائل إنـه كـان إمامـا فـي حيـاته ، وبعده صار الإمـام غيـره إن أراد بـذلك أنـه صـار بعـده مـن هـو نظيره يطاع كما يطاع الرسـول فهـو باطـل ، وإن أراد أنـه قـام

---

[1](2) انظر البخاري ج 2 ص 173 ومسلم ج 2ص 948 .

[2](3) انظر البخاري ج 2 ص 159 .

[3](1) الآية 144 من سورة آل عمران .

من يخلفه في تنفيذ أمره ونهيه فهذا كان حاصلا في حياته ، فإنه إذا غاب كان هناك من يخلفه . وإن قيل أنه بعد موته لا يباشر معينا بالأمر بخلاف حياته قيل مباشرته بالأمر ليست شرطا في وجوب طاعته ، بل تجب طاعته على من بلغه أمره ونهيه كما تجب طاعته على من سمع كلامه .

وقد كان يقول : «ليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع »[1] وإن قيل إنه في حياته كان يقضي في قضايا معينة ، مثل إعطاء شخص بعينه، وإقامة الحد على شخص بعينه ، وتنفيذ جيش بعينه . قيل نعم وطاعته واجبة في نظير ذلك إلى يوم القيامة ، بخلاف الأئمة . لكن قد يخفى الاستدلال على نظير ذلك كما يخفى العلم على من غاب عنه ، فالشاهد أعلم بما قال وأفهم له من الغائب، وإن كان فيمن غاب وبلغ أمره من هو أوعى له من بعض السامعين، لكن هذا لتفاضل الناس في معرفة أمره ونهيه ، لا لتفاضلهم في وجوب طاعته عليهم .

فما تجب طاعة ولي أمر بعده إلا كما تجب طاعة ولاة الأمور في حياته فطاعته شاملة لجميع العباد شمولا واحدا ، وإن تنوعت خدمتهم في البلاغ و السماع والفهم ، فهؤلاء يبلغهم من أمره ما لم يبلغ هؤلاء ، وهؤلاء يسمعون من أمره ما لم يسمعه هؤلاء ، وهؤلاء يفهمون من أمره ما لا يفهمه هؤلاء ، وكل من أمر بما أمر به الرسول وجبت طاعته ، طاعة لله ورسوله لا له .

وإذا كان للناس ولي أمر قادر ذو شوكة ، فيأمر بما يأمر ويحكم بما يحكم ، انتظم الأمر بذلك ، ولم يجز أن يولى غيره ، ولا يمكن بعده أن يكون شخص واحد مثله ، وإنما يوجد من هو أقرب إليه من غيره ، فأحق الناس بخلافة نبوته أقربهم إلى الأمر بما يأمر به ، والنهي عما نهى عنه ، ولا يطاع أمره طاعة ظاهرة غالبة إلا بقدرة وسلطان يوجب الطاعة ، كما لم يطع أمره في حياته طاعة ظاهرة غالبة حتى صار معه من يقاتل على طاعة أمره ، فالدين كله طاعة لله ورسوله وطاعة الله ورسوله هي الدين كله فمن يطع الرسول فقد أطاع الله .

---

[1](2) رواه البخاري ج 2ص 176 وغيره .

ودين المسلمين بعد موته طاعة الله ورسـوله ، وطـاعتهم لولي الأمر فيما أمروا بطاعته فيه هو طاعة لله ورسوله ، وأمـر ولي الأمر الذي أمره الله أن يأمرهم بـه ، وقسـمه وحكمـه هـو طاعة لله ورسوله ، فأعمـال الأئمـة والأمـة فـي حيـاته ومماـته التي يحبها الله ويرضاها ، كلها طاعة لله ورسوله .

ولهذا كان أصل الدين شهادة أن لا إله إلا اللـه وشـهادة أن محمدا رسول الله ، فإذا قيل هو كان إمامـا وأريـد بـذلك إمامـة خارجة عن الرسالة ، أو إمامة يشـترط فيهـا مـا لا يشـترط فـي الرسالة ، أو إمامة يعتبر فيها طاعته بدون طاعة الرسول ، فهذا كله باطل فإن كل ما يطاع به داخل في رسالته ، وهـو فـي كـل ما يطاع فيه يطاع بأنه رسول الله ولو قدر أنه كان إماما مجـردا لم يطع حتى تكون طاعته داخلة في طاعة رسول آخر .

فالطاعة إنمـا تجـب للـه ورسـوله ، ولمـن أمـرت الرسـل بطاعتهم .

فإن قيل أطيع بإمامته طاعة داخلة في رسالته كـان هـذا عديم التأثير ، فـإن مجـرد رسـالته كافيـة فـي وجـوب طـاعته ، بخلاف الإمام فإنه إنما يصير إمامـا بـأعوان ينفـذون أمـره ، وإلا كان كآحاد أهل العلم والدين ، فإن قيل أنه لما صار لـه شـوكة بالمدينة صار له مع الرسالة إمامة بالعدل ، قيل بل صار رسـولا له أعوان وأنصار ينفذون أمره ، ويجاهدون مـن خـالفه وهـو مـا دام في الأرض من بل صـار رسـولا لـه أعـوان وأنصـار ينفـذون أمره ، ويجاهدون من خالفه وهو مـا دام فـي الأرض مـن يـؤمن بالله ورسوله له أنصـار وأعـوان ينفـذون أمـره ويجاهـدون مـن خالفه فلم يستفد بالأعوان ما يحتاج أن يضمه إلى الرسالة مثل كونه إماما أو حاكمـا أو ولـى أمـر إذا كـان هـذا كلـه داخـل فـي رسالته ، ولكن بالأعوان حصل له كمال قدرة أوجبت عليـه مـن الأمر والجهاد ما لم يكن واجبا بدون القـدرة ، والأحكـام تختلـف باختلاف حال القدرة والعجز والعلم وعدمه كما تختلف باختلاف الغنى والفقر والصحة والمرض ، والمؤمن مطيع للـه فـي ذلـك كله ، وهو مطيع لرسول الله في ذلك كله ، ومحمد رسول اللـه فيما أمر به ونهى عنه مطيع لله في ذلك كله.

وإن قـالت الإماميـة : الإمامـة واجبـة بالعقـل بخلاف الرسالة فهي أهم من هذا الوجه ، قيـل : الوجـوب العقلـي فيـه

نزاع كما سيأتي ، وعلى القول بالوجوب العقلي فما يجب من الإمامة جزء من أجزاء الواجبات العقلية ، وغير الإمامة أوجب من ذلك كالتوحيد ، والصدق والعدل ، وغير ذلك من الواجبات العقلية.

وأيضا فلا ريب أن الرسالة يحصل بها هذا الواجب ، فمقصودها جزء من أجزاء الرسالة ، فالإيمان بالرسول يحصل به مقصود الإمامة ، في حياته وبعد مماته بخلاف الإمامة ، وأيضا فمن ثبت عنده أن محمداً رسول الله وأن طاعته واجبة عليه واجتهد في طاعته بحسب الإمكان إن قيل أنه يدخل الجنة فقد استغنى عن مسألة الإمامة .

وإن قيل لا يدخل الجنة كان هذا خلاف نصوص القرآن ، فإنه سبحانه أوجب الجنة لمن أطاع الله ورسوله في غير موضع كقوله تعالى: **مَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِين وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رفِيقاً** [1].

وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَار خَالِدِينَ فِيها وَذَلِكَ الْفَوْز العَظِيم [2] .

وأيضا فصاحب الزمان الذي يدعون إليه ، لا سبيل للناس إلى معرفته ولا معرفة ما يأمرهم به ، وما ينهاهم عنه ، وما يخبرهم به، فإن كان أحد لا يصير سعيدا إلا بطاعة هذا الذي لا يعرف أمرهولا نهيه لزم أن لا يتمكن أحد من طريق النجاة والسعادة وطاعة الله ، وهذا من أعظم تكليف ما لا يطاق وهم من أعظم الناس إحالة له .

وإن قيل بل هو يأمر بما عليه الإمامية ، قيل فلا حاجة إلى وجوده ، ولا شهوده ، فإن هذا معروف سواء كان هو حيا أو ميتا ، وسواء كان شاهدا أو غائبا ، وإذا كان معرفة ما أمر الله به الخلق ممكنا بدون هذا الإمام المنتظر، علم أنه لا حاجة إليه ولا يتوقف عليه طاعة الله ولا نجاة أحد ولا سعادته ، وحينئذ فيمتنع القول بجواز إمامة مثل هذا ، فضلا عن القول بوجوب إمامة مثل هذا،وهذا أمر بيّن لمن تدبره .

---

[1] (1) الآية 69 من سورة النساء .
[2] (2) الآية 13 من سورة النساء .

لكن الرافضة من أجهل الناس ، وذلك أن فعل الواجبات العقلية والشرعية إما أن يكون موقوفا على معرفة ما يـأمر بـه ،وينهى عنه هذا المنتظـر وإمـا أن لا يكـون موقوفـا ، فـإن كـان موقوفا لزم تكليف ما لا يطاق ، وأن يكون فعل الواجبات وترك المحرمات موقوفا على شرط لا يقدر عليـه عامـة النـاس ، بـل ولا أحد منهم فإنه ليس في الأرض من يدعي دعوة صـادقة أنـه رأى هذا المنتظر ، أو سمع كلامه .

وإن لم يكن موقوفـا علـى ذلـك أمكـن فعـل الواجبـات العقلية والشرعية وترك القبائـح العقليـة والشـرعية بـدون هـذا المنتظر ، فلا يحتاج إليه ولا يجب وجوده ولا شهوده .

وهؤلاء الرافضة علقوا نجاة الخلق وسعادتهم وطاعتهم لله ورسوله بشرط ممتنع لا يقـدر عليـه النـاس ،ولا يقـدر عليـه أحد منهم ، وقالوا للناس لا يكون أحد ناجيـا مـن عـذاب اللـه إلا بذلك ،ولا يكون سعيدا إلا بذلك ، ولا يكون أحد مؤمنا إلا بذلك .

فلزمهم أحد أمرين ، إما بطلان قولهم وإما أن يكون الله قـد آيـس عبـاده مـن رحمتـه وأوجـب عـذابه لجميـع الخلق،المسلمين وغيرهم وعلى هذا التقدير فهم أوّل الأشـقياء ، المعذبين فإنه ليس لأحـد منهـم طريـق إلـى معرفـة أمـر هـذا الإمام ، الذي يعتقدون أنه موجود غائب ، ولا نهيه ولا خبره ، بـل عندهم من الأقوال المنقولة عن شيوخ الرافضة ما يذكرون أنـه منقول عن الأئمة المتقدمين على هذا المنتظر ، وهم لا ينقلـون شيئا عن المنتظر وإن قدر أن بعضهم نقـل عنـه شـيئا علـم أنـه كـاذب ، وحينئـذ فتلـك الأقـوال إن كـانت كافيـة فلا حاجـة إلـى المنتظر ، وإن لم تكن كافية فقد أقروا بشقائهم وعذابهم، حيث كانت سعادتهم موقوفة على آمر لا يعلمون بماذا أمر.

وقد رأيت طائف من شيوخ الرافضة كابن العود الحلي يقول : إذا اختلفت الإمامية علـى قـولين أحـدهما يعـرف قـائله والآخر لا يعرف قائله ، كان القول الذي لا يعرف قائله هو القول الحق الذي يجب اتباعه لأن المنتظر المعصوم في تلك الطائفـة .

وهذا غاية الجهل والضلال ، فإنه بتقدير وجـود المنتظـر المعصوم لا يعلم أنه قال ذلك القول إذ لم ينقلـه عنـه أحـد ، ولا

عن من نقله عنه ، فمن أين يجزم بـأنه قـوله ، ولـم لا يجـوز أن يكون القول الآخر هو قوله وهو لغيبته وخـوفه مـن الظـالمين لا يمكنه إظهار قوله ، كما يدعون ذلك فيه .

وكان أصـل ديـن هـؤلاء الرافضـة مبنيـا علـى مجهـول ، ومعدوم ، لا على موجود ولا معلوم ، يظنون أن إمـامهم موجـود معصوم ، وهو مفقود معدوم ، ولو كـان موجـودا معصـوما فهـم معترفون بأنهم لا يقـدرون أن يعرفـوا أمـره ونهيـه ، كمـا كـانوا يعرفون أمر آبـائه ونهيهـم ، والمقصـود بالإمـام إنمـا هـو طاعـة أمره ، فإذا كان العلم بأمره ممتنعاً كانت طاعته ممتنعة ، فكان المقصود به ممتنعاً ، وإذا كان المقصود به ممتنعاً لـم يكـن فـي إثبـات الوسـيلة فائـدة أصـلا، بـل كـان إثبـات الوسـيلة الـتي لا يحصل بها مقصودها من بـاب السـفه والعبـث والعـذاب القبيـح باتفاق أهل الشرع ، وباتفاق العقلاء القـائلين بتحسـين العقـول وتقبيحها ، بل باتفاق العقلاء مطلقا ، فإنهم إذا فسروا القبيح بما يضر كانوا متفقين على أن معرفة الضار يعلم بالعقل .

والإيمان بهذا الإمام الذي ليس فيه منفعة بل مضرة فـي العقل والنفس والبدن والمـال وغيـر ذلـك قبيـح شـرعا وعقلا ، ولهذا كان المتبعون له من أبعد الناس عن مصلحة الدين والدنيا ، لا تنتظم لهـم مصـلحة دينهـم ولا دنيـاهم ، إن لـم يـدخلوا فـي طاعة غيرهم . كاليهود الذين لا تنتظم لهم مصـلحة إلا بالـدخول في طاعة من هو خارج عن دينهم .

فهـم يوجبـون وجـود الإمـام المنتظـر المعصـوم ، لأن مصلحة الدين والدنيا لا تحصل إلا بـه عنـدهم ، وهـم لـم يحصـل لهم بهذا المنتظر مصلحة في الدين ولا في الدنيا ، والذين كذبوا به لم تفتهم مصلحة فـي الـدين ولا فـي الـدنيا، بـل كـانوا أقـوم بمصالح الدين والدنيا من أتباعه .

فعلم بذلك أن قولهم في الإمامة لا ينال به إلا ما يـورث الخزى والندامة ،وأنه ليس فيه شيء من الكرامة ، وان ذلك إذا كان أعظم مطالب الدين فهم أبعد الناس عـن الحـق والهـدى ، في أعظم مطالب الدين ، وإن لـم يكـن أعظـم مطـالب الـدين ظهـر بطلان مـا ادّعـوه مـن ذلـك . فثبـت بطلان قـولهم علـى التقديرين ، وهو المطلوب.

فإن قال هؤلاء الرافضة : إيماننا بهذا المنتظـر المعصـوم مثـل إيمـان كـثير مـن شـيوخ الزهـد والـدين باليـاس والخضـر والغوث والقطب ، ورجـال الغيـب ، ونحـو ذلـك مـن الأشـخاص الـذين لا يعرفـون وجـودهم ، ولا بمـاذا يـأمرون ، ولا عـن مـاذا ينهون ، فكيف يسوغ لمن يوافق هؤلاء أن ينكر علينا ما ندعيه ؟ قيل الجواب من وجوه :

(أحدها): أن الإيمان بوجود هؤلاء ليس واجبا عنـد أحـد من علماء المسلمين وطـوائفهم المعروفيـن ، وإن كـان بعـض الغلاة يوجب على أصحابه الإيمان بوجـود هـؤلاء ، ويقـول إنـه لا يكون مؤمنا وليا لله إلا من يؤمن بوجود هؤلاء في هذه الأزمان ، كان قوله مردودا ، كقول الرافضة

(الـوجه الثـاني):أن يقـال مـن النـاس مـن يظـن أن التصديق بهؤلاء يزداد الرجل به إيمانا وخيـرا ، ومـوالاة للـه وأن المصدق بوجود هؤلاء أكمل وأشرف وأفضل عند الله ممـن لـم يصدق بوجود هؤلاء ، وهذا القول ليس مثل قـول الرافضـة مـن كل وجه ، بل هو مشابه له مـن بعـض الوجـوه ، لكـونهم جعلـوا كمال الدين موقوفا على ذلك .

وحينئذ ، فيقال هـذا القـول أيضـاً باطـل باتفـاق علمـاء المسلمين وأئمتهم، فإن العلم بالواجبـات والمسـتحبات وفعـل الواجبات والمستحبات كلها ليس موقوفا على التصديق بوجــود هؤلاء ، ومن ظن من أهل النسك والزهد والعامـة أن شـيئا مـن الدين واجبا أو مستحبا موقوف على التصديق بوجود هؤلاء فهذا جاهـل ضـال ، باتفـاق أهـل العلـم والإيمـان العـالمين بالكتـاب والسنّة ،إذ قد علم بالأضرار من دين الإسلام أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لم يشرع لأمتـه التصـديق بوجـود هـؤلاء ، ولا أصحابه كانوا يجعلون ذلك من الدين ، ولا أئمة المسلمين وأيضا .

فجميع هذه الألفاظ لفظ الغوث والقطب والأوتاد والنجباء وغيرها لم ينقل أحد عـن النـبي صـلى اللـه تعـالى عليـه وسـلم بإسناد معروف أنه تكلم بشيء منها ، ولا أصـحابه ، ولكـن لفـظ الإبدال تكلم به بعض السلف ويروى فيه عـن النـبي صـلى اللـه

تعالى عليه وسلم حديث ضعيف[1] وقد بسطنا الكلام على ذلك في غير هذا الموضع .

شـــرك بعـــض الصـــوفية حـــتى فـــي الربوبية

(الوجه الثالث) : أن يقال القائلون بهذه الأمور ، منهـم من ينسب إلى أحد هؤلاء ما لا تجوز نسبته إلى أحد من البشر ، مثل دعـوى بعضـهم أن الغـوث أو القطـب هـو الـذي يمـد أهـل الأرض في هداهم ونصرهم ورزقهم ، وأن هذا لا يصل إلـى أحـد إلا بواسـطة نزولـه علـى ذلـك الشـخص وهـذا باطـل بإجمـاع المسلمين ، وهو من جنس قول النصارى في البـاب وكـذلك م ا يدعيه بعضهم من أن الواحد من هؤلاء يعلم كل ولى لـه كـان أو يكـون ، اسـمه واسـم أبيـه ومنزلتـه مـن اللـه ونحـو ذلـك مـن المقالات الباطلة ، التي تتضمن أن الواحـد مـن البشـر يشـارك الله في بعض خصائصه .

مثل أنه بكل شيء عليم ، أو على كل شيء قدير ، ونحو ذلك كما يقول بعضهم في النبي صلى اللـه تعـالى عليـه وسـلم وفي شيوخه : أن علم أحـدهم ينطبـق علـى علـم اللـه وقـدرته منطبقة على قدرة الله ، فيعلم ما يعلمه الله ويقدر و يقدر على ما يقدر الله عليه ، فهذه المقالات ، وما يشبهها من جنس قــول النصارى ، والغالية في عليّ ، وهي باطلة بإجماع المسلمين .

ومنهم من ينسب إلى الواحد من هؤلاء ما تجـوز نسـبته إلى الأنبياء وصالحي المؤمنين ، من الكرامـات ، كـدعوة مجابـة ومكاشفات من مكاشفات الصـالحين ، ونحـو ذلـك فهـذا القـدر يقع كثيرا من الأشخاص الموجودين المعاينين ، ومن نسب ذلـك إلى من لا يعرف وجوده ، فهؤلاء وإن كانوا مخطئين فـي نسـبة ذلك إلى شخص معدوم فخطؤهم كخطأ من اعتقد أن في البلد الفلاني رجالا من أولياء الله تعالى وليس فيه أحد ، أو اعتقد في ناس معينين أنهم أولياء الله ولم يكونوا كذلك ، ولا ريب أن هذا خطأ وجهل وضلال يقع فيه كثير من الناس ، لكن خطأ الإماميــة و ضلالهم أقبح وأعظم .

---

[1](1) ورد الحديث في المسند ج 2 ص 171 تحقيق أحمد شاكر .

لا وجود لإلياس والخضر

(الوجه الرابع):أن يقال الصواب الذي عليه محققو العلماء أن إلياس والخضر ماتا ، وأنه ليس أحد من البشر واسطة بين الله عز سلطانه وبين خلقه في خلقه ورزقه وهداه ونصره ، وإنما الرسل وسائط في تبليغ رسالاته ، لا سبيل لأحد إلى السعادة إلا بطاعة الرسل .

وأما خلقه وهداه ونصره ورزقه فلا يقدر عليه إلا الله تعالى. فهذا لا يتوقف على حياة الرسل وبقائهم ، بل ولا يتوقف نصر الخلق ورزقهم على وجود الرسل أصلا ، بل قد يخلق ذلك بما شاء من الأسباب بواسطة الملائكة أو غيرهم ، وقد يكون لبعض البشر في ذلك من الأسباب ما هو معروف في البشر .

وأما كون ذلك لا يكون إلا بواسطة من البشر ، أو أن أحدا من البشر يتولى ذلك كله ونحو ذلك ، فهذا كله باطل ، وحينئذ فيقال للرافضة إذا احتجوا بضلال الضلال ﴿**ولن ينفعكم اليوم إذا ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون** ﴾[1].

وأيضا فمن المعلوم أن أشرف مسائل المسلمين وأهم المطالب في الدنيا ينبغي أن يكون ذكرها في كتاب الله تعالى أعظم من غيرها وبيان الرسول لها أولى من بيان غيرها ، والقرآن مملوء بذكر توحيد الله تعالى وذكر أسمائه وصفاته، وآياته ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقصص ، والأمر والنهي، والحدود ، والفرائض ، بخلاف الإمامة فكيف يكون القرآن مملوء بغير الأهم الأشرف ؟ وأيضا فإن الله تعالى قد علق السعادة بما لا ذكر فيه للإمامة ، فقال : ﴿ **وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءَ وَالصَّالِحِين وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا** ﴾[2] وقال: ﴿ **وَمَ نْ يُطِعِ اللـهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّات** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وَمَنْ يَعْصِ اللـهَ وَرَسُولَهُ**

---

[1](1) الآية من سورة الزخرف

[2](1) ألاية 69 من سورة النساء .

وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهـا وَلَـهُ عَـذَابٌ مُهِيـن[3].

فقد بين الله في القرآن أن من أطاع اللـه ورسـوله كـان سعيداً ، في الآخرة ومن عصى الله ورسوله وتعدّى حدوده كان معذباً ، وهـذا هـو الفـرق بيـن السـعداء والأشـقياء ، ولـم يـذكر الإمامة.

فـإن قـال قائـل : أن الإمامـة داخلـة فـي طاعـة اللـه ورسـوله . قيـل نهايتهـا أن تكـون كبعـض الواجبـات ، كالصـلاة والزكاة والصيام والحج وغير ذلك ، مما يـدخل فـي طاعـة اللـه ورسوله ، فكيف تكون هي وحـدها أشـرف مسـائل المسـلمين وأهـم مطـالب الـدين ؟ فـإن قيـل لا يمكننـا طاعـة الرسـول إلا بطاعة الإمام ، فإنه هو الذي يعرف الشرع . قيل هذا هو دعـوى المذهب ، ولا حجة فيه ، ومعلوم أن القرآن لـم يـدل علـى هـذا كما دل على سائر أصول الدين ، وقد تقدم أن هذا الإمـام الـذي يدعونه لم ينتفع به أحد في ذلك ، وسيأتي إن شاء الله تعالى أن ما جاء به الرسول لا يحتاج في معرفته إلى أحد من الأئمة.

---

[3](2) ألايتان 14،13 من سورة النساء .

أصول الدين عند الإمامية

(الوجه الثاني)[1] أن يقال : أصول الدين عند الإمامية أربعة، التوحيد والعدل والنبوة ، والإمامـة ، هـي آخـر المراتـب ، والتوحيد والعدل والنبوة قبل ذلك ، وهـم يـدخلون فـي التوحيـد نفي الصفات ، والقول بأن القرآن مخلوق ، وأن الله لا يرى في الآخرة ، ويدخلون في العدل التكذيب بالقدر ، وأن اللـه لا يقـدر أن يهدي من يشاء ، ولا يقدر أن يضل من يشاء ، وأنه قـد يشـاء ما لا يكون ، ويكون ما لا يشاء ، وغير ذلك ، فلا يقولون أنه خالق كل شيء، ولا أنه على كل شيء قدير، ولا أنه ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، لكن التوحيد والعدل والنبـوة مقدمـة علـى الإمامة ، فكيف تكون الإمامـة أشـرف وأهـم؟ وأيضـاً فالإمامـة إنما أوجبوها لكونها لطفـا فـي الواجبـات ، فهـي واجبـة وجـوب الوسائل ، فكيف تكون الوسيلة أشرف وأهم من المقصود .

تناقض الرافضة فـي الإمامـة بيـن القـول والتطبيق

(الوجه الثالث): أن يقال إن كانت الإمامة أهم مطالب الدين ، وأشرف مسائل المسلمين ، فأبعد الناس عن هذا الأهم الاشرف هم الرافضة ، فإنهم قد قالوا في الإمامة أسخف قـول وأفسده في العقل والدين ، كما سنبينه إن شـاء اللـه تعـالى إذا تكلمنا عن حججهم .

ويكفيـك أن مطلـوبهم بالإمامـة أن يكـون لهـم رئيـس معصوم ، يكون لطفا في مصـالح دينهـم ودنيـاهم ، وليـس فـي الطوائـف أبعـد عـن مصـلحة اللطـف والإمامـة منهـم ، فـإنهم يحتالون على مجهول ومعدوم،لا يرى له عين ولا أثر، ولا يسـمح له حس ولا خبر ، فلم يحصل لهم مـن الأمـر المقصـود بإمـامته شيء وأي من فرض إماما نافعا في بعض مصالح الدين والـدنيا كان خيرا ممن لا ينتفع به في شيء من مصالح الإمامة .

---

[1](1) الوجه الأول ما تقدم في ص 38 على قول الرافضة أن الإمامة أهم أمور الدين .

ولهذا تجدهم لما فـاتهم مصـلحة الإمامـة يـدخلون فـي طاعة كافر أو ظالم لينالوا به بعض مقاصدهم ، فبينا هم يدعون الناس إلى طاعة إمام معصـوم ، أصـبحوا يرجعـون إلـى طاعـة كفور ظلوم ، فهل يكن أبعد عـن مقصـود الإمامـة وعـن الخيـر والكرامة ،ممن سلك منهاج الندامة ، وفي الجملة فـالله تعـالى قد علق بولاة الأمـور مصـالح فـي الـدين والـدنيا ، سـواء كـانت الإمامـة أهـم الأمـور أو لـم تكـن ، والرافضـة أبعـد النـاس عـن حصـول هـذه المصـلحة لهـم ، فقـد فـاتهم علـى قـولهم الخيـر المطلوب من أهم مطالب الدين وأشرف مسائل المسلمين.

ولقد طلب مني بعض أكابر شـيوخهم الفضـلاء أن يخلـو بي وأتكلم معه في ذلك فخلوت به وقررت لـه مـا يقولـونه فـي هذا الباب كقولهم إن الله أمر العباد ونهـاهم ، فيجـب أن يفعـل بهم اللطف الذي يكونون عنده أقرب إلى فعل الواجب ، وتـرك القبيح ، لأن من دعا شخصاً ليأكل طعاما فإذا كان مراده الأكـل فعل ما يعين على ذلك من الأسـباب ، كتلقيـه بالبشـر وإجلاسـه في مجالس مناسبة وأمثال ذلك .

وإن لم يكن مراده أن يأكل عبس في وجهه وأغلق الباب ، ونحو ذلك وهذا أخـذوه مـن المعتزلـة ، ليـس هـو مـن أصـول شيوخهم القدماء.

ثم قالوا والإمام لطـف ، لأن النـاس إذا كـان لهـم إمـام يأمرهم بـالواجب وينهـاهم عـن القبيـح كـانوا أقـرب إلـى فعـل المأمور ، وترك المحظور ، فيجب أن يكون لهم إمام ، ولا بد أن يكون معصوما ، لانه إذا لم يكن معصوما لم يحصل به المقصود ،ولم تدع العصمة لأحد بعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إلا لعليّ فتعين أن يكون هو إيـاه ، للإجمـاع علـى انتقـاء مـا سـواه وبسطت له العبارة في هذه المعانى .

ثم قـالوا : وعلـيّ نـص علـى الحسـن ، والحسـن علـى الحسين إلى أن انتهت النوبة إلـى المنتظـر محمـد بـن الحسـن صاحب السرداب الغائب ، فاعترف أن هذا تقرير مذهبهم علـى غاية الكمال ، قلت له : فأنا وأنت طالبان للعلم والحق والهـدى وهم يقولون من لم يؤمن بالمنتظر فهـو كـافر ، فهـذا المنتظـر هل رأيته ، أو رأيت من رآه ، أو سمعت بخـبره ، أو تعـرف شـيئا من كلامه ، الذي قاله هو ، أو ما أمر به أو نهى عنه مأخوذاً عنـه

كما يؤخذ من الأئمة ؟ قال: لا . قلت :فأي فائدة في إيماننا هـذا ؟ وأي لطف يحصل لنا بهذا ؟.

ثم كيف يجوز أن يكلفنا الله تعالى بطاعة شخص ونحن لا نعلم ما يأمرنا به ولا ما ينهانـا عنـه ، ولا طريـق لنـا إلـى معرفـة ذلك بوجه من الوجوه ، وهم من أشد الناس إنكاراً لتكليف ما لا يطاق ، فهل يكون في تكليف ما لا يطاق أبلغ من هذا ؟

فقال : إثبات هذا مبني على تلك المقدمات . قلت : لكن المقصود لنا من تلك المقدمات هو ما يتعلق بنا نحـن ، وإلا فمـا علينا مما مضى إذا لم يتعلق الأمر بنا منه أمر ولا نهى .

وإذا كان كلامنا في تلك المقدمات لا يحصل لنا فائدة ولا لطفا ولا يفيدنا إلا تكليف ما لا يقدر عليه ، علم ان الإيمـان بهـذا المنتظـر مـن بـاب الجهـل والضـلال ، لا مـن بـاب اللطـف والمصلحة .

والذي عند الإمامية من النقل عن الأئمة المـوتى إن كـان حقا يحصل به سعادتهم فلا حاجة بهـم إلـى المنتظـر ، وإن كـان باطلا فهم أيضا لم ينتفعوا بالمنتظر فـي رد هـذا الباطـل ، فلـم ينتفعوا بالمنتظر لا في إثبات حق ولا فـي نفـي باطـل ، ولا أمـر بمعروف ولا نهي عن منكر ،ولم يحصل بـه لواحـد منهـم شـيء من المصلحة واللطف والمنفعة المطلوبة من الإمامة .

والجهـال الـذين يعلقـون أمـورهم بـالمجهولات كرجـال الغيب والقطب والغوث والخضر ونحو ذلك مع جهلهم وضـلالهم وكونهم يثبتون ما لم يحصل لهم به مصلحة ولا لطف ولا منفعـة لا في الدين ولا في الدنيا ، أقل ضلالا من الرافضة ، فإن الخضر ينتفع برؤيته وبموعظته ، وإن كان غالطا في اعتقاده انه الخضر فقد يرى أحـدهم بعـض الجـنّ فيظـنّ أنـه الخضـر ، ولا يخـاطبه الجني إلا بما يـرى أنـه يقبلـه منـه ليربطـه علـى ذلـك ، فيكـون الرجل أتى من نفسه لا من ذلك المخاطب له ومنهم من يقـول لكل زمان خضر ، ومنهم من يقول لكل وليّ خضر .

وللكفار كاليهود مواضع يقولون أنهم يرون الخضر فيهـا ، وقـد يـرى الخضـر علـى صـور مختلفـة ، وعلـى صـورة هائلـة ، وأمثال ذلك ، وذلك لأن هذا الذي يقول أنه الخضر هو جني ، بـل

هو شيطان، يظهر لمن يرى أنه يضله ، وفي ذلك حكايات كثيرة يضيق هذا الموضع عن ذكرها ، وعلى كل تقدير فأصناف الشيعة أكثر ضلالا من هؤلاء ، فإن المنتظر ليس عندهم نقل ثابت عنه ، ولا يعتقدون فيمن يرونه أنه المنتظر ، ولما دخل السرداب كان عندهم صغيرا لم يبلغ سنّ التمييز ، وهم يقبلون من الأكاذيب أضعاف ما يقبله هؤلاء ، ويعرضون عن الاقتداء بالكتاب والسنّة أكثر من إعراض هؤلاء، ويقدحون في خيار المسلمين قدحا يعاديهم عليه هؤلاء ، فهم أضل عن مصالح الإمامة من جميع طوائف الأمة ، فقد فاتهم على قولهم أهم الدين وأشرفه .

لا يحصل بمعرفة الإمام خيـر إن لـم يعمـل صالحا

(الوجه الرابـع): أن يقـال قـوله الـتي يحصـل بسـبب إدراكها نيل درجة الكرامة ، كلام باطل فإن مجرد معرفـة إمـام وقته وإدراكه بعينه لا يستحق به الكرامـة ، إن لـم يوافـق أمـره وإلا فليست معرفة إمام الـوقت بـأعظم مـن معرفـة الرسـول صلى الله تعالى عليه وسلم ، ومن عرف أن محمدا رسول اللـه فلم يؤمن به ولم يطع أمره لم يحصل له شيء من الكرامة .

ولو آمن بالنبي وعصـاه ، وضـيع الفرائـض وتعـدّ الحـدود كان مستحقا للوعيد عند الإماميـة وسـائر طوائـف المسـلمين ، فكيف بمن عرف الإمام وهـو مضـيّع للفرائـض متعـدّ للحـدود ؟ وكثير من هؤلاء يقول حب عليّ حسنة لا يضر معهـا سـيئة ، وإن كـانت السـيئات لا تضـر مـع حـب علـيّ فلا حاجـة إلـى الإمـام المعصوم ، الذي هو لطف في التكليف ، فإنه إذا لم يوجـد إنمـا توجد سيئات ومعاص ، فإن كان حـب علـيّ كافيـا فسـواء وجـد الإمام أو لم يوجد ..

ليست الإمامة من واجبات الدين

(الوجه الخـامس): قـوله وهـي أحـد أركـان الإيمـان ، المستحق بسببه الخلود في الجنان ، فيقال له : مـن جعـل هـذا من الإيمـان إلا أهـل الجهـل والبهتـان ؟ وسـنتكلم إن شـاء اللـه تعالى على ما ذكره من ذلك .

والله تعالى وصف المؤمنين وأحوالهم ، والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد فسر الإيمان ، وذكر شـعبه ، ولـم يـذكر اللـه ولا رسوله الإمامة ، في أركان الإيمان ففي الحديث الصحيح حديث جبريل لما أتى النبي صلى الله تعـالى عليـه وسـلم فـي صـورة أعرابي، وسأله عـن الإسـلام ، والإيمـان ، والإحسـان ، قـال لـه « الإسلام : أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكـاة ، وتصـوم رمضـان ، وتحـج الـبيت ، قال والإيمان : أن تـؤمن بـالله وملائكتـه وكتبـه ورسـله واليـوم

الآخر والبعث بعد الموت وتؤمن بالقدر خيره وشره »[1] ولم يذكر الإمامة .

قال والإحسان : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك . وهذا الحديث متفق على صحته ، متلقى بالقبول ، أجمع أهل العلم بالنقل على صحته ، وقد أخرجه أصحاب الصحيح من غير وجه ، فهو من المتفق عليه من حديث أبي هريرة وفي أفراد مسلم من حديث عمر ، وهم وإن كانوا لا يقرون بصحة هذه الأحاديث ، فالمصنف قد احتج بأحاديث موضوعة كذب باتفاق أهل المعرفة .

فإما أن يحتج بما يقوم الدليل على صحته نحن وهم ، أو لا يحتج بشيء من ذلك نحن ولا هم ، فإن تركوا الرواية رأسا أمكن أن نترك الراوية .

أما إذا رووا هم فلا بد من معارضة الراوية بالرواية ، والاعتماد على ما تقوم به الحجة ، ونحن نبين الدلائل الدالة على كذب ما يعرضون به أهل السنّة من الروايات الباطلة ، والدلائل الدالة على صحة ما نقله أهل العلم بالحديث وصححوه .

وهب أنّا لا نحتج بالحديث فقد قال الله تعالى : ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُم دَرَجَاتٍ عِنْدَ رَبِّهِم وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيم**﴾[2]. فشهد لهؤلاء بالإيمان من غير ذكر للإمامة وقال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنونَ الَّذِينَ آمنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُون**﴾[3]. فجعلهم صادقين في الإيمان من غير ذكر للإمامة .

وأيضا فنحن نعلم بالاضطرار من دين محمد بن عبد الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن الناس كانوا إذا أسلموا لم

---

(1)[1] رواه مسلم ج 1 ص 36 والبخاري في مواضع . انظر ج 1 ص 15 .
(2)[2] الآيات 2-4 من سورة الأنفال .

(1)[3] الآية 15 من سورة الحجرات .

يجعل إيمانهم موقوفا على معرفة الإمامة ، ولم يذكر لهم شـيئا من ذلك .

وما كان أحد أركان الإيمان لا بـد أن يـبينه الرسـول لأهـل الإيمان ليحصل لهم به الإيمـان ، فـإذا علـم بالاضـطرار أن هـذا مما لم يكن الرسول يشترطه في الإيمـان ، علـم أن اشـتراطه في الإيمان من أقوال البهتان .

فإن قيل هنا قد دخلت في عموم النص ، أو هي من باب لا يتم الواجب إلا به ، أو دل عليه نص آخر .

قيل هذا كله لو صح لكان غايته أن تكون من بعض فـروع الدين ، لا تكـون مـن أركـان الإيمـان ، فـإن ركـن الإيمـان مـا لا يحصل الإيمان إلا به كالشهادتين ، فلا يكون الرجل مؤمنـا حـتى يشـهد أن لا إلـه إلا اللـه وأن محمـدا رسـول اللـه ، فلـو كـانت الإمامة ركنا في الإيمان لا يتم إيمان أحد إلا به ، لوجب أن يـبينه الرسول بيانا عاما قاطعا للعذر كمـا بيـن الشـهادتين ، والإيمـان بالملائكة والكتب والرسـل واليـوم الآخـر ، فكيـف ونحـن نعلـم بالاضطرار من دينه أن الذين دخلوا في دينه أفواجا لـم يشـترط على أحد منهم في الإيمان بالإمامة ، مطلقا ولا معينا .

(الوجه السادس): قوله قال رسـول اللـه صـلى اللـه تعالى عليه وسلم من مات ولم يعـرف إمـام زمـانه مـات ميتـة جاهلية .

فيقال له أوّلا من روى هذا الحديث بهذا اللفظ ، وأين إسناده؟ وكيف يجوز أن يحتـج بنقـل عـن النـبي صـلى اللـه تعـالى عليـه وسلم من غير بيان الطريق الذي به يثبـت أن النـبي صـلى اللـه تعالى عليه وسلم قاله ، هذا لـو كـان مجهـول الحـال عنـد أهـل العلم بالحديث ، فكيف وهذا الحديث بهذا اللفظ لا يعرف ، إنمـا الحديث المعروف مثل روى مسلم في صحيحه عن نـافع قـال : جاء عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن مطيع حين كـان مـن أمـر الحرة ما كان زمن يزيد بن معاويـة ، فقـال اطرحـوا لأبـي عبـد الرحمن وسادة ، فقال إني لم آتك لأجلس أتيتك لأحـدثك حـديثا سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسـلم يقـوله سـمعته يقول ((من خلع يدا من طاعة لقى الله يوم القيامة لا حجـة لـه ، ومن مات ليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية))[1] .

وهذا حديث حدث به عبد الله بن عمر لعبد الله بن مطيع بن الأسود لما خلعوا طاعة أمير وقتهم يزيد ، مـع إنـه كـان فيـه

[1](1) رواه مسلم ج 3 ص 1478.

من الظلم ما كان ، ثم أنـه اقتتـل هـو وهـم وفعـل بأهـل الحـرة أمورا منكرة ، فعلم أن هذا الحديث دل على ما دل عليـه سـائر الأحاديث الآتيـة ، مـن أنـه لا يخـرج علـى ولاة أمـور المسـلمين بالسيف ، فإن لم يكن مطيعا لولاة الأمور مات ميتة جاهلية .

وهذا ضد قول الرافضة ، فـإنهم أعظـم النـاس مخالفـة لولاة الأمور وأبعد الناس عن طاعتهم إلا كرها ، ونحـن نطـالبهم أولا بصحة النقل ثم بتقدير أن يكون نـاقله واحـد ، فكيـف يجـوز أن يثبت أصل الإيمان بخبر مثل هـذا الـذي لا يعـرف لـه ناقـل ، وإن عرف له ناقل أمكن خطؤه وكذبه ، وهل يثبت أصل الإيمان إلا بطريق علمي.

(الوجه السابع): أن يقـال إن كـان هـذا الحـديث مـن كلام النبي صلى الله تعالى عليه وسـلم فليـس فيـه حجـة لهـذا القائل ، فإن النبي صلى الله تعالى عليـه وسـلم قـد قـال مـات ميتة جاهلية .

وهذا الحديث يتناول من قاتل في العصـبية ، والرافضـة رؤوس هؤلاء، ولكن لا يكفر المسلم بالاقتتال في العصبية ، كما دل على ذلك الكتاب والسنّة ، فكيف يكفر بما دون ذلك .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال . قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسـلم :« مـن خـرج مـن الطاعـة وفـارق الجماعة ثم مات ، مات ميتة جاهليـة »[1].وهـذا حـال الرافضـة، فإنهم يخرجون عن الطاعة و يفارقون الجماعة .

وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله ما عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « مـن رأى مـن أميـره شـيئاً يكرهه فليصبر عليه ، فإن من خرج من السلطان شـبراً ، مـات ميتة جاهلية»[2].

وهذه النصوص مع كونها صريحة في حال الرافضـة فهـي وأمثالها المعروفة عند أهل العلم لا بذلك اللفظ الذي نقله .

(الوجه الثامن) : أن هذا الحديث الـذي ذكـره حجـة على الرافضة ، لأنهم لا يعرفون إمام زمانهم ، فإنهم يدّعون أنه

---

[1](1) انظر مسلم ج 3 ص 1476.
[2](2) انظر البخاري ج 9 ص 47 ومسلم ج 3 ص 1477.

الغائب المنتظر محمد بن الحسن ، الذي دخل سرداب سامرّا ، سنة ستين ومائتين أو نحوهما ولم يعد ، بل كان عمره إما سنتين ، وإما ثلاثا ، وإما خمساً أو نحو ذلك وله الآن على قولهم أكثر من أربعمائة سنة ولم ير له عين ولا أثر ، ولا سمع له حس ولا خبر .

فليس فيهم أحد يعرفه لا بعينه ، ولا صفته ، لكن يقولون أن هذا الشخص الذي لم يره أحد ، ولم يسمع له خبر هو إمام زمانهم ، ومعلوم أن هذا ليس هو معرفة بالإمام ، ونظير هذا أن يكون لرجل قريب من بني عمه في الدنيا ولا يعرف شيئا من أحواله ، فهذا لا يعرف ابن عمه وكذلك المال الملتقط إذا عرف أن له مالكا ولم يعرف عينه لم يكن عارفا لصاحب اللقطة ، بل هذا أعرف لأن هذا يمكن ترتيب بعض أحكام الملك والنسب عليه .

وأما في المنتظر فلا يعرف له حال ينتفع به في الإمامة ، فإن معرفة الإمام التي تخرج الإنسان من الجاهلية ، هي المعرفة التي يحصل بها طاعة وجماعة ، خلاف ما كان عليه أهل الجاهلية ، فإنهم لم يكن لهم إمام يجمعهم ، ولا جماعة تعصمهم ، والله تعالى بعث محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ، وهداهم به إلى الطاعة والجماعة ، وهذا المنتظر لا يحصل بمعرفته طاعة ولا جماعة ، فلم يعرف معرفة تخرج الإنسان من الجاهلية ، بل المنتسبون إليه أعظم الطوائف جاهلية ، وأشبههم بالجاهلية ، إن لم يدخلوا في طاعة غيرهم إما طاعة كافر أو طاعة مسلم ، هو عندهم من الكفار أو النواصب لم ينتظم لهم مصلحة لكثرة اختلافهم ، وافتراقهم وخروجهم عن الطاعة وهذا يبينه .

(الوجه التاسع): وهو أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أمر بطاعة الأئمة الموجودين ، المعلومين الذين لهم سلطان يقدرون به على سياسة الناس ، لا بطاعة معدوم ولا مجهول ، ولا من ليس له سلطان ولا قدرة على شيء أصلا ، كما أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالاجتماع والائتلاف ، ونهى عن الفرقة والاختلاف ، ولم يأمر بطاعة الأئمة مطلقا، بل أمر بطاعتهم في طاعة الله دون معصيته ،وهذا يبين أن الأئمة الذين أمر بطاعتهم في طاعة الله ليسوا معصومين .

فإن قال أنا أردت بقولي أنها أهم المطـالب فـي الـدين وأشرف مسائل المسلمين التي تنازعت الأمة فيهـا بعـد النـبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وهذه هي مسألة الإمامة . قيل له فلا لفظ فصيح، ولا معنى صحيح فإن ما ذكرته لا يدل علـى هـذا المعنى ، بل مفهـوم اللفـظ ومقتضـاه أنهـا أهـم المطـالب فـي الدين مطلقا ، وأشرف مسائل المسلمين مطلقا .

وبتقدير أن يكون هذا مـرادك ، فهـو معنـى باطـل ، فـإن المسلمين تنازعوا بعد النبي صلى الله تعالى عليه وسـلم ، فـي مسائل أشرف من هذه .

وبتقدير أن تكون هي الأشرف ، فالذي ذكرته فيها أبطل المذاهب ، وأفسد الطـالب ، وذلـك أن النـزاع فـي الإمامـة لـم يظهر إلا في خلافة علي .

وأما على عهد الخلفاء الثلاثـة فلـم يظهـر نـزاع ، إلا مـا جرى يوم السقيفة ، وما انفصلوا حتى اتفقوا ، ومثل هذا لا يعـد نزاعا ، ولو قدّر أن النزاع فيها كان عقب موت النبي صـلى اللـه تعالى عليه وسلم فليس كل ما تنوزع فيه عقب موته صلى اللـه تعالى عليه وسلم يكون أشرف مما تنوزع فيـه بعـد مـوته بـدهر طويل .

وإذا كان كذلك فمعلـوم أن مسـائل التوحيـد والصـفات ،والإثبـات والتنزيـه ، والقـدر، والتعـديل ، والتجـويز والتحسـين والتقبيح، أهم وأشرف من مسائل الإمامـة ، ومسـائل الأسـماء والأحكام والوعد والوعيد ، والشفاعة والتخليد ، أهم من مسائل الإمامة .

فإن كانت أهم مسائل الدين وهم لم ينتفعوا بالمقصود منها ، فقد فاتهم من الدين أهمه وأشرفه ، وحينئـذ فلا ينتفعـون بما حصل لهم من التوحيد ، والعدل لأنـه يكـون ناقصـا بالنسـبة إلى مقصود الإمامة، فيستحقون العذاب .

كيـف وهـم يسـلمون أن مقصـود الإمامـة فـي الفـروع الشرعية ، وأما الأصول العقلية فلا يحتاج فيها إلى الإمام ، وتلك هي أهم وأشرف ، ثم بعد هذا كله فقولكم في الإمامة من أبعـد الأقوال عن الصواب ، ولو لم يكن فيه إلا أنكم أوجبتم الإمامـة ،

لما فيها من مصلحة الخلق ، في دينهم ودنياهم ، وإمامكم صاحب الوقت ، لم يحصل لكم من جهته مصلحة ، لا في الدين ولا في الدنيا .

فأي سعى أضل من سعى من يتعب التعب الطويل ، ويكثر القال والقيل ، ويفارق جماعة المسلمين ، ويلعن السابقين والتابعين، ويعاون الكفار والمنافقين ، ويحتال بأنواع الحيل ، ويسلك ما أمكنه من السبل ويعتض بشهود الزور ، ويدلي أتباعه بحبل الغرور ، ويفعل ما يطول وصفه ، ومقصوده بذلك أن يكون له إمام يدله على أمر الله ونهيه ، ويعرّفه ما يقربه إلى الله تعالى ، ثم إنه لما علم اسم ذلك الإمام ونسبه لم يظفر بشيء من مطلوبه ، ولا وصل إليه شيء من تعليمه وإرشاده ، ولا أمره ولا نهيه ، ولا حصل له من جهته منفعة ، ولا مصلحة أصلا ، إلا إذهاب نفسه وماله ، وقطع الأسفار وطول الانتظار بالليل والنهار ، ومعاداة الجمهور ، لداخل في سرداب ، ليس له عمل ولا خطاب .

ولو كان موجودا بيقين لما حصل به منفعة لهؤلاء المساكين، فكيف وعقلاء الناس يعلمون أن ليس معهم إلا الإفلاس ، وأن الحسن بن علي العسكري لم ينسل ولم يعقب، كما ذكر ذلك محمد بن جرير الطبري ، وعبد الباقي بن قانع ، وغيرهما من أهل العلم بالنسب .

وهم يقولون أنه دخل في السرداب بعد موت أبيه ، وعمره إما سنتان وإما ثلاث وإما خمس ، وإما نحو ذلك ، ومثل هذا بنص القرآن يتيم، يجب أن يحفظ له ماله حتى يؤنس منه الرشد ، ويحضنه من يستحق حضانته من قرابته ، فإذا صار له سبع سنين أمر بالطهارة والصلاة .

فمن لا توضأ ولا صلى ، وهو تحت حجر وليه في نفسه وماله بنص القرآن لو كان موجودا يشهده العيان، فما جاز أن يكون هو إمام أهل الإيمان، فكيف إذا كان معدوما أو مفقودا مع طول هذه الغيبة .

والمرأة إذا غاب وليها زوّجها الحاكم أو الولي الحاضر ، لئلا تفوت مصلحة الإمامة مع طول هذه المدة ، مع هذا الإمام المفقود .

(فصــل)

قال الرافضي : لما بعث الله محمداً صلى الله تعـالى عليه وسلم قام بثقـل الرسـالة ، ونـص علـى أن الخليفـة بعـده علي بـن أبـي طـالب عليـه السـلام ، ثـم مـن بعـده علـى ولـده الحسن الزكي ، ثم على ولده الحسين الشهيد ، ثـم علـى علـي بن الحسين زين العابدين ، ثم على محمد بن علـي البـاقر ، ثـم علـى جعفـر بـن محمـد الصـادق ، ثـم علـى موسـى بـن جعفـر الكاظم ، ثم على عليّ بن موسى الرضـا ، ثـم علـى محمـد بـن علي الجواد ، ثم على علي بن محمد الهادي ، ثـم عل ى الحسـن بن علي العسكري ، ثم على الخلف الحجـة محمـد بـن الحسـن المهدي ، عليهم الصـلاة والسـلام وأن النـبي صـلى اللـه تعـالى عليه وسلم لم يمت إلا عن وصية بالإمامة ، وقال : وأهل السنّة ذهبوا إلى خلاف ذلك كله .

(فصـــل)

وأما قوله عن أهل السـنّة أنهـم يقولـون إن النـبي صـلى الله تعالى عليه وسلم لم ينص على إمامة أحد ، وأنه مـات عـن غير وصية .

فالجواب أن يقال ليس هذا قول جميعهم ، بل قد ذهبت طوائف من أهل السنّة إلـى أن إمامـة أبـي بكـر ثبتـت بـالنص ، والنزاع في ذلك معروف في مذهب أحمد وغيره ، من الأئمة .

وقد ذكر القاضي أبو يعلى وغيره فـي ذلـك روايـتين عـن الإمام أحمد إحداهما أنها ثبتت بالأخبار قـال وبهـذا قـال جماعـة من أهل الحديث والمعتزلة والأشعرية وهذا اختيار القاضي أبي يعلى وغيره.

والثانية أنها ثبتت بالنص الخفـي ، والإشـارة قـال وبهـذا قال الحسن البصري ، وجماعـة مـن أهـل الحـديث ، وبكـر ابـن أخت عبد الواحد ، والبيهسية من الخوارج.

قال شيخه أبـو عبـد اللـه بـن حامـد : فأمـا الـدليل علـى استحقاق أبي بكر الخلافة دون غيره من أهل البيت ، والصـحابة

فمن كتاب الله وسنّة نبيه ، قال وقد اختلف أصحابنا في الخلافة هل أخذت من حيث النص أو الاستدلال ، فذهب طائفة من أصحابنا إلى أن ذلك بالنص ، وأنه صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر ذلك نصا ، وقطع البيان على عينه حتما ، ومن أصحابنا من قال أن ذلك بالاستدلال الجلى .

قال ابن حامد والدليل على إثبات ذلك بالنص ، أخبار من ذلك ما أسنده البخاري ، عن جير بن مطعم قال : ((أتت امرأة إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأمرها أن ترجع إليه ، قالت أرأيت إن جئت فلم أجدك ، كأنها تريد الموت ، قال : إن لم تجديني فأتي أبا بكر))[1] وذكر له سياقا آخر وأحاديث أخر . قال وذلك نص على إمامته .

قال وحديث سفيان ، عن عبد الملك بن عمير ، عن ربعي ، عن حذيفة ابن اليمان ، قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : ((اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر))[2] .

وأسند البخاري ، عن أبي هريرة ، قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم. قال : ((بيّنا أنا نائم رأيتني على قليب عليها دلو ، فنزعت منها ما شاء الله ، ثم أخذها ابن أبي قحافة ، فنزع منها ذنوبا أو ذنوبين وفي نزعه ضعف ولله يغفر له ضعفه ، ثم استحالت غربا فأخذها عمر بن الخطاب فلم أر عبقريا من الناس ينزع نزع عمر ، حتى ضرب الناس بعطن))[3] قال : وذلك نص في الإمامة .

قال : ويدل عليه ما أخبرنا أبو بكر بن مالك ، وروى عن مسند أحمد ، عن حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد بن جدعان ، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة ، عن أبيه ، قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوما: ((أيكم رأى رؤيا فقلت : أنا رأيت يا رسول الله كأن ميزانا دلي من السماء ، فوزنت بأبي بكر فرجحت بأبي بكر ، ثم وزن أبو بكر بعمر فرجح ، أبو بكر بعمر ثم وزن عمر بعثمان فرجح عمر بعثمان ثم رفع الميزان ، فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ((خلافة نبوه ، ثم يؤتي الله الملك لمن يشاء))[4].

---

[1] (1) البخاري ج 5 ص 5 ومواضع أخر ، ومسلم ج 4 ص 1856 .

[2] (2) رواه أحمد ج 5 ص 382 ، والترمذي ج 5 ص 271 .

[3] (1) البخاري ج 5 ص 6 ومواضع أخر ومسلم ج 4 ص 1860.

[4] (2) أبو داود ج 4 ص 289 ، والترمذي ج 3 ص 368 .

قال وأسند أبـو داود عـن جـابر الأنصـاري ، قـال : قـال رسول الله صلى اللـه تعـالى عليـه وسـلم : « رأى الليلـة رجـل صالح أن أبا بكر نيط برسول الله ، ونيط عمر بأبي بكـر ، ونيـط عثمان بعمر »، قال جابر فلما قمنا من عند رسـول اللـه صـلى الله تعالى عليه وسلم . قلنا أما الصالح فرسول الله صلى اللــه تعالى عليه وسـلم ، وأمـا نـوط بعضـهم ببعـض ، فهـم ولاة هـذا الأمر الذي بعث الله به نبيه .

قال : ومن ذلك حديث صالح بن كيسان ، عن الزهري ، عن عروة، عن عائشة –رضي الله عنها - ، قالت : دخل عليّ رسول اللـه صـلى اللـه تعـالى عليـه وسـلم .اليـوم الـذي بـدئ فيـه ، فقال« ادعي لي أباك وأخاك ، حتى أكتـب لأبـي لكـر كتابـا ، ثـم قال يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر ، وفي لفظ فلا يطمـع فـي هذا الأمر طامع »[1] .

و هذا الحديث في الصحيحين ورواه من طريق أبي داود الطيالسي ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة ، قـالت : لمـا ثقـل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « ادعي لـي عبـد الرحمن بن أبي بكر لأكتب لأبي بكـر كتابـا، لا يختلـف عليـه ثـم قـال معـاذ اللـه أن يختلـف المؤمنـون فـي أبـي بكـر » ، وذكـر أحاديث تقديمه في الصـلاة ، وأحـاديث أخـر لـم أذكرهـا لكونهـا ليست مما يثبته أهل الحديث .

وقال أبو محمد بن حزم في كتابه الملل والنحل : اختلف الناس في الإمامة بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فقـالت طائفـة : إن النـبي صـلى اللـه تعـالى عليـه وسـلم لـم يستخلف أحدا ، ثم اختلفوا فقال بعضهم : لكن لما استخلف أبـا بكـر علـى الصـلاة كـان ذلـك دليلا علـى أنـه أولاهـم بالإمامـة والخلافة على الأمر ، وقال بعضهم : لا ولكن كان أثبتهم فضـلا ، فقدموه لذلك، وقالت طائفة : بل نص رسـول اللـه صـلى اللـه تعالى عليه وسلم على اسـتخلاف أبـي بكـر بعـده ، علـى أمـور الناس نصا جليا .

قال أبو محمد وبهذا نقول : لبراهين أحدها أطباق الناس كلهم ، وهم الذين قـال اللـه فيهـم : ﴿ **للفقراءِ الْمُهَـاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ الله وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُم**

---

[1](3) انظر البخاري ج 7 ص 119 ومسلم ج 4 ص 1857.

الصَّادِقُون [1] .

فقد اتفق هؤلاء الذين شهد الله لهم بالصدق ، وجميع إخوانهم من الأنصار م ، على أن سموه خليفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم .

ومعنى الخليفة في اللغة هو الذي يستخلفه المرء ، لا الذي يخلفه دون أن يستخلفه هو ، لا يجوز غير هذا البتة في اللغة بلا خلاف ، يقال : استخلف فلان فلانا يستخلفه فهو خليفته ومستخلفه ، فإن قام مكانه دون أن يستخلفه لم يقل إلا خلف فلان فلانا يخلفه فهو خالف .

قال : ومحال أن يعنوا بذلك الاستخلاف على الصلاة ، لوجهين ضروريين .

(أحدهما): أنه لم يستحق أبو بكر قط هذا الاسم على الإطلاق في حياة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وهو حينئذ خليفته على الصلاة فصح يقينا أن خلافته المسمى بها هي غير خلافته على الصلاة .

(والثاني):أن كل من استخلفه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في حياته ، كعليّ في غزوة تبوك ، وابن أم مكتوم في غزوة الخندق ، وعثمان بن عفان في غزوة ذات الرقاع ، وسائر من استخلفه على البلاد باليمن ، والبحرين، والطائف ، وغيرها ، لم يستحق أحد منهم بلا خلاف بين أحد من الأئمة أن يسمى خليفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم -، فصح يقينا بالضرورة التي لا محيد عنها أنها الخلافة بعده ، على أمته .

ومن المحال أن يجمعوا على ذلك ، وهو لم يستخلفه نصا ، ولو لم يكن هاهنا إلا استخلافه في الصلاة ، لم يكن أبو بكر أولى بهذا الاسم من سائر من ذكرناه ، قال: وأيضا فإن الرواية قد صحت. أن امرأة قالت : يا رسول الله : أرأيت إن رجعت فلم أجدك ، كأنها تعني الموت ؟ قال : « فأتي أبا بكر »[2] قال: وهذا نص جلى على استخلاف أبي بكر .

قال : وأيضا فإن الخبر قد جاء من الطرق الثابتة أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لعائشة في مرضه الذي توفي فيه : « لقد هممت أن أبعث إلى أبيك وأخيك وأكتب

---

[1](1) الآية 8 من الحشر .

[2](1) تقدم تخريجه قريبا .

كتابا وأعهد عهدا لكيلا يقول قائل : أنـا أحـق أو يتمنـى متمنـى ، ويأبى الله ورسوله والمؤمنون إلا أبا بكر))[1] .

وروى أيضا – ويأبى الله والنبيون إلا أبا بكر – قال : فهذا نص جلى على استخلافه صلى الله تعالى عليه وسلم – أبـا بكـر على ولاية الأمة بعده .

قال : واحتج من قال لم يستخلف بالخبر المأثور عن عبد الله بن عمر، عن عمر ، أنه قال إن استخلف فقد استخلف مـن هو خير مني يعني أبا بكر ، وإلا استخلف فلم يسـتخلف مـن هـو خير مني ، يعني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم [2].وبما روى عن عائشة ا ، أنها سئلت : من كان رسول الله صلى اللـه تعالى عليه وسلم مستخلفا لو استخلف ؟[3]

قال : ومن المحال أن يعارض إجماع الصحابة الذي ذكرنا عنهم ، والأثران الصـحيحان المسـندان إلـى رسـول اللـه صـلى تعـالى اللـه عليـه وسـلم ، مـن لفظـه بمثـل هـذين الأثريـن الموقوفين على عمر وعائشة ، مما لا تقـوم بـه حجـة ظـاهرة . مع أن هذا الأثر خفى على عمر ، كما خفى عليـه كـثير مـن أمـر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسـلم ، كالاسـتئذان وغيـره ، وأنه أراد استخلافا بعهد مكتـوب ، ونحـن نقـر أن اسـتخلافه لـم يكن بعهد مكتوب ، وأما الخبر فـي ذلـك عـن عائشـة ا فكـذلك أيضا ، وقد يخرج كلاهمـا عـن سـؤال سـائل. وإنمـا الحجـة فـي روايتهما لا في قولهما .

(قلت):الكلام في تثبيت خلافة أبي بكر و غيـره مبسـوط في غير هذا الموضع ،وإنما المقصود هنا البيان لكلام الناس في خلافته، هل حصل عليها نص خفى أو جلى، وهـل تثبـت بـذلك أو بالاختيار،من أهل الحل والعقد فقد تـبين أن كـثيراً مـن السـلف والخلف قالوا فيها بالنص الجلـى،أو الخفـى ،وحينئـذ فقـد بطـل قدح الرافضي في أهل السنة بقوله:انهم يقولون ان النـبي لـم ينص إلى إمامة أحد،وانه مات عن غير وصية.

وكذلك ان هذا القول لم يقله جميعهم،فان كان حقا فقــد قـاله بعضـهم،وان كـان الحـق هـو نقيضـه فقـد قـال بعضـهم ذلك،فعلى التقديرين لم يخرج الحق عن أهل السنّة ، أيضـا فلـو

---

[1](2) تقدم قريبا .

[2](1) البخاري ج 9 ص 83 ومسلم ج 3 ص 1454.

[3](2) مسلم ج 4 ص 1856.

قدر أن القول بالنص هو الحق لم يكن في ذلك حجة للشيعة فإن الرواندية تقول بالنص على العباس كما قالوا هم بالنص على علي.

قال القاضي أبو يعلى وغيره ، : واختلفت الرواندية فذهب جماعة منهم إلى أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نص على العباس بعينه واسمه وأعلن ذلك وكشف وصرح به ، وأن الأمة جحدت هذا النص وارتدت . وخالفت أمر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم عنادا ، ومنهم من قال : إن النص على العباس وولده من بعده إلى أن تقوم الساعة ، يعني هو نص خفي . فهذان قولان للرواندية ، كالقولين للشيعة ، فإن الإمامية تقول : أنه نص علي بن أبي طالب من طريق التصريح والتسمية ، بأن هذا هو الإمام من بعدي . فاسمعوا له وأطيعوا ، والزيدية تخالفهم في هذا .

ثم من الزيدية من يقول : إنما نص عليه بقوله : من كنت مولاه فعليّ مولاه ، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى ، وأمثال ذلك من النص الخفي الذي يحتاج إلى تأمل لمعناه ، وحكي عن الجارودية من الزيدية : أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نص على عليّ بصفة لم توجد إلا فيه ، لا من جهة التسمية ، فدعوى الرواندية في النص من جنس دعوى الرافضة، وقد ذكر في الإمامية أقوال أخرى .

والمقصود هنا أن أقوال الرافضة معارضة بنظيرها ، فإن دعواهم النص على عليّ كدعوى أولئك النص على العباس ، وكلا القولين مما يعلم فساده بالاضطرار ، ولم يقل أحد من أهل العلم شيئاً من هذين القولين ، وإنما ابتدعهما أهل الكذب كما سيأتي إن شاء الله تعالى بيانه ، ولهذا لم يكن أهل الدين من ولد العباس وعلي يدّعون هذا ، ولا هذا بخلاف النص على أبي بكر فإن القائلين به طائفة من أهل العلم .

والمقصود هنا أن كثيراً من أهل السنّة يقولون : أن خلافته تثبت بالنص ، وهم يسندون ذلك إلى أحاديث معروفة صحيحة ، ولا ريب أن قول هؤلاء أوجه من قول من يقول أن خلافة علي أو العباس ثبتت بالنص.

فإن هؤلاء ليس معهم إلا مجـرد الكـذب والبهتـان الـذي يعلم بطلانه بالضرورة كل من كان عارفـاً بـأحوال الإسـلام ، أو استدلال بألفاظ لا تدل على ذلك ، كحديث استخلافه فـي غـزوة تبوك ، ونحوه مما سنتكلم عليه إن شاء الله تعالى .

فيقال لهذا : إن وجب أن يكون الخليفة منصوصا عليه ، كان القول بهذا النص أولى من القول بذلك ، وإن لم يجـب هـذا بطل ذاك . والتحقيق أن النبي صلى الله تعالى عليه وسـلم دل المسـلمين علـى اسـتخلاف أبـي بكـر وأرشـدهم إليـه ، بـأمور متعددة من أقـواله وأفعـاله ، وأخـبر بخلافتـه أخبـار راض بـذلك حامـدا لـه وعـزم علـى أن يكتـب بـذلك عهـدا ، ثـم علـم أن المسلمين يجتمعون عليه فترك الكتاب اكتفاء بذلك .

ثم عزم على ذلك فـي مرضـه يـوم الخميـس ، ثـم لمـا حصل لبعضهم شك هل ذلـك القـول مـن جهـة المـرض ، أو هـو قول يجب اتباعه ، فترك الكتابة اكتفاء بما علـم أن اللـه يختـاره والمؤمنون من خلافة أبي بكر ، فلو كان التعيين ممـا يشـتبه على الأمة لبينه رسول الله صلى اللـه تعـالى عليـه وسـلم بيانـا قاطعا للعذر ، لكن لما دلهم دلالات متعددة على أن أبا بكـر هـو المتعين وفهموا ذلك حصل المقصود .

ولهذا قال عمر بن الخطاب في خطبته الـتي خطبهـا بمحضر من المهاجرين والأنصار : ((وليس فيكم من تقطع إليه الأعنـاق مثـل أبـي بكـر)) رواه البخـاري ومسـلم[1] وفـي الصـحيحين أيضـا عنـه أنـه قـال يـوم السـقيفة بمحضـر مـن المهاجرين والأنصار : ((أنت خيرنا وسيدنا ، وأحبنا إلـى رسـول الله صلى الله تعالى عليـه وسـلم))[2] - ولـم ينكـر ذلـك منهـم منكر ، ولا قال أحد من الصحابة أن غير أبي بكر من المهـاجرين أحق بالخلافة منه ، ولم ينازع أحد في خلافته ، إلا بعض الأنصـار طمعا في أن يكون مـن الأنصـار أميـر ومـن المهـاجرين أميـر ، وهذا مما ثبت بالنصوص المتواترة عنه النبي صـلى اللـه تعـالى عليه وسلم بطلانه .

ثم الأنصار جميعهم بايعوا أبا بكر إلا سعد بن عبادة لكونه هو الذي كان يطلب الولاية ، ولم يقل قط أحد مـن الصـحابة أن

---

[1](1) انظر البخاري ج 8 ص 169 ومواضع أُخر ومسلم ج 3 ص 1317.

[2](1) البخارى ج 5 ص 7 .

النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نص على غير أبي بكر لا على العباس ولا على علي ، ولا غيرهما ، ولا ادعى العباس ولا علي – ولا أحد ممن يحبهما –الخلافة لواحدٍ منهما ، ولا أنه منصوص عليه ، بل ولا قال أحد من الصحابة أن في قريش من هو أحق بها من أبي بكر ، لا من بني هاشم ولا من غير بني هاشم ، وهذا كله مما يعلمه العلماء العالمون بالآثار والسنن والحديث ، وهو معلوم عندهم بالاضطرار.

فخلافة أبي بكر الصديق دلت النصوص الصحيحة على صحتها ، وثبوتها ورضا الله ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم له بها ، وانعقدت بمبايعة المسلمين له ، واختيارهم إياه ، اختياراً أسندوا فيه إلى ما علموه من تفضيل الله ورسوله ، وأنه أحقهم بهذا الأمر عند الله ورسوله .

فصارت ثابتة بالنص والإجماع جميعا لكن النص دل على رضا الله ورسوله بها وأنها حق وأن الله أمر بها وقدرها وأن المؤمنين يختارونها وكان هذا أبلغ من مجرد العهد بها لأنه حينئذ كان يكون طريق ثبوتها مجرد العهد .

وأما إذا كان المسلمون قد اختاروه من غير عهد ودلت النصوص على صوابهم فيما فعلوه ، ورضا الله ورسوله بذلك ، كان ذلك دليلا على أن الصديق كان فيه من الفضائل التي بان بها عن غيره ما علم المسلمون به أنه أحقهم بالخلافة ، فإن ذلك لا يحتاج فيه إلى عهد خاص ، كما قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم . لما أراد أن يكتب لأبي بكر فقال لعائشة : ((ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب لأبي بكر كتابا فإني أخاف أن يتمنى متمنى ، ويقول قائل أنا أولى ،ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر))[1] أخرجاه في الصحيحين وفي البخاري : ((لقد هممت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه ، وأعهد أن يقول القائلون ، أو يتمنى المتمنون ، ويدفع الله ويأبى المؤمنون))[2] فبين صلى الله تعالى عليه وسلم أنه يريد ان يكتب كتابا خوفا ثم علم أن الأمر واضح ظاهر ، ليس مما يقبل النزاع فيه ، والأمة حديثة عهد بنبيها ، وهم خير أمة أخرجت للناس ، وأفضل قرون هذه الأمة فلا يتنازعون في هذا الأمر الواضح الجلي .

---

[1] (1) تقدم تخريجه ص 64 .
[2] (2) تقدم أيضا ص 63 .

فإن النزاع إنما يكون لخفاء العلم ، أو لسـوء القصـد وكلا الأمرين منتف ، فإن العلم بفضيلة أبي بكر جلى ، وسوء القصـد لا يقع من جمهور الأمة الذين هـم أفضـل القـرون ، ولهـذا قـال يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر ، فـترك ذلـك لعلمـه بـأن ظهـور فضيلة أبى بكر الصديق واستخلافه لهذا الأمر يغني عن العهــد ، فلا يحتاج إليه، فـتركه لعـدم الحاجـة وظهـور فضـيلة الصـديق ، واستحقاقه وهذا أبلغ من العهد .

(فصـــــل)

وأما قول الرافضي : إنهم يقولون الإمام بعد رسول اللـه صلى الله تعالى عليه وسلم –أبو بكر بمبايعة عمر ، برضا أربعـة ، فيقال له ليـس هـذا قـول أئمـة السـنّة ، وإن كـان بعـض أهـل الكلام يقول أن الإمامة تنعقد ببيعـة أربعـة ، كمـا ق ال بعضـهم : تنعقد ببيعة اثنين ، وقال بعضـهم: تنعقـد ببيعـة واحـد ، فليـس هذه أقوال أئمة السنّة ، بل الإمامة عندهم تثبـت بموافقـة أهـل الشـوكة عليهـا ، ولا يصـير الرجـل إمامـا حـتى يـوافقه ، أهـل الشـوكة الـذين يحصـل بطـاعتهم لـه مقصـود الإمامـة ، فـإن المقصود من الإمامة إنما يحصل بالقدرة والسلطان ، فإذا بويـع بيعة حصلت بها القدرة والسلطان ، صار إماما ، ولهذا قال أئمة السنّة من صار له قدرة وسلطان ، يفعـل بهمـا مقصـود الولايـة فهو من أولي الأمر ، الذين أمـر اللـه بطـاعتهم ، مـا لـم يـأمروا بمعصبة الله، فالإمامة ملـك وسـلطان ، والملـك لا يصـير ملكـا بموافقة واحد ولا اثنين ، ولا أربعة ، إلا أن تكون موافقة غيرهـم بحيث يصير ملكا بذلك ، وهكذا كل أمر يفتقر إلى المعاونة عليه ، لا يحصل إلا بحصول من يمكنهم التعاون عليه ، ولهذا لما بويـع علي وصار معه شوكة صار إماما .

وأما قوله : ثم عثمان بن عفان بنص عمر على ستة هو أحدهم فاختـاره بعضـهم ، فيقـال أيضـا عثمـان لـم يصـر إمامـا باختيار بعضهم بل بمبايعة الناس له ، وجميـع المسـلمين بـايعوا عثمان بن عفان لم يتخلف عن بيعته أحد .

قال الإمام أحمد في رواية حمدان بن علي : ما كان في القوم اوكد من بيعة عثمان كانت بإجماعهم .

فلما بايعه ذوو الشوكة والقدرة صار إماما ، وإلا لو قـدر أن عبـد الرحمـن بـايعه ولـم يبـايعه غيـره علـي ولا غيـره مـن الصحابة أهل الشوكة لم يصر إماما .

ولكن عمر لما جعلها شورى فـي سـتة : عثمـان وعلـي وطلحة والزبير وسـعد وعبـد الرحمـن بـن عـوف ثـم أنـه خـرج طلحـة والزبيـر وسـعد باختيـارهم وبقـي عثمـان وعلـي وعبـد

الرحمـن بـن عـوف ، واتفـق الثلاثـة باختيـارهم علـى أن عبـد الرحمن بن عوف لا يتولى ويولى أحد الرجلين .

وأقام عبد الرحمن ثلاثا حلف أنه لم يغتمض فيهـا بكـبير نوم، يشاور السابقين الأولين والتابعين لهـم بإحسـان ، ويشـاور أمراء الأمصار وكانوا قد حجوا مع عمر ذلك العام ، فأشار عليــه المسلمون بولاية عثمان.

و ذكرهم أنهم كلهم قدموا عثمان فبايعوه ، لا عـن رغبـة أعطاهم إياها ولا عن رهبة أخافهم بها ، ولهذا قال غير واحد من السلف والأئمة كأيوب السختياني وأحمد بن حنبل والـدارقطني وغيرهـم: مـن قـدم علياً علـى عثمـان فقـد أزرى بالمهـاجرين والأنصار، وهذا من الأدلة الدالـة علـى ان عثمـان أفضـل لأنهـم قدموه باختيارهم، واشتوارهم .

وأما قوله :ثم علي بمبايعة الخلـق لـه فتخصيصـه عليّـا بمبايعة الخلق دون أبي بكر وعمر وعثمان كلام ظاهر البطلان ، وذلك أنه من المعلوم لكل من عـرف سـيرة القـوم ، أن اتفـاق الخلق ومبايعتهم لأبي بكر وعمـر وعثمـان أعظـم مـن اتفـاقهم على بيعة علي وعنهم أجمعيـن وكـل أحـد يعلـم أنهـم اتفقـوا على بيعة عثمان أعظـم مـن اتفـاقهم علـى بيعـة علـي والـذين بايعوا عثمان في أول الأمر أفضل من الذين بـايعوا عليّـا ، فـإنه بايعه علي وعبد الرحمن بن عوف و طلحـة والزبيـر بـن العـوام وعبد الله بن مسعود والعباس بن عبد المطلب وأبـي بـن كعـب وأمثالهم مع سكينة وطمأنينة ، وبعد مشـاورة المسـلمين ثلاثـة أيام ، وأما علـي ف إنه بويـع عقـب قتـل عثمـان ، والقلـوب مضـطربة ،مختلفـة وأكـابر الصـحابة متفرقـون وأحضـر طلحـة إحضاراً حتى قال من قـال أنهـم جـاءوا بـه مكرهـا ، وأنـه قـال بايعت واللج على قفىّ وكـان لأهـل الفتنـة بالمدينـة شـوكة لمـا قتلـوا عثمـان ، ومـاج النـاس لقتلـه موجـا عظيمـا ، وكـثير مـن الصحابة لم يبايع عليّا كعبد الله بن عمر وأمثـاله ، وكـان النـاس معه ثلاثة أصناف ، صنف قاتلوا معه ، وصنف قاتلوه ، وصنف لم يقاتلوه ولم يقاتلوا معه ، فكيف يجوز أن يقال في علي بمبايعــة الخلق له ، ولا يقال مثـل ذلـك فـي مبايعـة الثلاثـة ولـم يختلـف عليهم أحد لما بايعهم الناس ، كلهم لا سيما عثمان .

وأما أبو بكر فتخلف عـن بيعتـه سـعد لأنهـم كـانوا قـد عينوه للإمارة ، فبقي في نفسـه مـا يبقـى في نفـوس البشـر ، ولكن هو مع هذا لم يعارض ، ولـم يـدفع حقـا ، ولا أعـان علـى باطل .

بل قد روى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله في مسند الصديق عن عثمان ، عن أبي معاوية عن داود بن عبد اللـه الأودي ، عـن حميد بن عبد الرحمن هو الحميري فذكر حديث السقيفة وفيه : أن الصديق قال : ((ولقد علمت يا سعد أن رسـول اللـه صـلى الله تعالى عليه وسلم قال وأنت قاعد قريش ولاة هذا الأمر فبرّ الناس تبع لبرهم ، وفاجرهم تبع لفاجرهم ، قال ، فقال له سعد : صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء))[1] .

فهذا مرسل حسن ولعل حميدا أخذه عن بعـض الصـحابة الذين شهدوا بذلك ، وفيه فائـدة جليلـة جـدا وهي أن سـعد بن عبـادة نـزل عـن مقـامه الأول ، فـي دعـوى الإمـارة ، وأذعـن للصديق بالإمارة فرضي الله عنهم أجمعين .

فـإن قـال : أردت أن أهـل السـنّة يقولـون أن خلافتـه انعقدت بمبايعة الخلق له ، لا بالنص فلا ريب أن أهل السنّة وإن كانوا يقولون : إن النص علـى أن عليـاً مـن الخلفـاء الراشـدين لقوله خلافة النبوة ثلاثون سنة ، فهم يروون النصوص الكـثيرة ، في صحة خلافة غيره وهذا أمر معلوم عند أهل الحديث يـروون ، في صحة خلافة الثلاثة نصوصا كثيرة بخلاف خلافة علي ، فإن نصوصها قليلة .

فإن الثلاثة اجتمعت الأمة عليهـم ، فحصـل بهـم مقصـود الإمامة، وقوتل بهم الكفار وفتحت بهم الأمصـار ، وخلافـة علـي لم يقاتل فيها كافر . ولا فتح مصر وإنما كان السـيف بيـن أهـل القبلة .

وأما النص الذي تدعيه الرافضة فهو كالنص الـذي تـدعيه الرواندية ، على العباس وكلاهما معلوم الفساد بالضـرورة عنـد أهل العلم ، ولو لم يكن في إثبات خلافة علي إلا هذا لم تثبت له إمامة قط، كما لم تثبت للعباس إمامة بنظيره .

---

[1](1) المسند ج 1 ص 164 تحقيق أحمد شاكر .

وأما قوله : ثم اختلفـوا فقـال بعضـهم : أن الإمـام بعـده الحسـن ، وبعضـهم قـال أنـه معاويـة ، فيقـال أهـل السـنّة لـم يتنازعوا في هذا بل هم يعلمون أن الحسـن بـايعه أهـل العـراق مكان أبيه،وأهل الشام كانوا مع معاوية قبل ذلك.

و قوله : ثم سـاقوا الإمامـة فـي بنـي أميـة ثـم فـي بنـي العباس . فيقال : أهل السـنة لا يقولـون أن الواحـد مـن هـؤلاء كان هو الذي يجب أن يولى دون من سواه،ولا يقولون أنه تجـب طاعته في كل ما يأمر.

بـــل أهـــل الســـنة يخـــبرون بـــالواقع،ويـــأمرون بـــالواجب،فيشـــهدون بمـــا وقـــع،ويـــأمرون بمـــا أمـــر اللـــه ورسوله،فيقولون هؤلاء هـم الـذين تولـوا،وكـان لهـم سـلطان وقدرة، ، يقدرون بها على مقاصد الولاية ، مـن إقامـة الحـدود ، وقسم الأمـوال ، وتوليـة الولايـة ، وجهـاد العـدوّ، وإقامـة الحـج والأعياد ، والجمع وغير ذلك من مقاصد الولاية .

ويقولون : إن الواحد من هؤلاء ونوابهم وغيرهـم لا يجـوز أن يطاع في معصية الله تعـالى – بـل يشـارك فيمـا يفعلـه مـن طاعة الله ، فيغزى معه الكفار، ويصلى معه الجمعة ، والعيـدان ويحج معه، ويعاون في إقامة الحدود ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأمثال ذلك .

فيعـاونون علـى الـبر والتقـوى ولا يعـاونون علـى الإثـم والعدوان .

ويقولون : أنه قد تولى غير هؤلاء بالمغرب من بني أمية ، ومن بني علي .

ومن المعلوم أن الناس لا يصـلحون إلا بـولاة ، وأنـه لـو تولى من هو دون هؤلاء من الملوك الظلمة لكان ذلك خيرا مـن عدمهم .

كما يقال ستون سنة مع إمام جائر خير من ليلة واحدة بلا إمام ، ويروى عن علي أنه قال : ((لا بد للناس من إمارة ، برة كانت أو فاجرة ، قيل له هذه البرة قد عرفناها فما بال الفـاجرة ؟ قال : يؤمن بها السبيل ، ويقام بها الحدود ، ويجاهد بها العدوّ ،

ويقسم بها الفيء)) ذكـره علـي بـن معبـد فـي كتـاب الطاعـة والمعصية .

وكل من تولى كان خيرا مـن المعـدوم المنتظـر ، الـذي تقول الرافضة أنه الخلف الحجة ، فإن هـذا لـم يحصـل بإمـامته شيء من المصلحة ، لا في الدنيا ولا في الدين أصلا ، ولا فائــدة في إمامته ، إلا الاعتقادات الفاسدة ، والأماني الكاذبة ، والفتن بين الأمة وانتظار من لا يجيء فتطوى الأعمار ولـم يحصـل مـن فائدة هذه الإمامة شيء .

والناس لا يمكنهم بقاء أيام قليلة بلا ولاة أمور ، بل كانت أمورهم تفسد ، فكيف تصلح أمورهم إذا لـم يكـن لهـم إمـام إلا من لا يعرف ، ولا يدري ما يقول ، ولا يقدر على شيء من أمــور الإمامة ، بل هو معدوم .

وأما آباؤه فلم يكن لهم قدرة وسلطان الإمامة ، بل كان لأهل العلم والـدين منهـم إمامـة أمثـالهم مـن جنـس الحـديث ، والفتيا ونحو ذلك ، لم يكن لهم سلطان لشوكة ، فكانوا عاجزين عن الإمامة ، سواء كانوا أولى بالولاية أو لم يكونوا أولى .

فبكـل حـال مـا مكنـوا ولا ولـوا ، ولا كـان يحصـل بهـم المطلوب، من الولاية لعدم القـدرة والسـلطان ، ولـو أطـاعهم المؤمن لم يحصل لـه بطـاعتهم المصـالح الـتي تحصـل بطاعـة الأئمة من جهاد الأعداء ، وإيصـال الحقـوق إلـى مسـتحقيها ، أو بعضهم وإقامة الحدود.

فإن قال القائل : إن الواحد من هؤلاء أو من غيرهم إمام أي ذو سلطان وقدرة ، يحصل بهما مقاصـد الإمامـة ، كـان هـذا مكابر للحس .

ولو كان ذلك كذلك لم يكن هنـاك متـول يزاحمهـم ، ولا يستبد الأمر دونهـم ، وهـذا لا يقـوله أحـد . وإن قـال أنهـم أئمـة بمعنى أنهم هم الذين يجب أن يولـوا ، وأن النـاس عصـوا بـترك توليتهم .

فهذا بمنزلة أن يقال فلان كان يستحق أن يولى القضاء ، ولكن لم يول ظلما وعدوانا .

ومن المعلوم أن أهـل السـنّة لا ينـازعون فـي أنـه كـان بعض أهل الشوكة بعد الخلفاء الأربعـة ، يولـون شخصـا وغيـره أولى بالولاية منه ، وقد كان عمر بن عبد العزيز يختـار أن يـولى القاسم بن محمد بعده لكنه لم يطق ذلك ، لأن أهل الشوكة لـم يكونوا موافقين على ذلك . وحينئذ فأهل الشوكة الـذين قـدّموا المرجوح وتركوا الراجح ، والذي تولى بقوّته وقوة أتبـاعه ظلمـا وبغيا ، فيكون إثم هذه الولاية على من ترك الواجب مـع قـدرته على فعله ، أو أعان على الظلم .

وأما من لم يظلم ولا أعان ظالما وإنما أعان علـى الـبر والتقـوى فليـس عليـه مـن هـذا شـيء . ومعلـوم أن صـالحي المؤمنين لا يعاونون الولاة إلا على الـبر والتقـوى ، لا يعـاونونهم على الإثم والعدوان .

وأهل السنّة يقولون ينبغي أن يـولى الاصـلح للولايـة ، إذا أمكن إما وجوبا عند أكثرهم ، وإما اسـتحبابا عنـد بعضـهم ، وإن من عدل عن الأصلح مـع قـدرته لهـواه فهـو ظـالم ، ومـن كـان عاجزا عن تولية الأصلح مع محبته لذلك فهو معذور .

ويقولون : من تولى فإنه يسـتعان بـه علـى طاعـة اللـه بحسب الإمكان ، ولا يعان إلا على طاعـة اللـه ، ولا يسـتعان بـه على معصية الله ، ولا يعان على معصية الله تعالى .

أفليس قول أهل السنّة في الإمامـة خيـرا مـن قـول مـن يأمر بطاعة معـدوم ، أو عـاجز لا يمكنـه الإعانـة المطلوبـة مـن الأئمة ، ولهذا كانت الرافضة لما عدلت عن مذهب أهـل السـنّة في معونة أئمة المسلمين والاستعانة بهـم ، دخلـوا ف ي معاونـة الكفار والاستعانة بهم .

فهم يدعون إلى الإمام المعصوم ، ولا يعرف لهـم إمـام موجود ، يأتمون به ، إلا كفور أو ظلوم ، فهم كالذي يحيل بعـض العامة على أولياء الله رجال الغيب ، ولا رجـال للغيـب عنـده إلا أهل الكـذب والمكـر ، الـذين يـأكلون أمـوال النـاس بالباطـل ، ويصدّون عن سبيل الله ، أو الجـن أو الشـياطين الـذين يحصـل بهم لبعض الناس أحوال شيطانية .

فلو قدر أن ما تدّعيه الرافضة من النص هو حق موجود ، وأن الناس لم يولوا المنصوص عليه لكانوا قد تركـوا مـن يجـب توليته ، ولولوا غيره وحينئذ فالإمام الذي قـام بمقصـود الإمامـة هو هذا المولى ، دون الممنوع المقهور .

نعم ذاك يستحق أن يولى ، لكن مـا ولـى ، فـالإثم علـى من ضيع حقه ، وعدل عنه لا على من لم يضـع حقـه ولـم يتعـد . وهم يقولون : أن الإمام وجب نصبه ، لأن لطف ومصلحة للعباد ، فإذا كان الله ورسوله يعلم أن الناس لا يولون هـذا المعيـن إذا أمروا بولايته كان أمرهـم بولايـة مـن يولـونه وينتفعـون بـولايته أولى ، من أمرهم بولاية من لا يولونه ، ولا ينتفعون بولايته .

كما قيل في إمامة الصلاة والقضاء ، وغير ذلك ، فكيف إذا كان ما يدعونه من النص من أعظم الكذب والافتراء؟ والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد أخبر أمته بما سيكون ، وما يقـع بعده ، من التفرق فإذا نص لأمته على إمامة شخص يعلـم أنهـم لا يولونه ، بل يعدلون عنـه ويولـون غيـره –يحصـل لهـم بـولايته مقصود الولاة – وأنه إذا أفضت النوبة إلى المنصوص حصل من سفك دماء الأمة ما لم يحصل بغير المنصوص ، ولم يحصل مـن مقاصد الولاية ما حصل بغير المنصوص ، كـان الـواجب العـدول عن المنصوص .

مثال ذلك أن وليّ الأمر إذا كـان عنـده شخصـان ، ويعلـم أنـه إن ولـى أحـدهما أطيـع وفتـح البلاد ، وأقـام الجهـاد ، وقهـر الأعداء ، وأنه إذا ولى الآخر لم يطع ، ولم يفتح شيئا مــن البلاد ، بل يقع في الرعية الفتنة والفساد ، كان من المعلوم لكل عاقل أنه ينبغي أن يولي من يعلم أنه إذا ولاه حصل به الخير والمنفعة ، لا من إذا ولاه لم يطع وحصل بينه وبين الرعية الحرب والفتنـة . فكيف مع علم الله ورسوله بحال ولاية الثلاثة؟ وما حصل فيها من مصالح الأمة ، في دينها ودنياها ، لا ينص عليهـا وينـص علـى ولاية من لا يطاع بل يحارب ويقاتل ، حتى لا يمكنه قهر الأعــداء ولا إصلاح الأولياء .

وهل يكون من ينص على ولاية هذا دون ذاك إلا جـاهلا إن لم يعلم الحال أو ظالما مفسدا . إن علم . والله ورسوله بريـء من الجهل والظلم .

وهم يضيفون إلى الله ورسوله العدول عما فيه مصلحة العباد، إلى ما ليس فيه إلا الفساد .

وإذا قيل إن الفساد حصل من معصيتهم لا من تقصيره . قيل أفليس ولايـة مـن يطيعـونه فتحصـل المصـلحة أولـى مـن ولاية من يعصونه ، فلا تحصل المصلحة بل المفسدة ؟

ولو كان للرجل ولد وهناك مؤدبان إذا أسلمه إلى أحدهما تعلم وتأدب ، وإذا أسلمه إلى الآخر فرّ وهرب ، أفليـس إسـلامه إلـى ذاك أولـى ؟ ولـو قـدر أن ذاك افضـل ، فـأيّ منفعـة فـي فضيلته إذا لم يحصل للولد به منفعة لنفوره عنه .

ولو خطب المرأة رجلان أحدهما افضـل مـن الآخـر لكـن المرأة تكرهه، وإن تزوجت به لم تطعه ، بـل تخاصـمه وتـؤذيه ، فلا تنتفع به ولا ينتفع هو بهـا، والآخـر تحبـه ويحصـل بـه مقاصـد النكاح ، أفليس تزويجها بهذا المفضـول أولـى باتفـاق العقلاء ؟ ونص من ينص على تزويجها بهذا أولى من النص علـى تزويجهـا بهذا .

فكيف يضاف إلى الله ورسوله ما لا يرضاه إلا ظالم ، أو جاهل ، وهذا ونحوه مما يعلم به بطلان النص بتقـدير أن يكـون علي هو الأفضل الأحق ، بالإمارة ، لكن لا يحصل بـولايته إلا مـا حصل ، وغيره ظالم يحصل به ما حصـل مـن المصـالح ، فكيـف إذا لم يكن الأمر كذلك ، لا في هذا ولا في هذا .

فقول أهل السنّة خبر صادق وقول حكيم ، وقول الرافضـة خبر كاذب وقـول سـفه ، فأهـل السـنّة يقولـون الأميـر والإمـام والخليفة ذو السلطان الموجـود ، الـذي لـه القـدرة علـى عمـل مقصود الولاية ، كما أن إمام الصلاة هـو الـذي يصـلي بالنـاس ، وهم يأتمون به ليس إمام الصـلاة مـن يسـتحق أن يكـون إمامـا وهو لا يصلي بأحد ، لكن هذا ينبغي أن يكون إماما ، والفرق بين الإمام وبين من ينبغي أن يكون هو الإمام لا يخفى على الطغـام .

ويقولـون أنـه يعـاون علـى الـبر والتقـوى ، دون الإثـم والعدوان ، ويطاع في طاعة الله دون معصيته ، ولا يخـرج عليـه

بالسيف ، وأحاديث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إنما تدل على هذا .

كما في الصحيحين ، عن ابن عباس –رضي الله عنهما – عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال:((من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر عليه ، فإنه ليس أحد من الناس يخرج عن السلطان شبرا فمات عليه إلا مات ميتة جاهلية))[1] فجعل المحذور هو الخروج عن السلطان ومفارقة الجماعة وأمر بالصبر على ما يكره من الأمير لم يخص بذلك سلطاناً معيناً ولا أميرا معينا ولا جماعة معينة .

(قال الرافضي الفصل الثاني في أن مذهب الإمامية واجب الاتباع)

ومضمون ما ذكره أن الناس اختلفوا بعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيجب النظر في الحق واعتماد الإنصاف ، ومذهب الإمامية واجب الاتباع لأربعة وجوه ، لأنه أحقها ، وأصدقها ، ولأنهم باينوا جميع الفرق في أصول العقائد ، ولأنهم جازمون بالنجاة لأنفسهم ، ولأنهم أخذوا دينهم عن الأئمة المعصومين ، وهذا حكاية لفظه .

قال الرافضي : أنه لما عمت البلية بموت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم –واختلف الناس بعده ، وتعددت آراؤهم ، بحسب تعدد أهوائهم ، فبعضهم طلب الأمر لنفسه بغير حق ، وبايعه أكثر الناس للدنيا ، كما اختار عمرو بن سعد ملك الرى أياما يسيرة ، لما خير بينه وبين قتل الحسين مع علمه ، بأن من قتله في النار ، واختياره ذلك في شعره حيث يقول :

فوالله ما أدري وإني لصادق أفكرفي أمرعلى خطرين

أاترك ملك الريّ والرى منيتي أم أصبح مأثوما بقتل حسين

وفي قتله النار التي ليس دونها حجاب وملك الريّ قرة عيني

---

[1](1) سبق ذكره انظر ص

وبعضهم اشتبه الأمر عليه ، ورأى لطالب الدنيا مبايعا ، فقلده وبايعه وقصر في نظره ، فخفى عليه الحق فاستحق المؤاخذة من الله تعالى بإعطاء الحق لغير مستحقه بسبب إهمال النظر ، وبعضهم قلد لقصور فطنته ، ورأى الجم الغفير فتابعهم ، وتوهم أن الكثرة تستلزم الصواب ، وغفل عن قوله تعالى : ﴿**وَقَلِيلٌ مَا هُمْ** ﴾ [1] ﴿ **وَقَلِيلُ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُور** ﴾ [2] وبعضهم طلب الأمر لنفسه بحق له وبايعه الأقلون الذين أعرضوا عن الدنيا وزينتها ، ولم يأخذهم في الله لومة لائم بل أخلصوا لله واتبعوا ما أمروا به من طاعة من يستحق التقديم .

وحيث حصل للمسلمين هذه البلية ، وجب على كل أحد النظر في الحق واعتماد الإنصاف ، وأن يقر الحق مستقره ، ولا يظلم مستحقه ، فقد قال تعالى : ﴿**أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِين** ﴾ [3] و إنما كان مذهب الإمامية واجب الاتباع لوجوه هذا لفظه .

فيقال: أنه قد جعل المسلمين بعد نبيهم أربعة أصناف ،، وهذا من أعظم الكذب فإنه لم يكن من في الصحابة المعروفين أحد من هذه الأصناف الأربعة، فضلا عن أن لا يكون فيهم أحد إلا من هذه الأصناف .

إما طالب للأمر بغير حق كأبي بكر في زعمه . وإما طالب للأمر بحق كعلي في زعمه .

وهذا كذب على علي ، وعلى أبي بكر ، فلا علي طلب الأمر لنفسه قبل قتل عثمان ، ولا أبو بكر طلب الأمر لنفسه فضلا عن أن يكون طلبه بغير حق .

وجعل القسمين الآخرين إما مقلدا لأجل الدنيا، وإما مقلدا لقصوره في النظر، وذلك أن الإنسان يجب عليه ان يعرف الحق وأن يتبعه ، وهو الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم ، من النبيين والصديقين ، والشهداء والصالحين ، غير المغضوب عليهم ، ولا الضالين . وهذا هو الصراط الذي أمرنا أن نسأله هدايتنا إياه ، في كل صلاة بل في كل ركعة .

---

(1) الآية 24 من سورة ص .
(2) الآية 13 من سورة سبأ .
(3) الآية 18 من سورة هود .

وهذه الأمة خير الأمم ، وخيرها القرن الأول ، كان القـرن الأول أكمل الناس في العلم النافع ، والعمل الصالح .

وهؤلاء المفترون وصفوهم بنقيض ذلك ، بأنهم لم يكونـوا يعلمون الحق ويتبعونه ، بل كان أكثرهم عنـدهم يعلمـون الحـق ويخالفونه ، كما يزعمون في الخلفاء الثلاثة ، وجمهور الصـحابة ، والأمة ، وكثير منهم عندهم لا يعلم الحق ، بل اتبع الظـالمين تقليداً لعدم نظرهم المفضى إلى العلـم ، والـذي لـم ينظـر قـد يكون تركه النظر لأجل الهوى وطلب الدنيا ، وقد يكون لقصوره ونقص إدراكه .

وادعى أن منهم من طلب الأمر لنفسه بحق يعني عليـاً ، وهذا مما علمنا بالاضطرار أنه لـم يكـن ، فلـزم مـن ذلـك علـى قول هؤلاء أن تكون الأمة كلها كانت ضالة ، بعد نبيها ليـس فيهـا مهتد .

فتكون اليهود ولنصارى بعد النسخ والتبديل خيراً منهم ، لأنهم كمـا قـال تعـالى: ﴿**وَمِنْ قَـوْمِ مُوسَـى أُمَّـةً يَهْـدُونَ بِالحَقِّ وَهُمْ يَعْدِلُون**﴾[1] . وقد أخبر النـبي صـلى اللـه تعـالى عليه وسلم أن اليهود والنصارى افترقت علـى أكـثرمن سـبعين فرقة ، فيها واحدة ناجية ، وهذه الأمة على موجب ما ذكروه لـم يكن فيهم بعد موت النـبي صـلى اللـه تعـالى عليـه وسـلم أمـة تقوم بالحق ولا تعدل به، وإذا لـم يكـن ذلـك فـي خيـار قرونهـم ففيما بعد ذلك أولى .

فيلزم من ذلك ان يكون اليهود والنصارى بعـد النسـخ والتبديل خيرا من خير أمة أخرجت للناس ، فهذا لازم لما يقوله هؤلاء المفترون ، فإذا كان هذا في حكايته لما جرى عقب مـوت النبي صلى الله تعالى عليـه وسـلم مـن اختلاف الأمـة ، فكيـف سائر ما ينقله ويستدل به ، ونحن نبين ما في هذه الحكايـة مـن الأكاذيب من وجوه كثيرة، فنقول :

ما ذكره هذا المفترى من قوله : أنه لما عمت البليـة علـى كافة المسلمين بمـوت النـبي صـلى اللـه تعـالى عليـه وسـلم . واختلف الناس بعده ، وتعددت آراؤهم بحسـب تعـدد أهـوائهم ، فبعضهم طلب الأمر لنفسه ، وتابعه أكـثر النـاس طلبـاً للـدنيا ، كما اختار عمر بن سعد ، ملك الرى أيامـا يسـيرة لمـا خيـر بينـه

---

[1](1) الآية 159 من سورة الأعراف .

وين قتل الحسين ، مع علمه بان في قتلـه النـار واختيـاره ذلـك في شعره .

فيقال في هذا الكلام من الكذب ، والباطل وذم خيار الأمة ، بغير حـق مـا لا يخفـى مـن وجـوه . (**أحدهما) :**قـوله تعددت آراؤهـم بحسـب تعـدد أهـوائهم ، فيكـون كلهـم متبعيـن أهوائهم ، ليس فيهـم طـالب حـق ، ولا مريـد لـوجه اللـه تعـالى والدار الآخرة ، ولا من كان قوله عن اجتهاد واستدلال .

وعموم لفظه يشمل علياً وغيره ، وهؤلاء الذين وصفهم بهـذا ، هم الـذين أثنـى اللـه عليهـم هـو ورسـوله ، ورضـي اللـه عنهـم ووعدهم الحسنى ، كما قال تعـالى : ﴿**وَالسَّـابِقُونَ الأَوَّلُـونَ مِنَ المُهَاجِرينَ وَالأَنْصَـار الَّـذِينَ اتَّبَعُـوهُم بِإِحْسَـان ﴿م وَرَضُـوا عَنْـهُ وَأَعَـدَّ لَهُـمْ جَنَّـاتٍ تَجْـرِي تَحْتهـا الأَنْهَـار خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيم** ﴾ [1] .وقال تعالى : ﴿ **مُحَمَّدٌ رَسُـولُ اللـهِ وَالَّـذِينَ مَعَـهُ أَشِـدَّاءَ عَلَـى الكُفَّـارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللـهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُم في وُجُوهِهِم مِنْ أَثَـرِ السُّـجُودْ ذَلِـكَ مَثَلُهُمْ في التَّوْرَاةِ ، وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلَ كَـزَرْعٍ أَخْـرَجَ شَطْأَهُ فآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْـتَوَى عَلَـى سُـوقِهِ يُعْجِـبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِم الكُفَّار ، وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُـمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيمًا** ﴾[2] **.**

وقال تعالى : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِـأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِـهِمْ فِـي سَـبِيلِ اللـهِ وَالَّـذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُوْلَئِكَ بَعضُهم أَوْلِيَاءَ بَعْـض** –إلـى قـوله– **أُوْلَئِـكَ هُمُ المُؤْمِنُونَ حَقًّـا لَهُـم مَغْفِـرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيـم وَالَّـذِينَ آمَنُوا مِن بَعد وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُـم فَأُوْلَئِـكَ مِنْكُـم** ﴾[3] **.**

وقال تعالى : ﴿**لاَ يَسْتَوِي مِنْكُم مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَل أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِـنْ بَعْد وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الحُسْنَى** ﴾[4] **.**

---

[1](1) الآية 100 من سورة التوبة .
[2](2) الاية 29 من سورة الفتح .
[3](3) الآيات من 72- 75 من سورة الأنفال .
[4](4) الآية 10 من سورة الحديد .

وقال تعالى : ﴿ **للفقراءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَـارِهِمْ وَأَمْـوَالِهِم يَبْتَغُونَ فَضْـلاً مِـنَ اللـهِ وَرِضـوانًا وَيَنْصُرُونَ الله وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُـم الصَّـادِقُون وَالَّـذِينَ تَبَوّؤا الدَّارَ وَالإِيمَان مِن قَبْلِهِم يُحِبُّون مَن هَاجَرَ إِلَيْهِم وَلاَ يَجِدُونَ في صُـدُورِهِم حَاجَـةً مِمَّـا أُوتُـوا وَيُـؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفسِهِم وَلَوْ كَانَ بِهِـمْ خَصَاصَـة وَمَـن يُـوقَ شُـحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْـدِهِم يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَان وَلاَ تَجْعَلْ في قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُـوا رَبَّنَـا إِنَّـكَ رَءُوفٌ رَحِيم ﴾**[1] .

وهذه الآيات تتضمن الثناء على المهاجرين ، والأنصار ، وعلى الذين جاءوا من بعدهم ، يستغفرون لهم ويسألون الله أن لا يجعل في قلوبهم غلا لهم ، وتتضمن أن هؤلاء الأصناف هم المستحقون للفيء .

ولا ريب أن هؤلاء الرافضة خارجون من الأصناف الثلاثة فإنهم لم يستغفروا للسابقين ، وفي قلوبهم غل عليهم ، ففي الآيات الثناء على الصحابة، وعلى أهل السنّة الذين يتولونهم ، وإخراج الرافضة من ذلك ، وقد روى ابن بطة وغيره من حديث أبي بدر ، قال : حدثنا عبد الله بن زيد ، عن طلحة بن مصرف ، عن مصعب بن سعد ، عن سعد بن أبي وقاص ، قال : ((الناس على ثلاث منازل فمضت منزلتان وبقيت واحدة ، فأحسن ما أنتم عليه كائنون، أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت .

ثم قرأ ﴿ **للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، هؤلاء المهاجرون ، وهذه منزلة قد مضت، ثم قرا والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا . ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصا صة﴾** .

ثم قال هؤلاء الأنصار وهذه منزلة قد مضت .

ثم قرأ ﴿ **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ ، يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَان ، وَلا تَجْعَلْ**

---

[1](1) الآيات 10،9،8 من سورة الحشر .

في قُلُوبِنَا غُلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا، رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ [1] ، فقد مضت هاتان وبقيت هذه المنزلة ، فأحسن ما أنتم عليه كائنون أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت أن تستغفروا لهم)) [2] .

وروى أيضا بإسناده عن مالك بن أنس أنه قال:((من سب السلف فليس له في الفيء نصيب)) لأن الله تعالى يقول : **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِم** [3] -الآية – وهذا معروف عن مالك ، وغير مالك من أهل العلم كأبي عبيد القاسم بن سلام [4] .

وكذلك ذكره أبو حكيم النهرواني ، من أصحاب أحمد وغيره من الفقهاء، وروى أيضا عن الحسن بن عمارة ، عن الحكيم عن مقسم عن ابن عباس ما . قال : ((أمر الله بالاستغفار لأصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وهو يعلم أنهم يقتتلون)) [5] .

وقال عروة قالت لي عائشة ا : ((يا ابن أختي أمروا بالاستغفار لأصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم . فسبوهم)) [6] .

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري قال . قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : ((لا تسبوا أصحابي فلو ان أحدهم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)) [7] .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : ((لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)) [8] .

وفي صحيح مسلم أيضاً عن جابر بن عبد الله قال : قيل لعائشة : ((إن ناسا يتناولون أصحاب رسول الله صلى الله

---

[1] (1) الآية 10 من سورة الحشر .
[2] (2) يظهر أن هذا الأثر في الإبانة الكبرى إذ لم أجده في الصغرى .
[3] (3) هذا الأثر في الإبانة مختصرا ص 162 والظاهر أن المؤلف ينقل عن الكبرى .
[4] (4) انظر المرجع المذكور ص 162 .
[5] (5) المرجع المذكور ص 119 .
[6] (6) انظر الإبانة ص 120 .
[7] (7) البخاري ج 5 ص 8 و مسلم ج 4 ص 1967 .
[8] (8) مسلم ج 4 ص 1967 .

تعالى عليه وسلم ، حتى أبا بكر وعمر ، فقالت وما تعجبون من هذا ، انقطع عنهم العمل ، فأحب الله أن لا يقطع عنهم الأجر))[1].

وروى ابن بطة بالإسناد الصحيح عن عبد الله بن أحمد قال حدثني أبي . حدثنا معاوية . حدثنا رجاء عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ((لا تسبوا أصحاب محمد فإن الله تعالى قد أمرنا بالاستغفار لهم وهو يعلم أنهم سيقتلون))[2].

ومن طريق أحمد ، عن عبد الرحمن بن مهدي ، وطريق غيره عن وكيع ، وأبي نعيم ثلاثتهم ، عن الثوري ، عن نسير بن ذعلوق ، سمعت عبد الله بن عمر يقول : ((لا تسبوا أصحاب محمد ، فلمقام أحدهم ساعة يعني مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خير من عمل أحدكم أربعين سنة)).

وفي رواية وكيع (خير من عبادة أحدكم عمره) .

وقال تعالى :﴿ **لقد رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَة فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِم وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيمًا وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُم هَذِهِ وَكَفَّ أَيدي النَّاسِ عَنْكُم وَلِتَكُونَ آيةً للمُؤمِنِين وَيهْدِيكُم صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللهُ بِهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرًا** ﴾[3]

وقد أخبر الله أنه سبحانه وتعالى رضي عنهم ، وأنه علم ما في قلوبهم ، وأنه أثابهم فتحا قريبا .

وهؤلاء هم أعيان من بايع أبا بكر وعمر وعثمان ، بعد موت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، لم يكن في المسلمين من يتقدم عليهم ، بل كان المسلمون كلهم يعرفون فضلهم عليهم ، لأن الله تعالى بين فضلهم في القرآن بقوله : ﴿ **لاَ يَسْتَوِي مِنْكُم مَن أَنْفَقَ مِن قَبْلِ الفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذينَ أَنْفَقُوا مِن بَعدُ وَقَاتَلوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الحُسْنَى** ﴾[4] .

---

[1] (2) يظهر أنه في بعض النسخ فإني لم أجده في مسلم .

[2] (3) انظر الإبانة ص 119 .

[3] (1) الآيات 18-21 من سورة الفتح .

[4] (2) الآية 10 من سورة الحديد .

ففضل المنفقين المقاتلين قبل الفتح ، والمراد بالفتح هنا صلح الحديبية ، ولهذا سئل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « أو فتح هو ؟ فقال : نعم »[1].

وأهل العلم يعلمون أن فيه أنزل الله تعالى : ﴿ **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَينْصُرَكَ اللهُ نَصْرًا عَزِيزاً** ﴾. فقال بعض المسلمين : يا رسول الله هذا لك ، فما لَنا ؟ يا رسول الله . فأنزل الله تعالى : ﴿ **هوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ في قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِم** ﴾.

وهذه الآية نص في تفضيل المنفقين المقاتلين قبل الفتح على المنفقين بعده، ولهذا ذهب جمهورالعلماء إلى أن السابقين في قوله تعالى: ﴿ **وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَار** ﴾ [2] هم هؤلاء الذين أنفقوا من قبل الفتح قاتلوا ، وأهل بيعة الرضوان كلهم منهم ،وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة ، وقد ذهب بعضهم إلى أن السابقين الأوّلين، هم من صلى إلى القبلتين ، وهذا ضعيف ، فإن الصلاة إلى القبلة المنسوخة ليس بمجرده فضيلة، ولأن النسخ ليس من فعلهم ، الذي يفضلون به ، ولأن التفضيل بالصلاة إلى القبلتين لم يدل عليه دليل شرعي ، كما دل على التفضيل بالسبق إلى الإنفاق والجهاد ، والمبايعة تحت الشجرة .

وقد علم بالاضطرار أنه كان في هؤلاء السابقين الأولين أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وبايع النبي بيده عن عثمان ، لأنه كان غائبا قد أرسله إلى أهل مكة ليبلغهم رسالته ، وبسببه بايع النبي الناس ، لما بلغه أنهم قتلوه : وقد ثبت في صحيح مسلم، عن جابر بن عبد الله ﷺ أنه قال : « لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة »[3]، وقال تعالى:﴿ **لقدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِي وَالمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الَّذِينَ اتّبَعُوهُ في سَاعَةِ العُسْرَة مِن بَعْدِ مَا كَانَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهَمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِم إِنَّهُ بِهِم رَءُوفٌ رَحِيم** ﴾[4] .فجمع بينهم وبين رسول الله في التوبة . وقال تعالى : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ**

---

[1](3) انظر سنن أبي داود ج 3 ص 101 .
[2](4) الآية 100 من سورة التوبة .
[3](1) مسلم ج 4 ص 1942 رقم 2496 .
[4](2) الآية 117 من سورة التوبة .

آمَنُـوا وَهَـاجَرُوا وَجَاهَـدُوا بِـأَمْوَالِهِم وَأَنْفُسِـهِم فـي سَبِيلِ اللهِ ، وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُوْلَئِكَ بَعْضُهُم أَوْلِيَـاءَ بَعْض ، وَالَّذِينَ آمَنُـوا وَلَـمْ يُهَـاجِرُوا –إلـى قـوله تعـالى– **وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعد وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُم فَأُوْلَئِـكَ مِنْكُـم** [1] فـأثبت المـوالاة بينهـم وقـال للمـؤمنين: **يـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا اليَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضـهُم أَوْلِيَاءَ بَعْض وَمَن يَتَوَلَّهُم مِنْكُـمْ فَـإِنَّهُ مِنْهُـم إِنَّ اللـهَ لاَ يَهْدِي القَـوْمَ الظَّـالِمِين** –إلـى قـوله– **إِنَّمَـا وَلِيُّكُـمُ اللـه وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذينَ يُقِيمُـونَ الصَّـلاةَ وَيُؤْتُـونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُون ، وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّـذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُـمُ الغَـالِبُون** [2] . وقـال تعـالى : **وَالمُؤمِنُونَ وَ المُؤمِنَات بَعْضَهُم أَوْلِيَاء بَعْض** [3].

فأثبت الموالاة بينهم، وأمرهم بموالاتهم ، والرافضة تتبرأ منهـم ولا تتـولاهم ،وأصـل المـوالاة المحبـة ، وأصـل المعـاداة البغض ،وهم يبغضونهم ولا يحبونهم .

وقد وضع بعض الكذابين حديثا مفترى ، أن هذه الآية نزلت في علي لما تصدق بخاتمه في الصلاة ، وهذا كذب بإجماع أهـل العلم بالنقل ، وكذبه بيّن من وجوه كثيرة .

منها أن قوله الذين صيغة جمع . وعلي واحد .

ومنها أن الواو ليست واو الحال إذ لو كان كذلك لكان لا يسوغ أن يتـولى إلا مـن أعطـى الزكـاة فـي حـال الركـوع . فلا يتولى سائر الصحابة والقرابة .

ومنها ان المدح إنما يكون بعمل واجب أو مستحب ، وإيتاء الزكاة في نفس الصلاة ليس واجب ولا مستحب ، باتفاق علماء الملة ، فإن الصلاة شغلا.

ومنها أنه لو كان إيتاؤها في الصلاة حسنا لم يكن فرق بين حال الركوع وغير الركوع ، بل إيتاؤها في القيام و القعود أمكـن .

ومنها أن عليا لم يكن عليه زكاة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

ومنها أن إيتاء غير الخاتم في الزكاة خير من إيتاء الخاتم ، فإن أكثر الفقهاء يقولون لا يجزئ إخراج الخاتم في الزكاة .

---

[1] (3) الآيات 72-75 من سورة الأنفال .

[2] (1) الآيات من 51 – 56 من سورة المائدة .

[3] (2) الآية 71 من سورة التوبة .

ومنها أن هذا الحديث فيه أنه أعطاه السائل ،والمدح في الزكـاة أن يخرجهـا ابتـداء ويخرجهـا علـى الفـور ، لا ينتظـر أن يسأله سائل .

ومنها أن الكلام في سياق النهي عن موالاة الكفار ، والأمر بموالاة المؤمنين ، كما يـدل عليـه سـياق الكلام ، وسـيجيء إن شاء الله تعالى تمـام الكلام علـى هـذه الآيـة ، فـإن الرافضـة لا يكادون يحتجون بحجة إلا كانت حجة عليهم لا لهم ، كاحتجـاجهم بهذه الآية على الولاية التي هي الإمارة ، وإنما هـي فـي الولايـة التي هي ضد العداوة .

والرافضة مخالفون لها ، والإسماعيلية والنصيرية ونحوهم يوالون الكفار ، من اليهود والنصارى والمشـركين والمنـافقين ، ويعادون المـؤمنين مـن المهـاجرين والأنصـار والـذين اتبـوعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وهذا أمر مشهور .

يعادون خيار عباد الله المؤمنين ويوالون اليهود والنصارى والمشركين من الترك وغيرهم ، وقال تعالى : ﴿ **يا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِين**﴾[1] . أي الله كافيك ومن اتبعـك مـن المـؤمنين ، والصـحابة أفضـل مـن اتبعـه مـن المؤمنين، وأولهم و قال تعالى : ﴿ **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالفَتْح وَرَأَيْتَ النَّـاسَ يَـدْخُلُونَ فـي دِيـنِ اللـهِ أَفْوَاجًـا فَسَـبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا** ﴾.

والذين رآهم النبي ﷺ يدخلون في دين الله أفواجا هم الذين كانوا على عصره، وقال تعالى : ﴿ **هـوَ الَّـذِي أَيَّـدَكَ بِنَصْـرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّـفَ بَيْـنَ قُلُـوبِهِمْ** ﴾[2] . و إنمـا أيـده فـي حياته بالصحابة ، و قال تعالى :

﴿ **وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ المتُّقُون لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِين لِيُكَفِّرَ اللـهُ عَنْهُمْ أَسْـوَأَ الَّـذِي عَمِلُـوا وَيَجْزِيَهُـم أَجْرَهُـم بِأَحْسَـنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُون** ﴾[3] .

وهذا الصنف الذي يقول الصدق ، ويصدق به خلاف الصنف الذي يفتري الكذب أو يكـذب بـالحق ، لمـا جـاءه كمـا سنبسـط القول فيهما إن شاء الله تعالى .

---

[1](1) الآية 64 من سورة الأنفال .

[2](2) الآية 62 من سورة الأنفال .

[3](3) الآيات 33-35 من سورة الزمر .

والصحابة الذين كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله ، وأن محمـدا رسـول اللـه ، وأن القـرآن حـق ، هـم أفضـل مـن جـاء بالصدق وصدق به ، بعد الأنبياء وليس فـي الطوائـف المنتسـبة إلى القبلة أعظم افتراء للكـذب علـى اللـه وتكـذيبا بـالحق مـن المنتسبين إلى التشيع . ولهذا لا يوجد الغلو في طائفة أكثر مما يوجد فيهم .

ومنهم من ادعى إلهية البشر ، وادعى النبوة في غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وادعى العصمة في الأئمة ، ونحـو ذلك مما هو أعظم مما يوجد في سائر الطوائـف ، واتفـق أهـل العلم أن الكذب ليس في طائفة من المنتسبين إلى القبلة أكـثر منه فيهـم ، وقـال تعـالى : ﴿ **قلِ الْحَمْـدُ للـهِ وَسَـلاَمٌ عَلَـى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى** ﴾. قال طائفة من السلف هم أصحاب محمـد صـلى اللـه تعـالى عليـه وسـلم ،ولا ريـب أنهـم أفضـل المصطفين من هذه الأمة ، التي قال اللـه فيهـا : ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَـا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُم ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُقْتَصِد وَمِنْهُم سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللـه ذَلِـكَ هُوَ الْفَضْلُ الكَبِير جَنَّـات عَـدْنٍ يَـدْخُلُونَهَا يُحَلَّـوْنَ فِيهَـا مِـنْ أَسَـاوِرَ مِـنْ ذَهَـبٍ وَلُؤْلُـؤًا وَلِبَاسُـهُم فِيهـا حَرِيـر وَقَالوا الْحَمْدُ للهِ الَّذي أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَن إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُـورٌ شَكُور الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لاَ يَمَسّنَا فيها نَصبٌ وَلاَ يَمَسُّنَا فيها لُغُوب** ﴾[1] .

فأمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الذين أورثوا الكتاب بعد الأمتين قبلهم اليهود والنصارى .

وقد أخبر الله تعالى أنهم الذين اصطفى .

وتواتر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « خير القرون القرن الـذي بعثـت فيـه ، ثـم الـذين يلـونهم، ثـم الذين يلونهم »، ومحمد صلى الله تعالى عليـه وسـلم وأصـحابه هم المصطفون ، من المصطفين من عباد الله وقـال تعـالى : ﴿ **مُحمـدٌ رَسُـولُ اللـهِ وَالَّـذِينَ مَعَـهُ أَشِـدَّاءَ عَلَـى الْكُفَّـارُ رُحَمَاءَ بَيْنَهُم** ﴾[2] إلى آخر السورة . وقال تعالى ﴿**وَعَدَ اللـهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فـي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِـن قَبْلِهِـم وَلَيُمَكِّنَـنَّ لَهُـمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُـم وَلَيُبْـدِلَنَّهُم مِـنْ بَعْـدِ خَـوْفِهِمْ**

---

[1] ( ) الآيات 32 – 35 من سورة فاطر .

[2] (1) الآية 29 من سورة الفتح .

أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُون [1] . فقد وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالاستخلاف ، كما وعدهم في تلك الآية مغفرة وأجرا عظيما ، والله لا يخلف الميعاد .

فدل ذلك أن الذين استخلفهم كما استخلف الذين من قبلهم ومكن لهم دين الإسلام ، وهو الدين الذي ارتضاه لهم ، كما قال تعالى : **وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا** [2] وبدلهم بعد خوفهم أمنا لهم [3] المغفرة والأجر العظيم .

وهذا يستدل به على وجهين : على أن المستخلفين مؤمنون عملوا الصالحات ، لأن الوعد لهم لا لغيرهم ، ويستدل به على ان هؤلاء مغفور لهم، ولهم أجر عظيم ، لأنهم آمنوا وعملوا الصالحات ، فتناولتهم الآيتان – آية النور وآية الفتح .

من المعلوم أن هذه النعوت منطبقة على الصحابة على زمن أبي بكر وعمر وعثم ان ، فإنه إذ ذاك حصل الاستخلاف ، وتمكن الدين والأمن ، بعد الخوف لما قهروا فارس والروم وفتحوا الشام والعراق ، ومصر وخراسان ، وأفريقية .

ولما قتل عثمان وحصلت الفتنة لم يفتحوا شيئا من بلاد الكفار ، بل طمع فيهم الكفار بالشام وخراسان ، وكان بعضهم يخاف بعضاً .

وحينئذ قد دل القرآن على إيمان أبي بكر وعمر وعثمان ،ومن كان معهم في زمن الاستخلاف والتمكين والأمن ، والذين كانوا في زمن الاستخلاف والتمكين والأمن أدركوا زمن الفتنة كعلي وطلحة وأبي موسى الأشعري ، ومعاوية وعمرو بن العاص ، دخلوا في الآية لأنهم استخلفوا ومكنوا ، وأمنوا .

و أما من حدث في زمن الفتنة كالرافضة الذين حدثوا في الإسلام ، في زمن الفتنة والافتراق ، وكالخوارج المارقين ،فهؤلاء لم يتناولهم النص ، فلم يدخلوا فيمن وصف بالإيمان والعمل الصالح ، المذكورين في هذه الآية ، لأنهم أولا ليسوا من الصحابة المخاطبين بهذا .

ولم يحصل لهم من الاستخلاف والتمكين والأمن بعد الخوف ما حصل للصحابة ، بل لا يزالون خائفين مقلقلين غير ممكنين .

---

[1] (2) الآية 55 من سورة النور .

[2] (1) جزء من الآية رقم 3 من سورة المائدة .

[3] (2) قوله " لهم المغفرة والأجر العظيم " خبر عن قوله فدل ذلك الخ .

فإن قيل لما قال وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم ولم يقل وعدهم كلهم . قيل كما قال وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ، ولم يقل وعدكم .

و"من" تكون لبيان الجنس فلا يقتضي أن يكون قد بقي من المجرور بها شيء خارج ، عن ذلك الجنس كما في قوله تعالى :﴿ **فاجتنبوْا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ** ﴾[1] فإنه لا يقتضى أن يكون من الأوثان ما ليس برجس ، وإذا قلت ثوبا من حرير ، فهو كقولك ثوب حرير ، وكذلك قولك باب من حديد فهو، كقولك باب حديد ، وذلك لا يقتضي أن يكون هناك حرير وحديد غير المضاف إليه ، وإن كان الذي يتصوره كليا ، فإن الجنس الكلي ، هو ما لا يمنع تصوره من وقوع الشركة فيه ، وإن لم يكن مشتركاً فيه في الوجود .

فإذا كانت من بيان الجنس ، كان التقدير وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات من هذا الجنس ، وإن كان الجنس كلهم مؤمنين صالحين ، وكذلك إذا قال وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات من هذا الجنس والصنف مغفرة وأجراً عظيما ، لم يمنع ذلك أن يكون جميع هذا الجنس مؤمنين صالحين .

ولما قال لأزواج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم:﴿ **وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ للهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا** ﴾[2] لم يمنع أن يكون كل منهن تقنت لله ورسوله ، وتعمل صالحا ، ولما قال تعالى : ﴿**وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيكُم كَتَبَ رَبُّكُم عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةِ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُم سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾[3] لم يمنع أن يكون كل منهم متصفاً بهذه الصفة ، ولا يجوز ان يقال أنهم لو عملوا سوءاً بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا لم يغفر إلا لبعضهم.

ولهذا تدخل من هذه في النفي لتحقيق نفي الجنس كما في قوله تعالى :

---

[1](1) الآية 30 من سورة الحج .

[2](2) الآية 31 من سورة الأحزاب .

[3](1) الآية 54 من سورة الأنعام .

﴿**وَمَا التَّنَاهُم مِن عَمَلِهِم مِن شَيءٍ**﴾[1] وقوله تعالى: ﴿**وَمَـا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ الله**﴾ [2]﴿**فَمَا مِنْكُم مِن أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِين** ﴾[3] .

ولهذا إذا دخلت في النفي تحقـيقا أو تقديرا أفادت نفـي الجنس قطعاً ، (فالتحقيق مـا ذكـر والتقـدير كقـوله تعـالى: ﴿**لا إله إلا الله**﴾ وقوله: ﴿**لاَرَيْبَ فيه**﴾ ونحو ذلك بخلاف ما إذا لم تكن "من"موجـودة كقولـك ((مـا رأيـت رجلا)) فإنهـا ظـاهرة لنفي الجنس ، ولكن قد يجوز أن ينفي بها الواحد مـن الجنـس ، كما قال سيبويه : يجوز أن يقال ما رأيت رجلا ، بل رجلين .

فتبين أنه يجوز إرادة الواحد ، وإن كان الظاهر نفي الجنس ، بخلاف ما إذا دخلت (من) فإنه ينفي الجنس قطعا ، ولهذا لـو قال لعبيده من أعطاني منكم ألفا فهـو حـر فأعطـاه كـل واحـد ألفا عتقوا كلهم .

وكذلك لو قال واحد لنسائه من أبرأتني منكن من صداقها فهي طالق فأبرأنه كلهن ، طلقن كلهن .

فإن المقصود بقوله منكن بيان جنس المعطى والمبرئ لا إثبات هذا الحكم لبعض العبيد والأزواج .

فإن قيل فهذا كما لا يمنع أن يكون كل المذكور متصفا بهذه الصفة فلا يوجب ذلك أيضا ، فليس فـي قـوله وعـد اللـه الـذين آمنوا منكم و عملوا الصالحات ما يقتضي أن يكونوا كلهم كـذلك .

قيل : نعم ونحن لا ندعي أن مجرد هذا اللفظ دل على ان جميعهم موصوفون بالإيمان والعمـل الصـالح ، ولكـن مقصـودنا أن (من) لا ينافى شمول هذا الوصـف لهـم فلا يقـول قائـل ان الخطاب دل على ان المدح شملهم وعمهم بقوله محمد رسول الله والذين معه إلى آخر الكلام ، ولا ريب أن هذا مدح لهـم بمـا ذكر ، من الصفات ، وهو الشدة علـى الكفـار ، والرحمـة بينهـم والركوع والسجود يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، والسيما فـي وجوههم من أثر السجود ، وانهم يبتدئون من ضعف إلـى كمـال القوة والاعتـدال ، كـالزرع والوعـد بـالمغفرة والأجـر العظيـم ، ليس على مجرد هذه الصفات بل على الإيمان والعمل الصالح .

فذكر ما به يستحقون الوعد ، وإن كانوا كلهم بهذه الصفة ، ولـولا ذكـر ذلـك لكـان يظـن انهـم بمجـرد مـا ذكـر يسـتحقون

---

[1](2) الآية 21 من سورة الطور.
[2](3) الآية 62 من سورة آل عمران .
[3](4) الآية 47 من سورة الحاقة .

المغفرة والأجر العظيم ولم يكن فيه بيان سبب الجزاء ، بخلاف ما إذا ذكر الإيمان والعمل الصالح .

فإن الحكم إذا علق باسم مشتق مناسب كان ما منه الاشتقاق سبب الحكم.

فإن قيل فالمنافقون كانوا في الظاهر مسلمين ، قيل المنافقون لم كونوا متصفين بهذه الصفات ، ولم يكونوا مع الرسول والمؤمنين ولم يكونوا منهم، كما قال الله تعالى : ﴿ **فعسى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا في أَنْفُسِهِم نَادِمِين ، وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنوا أَهَؤُلاَءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِم إِنَّهُم لَمَعَكُم حَبطت أَعْمَالُهُم فَأَصْبَحُوا خَاسِرِين** ﴾[1] ،وقوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ فَإِذَا أُوذوى في اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابَ اللهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولن إِنَّا مَعَكُم أَوَ لَيْسَ الله بِأَعْلَم بِمَا في صُدُور العَالَمِين وَلَيَعْلَمَنَّ الله الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُم وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِين** ﴾[2] **.**

فأخبرأن المنافقين ليسوا من المؤمنين ، ولا من أهل الكتاب .

هؤلاء لا يجدون في طائفة من المتظاهرين بالإسلام ، أكثر منهم في الرافضة ، ومن انطوى إليهم . فدل هذا على ان المنافقين لم يكونوا من الذين آمنوا معه ، والذين كانوا منافقين منهم من تاب عن نفاقه وانتهى عنه ، وهم الغالب بدليل قوله تعالى : ﴿ **لئنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ في قُلُوبِهِم مَرَضٌ وَالْمُرْجَفُونَ في الْمَدِينَةِ لِنُغْرِيَنَّكَ بِهِم ثُمَّ لاَ يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلاَّ قَلِيلاً مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً** ﴾[3] **.**

فلما لم يغره الله بهم ، ولم يقتلهم تقتيلا ، بل كانوا يجاورونه بالمدينة فدل ذلك على أنهم انتهوا ، والذين كانوا معه بالحديبية كلهم بايعوه تحت الشجرة ، إلا الجد بن قيس فإنه اختبأ خلف جمل أحمر .

وكذا حاء في الحديث كلهم يدخل الجنة إلا صاحب الجمل الأحمر ، وبالجملة فلا ريب أن المنافقين كانوا مغمورين

---

[1](1)الآيات 52 –53 من سورة المائدة .

[2](2)الآيتان 10 و 11 من سورة العنكبوت .

[3](1) الآيتان 60 و 61 من سورة الأحزاب.

مقهورين ، أذلاء ، لا سيما في آخر أيام الرسـول . وفي غـزوة تبوك لأن الله تعالى قال : ﴿**يقولون لئن رَجعنا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيَخْرُجَــنَّ الأَعَــزُّ مِنْهَــا الأَذَلَّ وَللــه العِــزَّةُ لِرَسُــولِهِ وَلِلْمُؤمِنِين وِلَكِن الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُون**﴾[1] .

فأخبر أن العزة للمؤمنين ، لا للمنافقين ، فعلم أن العزة والقوة كانت في المؤمنين ، وأن المنافقين كانوا أذلاء بينهم .

فيمتنع أن تكون الصحابة الذين كانوا أعـز المسـلمين مـن المنافقين ، بل ذلك يقتضى أن من كان أعز كان أعظم إيمانا .

ومـن المعلـوم أن السـابقين الأوليـن مـن المهـاجرين والأنصار ، الخلفاء الراشدين وغيرهم كـانوا اعـز النـاس ، وهـذا كله مما يبين أن المنافقين كانوا ذليلين في المؤمنين .

فلا يجوز أن يكون الأعزاء من الصحابة منهـم ، ولكـن هـذا الوصف مطابق للمتصفين بـه مـن الرافضـة وغيرهـم ،والنفـاق والزندقة في الرافضة أكثر منه في سائر الطوائف .

بل لا بد لكل منهم من شـعبة نفـاق ، فـإن أسـاس النفـاق الذي بني عليه ، الكذب ، وأن يقول الرجل بلسانه ما ليـس فـي قلبه ، كما اخبر الله تعالى عن المنافقين أنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم .

والرافضـة تجعـل هـذا مـن أصـول دينهـا وتسـميه التقيـة وتحكى هذا عن أئمة أهل البيت الـذين برأهـم اللـه عـن ذلـك ، حتى يحكوا ذلك عن جعفر الصادق أنه قـال التقيـة دينـي وديـن آبائي و قد نزه الله المؤمنين من أهل البيت وغيرهم عن ذلك.

بل كانوا من أعظم الناس صدقا وتحقيقا للإيمـان ، وكـان دينهــم التقــوى لا التقيــة ، وقــول اللــه تعــالى : ﴿**لاَ يَتَّخِــذِ الْمُؤْمِنونَ الكَـافِرِينَ أَوْلِيَـاءَ مِـنْ دُونِ الْمُـؤْمِنِين وَمَـنْ يَفْعَل ذَلِكَ فَلَيْسمِنَ اللهِ في شَيء إِلاَّ أَنْ تَتَّقُـوا مِنْهُـم تُقَاه**﴾[2].إنما هو الأمر بالاتقاء مـن الكـافرين ، لا الأمـر بالنفـاق والكذب .

والله تعالى قد أباح لمن أكره على كلمـة الكفـر أن يتكلـم بها ، إذا كان قلبه مطمئنا بالإيمان ، لكن لم يكره أحداً من أهـل البيت على شيء من ذلك ، حتى أن أبا بكـر لـم يكـره أحـدا لا

---

[1](2) الآية 8 من سورة المنافقون .

[2](1) الآية 28 من سورة آل عمران .

منهم، ولا من غيرهم على متابعته، فضلا على ان يكرههم على مدحه ، والثناء عليه.

بل كان علي وغيره من أهل البيت يظهرون ذكر فضائل الصحابة والثناء عليهم والترحم عليهم والدعاء لهم ولم يكن أحد يكرههم على شيء منه باتفاق الناس .

وقد كان زمن بني أمية وبني العباس خلق عظيم دون عليّ وغيره في الإيمان والتقوى يكرهون منهم أشياء ولا يمدحونهم ولا يثنون عليهم ، ولا يقربونهم ، ومع هذا لم يكن هؤلاء يخافونهم ، ولم يكن أولئك يكرهونهم مع أن الخلفاء الراشدين كانوا باتفاق الخلق أبعد عن قهر الناس وعقوبتهم على طاعتهم ، من هؤلاء .

فإذا كان لم يكن الناس مع هؤلاء مكرهين على ان يقولوا بألسنتهم خلاف ما في قلوبهم ، فكيف يكونون مكرهين مع الخلفاء على ذلك ، بل على الكذب وشهادة الزور وإظهار الكفر ، كما تقوله الرافضة من غير ان يكرههم أحد على ذلك .

فعلم أن ما تتظاهر به الرافضة هو من باب الكذب والنفاق ، وأنهم يقولوا بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ، لا من باب ما يكره المؤمن عليه ، من التكلم بالكفر وهؤلاء أسرى المسلمين ، في بلاد الكفار غالبهم يظهرون دينهم،والخوارج مع تظاهرهم بتكفير الجمهور، وتكفير عثمان وعلي ومن ولاهما يتظاهرون بدينهم.

وإذا سكنوا بين الجماعة ، سكنوا على الموافقة والمخالفة ، والذي يسكن في مدائن الرافضة فلا يظهر الرفض وغايته إذا ضعف ان يسكت عن ذكر مذهبه لا يحتاج أن يتظاهر بسب الخلفاء والصحابة، إلا أن يكونوا قليلا .

فكيف يظن بعلي وغيره من أهل البيت أنهم كانوا اضعف دينا من الأسري في بلاد الكفر ، ومن عوام أهل السنة ، ومن النواصب ، مع أنا قد علمنا بالتواتر أن أحدا لم يكره عليّا ولا أولاده على ذكر فضائل الخلفاء ، والترحم عليهم ، بل كانوا يقولون ذلك من غير إكراه ، ويقوله أحدهم لخاصته كما ثبت ذلك بالنقل المتواتر .

وأيضا فقد يقال في قوله تعالى : **وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُم وَعَمِلوا الصَّالِحَات** أن ذلك وصف الجملة بصفة تتضمن حالهم عند الاجتماع كقوله تعالى : **وَمَثَلُهُم في الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغيظَ بِهِم الكُفَّار**

والمغفرة والأجر في الآخرة يحصل لكل واحد واحـد ، فلا بـد ان يتصف بسبب ذلك ، وهو الإيمان والعمـل الصـالح، إذ قـد يكـون في الجملة منافقا .

وفي الجملة ما في القرآن من خطاب المؤمنين والمتقين والمحسنين ، ومدحهم والثناء عليهم ، فهـم أول مـن دخـل فـي ذلك من هذه الأمة ، وأفضل من دخل في ذلـك مـن هـذه الأمـة كما استفاض عن النبي صلى الله تعـالى عليـه وسـلم مـن غيـر وجه أنه قال : ((خير القرون القرن الذي بعثت فيهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم))[1] .

(الوجه الثاني) : في بيان كذبه وتحريفه فيما نقله عـن حال الصحابة بعد موت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم .

(قوله : فبعضهم طلب الأمر لنفسه بغير حق ، وبايعه اكـثر الناس طلبا للدنيا) .

وهذا إشارة إلى أبي بكر فإنه هو الذي بايعه أكثر الناس ، ومن المعلوم أن أبا بكر لم يطلب الأمر لنفسه ، لا بحق ولا بغير حق ، بل قال: قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين ، إما عمـر بـن الخطاب وإما أبا عبيدة .

قال عمر : فوالله لأن أقدم فتضرب عنقي لا يقرّبني ذلـك إلـى إثم أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر ، وهذا اللفـظ في الصحيحين[2] .

وقد روى عنه انه قال : أقيلوني، أقيلوني ، فالمسلمون اختاروه وبايعوه ، لعلمهم بأنه خيرهم ، كمـا قـال لـه عمـر يـوم السقيفة بمحضر المهاجرين والأنصار أنت سيدنا وخيرنا ، وأحبنا إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم ينكر ذلك أحد ، وهذا أيضا في الصحيحين[3] .

والمسلمون اختاروه كما قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الحديث الصحيح لعائشـة : ((ادعـى لـي أبـاك وأخـاك حـتى أكتب لأبي بكر كتابا، لا يختلف عليه الناس من بعـدي ، ثـم قـال يأبى الله والمؤمنون أن يتولى غير أبـي بكـر))[4] فـالله هـو ولاه

---

(1)[1] انظر البخاري ج 3 ص 171 ومواضع أُخر ، ومسلم ج 4 ص 1962 .
(2)[2] انظر البخاري ج 8 ص 140 – 142 .
(3)[3] انظر الذي قبله .
(1)[4] وقد سبق ذكره ص 63 .

قدرا ، وشرعا ، وأمر المؤمنين ، بولايته ، وهداهم إلـى أن ولـوه من غير أن يكون طلب ، ذلك لنفسه .

(الوجه الثالث) : أن يقال فهب أنه طلبهـا وبـايعه أكـثر الناس فقولكم : أن ذلك طلب للدنيا كذب ظاهر .

فإن أبا بكر لم يعطهم دنيا ، وكان قد أنفق ماله في حيـاة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، ولما رغب النبي صـلى اللـه تعالى عليه وسلم في الصـدقة جـاء بمـاله كلـه ، فقـال لـه:((مـا تركت لأهلك . قال :تركت لهم الله ، ورسوله))[1]

والذين بايعوه هم أزهد الناس في الدنيا ، وهم الذين أثنى الله عليهم.

وقد علم الخاص والعام زهد عمر ، وأبي عبيدة ، وأمثالهمـا ، وإنفاق الأنصار أموالهم كأسيد بن حضير ، وأبي طلحة ، وأبـي أيوب وأمثالهم .

ولم يكن عند موت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لهم بيت مال يعطيهم ما فيه ، ولا كان هنـاك ديـوان للعطـاء يفـرض لهم فيه ، والأنصار كانوا في أملاكهم ، وكـذلك المهـاجرون مـن كان له شيء من مغنم أو غيره فقد كان له .

وكانت سيرة أبي بكر في قسم الأموال التسـوية ، وكـذلك سيرة علي ، فلو بايعوا عليّا أعطاهم ما أعطاهم أبو بكر ، مع كون قبيلته أشرف القبائل ، وكون بني عبد مناف وهم أشــراف قريش الذين هم اقرب العرب مـن بنـي أميـة وغيرهـم إذ ذلـك كأبي سفيان بن حرب وغيره ، وبنـي هاشـم كالعبـاس وغيـره ، كانوا معه .

فقد أراد أبو سفيان وغيره أن تكون الإمارة فـي بنـي عبـد مناف ، على عادة الجاهلية فلم يجبه إلى ذلك علي ولا عثمـان ، ولا غيرهمـا لعلمهـم ، أو دينهـم فـأيّ رياسـة ، وأي مـال كـان لجمهور المسلمين بمبايعة أبي بكر ، لا سـيما وهـو يسـوّي بيـن السابقين والأولين ، وبين آحاد المسلمين في العطاء ، ويقـول : إنما أسلموا لله وأجورهم على الله ،وإنما هذا المتاع بلاغ .

---

[1](2) انظر البخاري ج 2 ص 112 وغيره .

وقال لعمر لما أشارعليه بالتفضيل في العطاء : أفأشـتري منهم إيمانهم ؟

فالسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين اتبعـوهم أولا ، كعمر وأبي عبيدة وأسيد بن حضير وغيرهم ، سوّى بينهم وبين الطلقاء الذين أسلموا عام الفتـح ، وبيـن مـن أسـلم بعـد مـوت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، فهل حصل لهؤلاء من الـدنيا بولايته شيء .

(**الوجه الرابع) :** أن يقـال : أهـل السـنّة مـع الرافضـة كالمسلمين مع النصارى ، فإن المسلمين يؤمنون بـأن المسـيح عبد اللـه ورسـوله ، ولا يغلـون فيـه غلـو النصـارى ، ولا يجفـون جفاء اليهود .

والنصارى تدعى فيه الإلهية وتريـد أن تفضـله علـى محمـد وإبراهيم وموسى ، بل تفضل الحواريين على هؤلاء الرسل .

كما تريد الروافض أن تفضل من قاتل مع علي كمحمد بـن أبي بكر والأشتر النخعي على أبي بكر وعمـر وعثمـان وجمهـور المهاجرين والأنصار ، فالمسلم إذا ناظر النصـراني لا يمكنـه أن يقـول فـي عيسـى إلا الحـق ، لكـن إذا أردت أن تعـرف جهـل النصراني وأنه لا حجة له فقدّر المناظرة بينه وبين اليهود .

فإن النصراني لا يمكنه أن يجيـب عـن شـبهة اليهـودي[1] إلا بمـا يجيب به المسـلم، فـإن لـم يـدخل فـي ديـن الإسـلام وإلا كـان منقطعا مع اليهودي ، فإنه إذا أمـر بالإيمـان بمحمـد صـلى اللـه تعالى عليه وسلم .

فإن قدح في نبوته بشيء من الأشياء ، لم يمكنه أن يقول شيئا إلا قال اليهودي في المسيح ما هو أعظـم مـن ذلـك ، فـإن البينات لمحمد أعظم من البينات للمسيح .

---

[1](1) يعني أن اليهود يرمون مريم بالفجور ، وما دام النصراني يكذب ما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم لا يمكنه الرد علـى اليهـود فـي أمـر عيسى . لأن عيسى أمر بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فـإذا امتنـع النصارى من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسـلم صـار ذلـك فيـه كـذيب لعيسى .

وبعد أمـره عـن الشـبهة ، أعظـم مـن بعـد المسـيح عـن الشبهة ، فإن جاز القـدح فيمـا دليلـه أعظـم وشـبهته أبعـد عـن الحق ، فالقدح فيما دونه أولى .

وإن كان القدح في المسيح باطلا فالقدح في محمـد أولـى بـالبطلان ، فـإنه إذا بطلـت الشـبهة القويـة فالضـعيفة أولـى بالبطلان ، وإذا ثبتت الحجة التي غيرها أقوى منها فالقوية أولـى بالإثبات .

ولهذا كان مناظرة كثير من المسلمين للنصـارى مـن هـذا الباب كالحكاية المعروفة عن القاضي أبي بكر بن الطيب ، لمـا أرسله المسلمون إلـى ملـك النصـارى بالقسـطنطينية ، فـإنهم عظموه ، وعرف النصارى قدره ، فخافوا أن لا يسجد للملك إذا دخل ، فأدخلوه من باب صغير ليدخل منحنيا ، ففطن لمكرهـم ، فدخل مستدبرا متلقيا لهم بعجزه .

ففعـل نقيـض مـا قصـدوه ، ولمـا جلـس وكلمـوه ، أراد بعضهم القدح فـي المسـلمين ، فقـال لـه مـا قيـل فـي عائشـة امرأة نبيكم ، يريد إظهار قول الإفك الذي يقوله من يقـول مـن الرافضة ، أيضا .

فقال القاضي ثنتان قدح فيهما ورميتا بالزنا إفكـا وكـذبا ، مريم وعائشة فأما مريم فجاءت بالولـد تحملـه مـن غيـر زوج ، وأما عائشة فلم تأت بولد مع أنه كان لها زوج ، فأبهت النصارى .

وكان مضمون كلامه أن ظهـور بـراءة عائشـة أعظـم مـن ظهور بـراءة مريـم ، وأن الشـبهة إلـى مريـم أقـرب منهـا إلـى عائشة ، فإذا كان مع هذا قد ثبـت كـذب القـادحين فـي مريـم ، فثبوت قدح الكاذبين في عائشة أولى .

ومثـل هـذه المنـاظرة أن يقـع التفضـيل بيـن طـائفتين ، ومحاسن إحداهما أكثر وأعظم ومساويها أقل وأصغر ، فإذا ذكر ما فيها من ذلك عورض بأن مساوئ تلك أعظم ، كقوله تعـالى : **﴿ يسئلونكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٌ فِيهِ قُل قِتَالٌ فيـهِ كَبِير﴾** ثم قال : **﴿ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرَ عِنْـدَ اللـه وَالْفِتْنَـةُ أَكْبَـرَ**

مِنَ الْقَتْلِ [1] فإن الكفار عيروا سرية مـن سـرايا المسـلمين بأنهم قتلوا ابن الحضرمي في الشهر الحرام ، فقال تعالى هـذا كبير وما عليه المشركون مـن الكفـر بـالله والصـد عـن سـبيله وعن المسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله ، فـإن هـذا صد عمـا لا تحصـل النجـاة والسـعادة إلا بـه ، وفيـه مـن انتهـاك المسجد الحرام ما هو أعظم من انتهاك الشهر الحرام.

لكن في هذا النوع قد اشتملت كل من الطائفتين علـى مـا يذم ، وأما النوع الأول فيكون كل من الطائفتين لا يستحق الـذم ، بل هناك شبه في الموضعين ، وأدلة في الموضعين وأدلة أحـد الصنفين أقوى وأظهر ، وشبهته أضعف وأخفـى ، فيكـون أولـى بثبوت الحق مما تكون أدلته أضعف ، وشبهته أقوى .

هذا حال النصارى واليهود مع المسـلمين ، وهـو حـال أهـل البدع مع أهل السنّة لاسيما الرافضة ، وهكذا أمر أهل السنّة مع الرافضة في أبي بكر وعلي، فـإن الرافضـي لا يمكنـه أن يثبـت إيمان علي وعدالته وأنه من أهل الجنة فضلا عن إمـامته إن لـم يثبت ذلك لأبي بكر وعمر وعثمان .

وإلا فمتى أراد إثبات ذلك لعلي وحده لم تسـاعده الأدلـة ، كما أن النصـراني إذا أراد إثبـات نبـوة المسـيح دون محمـد لـم تساعده الأدلة .

فإذا قالت له الخـوارج الـذين يكفـرون عليّـا ، أو النواصـب الذين يفسقونه أنه كان ظالما طالبا للدنيا ، وأنه طلـب الخلافـة لنفسـه ، وقاتـل عليهـا بالسـيف وقتـل علـى ذلـك ألوفـا مـن المسلمين ، حتى عجز عن انفراده بالأمر ، وتفرق عليه أصحابه وظهروا عليه فقتلوه ، فهـذا الكلام إن كـان فاسـد ففسـاد كلام الرافضي في أبي بكر وعمر أعظم ،وإن كان مـا قـاله فـي أبـي بكر وعمر متوجها مقبولا ، فهذا أولى بالتوجيه والقبول .

لأنـه مـن المعلـوم للخاصـة والعامـة أن مـن ولاه النـاس باختيارهم ورضاهم من غير أن يضرب أحدا بالسـيف ولا عصـى ولا أعطى أحدا ممن ولاه من مال واجتمعوا عليه فلم يـول أحـد من أقاربه ، وعترته ، ولا خلف لورثته مالاً من مال المسـلمين ، وكان له مال قد أنفقه في سبيل الله ، فلم يأخذ بدله ، وأوصـى أن يرد إلى بيت مالهم ما كان عنـده لهـم ، وهـو جـرد قطيفـة ، وبكر وأمة سوداء ، ونحو ذلك .

---

[1](1) الآية 217 من سورة البقرة .

حتى قال عبد الرحمن بن عـوف لعمـر : أتسـلب هـذا آل أبي بكر ، قال كلا واللـه لا يتحنـث فيهـا أبـو بكـر وأتحملهـا أنـا ، وقال يرحمك الله يا أبا بكر لقد أتعبت الأمراء بعدك .

ثم مع هذا لم يقتل مسلما علـى ولايتـه ، ولا قاتـل مسـلما بمسلم ، بل قاتل بهم المرتدين عن دينهم ، والكفار حـتى شـرع بهم في فتح الأمصار واستخلف القوي الأميـن العبقـري ، الـذي فتح الأمصار ونصب الديوان ، وعم بالعدل والإحسان .

فـإن جـاز للرافضـي أن يقـول إن هـذا كـان طالبـا للمـال والرياسة ، أمكن الناصـبي أن يقـول : كـان علـي ظالمـا طالبـا للمـال والرياسـة ، قاتـل علـى الولايـة حـتى قتـل المسـلمون بعضهم بعضا ،ولم يقاتل كافراً ولم يحصل للمسلمين فـي مـدة ولايته إلا شر وفتنة في دينهم ودنياهم .

فإن جاز أن يقال : علي كان مريدا لـوجه اللـه ، والتقصـير من غيره من الصحابة ، أو يقـال كـان مجتهـداً مصـيباً ، وغيـره مخطئ مع هذه الحالة فإنه يقـال كـان أبـو بكـر وعمـر مريـدين وجـه اللـه مصـيبين والرافضـة مقصـرون فـي معرفـة حقهـم مخطئون في ذمهم بطريق الأولى والأحرى .

فإن أبا بكـر وعمـر كـان بعـدهما ع ن شـبة طلـب المـال والرياسة أشد من بعد علي عـن ذلـك ،وشـبهة الخـوارج الـذين ذموا عليّا وعثمان وكفروهما أقرب مـن شـبهة الرافضـة الـذين ذموا أبا بكر وعمر وكفروهما ، فكيف بحال الصـحابة والتـابعين الذين تخلفوا عن بيعته أو قاتلوه فشبهتهم أقوى من شـبهة مـن قدح في أبي بكر وعمر وعثمان ، فإن أولئك قالوا مـا يمكننـا أن نبايع إلا من يعدل علينا ،ويمنعنا ممن ظلمنا ، ويأخـذ حقنـا ممـن ظلمنا ، فإذا لم يفعل هذا كان عاجزاً أو ظالما ، وليس علينـا أن نبايع عاجزا أو ظالما .

وهذا الكلام إذا كان باطلا ، فبطلان قول مـن يقـول أن أبـا بكر وعمر كانا ظالمين طالبين للرياسة والمال أبطـل وأبطـل ، وهذا الأمر لا يستريب فيه من له بصر ومعرفة ، وأين شبهة مثل أبي موسى الأشعري الذي وافق عمرو على عزل علي ومعاوية ، وأن يجعل الأمر شورى في المسلمين ، من شبهة عبد الله بن سبأ وأمثاله الذين يدعون أنه إمام معصوم ، وأنه إله أو نبي .

بل أين شبهة الذين رأوا أن يولوا معاوية من شبهة الـذين يدعون أنه إله أو نبي ، فإن هؤلاء كفار باتفاق المسلمين بخلاف أولئك ، ومما يبين هذا أن الرافضة تعجز عن إثبـات إيمـان عل ي

وعدالته ، مع كونهم على مذهب الرافضة ، ولا يمكنهـم ذلـك إلا إذا صاروا من أهـل السـنة ، فـإذا قـالت لهـم الخـوارج وغيرهـم ممن تكفره ، أو تفسقه ، لا نسلم أنه كان مؤمناً ، بل كان كافرا أو ظالما ، كما يقولون هم في أبي بكر وعمر لم يكن لهم دليـل علـى إيمـانه وعـدله ، إلا وذاك الـدليل علـى أبـي بكـر وعمـر وعثمان أدل .

فإن احتجوا بما تواتر مـن إسـلامه وهجرتـه وجهـاده فقـد تواتر ذلك عن هؤلاء ، بل تواتر إسلام معاوية ويزيد وخلفاء بنـي أمية وبني العباس وصـلاتهم وصـيامهم ، وجهـادهم للكفـار فـإن ادعوا في واحد مـن هـؤلاء النفـاق ، أمكـن الخـارجى أن يـدعى النفاق فيه[1] .

وإذا ذكروا شبهة ، ذكر ما هو أعظم منهـا ، وإذا قـالوا مـا تقوله أهـل الفريـة ، مـن أن أبـا بكـر وعمـر كانـا منـافقين فـي الباطن ، عدوين للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم . أفسدا دينه ، بحسب الإمكان أمكن الخارجى ان يقول ذلك في علي ويـوجه ذلك بأن يقول : كان يحسد ابن عمه وأنه كان يريد إفساد دينـه فلم يتمكن من ذلك في حياته وحياة الخلفاء الثلاثة حـتى سـعى في قتل الخليفة الثـالث ، وأوقـد الفتنـة ، حـتى غلـى فـي قتـل أصـحاب محمـد ، وأمتـه بغضـا لـه وعـداوة ، وأنـه كـان مباطنـاً للمنافقين الذين ادعوا فيه الإلهية والنبوة ، وكان يظهر خلاف ما يبطن ، لأن دينه التقية ، فلما أحرقهم بالنار، أظهر إنكـار ذلـك ، وإلا فكان في الباطن معهم .

ولهذا كانت الباطنيـة مـن اتبـاعه ،وعنـدهم سـره ، وهـم ينقلون عنه الباطن الذي ينتحلونه ، ويقـول الخـارجى مثـل هـذا الكلام الذي يروج على كثير من الناس أعظـم ، ممـا يـروج كلام الرافضة في الخلفاء الثلاثة ، لأن شـبهة الرافضـة أظهـر فسـادا من شبهة الخوارج ، وهم أصح منهم عقلا ، ومقصدا .

والرافضة أكـذب وأفسـد دينـا ، وإن أرادوا إثبـات إيمـانه وعدالته بنص القرآن عليه ، قيل القـرآن عـام وتنـاوله لـه ليـس بأعظم من تناوله لغيره ، وما من آيـة يـدعون اختصاصـها بـه إلا أمكن أن يدعى اختصاصها أو اختصاص مثلها أو أعظم منها بأبي بكر وعمر .

فبـاب الـدعوى بلا حجـة ممكنـة ، والـدعوى فـي فضـل الشيخين أمكن منها فـي فضـل غيرهمـا ، وإن قـالوا ثبـت ذلـك

---

[1](1) يعني في علي .

بالنقل والرواية ، فالنقل والرواية في أولئك أكثر وأشـهد ، فـإن ادعـوا تـواتراً ، فـالتواتر هنـاك أصـح ، وإن اعتمـدوا علـى نقـل الصحابة فنقلهم لفضائل أبي بكر وعمر أكثر ، ثم هـم يقولـون : أن الصحابة ارتدوا إلا نفـرا قليلا فكيـف تقبـل روايـة هـؤلاء فـي فضيلة أحـد ، ولـم يكـن فـي الصـحابة رافضـة كـثيرون ، يتـواتر نقلهم ، فطريق النقل مقطوعـا عليهـم، إن لـم يسـلكوا طريـق أهل السنة ، كمـا هـو مقطـوع علـى النصـارى فـي إثبـات نبـوة المسيح إن لم يسلكوا طريق المسلمين .

وهذا كمن أراد أن يثبـت فقـه ابـن عبـاس دون علـي ، أو فقه علقمة والأسود دون ابن مسـعود ، ونحـو ذلـك مـن الأمـور التي يثبت فيها للشيء حكم دون ما هو أولى بذلك الحكم منه ، فإن هذا تناقض ممتنع عند من سلك طريق العلم والعدل .

ولهذا كانت الرافضة من أجهل النـاس وأضـلهم ، كمـا أن النصارى من أجهل الناس ، والرافضة من أخبث الناس ، كما أن اليهود من أخبث الناس ، ففيهم نوع من ضلال النصـارى ،ونـوع من خبث اليهود .

(الوجه الخامس): أن يقال : تمثيل هذا بقصة عمر بن سعد طالبا للرياسـة والمـال مقـدما علـى المحـرّم لأحـل ذلـك فيلزم أن يكون السابقون الأولون بهذه الحال ، وهذا أبوه سـعد بن أبي وقاص، كان من أزهد الناس في الإمارة والولايـة ، ولمـا وقعت الفتنة اعتزل الناس في قصره بالعقيق ، وجاءه عمر ابنه هذا فلامه على ذلـك ، وقـال لـه النـاس فـي المدينـة يتنـازعون الملك وأنت ههنا؟ فقال : « اذهب فإني سمعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول إن الله يحب العبد التقي الغنـي الخفـيّ »[1] .

هذا ولم يكن قد بقي أحد من أهل الشـورى غيـره وغيـر علي رضي اللـه عنهما ، وهـو الـذي فتـح العـراق ، وأذل جنـود كسرى وهو آخر العشرة موتا.

فإذا لم يحسن أن يشبه بابنه عمر أيشبه به أبو بكر وعمر وعثمان ، هذا وهم لا يجعلون محمد بن أبي بكر بمنزلة أبيه ، بل يفضلون محمداً ويعظمونه ، ويتولونه لكـونه آذى عثمـان وكـان من خواص أصحاب علي لأنه كان ربيبه ، ويسـبون أبـاه أبـا بكـر ويلعنـونه ، فلـو أن النواصـب فعلـوا بعمـر بـن سـعد مثـل ذلـك

---

[1](1) انظر المسند ج 3 ص 26 تحقيق أحمد شاكر ، وانظر صحيح مسلم ج 4 ص 2277.

فمدحوه على قتل الحسين ، لكونه كان من شيعة عثمان ، ومن المنتصرين له ، وسبوا أباه سعد لكونه تخلف عن القتال مع معاوية والانتصار لعثمان ، هل كانت النواصب لو فعلت ذلك إلا من جنس الرافضة .

بل الرافضة شر منهم ، فإن أبا بكر أفضل من سعد ، وعثمان كان أبعد عن استحقاق القتل من الحسين ، وكلاهما مظلوم وشهيد رضي الله تعالى عنهما ، ولهذا كان الفساد الذي حصل في الأمة بقتل عثمان أعظم من الفساد الذي حصل في الأمة بقتل الحسين .

وعثمان من السابقين الأولين وهو خليفة مظلوم طلب منه أن ينعزل بغير حق فلم ينعزل ولم يقاتل عن نفسه حتى قتل ، والحسين لم يكن متوليا وإنما كان طالبا للولاية ، حتى رأى أنها متعذرة وطلب منه ليستأسر ليحمل إلى يزيد مأسورا ، فلم يجب إلى ذلك وقاتل حتى قتل مظلوما ، شهيدا ، فظلم عثمان كان أعظم وصبره وحلمه كان أكمل ، وكلاهما مظلوم شهيد ، ولو مثل ممثل طلب علي والحسين للأمر بطلب الإسماعيلية كالحاكم وأمثاله وقال إن علي والحسين كانا ظالمين طالبين للرياسة من غير حق ، بمنزلة الحاكم وأمثاله من ملوك بني عبيد ، أما كان يكون كاذبا مفتريا في ذلك لصحة إيمان الحسن والحسين ، ودينهما وفضلهما ، ولنفاق هؤلاء وإلحادهم .

وكذلك من شبه عليا والحسين ببعض من قام من الطالبيين أو غيرهم بالحجاز ، أو الشرق أو الغرب يطلب الولاية بغير حق ، ويظلم الناس في أموالهم وأنفسهم ، أما كان يكون ظالما كاذبا ؟ فالمشبه بأبي بكر وعمر بعمر بن سعد أولى بالكذب والظلم ، ثم غاية عمر بن سعد وأمثاله ، أن يعترف بأنه طلب الدنيا بمعصية يعترف أنها معصية ، وهذا ذنب كثير وقوعه من المسلمين .

وأما الشيعة فكثيرمنهم يعترفون بأنهم إنما قصدوا بالملك إفساد دين الإسلام ، ومعاداة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما يعرف ذلك من خطاب الباطنية وأمثالهم ، من الداخلين في الشيعة ، فإنهم يعترفون بأنهم في الحقيقة لا يعتقدون دين الإسلام ، وإنما يتظاهرون بالتشيع لقلة عقل الشيعة وجهلهم ليتوصلوا بهم إلى أغراضهم .

وأوّل هؤلاء ، بل خيارهم هو المختار بن أبي عبيد الكذاب ، فإنه كان أمير الشيعة ، وقتل عبيد الله بن زياد ، وأظهر

الانتصار للحسين ، حتى قتل قاتله وتقرب بذلك إلى محمد بن الحنفية وأهل البيت ، ثم ادعى النبوة وأن جبريل يأتيه ، وقد ثبت في صحيح مسلم عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : ((سيكون في ثقيف كذاب ومبير))[1] .

فكان الكذاب هو المختار بن أبي عبيد ، وكان المبير هو الحجاج بن يوسف الثقفي ، ومن المعلوم أن عمر بن سعد أمير السرية التي قتلت الحسين، مع ظلمه وتقديمه الدنيا على الدين ، لم يصل في المعصية إلى فعل المختار بن أبي عبيد ، الذي أظهر الانتصار للحسين ، وقتل قاتله بل كان هذا أكذب وأعظم ذنبا من عمر بن سعد .

فهذا الشيعي شر من ذلك الناصبي ، بل والحجاج بن يوسف خير من المختار بن أبي عبيد ، فإن الحجاج كان مبيرا كما سماه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم –يسفك الدماء بغير حق ، والمختار كان كذابا يدعى الوحي وإتيان جبريل إليه ، وهذا الذنب أعظم من قتل النفوس ، فإن هذا كفر وإن لم يتب منه كان مرتدا ، والفتنة أعظم من القتل .

وهذا باب مطرد لا تجد أحداً ممن تذمه الشيعة بحق أو باطل إلا وفيهم من هو شر منه ، ولا تجد أحداً ممن تمدحه الشيعة إلا وفيمن تمدحه الخوارج من هو خير منه ، فإن الروافض شر من النواصب ،والذين تكفرهم أو تفسقهم الروافض ، هم أفضل من الذين تكفرهم أو تفسقهم النواصب .

وأما أهل السنة فيتولون جمع لمؤمنين ، ويتكلمون بعلم وعدل ليسوا من أهل الجهل ، ولا من أهل الأهواء ، ويتبرءون من طريقة الروافض والنواصب جميعا ، ويتولون السابقين الأولين كلهم ،ويعرفون قدر الصحابة ، وفضلهم ، ومناقبهم ،ويرعون حقوق أهل البيت التي شرعها الله لهم ، ولا يرضون بما فعله المختار ونحو من الكذابين ، ولا ما فعل الحجاج ونحوه من الظالمين .

ويعلمون مع هذا مراتب السابقين الأولين ، فيعلمون أن لأبي بكر وعمر من التقدم والفضائل ما لم يشاركهما فيهما أحد ، من الصحابة لا عثمان ولا علي ولا غيرهما ، وهذا كان متفقا عليه في الصدر الأول ، إلا أن يكون خلاف شاذ لا يعبأ به .

حتى إن الشيعة الأولى أصحاب علي لم يكونوا يرتابون في تقديم أبي بكر وعمر عليه ، فكيف وقد ثبت عنه من وجوه

---

[1](1) مسلم ج 4 ص 1971 .

متواترة أنه كان يقول : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمـر ، ولكن كان طائفة من شيعة علي ، تقـدمه علـى عثمـان ، وهـذه المسألة أخفى من تلك ، ولهذا كـان أئمـة أهـل السـنة متفقيـن علـى تقـديم أبـي بكـر وعمـر كمـا فـي مـذهب أبـي حنيفـة ، والشافعي ، ومالك ، وأحمد بن حنبـل ، والثـورى ، والأوزاعـي ، والليـث بـن سـعد ، وسـائر أئمـة المسـلمين ، مـن أهـل الفقـه والحديث والزهد والتفسير من المتقدمين والمتأخرين.

وأما عثمان وعلي فكان طائفة من أهل المدينة يتوقفون فيهما ، وهي إحدى الروايتين عن سفيان الثـوري ، ثـم قيـل إنـه رجع عن ذلك لما اجتمع به أيوب السـختياني ، وقـال مـن قـدم عليا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصـار ، وسـائر أئمـة السنة على تقـديم عثمـان وهـو مـذهب جمـاهير أهـل الحـديث وعليه يدل النص ، والإجماع والاعتبار .

وأما ما يحكى عن بعض المتقدمين من تقـديم جعفـر أو تقديم طلحة أو نحو ذلك فـذلك فـي أمـور مخصوصـة لا تقـديما عاما ، وكذلك ما ينقل عن بعضهم في علي .

وأما قوله : فبعضهم اشتبه الأمرعليه ورأى لطالب الـدنيا مبايعا فقلده ،

وبايعه وقصر في نظره فخفي عليه الحـق فاسـتحق المؤاخـذة من الله تعالى ، بإعطاء الحق لغيـر مسـتحقه ، قـال : وبعضـهم قلـد لقصـور فطنتـه ، ورأى الجـم الغفيـر فتـابعهم ، وتـوهم أن الكثرة تستلزم الصواب ، وغفل عن قوله تعالى :

﴿**وَقَلِيلٌ مَا هُم** ﴾ ، [1]﴿ **وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُور** ﴾[2] .

فيقال لهذا المفترى : الذي جعل الصحابة الذين بايعوا أبا بكر ثلاثة أصناف أكثرهم طلبوا الدنيا وصنف قصروا في النظر ، وصنف عجزوا عنه، لأن الشر إما أن يكون لفساد القصد . وإمـا أن يكون للجهل ، والجهل إما أن يكون لتفريط في النظر ، وإما أن يكون لعجز عنه .

وذكر أنه كان في الصحابة وغيرهم من قصر في النظـر حين بايع أبا بكـر ، ولـو نظـر لعـرف الحـق ، وهـذا يؤاخـذ علـى تفريطه ، بترك النظر الـواجب، وفيهـم مـن عجـز عـن النظـر ، فقلد الجم الغفير ، يشير بذلك إلى سبب مبايعة أبي بكر .

---

[1](1) الآية 24 من سورة ص .

[2](2) الآية 24 من سورة ص .

فيقال له هذا من الكذب الذي لا يعجز عنه أحد ، والرافضة قوم بهت فلو طلب من هذا المفتري دليل على ذلك لم يكن له على ذلك دليل ، والله تعال قد حرم القول بغير علم ، فكيف إذا كان المعروف ضد ما قاله فلو لم نكن نحن عالمين بأحوال الصحابة لم يجز أن نشهد عليهم بما لا نعلم من فساد القصد ، والجهل بالمستحق . قال تعالى : ﴿**ولا تقفُ ما ليس لك به علم إنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أولئِكَ كان عنهُ مَسئولاً**﴾[1] وقال تعالى : ﴿**هَا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمُ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْم**﴾[2] فكيف إذا كنا نعلم أنهم كانوا أكمل هذه الأمة عقلا ، وعلما ، ودينا ، كما قال فيهم عبد الله بن مسعود : ((من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات ، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة ، أولئك أصحاب محمد كانوا والله أفضل هذه الأمة ، وأبرها قلوبا ، وأعمقها علما وأقلها تكلفا ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ، وإقامة دينه، فأعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم ، في آثارهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ، ودينهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم))[3] . رواه غير واحد منهم ابن بطة ، عن قتادة .

وروى هو وغيره بالأسانيد المعروفة إلى زر بنت حبيش ، قال : قال عبد الله بن مسعود : ((إن الله تبارك وتعالى نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه ، وابتعثه برسالته ، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه ، يقاتلون على دينه ، فما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ، وما رآه المسلمون سيئاً فهو عند الله سيء))[4] .

وفي رواية قال أبو بكر بن عياش الراوي لهذا الأثر ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود ، وقد رأى أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جميعاً أن يستخلفوا أبا بكر .

---

[1](1) الآية 36 من سورة الإسراء .
[2](2) الآية 66 من سورة آل عمران .
[3](3) انظر المسند ج 5 ص 211 تحقيق أحمد شاكر ، وقال الهيثمي : رواه أحمد والبزار ، والطبراني في الكبير . مجمع الزوائد ج 1 ص 177
[4](1) انظر المرجع السابق .

فقول عبد الله بن مسعود كانوا أبـر هـذه الأمـة قلوبـا ، وأعمقها علما ، وأقلها تكلفا ، كلام جامع بين فيه حسن قصـدهم ونياتهم ، ببر القلـوب وبيـن فيـه كمـال المعرفـة ودقتهـا بعمـق العلم ، وبين فيه تيسر ذلك عليهم وامتناعهم من القول بلا علم ، بقلة التكلف وهذا خلاف مـا قـاله هـذا المفـترى الـذي وصـف أكثرهم بطلب الدنيا ، وبعضهم بالجهل ، إما عجزا وإمـا تفريطـا والذي قاله عبد الله حق فـإنهم خيـر هـذه الأمـة ، كمـا تـواترت بذلك الأحاديث عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حيث قال : ((خير القرون القرن الذي بعثت فيهم ، ثم الذين يلـونهم ، ثـم الذين يلونهم))[1] .وهم أفضل الأمة الوسط الشهداء على الناس ، الذين هداهم الله لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ، والله يهـدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، فليسـوا مـن المغضـوب عليهـم الذين يتبعون أهواءهم ، ولا من الضالين الجاهلين ، كما قسمهم هؤلاء المفترون ، إلى ضلال وغواة ، بل لهم كمال العلم ،وكمال القصد .

إذ لو لم يكن كذلك للزم أن لا تكون هذه الأمة خير الأمم ،وأن لا يكونوا خير الأمة وكلاهما خلاف الكتاب والسـنة ، وأيضـا فالاعتبار العقلي يدل على ذلك ، فإن من تأمل أمة محمد صـلى اللـه تعـالى عليـه وسـلم ، وتأمـل أحـوال اليهـود والنصـارى والصابئين والمجوس والمشـركين ، تـبين لـه مـن فضـيلة هـذه الأمة على سائر الأمم فـي العلـم النـافع ،والعمـل الصـالح ، مـا يضيق هذا الموضع عن بسطه .

والصحابة أكمل الأمة فـي ذلـك بدلالـة الكتـاب والسـتة والإجماع ، والاعتبار ولهذا لا تجد أحدا مـن أعيـان الأمـة إلا وهـو معترف بفضل الصحابة عليه ، وعلى أمثاله ، وتجد من ينازع في ذلك كالرافضة من أجهل الناس ، ولهذا لا يوجد في أئمـة الفقـه الذين يرجع إليهم رافضي ، ولا فـي أئمـة الحـديث ولا فـي أئمـة الزهـد والعبـادة ، ولا فـي أئمـة الجيـوش المؤيـدة المنصـورة رافضي، ولا في الملوك الذين نصروا الإسلام وأقاموه وجاهـدوا عدوه من هو رافضي، ولا في الوزراء الذين لهم سيرة محمودة من هو رافضي .

وأكـثر مـا تجـد الرافضـة إمـا فـي الزنادقـة المنـافقين الملحـدين ، وإمـا فـي جهـال ليـس لهـم علـم بـالمنقولات ولا بـالمعقولات ، قـد نشـأ بـالبوادي والجبـال ، وتجـبروا علـى

---

[1](2) تقدمت الإشارة إلى مواضعه انظر ص.

المسلمين ، فلم يجالسوا أهل العلم والدين ، وإما في ذوي الأهواء ممن قد حصل له بذلك رياسة ومال ، أوله نسب يتعصب به كفعل أهل الجاهلية ، وأما من هو عند المسلمين من أهل العلم والدين ، فليس في هؤلاء رافضي ، لظهور الجهل والظلم في قولهم ، و تجد ظهور الرفض في شر الطوائف كالنصيرية والاسماعيلية ، والملاحدة الطرقية ، وفيهم من الكذب والخيانة وإخلاف الوعد ما يدل على نفاقهم ، كما في الصحيحين عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « آية المنافق ثلاث ،إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان »[1]– زاد مسلم – « وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم » وأكثر ما توجد هذه الثلاث في طوائف أهل القبلة في الرافضة.

وأيضا فيقال لهذا المفترى :هب أن الذين بايعوا الصديق كانوا كما ذكرت إما طالب دنيا وإما جاهل ، فقد جاء بعد أولئك في قرون الأمة ، من يعرف كل أحد زكاءهم ، وذكاءهم .

مثل سعيد بن المسيب ، الحسن البصري ، وعطاء بن أبي رباح ، وإبراهيم النخعي ، وعلقمة ، والأسود ، وعبيدة السلماني ، وطاوس ، ومجاهد، وسعيد بن جبير ، وأبي الشعثاء جابر بن زيد ، وعلي بن زيد ، وعلي بن الحسين ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وعروة بن الزبير ، والقاسم بن محمد بن أبي بكر ، وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام ، ومطرف بن الشخير ، ومحمد بن واسع ، وحبيب العجمى ، ومالك بن دينار، ومكحول ، والحكم بن عتبة ، ويزيد بن أبي حبيب ، ومن لا يحصي عددهم إلا الله .

ثم بعدهم أيوب السختياني ، وعبد الله بن عون ، ويونس بن عبيد ، وجعفر بن محمد ، والزهري، وعمرو بن دينار ، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وربيعة بن أبي عبد الرحمن ، وأبو الزناد ، ويحيى بن أبي كثير ، وقتادة ، ومنصور بن المعتمر ، والأعمش ، وحماد بن أبي سليمان ، وهشام الدستوائي، وسعيد بن أبي عروبة .

ومن بعد هؤلاء مثل ، مالك بن انس ، وحماد بن زيد ، وحماد بن سلمة ، والليث بن سعد ، والأوزاعي ، وأبي حنيفة ، وابن أبي ليلى ، وشريك، وابن أبي ذئب ، وابن الماجشون .

ومن بعدهم ، مثل يحيى بن سعيد القطان ، وعبد الرحمن بن مهدي ، ووكيع بن الجراح ، وعبد الرحمن بن

---

[1](1) انظر البخاري ج 1 ص 12 وغيره ، ومسلم ج 1 ص 78 .

القاسم ، وأشهب بن عبد العزيز ، وأبي يوسف ، ومحمد بن الحسن ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وإسحق بن راهويه ، وأبي عبيد ، وأبي ثور ، ومن لا يحصى عدده إلا الله تعالى ،ممن ليس لهم غرض في تقديم غير الفاضل لا لأجل رياسة ،ولا مال .

وممن هم اعظم الناس نظرا في العلم وكشفا لحقائقه ، وهم كلهم متفقون على تفضيل أبي بكر وعمر .

بل الشيعة الأولى الذين كانوا على عهد علي كانوا يفضلون أبا بكر وعمر ، قال أبي القاسم سألت مالكا عن أبي بكر وعمر، فقال : مارأيت أحدا ممن اقتدى به يشك في تقديمهما. يعني على علي وعثمان فحكى إجماع أهل المدينة على تقديمهما.

وأهل المدينة لم يكونوا مائلين الى بني أمية كما كان أهل الشام ، بل قد خلعوا بيعة يزيد ، وحاربهم عام الحرة وجرى بالمدينة ما جرى .

ولم يكن أيضا قتل علي منهم أحدا كما قتل من أهل البصرة ومن أهل الشام ، بل كانوا يعدّونه من علماء المدينة ، إلى أن خرج منها ، وهم متفقون على تقديم أبي بكر وعمر .

وروى البيهقي بإسناده عن الشافعي . قال : لم يختلف الصحابة والتابعون في تقديم أبي بكر وعمر ، وقال شريك بن أبي نمر : وقال له قائل أيما أفضل أبو بكر أو علي ؟ فقال له : أبو بكر . فقال له السائل : تقول هذا و أنت من الشيعة ؟ فقال: نعم إنما الشيعيّ من يقول هذا ، والله لقد رقى علىّ هذه الأعواد، فقال : ألا إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر أفكنا نردّ قوله، أفكنا نكذبه ، والله ما كان كذابا[1] .

وذكر هذا القاضي عبد الجبار في كتاب تثبت النبوة له ، وعزاه إلى كتاب أبي القاسم البلخي ، الذي صنفه في النقض على ابن الرواندي اعتراضه على الجاحظ[2] .

فكيف يقال مع هذا أن الذين بايعوه كانوا طلاب الدنيا ،أو جهالا،ولكن هذا وصف الطاعن فيهم ، فإنك لا تجد في طوائف القبلة أعظم جهلا من الرافضة، ولا أكثر حرصا على الدنيا ، وقد تدبرتهم فوجدتهم لا يضيفون إلى الصحابة عيبا إلا وهم أعظم

---

[1](1) تقدمت الإشارة إليه ص 55 وص 9 .

[2](2) انظر في تثبيت دلائل النبوة ج 2 ص 549 .

الناس اتصافا به ، والصحابة ابعد عنه ، فهم أكذب الناس بلا ريب كمسيلمة الكذاب ، إذ قال : أنا نبي صادق، ولهذايصفون أنفسهم بالإيمان ، ويصفون الصحابة بالنفاق ،وهم أعظم الطوائف نفاقا ، والصحابة أعظم الخلق إيمانا .

وأما قوله : وبعضهم طلب الأمر لنفسه بحق وبايعه الأقلون الذين اعرضوا عن الدنيا وزينتها ، ولم تأخذهم بالله لومة لائم ، بل أخلصوا لله واتبعوا ما أمروا به من طاعة من يستحق التقديم ، وحيث حصل للمسلمين هذه البلية ،وجب على كل أحد النظر في الحق واعتماد الإنصاف ، وأن يقر الحق مقره، ولا يظلم مستحقه ، فقد قال تعالى:ﱡ **أَلاَ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الظَّالِمِين** ﱠ[1] .

فيقال له أولا : قد كان الواجب أن يقال لما ذهب طائفة إلى كذا ، وطائفة إلى كذا ، وجب أن ينظر أي القولين أصح ، فأما إذا رضيت إحدى الطائفتين باتباع الحق ، والأخرى باتباع الباطل ، فإن كان هذا قد تبين فلا حاجة إلى النظر ، وإن لم يتبين بعد لم يذكر حتى يتبين .

ويقال له ثانيا : قولك : أنه طلب الأمر لنفسه بحق ، وبايعه الأقلون كذب على علي ، فإنه لم يطلب الأمر لنفسه في خلافة أبي بكر ، وعمر وعثمان ،وإنما طلبه لما قتل عثمان وبويع وحينئذ فأكثر الناس كانوا معه ، لم يكن معه الأقلون وقد اتفق أهل السنة والشيعة على أن عليا لم يدع إلى مبايعته في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ، ولا بايعه على ذلك أحد.

ولكن الرافضة تدعى أنه كان يريد ذلك ، وتعتقد أنه الإمام المستحق للإمامة ، دون غيره ، لكن كان عاجزا عنه وهذا لو كان حقا لم يفدهم ، فإنه لم يطلب الأمر لنفسه ، ولا تابعه أحد على ذلك ، فكيف إذا كان باطلا.

وكذلك قوله بايعه الأقلون ، كذب على الصحابة فإنه لم يبايع منهم أحد لعلي على عهد الخلفاء الثلاثة ، ولا يمكن أحد أن يدعي هذا ، ولكن غاية ما يقول القائل انه كان فيهم من يختار مبايعته ، ونحن نعلم أن عليا لما تولى كان كثير من الناس يختار ولاية معاوية ، وولاية غيرهما ، ولما بويع عثمان كان في نفوس بعض الناس ميل إلى غيره ، فمثل هذا لا يخلو من الوجود .

---

[1](1) الآية 18 من سورة هود عليه السلام

وقد كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة وبها وما حولها منافقون ، كما قال تعالى : ﴿ **وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُون وَمِن أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُم نَحْنُ نَعْلَمُهُم** ﴾[1] وقد قال تعالى عن المشركين : ﴿ **وَقَالُوا لَوْلاَ نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيم** ﴾[2] فأحبوا أن ينزل القرآن على من يعظمونه من أهل مكة والطائف ، قال تعالى : ﴿ **أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَعِيشَتَهُم فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُم فَوْقَ بَعْض دَرَجَات** ﴾[3] .

وأما ما وصفه لهؤلاء بأنهم الذين أعرضوا عن الدنيا وزينتها ، وأنهم لا تأخذهم في الله لومة لائم ، فهذا من أبين الكذب ، فإنه لم ير الزهد والجهاد في طائفة أقل منه في الشيعة ، والخوارج المارقون كانوا أزهد منهم وأعظم قتالا ، حتى يقال في المثل حملة خارجية وحروبهم مع جيوش بني أمية وبني العباس وغيرهما بالعراق والجزيرة وخراسان والمغرب وغيرهما معروفة ، وكانت لهم ديار يتحيزون فيها لا يقدر عليهم أحد .

وأما الشيعة فهم دائما مغلوبون ، مقهورون منهزمون ، وحبهم للدنيا وحرصهم عليها ظاهر ، ولهذا كاتبوا الحسين ، فلما أرسل إليهم ابن عمه، ثم قدم بنفسه غدروا به ، وباعوا الآخرة بالدنيا ، وأسلموه إلى عدوه ، وقاتلوه مع عدوه ، فأي زهد عند هؤلاء ، وأي جهاد عندهم .

وقد ذاق منهم علي بن أبي طالب من الكاسات المرة ما لا يعلمه إلا الله ، حتى دعا عليهم ، فقال: اللهم إني سئمتهم وسئموني فأبدلني بهم خيرا منهم ، وأبدلهم بي شرا مني ، وقد كانوا يغشونه ويكاتبون من يحاربه ، ويخونونه في الولايات ، والأموال ، هذا ولم يكونوا بعد صاروا رافضة ، إنما سمعوا شيعة علي لما افترق الناس فرقتين ، فرقة شايعت أولياء عثمان ، وفرقة شايعت أولياء عليا رضى الله عنهما ، فأولئك خيار الشيعة ، وهم من شر الناس معاملة لعلي بن أبي طالب ، وابنيه سبطى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وريحانته

---

(1) الآية 101 من سورة التوبة .
(2) الآية 31 من سورة الزخرف .
(3) الآية 32 من سورة الزخرف .

في الدنيا الحسـن والحسـين ، وهـم أعظـم النـاس قبـولا للـوم اللائم في الحق ، وأسرع الناس إلـى الفتنـة ، وأعجزهـم عنهـا ، يغرون من يظهرون نصـره مـن أهـل الـبيت ، حـتى إذا اطمـأن إليهم ولامهم عليه اللائم ، خذلوه وأسلموه وآثروا عليـه الـدنيا ، ولهـذا أشـار عقلاء المسـلمين ونصـحاؤهم عل ى الحسـين أن لا يذهب إليهم ، مثل عبد اللـه بـن عبـاس ، وعبـد اللـه بـن عمـر ، وأبي بكـر بـن عبـد الرحمـن بـن الحـرث بـن هشـام وغيرهـم ، لعلمهم بأنهم يخذلونه ، ولا ينصرونه ، ولا يوفون له بما كتبوا بـه إليه ، وكان الأمـر كمـا رأى هـؤلاء ، ونفـذ فيهـم دعـاء عمـر بـن الخطاب ، ثم دعاء علي بن أبي طالب.

حتى سلط الله عليهم الحجاج بن يوسف ، كـان لا يقبـل من محسنهم ، ولا يتجاوز عن مسيئهم ، ودب شرهم إلى من لم يكن منهم، حتى عم الشر ، وهذه كتب المسلمين التي ذكر فيها زهاد الأمة ليس فيهم رافضي .

كيف والرافضي من جنس المنافقين ، مذهبه التقية فهل هذا حال من لا تأخذه باللهِ لومة لائم ، إنما هـذه حـال مـن نعتـه الله في كتابه بقوله :﴿ **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَـنْ يَرتَـدّ مِنْكُـمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهَ بِقَومٍ يُحِبُّهُم وَيُحِبُّـونَهُ أَذِلَّـةٍ عَلَى الْمُـؤْمِنِينَ أَعِـزَّةٍ عَلَـى الْكَـافِرِينَ يُجَاهِـدُونَ فـي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لاَئِمْ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاء وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيم** ﴾ [1] .

وهذه حال من قاتل المرتـدين ، وأولهـم الصـديق ، ومـن اتبعه إلى يوم القيامة ، فهم الذين جاهدوا المرتدين ، كأصـحاب مسيلمة الكذاب ، ومانعي الزكاة ، وغيرهما وهـم الـذين فتحـوا الأمصار، وغلبوا فارس والروم ، وكانوا أزهد النـاس ، كمـا قـال عبد اللـه بـن مس عود لأصـحابه : أنتـم أكـثر ص لاة وصـياما م ن أصحاب محمد ، وهم كانوا خيرا منكـم ، قـالوا : لمـا يـا أبـا عبـد الرحمـن ، قـال: لأنهـم كـانوا ، أزهـد فـي الـدنيا ، وأرغـب فـي الآخرة ، فهؤلاء هم الذين لاتأخذهم في الله لومة لائم .

بخلاف الرافضة ، فإنهم أشد الناس خوفا من لوم اللائم ،ومن عدوّهم، وهم كما قـال تعـالى :﴿ **يحسبونَ كُـلَّ صَـيْحَةٍ عَلَيْهِم هُم الْعَدُوّ فَاحْذَرْهُم قَاتَلَهُمُ اللـهُ أَنَّـى يُؤْفَكُـون** ﴾[2] .ولا يعيشون في أهل القبلة إلا مـن جنـس اليهـود فـي أهـل

---

[1](1) الآية 54 من سورة المائدة .

[2](1) الآية 4 من سورة المنافقون .

الملـل . ثـم يقـال : مـن هـؤلاء الـذين زهـدوا فـي الـدنيا ، ولـم تأخذهم في الله لومة لائم ، ممن لم يبايع أبا بكر وعمر وعثمـان م ، وبايع عليا، فإنه من المعلوم أن في زمن الثلاثة لم يكن أحد منحازا عن الثلاثـة مظهـراً لمخـالفتهم ومبايعـة علـي ، بـل كـل الناس كانوا مبايعين لهـم فغايـة مـا يقـال أنهـم كـانوا يكتمـون تقديم علي وليست هذه حال من لا تأخذه في الله لومة لائم .

وأما في حال ولاية علي فقد كان من أكثر الناس لوما لمن معه على قلة جهادهم ، ونكولهم عن القتـال ، فـأين هـؤلاء الذين لا تأخذهم في الله لومـة لائـم ، مـن هـؤلاء الشـيعة ، وإن كذبوا على أبي ذر من الصحابة وسلمان وعمار وغيرهـم ، فمـن المتواتر أن هؤلاء كانوا من أعظم الناس تعظيما لأبي بكر وعمر ، واتباعاً لهما ، وإنما ينقل عن بعضهم التعنت على عثمـان ، لا على أبي بكر وعمر ، وسيأتي الكلام على ما جرى لعثمان .

ففي خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ، لم يكن أحد يسمى من الشيعة ، ولا تضاف الشيعة إلى أحـد لا عثمـان ولا علـي ولا غيرهما ، فلما قتل عثمان تفـرق المسـلمون ، فمـال قـوم إلـى عثمان ، ومال قوم إلى علي واقتتلـت الطائفتـان، وقتـل حينئـذ شيعة عثمان شـيعة علـي ، وفـي صـحيح مسـلم عـن سـعد بـن هشام أنه أراد أن يغزو في سبيل الله وقـدم المدينـة فـأراد أن يبيع عقارا له فيها فيجعله في السلاح والكـراع ، ويجاهـد الـروم حتى يموت ، فلما قدم المدينـة لقـي أناسـا مـن أهـل المدينـة ، فنهوه عن ذلك وأخـبروه أن رهطـاً سـتة أرادوا ذلـك فـي حيـاة النبي صلى الله تعالى عليه وسـلم نهـاهم نـبي اللـه صـلى اللـه تعالى عليه وسلم . وقـال : « أليـس لكـم بـي أسـوة ؟» ، فلمـا حدثوه بذلك راجع امرأته ، وقد كان طلقها وأشهد على رجعتها . فأتى ابن عباس وسأله عن وتر رسول الله صلى لله تعالى عليه وسلم . فقال ابن عبـاس : ألا أدلـك علـىأعلم أهـل الأرض بـوتر رسول الله صلى الله تعالى عليـه وسـلم ؟ فقـال مـن ؟ قـال : عائشة رضى الله عنها ، فأتها فاسألها ثم ائتني فاخبرني ، بردها عليـك ، قـال فـانطلقت إليهـا فـأتيت علـى حكيـم بـن افلـح فاستلحقته إليها فقال : ما أنا بقاربها لأنـي نهيتهـا أن تقـول في هاتين الشيعتين شيئا فأبت فيهما لا مضيا .

قال : فأقسمت عليه فجاء فانطلقنا إلى عائشة رضى الله عنها و ذكرا

الحديث [1]، وقال معاوية لابن عباس أنت على ملة علي ، فقال لا على ملة علي ، ولا على ملة عثمان ، أنا على ملة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم .

وكانت الشيعة أصحاب علي يقدمون عليه أبا بكر وعمر ، وإنما كان النزاع في تقديمه على عثمان ،ولم يكن حينئذ يسمى أحد لا إماميا ولا رافضيا وإنما سموا رافضة ، وصاروا رافضة ، لما خرج زيد بن علي بن الحسين بالكوفة ، في خلافة هشام ، فسألته الشيعة عن أبي بكر وعمر ، فترحم عليهما فرفضه قوم ، فقال رفضتموني رفضتموني . فسموا رافضة ، وتولاه قوم فسموا زيدية ، لانتسابهم إليه .

ومن حينئذ انقسمت الشيعة ، إلى رافضة إمامية وزيدية ، وكلما زادوا في البدعة زادوا في الشر ، فالزيدية خير من الرافضة ، أعلم وأصدق وأزهد ، وأشجع .

ثم بعد أبي بكر ، عمر بن الخطاب هو الذي لم تكن تأخذه في الله لومة لائم ، وكان أزهد الناس باتفاق الخلق كما قيل فيه رحم الله عمر لقد تركه الحق ما له من صديق .

ونحن لا ندعي العصمة لكل صنّف من أهل السنّة ، وإنما ندعي أنهم لا يتفقون على ضلالة ، وأن كل مسألة اختلف فيها أهل السنّة والجماعة والرافضة ، فالصواب فيها مع أهل السنّة .

وحيث تصيب الرافضة ، فلا بد أن يوافقهم على الصواب بعض أهل السنّة، وللروافض خطأ لا يوافقهم أحد عليه من أهل السنّة ، وليس للرافضة مسألة واحدة لا يوافقهم فيها أحد فانفردوا بها عن جميع أهل السنّة والجماعة إلا وهم مخطئون فيها كإمامة الإثنى عشر ، وعصمتهم .

(فصل)

قال الرافضي : ((وذهب جميع من عدا الإمامية والاسماعيلية إلى أن الأنبياء والأئمة غير معصومين ، فجوّزوا بعثة من يجوز عليه الكذب والسهو والخطأ والسرقة ، فأي وثوق يبقى للعامة في أقوالهم ، وكيف يحصل الانقياد إليهم ، وكيف يجب اتباعهم مع تجويز أن يكون ما يأمرون به خطأ ؟ ولم يجعلوا الأئمة محصورين في عدد معين ، بل كان من بايع قرشيا انعقدت إمامته عندهم ، ووجب طاعته على جميع الخلق

---

[1](1) انظر مسلم ج 2 ص 512 .

إذا كان مستور الحال ، وإن كان على غاية من الكفر والفسوق والنفاق)).

فيقال :الكلام على هذا من وجوه :

أحدها : أن يقال : ما ذكرته عن الجمهور من نفي العصمة عن الأنبياء وتجويز الكذب والسرقة والأمر بالخطأ عليهم ، فهذا كذب على الجمهور ، فإنهم متفقون على أن الأنبياء معصومون في تبليغ الرسالة ، ولا يجوز أن يستقر في شيء من الشريعة خطأ باتفاق المسلمين ، وكل ما يبلّغونه عن الله عز وجل من الأمر والنهي يجب طاعتهم فيه باتفاق المسلمين ، وما أخبروا به وجب تصديقهم فيه بإجماع المسلمين ، وما أمروهم به ونهوهم عنه وجبت طاعتهم فيه عند جميع فرق الأمة ، إلا عند طائفة من الخوارج يقولون: إن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم معصوم فيما يبلّغه عن الله ، لا فيما يأمر هو به وينهى عنه . وهؤلاء ضُلاّل باتفاق أهل السنّة والجماعة .

وقد ذكرنا غير مرة أنه إذا كان في بعض المسلمين من قال قولا خطأ لم يكن ذلك قدحا في المسلمين ، ولو كان كذلك لكان خطأ الرافضة عيبا في دين المسلمين ، فلا يُعرف في الطوائف أكثر خطأ وكذبا منهم ، وذلك لا يضر المسلمين شيئا ، فكذلك لا يضرهم وجود مخطئ آخر غير الرافضة.

وأكثر الناس – أو كثير منهم – لا يجوِّزون عليهم الكبائر ، والجمهور
الذين يجوزون الصغائر – هم ومن يجوِّز الكبائر – يقولون : إنهم لا يُقَرُّون عليها ، بل يحصل لهم بالتوبة منها من المنزلة أعظم مما كان قبل ذلك ، كما تقدم التنبيه عليه .

وبالجملة فليس في المسلمين من يقول : أنه يجب طاعة الرسول مع جواز أن يكون أمره خطأ ، بل هم متفقون على أن الأمر الذي يجب طاعته لا يكون إلا صوابا . فقوله : ((كيف يجب اتباعهم مع تجويز أن يكون ما يأمرون به خطأ ؟ قول لا يلزم أحدا من الأمة .

وللناس في تجويز الخطأ عليهم في الاجتهاد قولان معروفان ، وهم متفقون على أنهم لا يقرُّون عليه ، وإنما يطاعون فيما أقرُّوا عليه ، لا فيما غيَّره الله ونهى عنه ، ولم يأمر بالطاعة فيه .

وأما عصمة الأئمة فلم يَقُل بها – إلا كما قال – الإمامية والإسماعيلية. وناهيك بقول لم يوافقهم عليه إلا الملاحدة

المنافقون ، الذين شيوخهم الكبار أكفـر مـن اليهـود والنصـارى والمشركين !. وهذا دأب الرافضة دائما يتجـاوزون عـن جماعـة المسـلمين إلـى اليهـود والنصـارى والمشـركين فـي الأقـوال والموالاة والمعاونة والقتال وغير ذلك .

فهل يوجد أضل من قوم يعـادون السـابقين الأوليـن مـن المهاجرين والأنصار ، ويوالـون الكفـار والمنـافقين ؟ وقـد قـال الله تعالى : ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّـذِينَ تَوَلَّـوا قَوْمًـا غَضِـبَ اللـهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِنْكُـم وَلاَ مِنْهُـم وَيَحْلِفُـونَ عَلَـى الْكَـذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُون . أَعَدَّ اللهُ لَهُم عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُم سَـاءَ مَـا كَانُوا يَعْمَلُون ، اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُم جُنَّةً فَصَدُّوا عَـن سَـبِيلِ اللهِ فَلَهُم عَذَابٌ مُهِين . لَن تُغْنِـي عَنْهُـم أَمْـوَالُهُم وَلاَ أَوْلاَدهُم مِنَ اللهِ شَيئًا أُوْلَئِـكَ أَصْـحَابُ النَّـارِ هُـمْ فِيهَـا خَالِدُون . يَوْمَ يَبْعَثُهُـم اللـهُ جَمِيعًـا فَيَحْلِفُـونَ لَـهُ كَمَـا يَحْلِفُونَ لَكُم وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم عَلَى شَيْءٍ أَلاَ إِنَّهُـم هُـمُ الكَاذِبون . اسْـتَحْوَذَ عَلَيْهِـمُ الشَّـيْطَان فَأَنْسَـاهُمْ ذِكْـرَ الله أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَان أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الشَّـيْطَانِ هُـمُ الْخَاسِرُون . إِنَّ الَّذِينَ يُحَادّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلّين . كَتَبَ اللهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَـا وَرُسـلِي إِنَّ اللـهَ قَـوِيٌّ عَزِيز، لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُـوَادّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَـانُوا آبَـاءَهُمْ أَو أَبْنَـاءَهُم أَو إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِم الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْـه وَيُـدْخِلُهُم جَنَّـاتٍ تَجْـرِي مِـنْ تَحْتِهَـا الأَنْهَارَ خَالِدِينَ فِيها﴾م وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الله أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُون﴾[1].

فهذه الآيات نزلت في المنافقين ، وليس المنافقون فـي طائفة أكثر منهم في الرافضة ، حتى أنه ليس في الروافـض إلا من فيه شعبة من شعب النفاق .

كما فال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : « أربع من كن فيـه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من خصل النفاق حتى يدعها : إذا حدّث كذب ، وإذا اؤتمن خـان ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر» أخرجاه في الصحيحين[2] .

قال تعالى :﴿ **تَرَىَ كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُـم أَنْفُسُـهُم أَنْ سَـخِطَ اللـهُ عَلَيْهِـمْ**

---

[1] (1) الآيات 14 –22 من سورة المجادلة .

[2] (2) البخاري ج 1 ص 12 ومواضع أخر ، ومسلم ج 1 ص 102 .

وَفِي الْعَذَابِ هُـم خَالِـدُونَ . وَلَـو كَـانُوا يُؤْمِنُـونَ بِـاللهِ وَالنَّبِيّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَـذُوهُم أَوْلِيَـاءَ وَلَكِـنَّ كَثِيـرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ [1] وقال تعالى : **لعنَ الَّذِينَ كَفَـرُوا مِـنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِـكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ . كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَـنْ مُنْكَـرٍ فَعَلُـوهُ لَبِئْـسَ مَـا كَـانُوا يَفْعَلُـونَ ، تَـرَى كَثِيـرًا مِنْهُـم يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا** [2] .

وهم غالبا لا يتناهون عن منكر فعلـوه ، بـل ديـارهم أكـثر البلاد منكرا مـن الظلـم والفـواحش وغيـر ذلـك ، وهـم يتولـون الكفار الذين غضب الله عليهـم ، فليسـوا مـع المـؤمنين ولا مـع الكفار ، كما قال تعالى : **أَلَمْ تَـرَ إِلَـى الَّـذِينَ تَوَلَّـوا قَوْمًـا غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ مَا هُم مِنْكُم وَلاَ مِنْهُم** [3] .

ولهذا هم عنـد جمـاهير المسـلمين نـوع آخـر ، حـتى إن المسلمين لما قاتلوهم بالجبل الذي كانوا عاصـين فيـه بسـاحل الشــام ، يســفكون دمــاء المســلمين، ويأخــذون أمــوالهم ، ويقطعون الطريق ، استحلالا لـذلك وتـدينا بـه ، فقـاتلهم صـنف من التركمان ، فصاروا يقولون : نحن مسلمون ، فيقولـون :لا ، أنتم جنس آخر خارجون عن المسلمين لامتيازهم عنهم .

وقد قال الله تعالى: **وَيَحْلِفُونَ عَلَـى الْكَـذِبِ وَهُـمْ يَعْلَمُون** [4] .

وهذا حال الرافضـة ،وكـذلك: **اتَّخَذُوا أَيْمَـانَهُمْ جُنَّـةً فَصَـدُّوا عَـنْ سَـبِيلِ اللـه** إلـى قـوله : **لاَ تَجِـدُ قَوْمًـا يُؤْمِنُـونَ بِـاللهِ وَالْيَـوْمِ الآخِـرِ يُـوَادّونَ مَـنْ حَـادَّ اللـهَ وَرَسُولَه ...**الآية [5] وكثير منهم يواد الكفـار مـن وسـط قلبـه أكثر من موادّته للمسلمين . ولهذا لما خـرج الـترك الكفـار مـن جهــة المشــرق فقــاتلوا المســلمين وســفكوا دمــاءهم ، ببلاد خراسان والعراق والشـام والجزيـرة وغيرهـا ، كـانت الرافضـة معاونـة لهـم علـى قتـال المسـلمين ، ووزيـر بغـداد المعـروف بالعلقمي هو وأمثاله كانوا من أعظم النـاس معاونـة لهـم علـى المسـلمين ، وكـذلك الـذين كـانوا بالشـام بحلـب وغيرهـا مـن الرافضة كانوا من أشد الناس معاونة لهم على قتال المسـلمين

(1)[1] الآيتان 80 -81 من سورة المائدة .
(2)[2] الآيات 78 – 80 من سورة المائدة .
(3)[3] الآية 14 من سورة المجادلة .
(4)[4] الآية 14 من سورة المجادلة .
(5)[5] الآيات 16 – 22 من سورة المجادلة .

. وكـذلك النصـارى الـذين قـاتلهم المسـلمون بالشـام كـانت الرافضـة مـن أعظـم أعـوانهم ، وكـذلك إذا صـار لليهـود دولـة بالعراق وغيره تكون الرافضة من أعظـم أعـوانهم ، فهـم دائمـا يوالون الفـار مـن المشـركين واليهـود والنصـارى ، ويعـاونونهم على قتال المسلمين ومعاداتهم .

ثم إن هذا ادّعى عصمة الأئمة دعوى لم يقم عليها حجة ، إلا ما تقدم من أن الله لم يخل العالم م ن أئمـة معصـومين لمـا في ذلك من المصلحة واللطف، ومن المعلوم المـتيقن أن هـذا المنتظر الغـائب المفقـود لـم يحصـل بـه شـيء مـن المصـلحة واللطف ، سواء كان ميتا ، كمـا يقـوله الجمهـور ، أو كـان حيـا ، كما تظنه الإمامية . وكذلك أجداده المتقـدمون لـم يحصـل بهـم شيء من المصـلحة واللطـف الحاصـلة مـن إمـام معصـوم ذي سلطان ، كما كان النبي صلى الله تعالى عليـه وسـلم بالمدينـة بعد الهجرة ، فإنه كان إمام المؤمنين الذي يجب عليهم طاعته ، ويحصل بذلك سعادتهم ، ولم يحصل بعده أحد له سلطان تُدعى له العصمة إلا عليّ زمن خلافته .

ومن المعلوم بالضرورة أن حال اللطف و المصلحة التي كان المؤمنون فيها زمـن الخلفـاء الثلاثـة ، أعظـم مـن اللطـف والمصـلحة الـذي كـان فـي خلافـة علـي زمـن القتـال و الفتنـة والافتراق ، فإذا لم يوجد من يـدعي الإماميـة فيـه أنـه معصـوم وحصل له السلطان بمبايعة ذي الشوكة إلا علـيّ وحـده ، وكـان مصلحة المكلفين واللطف الذي حصل لهم فـي دينهـم ودنيـاهم فـي ذلـك الزمـان أقـل منـه فـي زمـن الخلفـاء الثلاثـة ،عُلـم بالضرورة أن ما يدّعونه من اللطف والمصلحة الحاصلة بالأئمـة المعصومين باطل قطعا.

وهو من جنس الهـدى والإيمـان الـذي يُـدَّعى فـي رجـال الغيب بجبل لبنان وغيره من الجبال مثل جبل قاسيون بدمشـق ، ومغارة الـدم ، وجبـل الفتـح بمصـر ، ونحـو ذلـك مـن الجبـال والغيران ، فإن هذه المواضع يسكنها الجن ، ويكون بها شياطين ، ويتراءون أحيانا لبعض الناس ، ويغيبون عن الأبصـار فـي أكـثر الأوقات ، فيظن الجهال أنهم رجال من الإنس ، وإنما هم رجـال من الجن .

كمـا قـال تعـالى : ﴿**وَإِنَّـهُ كَـانَ رِجَـالٌ مِـنَ الإِنْـسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا** ﴾[1] .

---

[1](1) الآية 6 من سورة الجن .

وهؤلاء يؤمن بهم وبمـن ينتحلهـم مـن المشـايخ طوائـف ضالون ، لكن المشايخ الذين ينتحلون رجال الغيب لا يحصل بهم من الفسـاد مـا يحصـل بالـذين يـدّعون الإمـام المعصـوم ، بـل المفسدة والشر الحاصل في هؤلاء أكثر ، فإنهم يدّعون الدعوة إلى إمام معصوم ، ولا يوجد لهم أئمة ذووا سيف يستعينون بهم ، إلا كافر أو فاسق أو منافق أو جاهـل ، لا تخـرج رؤوسـهم عـن هذه الأقسام .

والإسـماعيلية شـر منهـم ، فـإنهم يـدعون إلـى الإمـام المعصوم ، ومنتهى دعوتهم إلى رجال ملاحدة منافقين فسّـاق ، ومنهم من هو شر في الباطن من اليهود والنصارى .

فالداعون إلى المعصوم لا يدعون إلى سلطان معصوم ، بل إلى سلطان كفور أو ظلوم ، وهـذا أمـر مشـهور يعرفـه كـل من له خبرة بأحوالهم .

وقد قال تعالى :َ **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا أَطِيعُـوا اللـهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِـي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِـرِ ذَلِـكَ خَيْـرٌ وَأَحْسَـنُ تَـأْوِيلاً** [1]، فـأمر اللـه المؤمنين عند التنازع بالرد إلى الله والرسول ، ولو كان للنـاس معصوم غير الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لأمرهم بـالرد إليه ، فدل القرآن علـى أنـه لا معصـوم إلا الرسـول صـلى اللـه تعالى عليه وسلم .

(فصـــل)

وأما قوله : ((ولم يجعلوا الأئمة محصـورين فـي عـدد معين)) فهذا حق . وذلك أن الله تعالى قال:َ **يا أَيُّهَا الَّـذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُم** ، ولم يوقّتهم بعدد معين .

وكـذلك قـال النـبي صـلى اللـه تعـالى عليـه وسـلم فـي الأحاديث الثابتة عنه المستفيضة لم يوقّت ولاة الأمور في عـدد معين . ففي الصحيحين عن أبي ذر قال : ((إن خليلي أوصـاني أن أسمع وأطيع وإن كان عبدا حبشيا مجدّع الأطراف))[2].

---

[1](2) الآية 59 من سورة النساء .

[2](1) مسلم ج 1 ص 448 وج 3 ص 1467 وأبو داود ج 2 ص 955 .

(فصـــل)

وأما قوله عنهم ((كل من بايع قرشيا انعقدت إمـامته ووجبت طاعته على جميع الخلـق إذا كـان مسـتور الحـال ، وإن كان على غاية من الفسق والكفر والنفاق)) .

فجوابه من وجوه :

أحدها : أن هذا ليس من قـول أهـل السـنة والجماعـة ، وليس مذهبهم أنـه بمجـرد مبايعـة واحـد قرشـي تنعقـد بيعتـه ، ويجب على جميع الناس طاعته ، وهذا وإن كان قـد قـاله بعـض أهل الكلام ، فليس هو قول أهل السنة والجماعة، بـل قـد قـال عمر بن الخطاب : ((من بايع رجلا بغير مشورة المسلمين ، فلا يبـايع هـو ولا الـذي بـايعه تغِـرَّة أن يُقتلا)). الحـديث رواه البخاري ، وسيأتي بكماله إن شاء الله تعالى .

الوجه الثاني : أنهم لا يوجبون طاعة الإمام في كل مـا يأمر به ، بل لا يوجبون طـاعته إلا فيمـا تسـوغ طـاعته فيـه فـي الشريعة ، فلا يجوّزون طاعته في معصـية اللـه وإن كـان إمامـا عـادلاً ، وإذا أمرهـم بطاعـة اللـه فأطـاعوه: مثـل ان يـأمرهم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكـاة ، والصـدق والعـدل والحـج والجهـاد في سبيل الله ، فهم في الحقيقـة إنمـا أطـاعوا اللـه ، والكـافر والفاسق إذا أمر بمـا هـو طاعـة للـه لـم تحـرم طاعـة اللـه ولا يسقط وجوبها لأجل أمر ذلك الفاسق بها ، كما أنه إذا تكلم بحق لم يجز تكـذيبه ولا يسـقط وجـوب اتبـاع الحـق لكـونه قـد قـاله فاسـق ، فأهـل السـنة لا يطيعـون ولاة الأمـور مطلقـا ، إنمـا يطيعونهم فـي ضـمن طاعـة الرسـول صـلى اللـه تعـالى عليـه وسلم .

كمـا قـال تعـالى: **أَطِيعُوا اللـهَ وَأَطِيعُـوا الرَّسُـولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُم**[1]

فأمر بطاعة الله مطلقا ، وأمر بطاعـة الرسـول لأنـه لا يـأمر إلا بطاعة الله **مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ**[2] و جعـل طاعة أولـي الأمـر داخلـة فـي ذلـك ، فقـال : (**وَأُولِي الأَمْـرِ مِنْكُم)** ولم يـذكر لهـم طاعـة ثالثـة ، لأن ولـي الأمـر لا يطـاع طاعة مطلقة ، إنما يطاع في المعروف.

---

(1) [1] الآية 59 من سورة النساء .

(2) [2] الآية 80 من سورة النساء .

كما قال النبي صلى الله تعـالىعليه وسـلم:((إنمـا الطاعـة في المعروف))[1] وقال:((لا طاعة في معصية الله))[2]و((لا طاعة لمخلوق في معصية الخـالق))[3] وقـال : ((مـن أمركـم بمعصـية الله فلا تطيعوه))[4] .

وقال هؤلاء الرافضة المنسوبين إلـى شـيعة علـيّ أنـه تجب طاعة غير الرسول صلى اللـه تعـالى عليـه وسـلم مطلقـا في كل ما أمر به ، أفسد من قول من كان منسـوبا إلـى شـيعة عثمان من أهل الشام من أنه يجب طاعة ولي الأمر مطلقا ، فإن أولئـك كـانوا يطيعـون ذا السـلطان وهـو موجـود ، وهـؤلاء يوجبون طاعة معصوم مفقود .

وأيضا فأولئك لم يكونوا يدّعون في أئمتهم العصمة الـتي تدعيها الرافضة ،بل كانوا يجعلونهم كالخلفـاء الراشـدين وأئمـة العدل الذين يقلدون فيما لا تعرف حقيقة أمره ، أو يقولون : إن الله يقبل منهم الحسنات ويتجـاوز عـن السـيئات . وهـذا أهـون ممن يقول : أنهم معصومون ولا يخطئون .

فتبين ان هؤلاء المنسوبين إلى النصب من شيعة عثمـان ، وإن كان فيهم خروج عن بعض الحق والعدل ، فخروج الإمامية عن الحق والعدل أكثر وأشد ، فكيف بقول أئمة السنة الموافق للكتاب والسنة ،وهو الأمر بطاعة ولي الأمر فيمـا يـأمر بـه مـن طاعة الله ، دون ما يأمر به من معصية الله .

(فصـل)

قال الرافضي : ((وذهـب الجميـع منهـم إلـى القـول بالقياس ، والأخذ بالرأي ، فأدخلوا في دين الله مـا ليـس منـه ، وحرّفوا أحكام الشريعة ، وأحدثوا مـذاهب أربعـة لـم تكـن فـي زمن النـبي صـلى اللـه تعـالى عليـه وسـلم ولا زمـن صـحابته ، وأهملوا أقاويل الصحابة ، مع أنهـم نصُّـوا علـى تـرك القيـاس ، وقالوا : أول من قاس إبليس)) .

فيقال الجواب عن هذا من وجوه :

---

[1](3) المسند ج 4 ص 426 ، 427 ، 436 .
[2](4) المسند ج 4 ص 426 ، 427 ، 436 .
[3](5) المسند ج 5 ص 66 .
[4](6) المسند ج 3 ص 67 وابن ماجة ج 2 ص 955 .

أحدها : أن دعواه على جميع أهل السنة المثبتين لإمامة الخلفاء الثلاثة أنهم يقولون بالقياس دعـوى باطلـة ، قـد عُـرف فيهـم طوائـف لا يقولـون بالقيـاس ، كالمعتزلـة البغـداديين ، وكالظاهريـة كـداود وابـن حـزم وغيرهمـا ، وطائفـة مـن أهـل الحديث والصوفية .

وأيضا ففي الشيعة من يقول بالقيـاس كالزيديـة . فصـار النزاع فيه بين الشيعية كما هو بين أهل السنة والجماعة .

الثاني : أن يقال : القياس ولو قيل : إنه ضعيف هو خير من تقليد من لم يبلغ في العلم مبلغ المجتهدين ، فإن كل من له علم وإنصاف يعلم أن مثل مالـك والليـث بـن سـعد والأوْزاعـي وأبي حنيفة والثَّوري وابن أبـى ليلـى ، ومثـل الشـافعي وأحمـد إسـحاق وأبـى عبيـد وأبـى ثَـوْر أعلـم وأفقـه مـن العسـكريين أمثالهما.

وأيضا فهؤلاء خير من المنتظـر الـذي لا يعلـم مـا يقـول ، فإن الواحد من هؤلاء إن كان عنده نص منقول عن النبي صـلى الله تعالى عليه وسلم فلا ريب أن النص الثابت عن النبي صـلى الله تعالى عليه وسلم مقدَّم على القياس بلا ريب ، وإن لم يكن عنده نص ولم يقل بالقياس كـان جـاهلا ، فالقيـاس الـذي يفيـد الظن خير من الجهل الذي لا علم معه ولا ظن ، فإن قال هـؤلاء كل ما يقولونه هو ثابت عن النبي صلى الله تعـالى عليـه وسـلم كان هذا أضعف من قول من قال كـل مـا يقـوله المجتهـد فـإنه قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، فإن هذا يقـوله طائفـة من أهل الرأي ، وقولهم أقرب مـن قـول الرافضـة ، فـإن قـول أولئك كذب صريح .

وأيضا فهذا كقول من يقول : عمل أهـل المدينـة متلقـى عن الصحابة وقول الصحابة متلقى عن النبي صـلى اللـه تعـالى عليه وسلم ، وقول من يقول : ما قاله الصحابة في غير مجاري القياس فإنه لا يقوله إلا توقيفا عن النبي صلى الله تعـالى عليـه وسلم ، وقوله من يقول : قول المجتهـد أو الشـيخ العـارف هـو إلهام من الله ووحي يجب اتباعه .

فإن قال : هؤلاء تنازعوا .

قيل وأولئك تنازعوا ، فلا يمكن أن تدَّعي دعوى باطلة إلا أمكـن معارضتهم بمثلها أو بخير منها ولا يقولون حقًّا إلا كـان فـي أهـل السنة والجماعة من يقول مثل ذلك الحق أو مـا هـو خيـر منـه ، فإن البدعة مع السـنة كـالكفر مـع الإيمـان . وقـد قـال تعـالى :

﴿**وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً**﴾[1] .

الثالث : أن يقال الذين أدخلوا في دين الله ما ليس منه وحرّفوا أحكام الشريعة ، ليسوا في طائفة أكثر منهم في الرافضة ، فإنهم أدخلوا في دين الله من الكذب على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما لم يكذبه غيرهم ، وردّوا من الصدق ما لم يرده غيرهم ، وحرّفوا القرآن تحريفاً لم يحرّفه أحد غيرهم مثل قولهم : إن قوله تعالى : ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهَ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُون**﴾ [2] نزلت في عليّ لما تصدق بخاتمه في الصلاة .

وقوله تعالى :﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾[3] : علي وفاطمة ،﴿يخرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَان﴾[4] : الحسن والحسين ، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِين﴾[5] علي بن أبي طالب ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيم وَآلَ عِمْرَانَ﴾[6] هم آل أبي طالب واسم أبي طالب عمران ،﴿فقاتلوا أَئِمَّةَ الْكُفْر﴾[7] :طلحة والزبير، ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآن﴾[8] هم بنو أمية ، ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُم أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَة﴾[9] :عائشة ﴿لئنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[10] :لئن أ شركت بين أبي بكر وعلي في الولاية .

وكل هذا وأمثاله وجدته في كتبهم . ثم من هذا دخلت الإسماعيلية والنصيرية في تأويل الواجبات والمحرّمات ، فهم أئمة التأويل ، الذي هو تحريف الكلم عن مواضعه ، ومن تدبر ما عندهم وجد فيه من الكذب في المنقولات ، والتكذيب بالحق

---

[1] (1) الآية 33 من سورة الفرقان .
[2] (1) الآية 55 من سورة المائدة .
[3] (2) الآية 19 من سورة الرحمن .
[4] (3) الآية 22 من سورة الرحمن .
[5] (4) الآية 12 من سورة يس .
[6] (5) الآية 33 من سورة آل عمران .
[7] (6) الآية 12 من سورة التوبة .
[8] (7) الآية 60 من سورة الإسراء .
[9] (8) الآية 67 من سورة البقرة .
[10] (9) الآية 65 من سورة الزمر .

منها والتحريف لمعانيها ، مالا يوجد في صنف من المسلمين ، فهم قطعا أدخلوا في دين الله ما ليس منه أكثر من كل أحد ، وحرّفوا كتابه تحريفا لم يصل غيرهم إلى قريب منه .

الوجه الرابع : قوله : ((وأحدثوا مذاهب أربعة لم تكن في زمن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولا زمن صحابته ، وأهملوا أقاويل الصحابة)).

فيقال له : متى كان مخالفة الصحابة والعدول عن أقاويلهم منكراً عند الإمامية ؟ وهؤلاء متفقون على محبة الصحابة وموالاتهم وتفضيلهم على سائر القرون وعلى أن إجماعهم حجة ، وعلى أنه ليس لهم الخروج عن إجماعهم ، بل عامة الأئمة المجتهدين يصرّحون بأنه ليس لنا أن نخرج عن أقاويل الصحابة ، فكيف يطعن عليهم بمخالفة الصحابة من يقول : إن إجماع الصحابة ليس بحجة ، وينسبهم إلى الكفر والظلم ؟

فإن كان إجماع الصحابة حجة فهو حجة على الطائفتين ، وإن لم يكن حجة فلا يحتج به عليهم .

وإن قال : أهل السنة يجعلونه حجة ، وقد خالفوه .

قيل : أما أهل السنة فلا يتصور أن يتفقوا على مخالفة إجماع الصحابة ، وأما الإمامية فلا ريب أنهم متفقون على مخالفة إجماع العترة النبوية ، مع مخالفة إجماع الصحابة ، فإن لم يكن في العترة النبوية –بنو هاشم – على عهد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضى الله عنهم من يقول بإمامة الاثنى عشر ولا بعصمة أحد بعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، ولا بكفر الخلفاء الثلاثة ، بل ولا من يطعن في إمامتهم ، بل ولا من ينكر الصفات ، ولا من يكذب بالقدر .

فالإمامية بلا ريب متفقون على مخالفة إجماع العترة النبوية ، مع مخالفتهم لإجماع الصحابة ، فكيف ينكرون على من لم يخالف لا إجماع الصحابة ولا إجماع العترة ؟ .

الوجه الخامس : أن قوله : ((أحدثوا مذاهب أربعة لم تكن على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم)). إن أراد بذلك أنهم اتفقوا على أن يحدثوا هذه المذاهب مع مخالفة الصحابة فهذا كذب عليهم ، فإن هؤلاء الأئمة لم يكونوا في عصر واحد ، بل أبو حنيفة توفى سنة خمسين ومائة ومالك سنة تسع وسبعين ومائة ، والشافعي سنة أربع ومائتين ، وأحمد بن حنبل سنة إحدى وأربعين ومائتين ، وليس في هؤلاء من

يقلد الآخر ، ولا من يأمر باتّباع الناس لـه ، بـل كـل منهـم يـدعو إلى متابعة الكتاب والسنة ، وإذا قال غيره قولا يخـالف الكتـاب والسنة عنده رده ،ولا يوجب على الناس تقليده.

وإن قلـت ان هـذه المـذاهب اتّبعهـم النـاس ، فهـذا لـم يحصل بموطأة ، بل اتفق أن قوما اتّبعوا هذا ، وقوما اتبعوا هـذا ، كالحجاج الذين طلبوا من يدلهم على الطريق ، فرأى قوم هذا الدليل خبيراً فاتّبعوه ، وكذلك الآخرون .

وإذا كان كذلك لم يكن في ذلك اتفـاق أهـل السـنة علـى باطل ، بل كل قوم منهم ينكرون مـا عنـد غيرهـم مـن الخطـأ ، فلم يتفقوا على أن الشخص المعيّن عليه أن يقبل من كـل مـن هؤلاء ما قاله ، بل جمهورهم لا يـأمرون العـاميّ بتقليـد شـخص معيّن غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في كل ما يقوله.

والله تعالى قد ضمن العصمة للامة ، فمن تمام العصـمة أن يجعل عدداً من العلماء إن أخطأ الواحد منهم في شيء كان الآخر قد أصاب فيه حتى لا يضيع الحق ، ولهذا لما كان في قول بعضهم من الخطأ مسائل ، كبعض المسائل التي أوردها ، كـان الصواب في قول الآخر ، فلم يتفق أهل السنة على ضلالة أصـلا ، وأما خطأ بعضهم في بعض الدين ، فقد قدّمنا في غير مـرة أن هذا لا يضـر ، كخط أ بع ض المسـلمين . وأمـا الشـيعة فكـل م ا خالفوا فيه أهـل السـنة كلهـم فهـم مخطئـون فيـه ، كمـا أخطـأ اليهود والنصارى في كل ما خالفوا فيه المسلمين .

الـــوجه الســـادس : أن يُقـــال : قـــوله : ((إن هـــذه المذاهب لم تكن في زمن النبي صلى اللـه تعـالى عليـه وسـلم ولا الصحابة))إن أراد أن الأقوال التي
لهم لم تنقل عن النبي صـلى اللـه تعـالى عليـه وسـلم ولا عـن الصحابة ، بل تركوا قول النـبي صـلى اللـه تعـالى عليـه وسـلم والصحابة وابتدعوا خلاف ذلك ، فهـذا كـذب عليهـم ، فـإنهم لـم يتفقوا على مخالفة الصـحابة ، بـل هـم – وسـائر أهـل السـنة – متبعون للصحابة في أقـوالهم ، وإن قـدّر أن بعـض أهـل السـنّة خـالف الصـحابة لعـدم علمـه بأقـاويلهم ، فالبـاقون يوافقـون ويثبتـون خطـأ مـن يخـالفهم ، وإن أراد أن نفـس أصـحابها لـم يكونوا في ذلك الزمان ، فهذا لا محذور فيه . فمـن المعلـوم أن كل قرن يأتي يكون بعد القرن الأول .

الوجه السابع : قوله : ((وأهملـوا أقاويـل الصـحابة)) كذب منـه ، بـل كتـب أربـاب المـذاهب مشـحونة بنقـل أقاويـل الصحابة والاستدلال بها ، وإن كان عند كل طائفة منها مـا ليـس

عند الأخرى . وإن قال : أردت بذلك أنهم لا يقولون : مذهب أبي بكر وعمر ونحو ذلك ، فسبب ذلك أن الواحد من هؤلاء جمع الآثار وما استنبطه منها ، فأضيف ذلك إليه ، كما تضاف كتب الحديث إلى من جمعها ، كالبخاري ومسلم وأبي داود ، ، وكما تضاف القراءات إلى من اختارها ، كنافع وابن كثير .

وغالب ما يقوله هؤلاء منقول عمن قبلهم ، وفي قول بعضهم ما ليس منقولا عمن قبله ، لكنه استنبطه من تلك الأصول . ثم قد جاء بعده من تعقب أقواله فبيّن منها ما كان خطأ عنده ، كل ذلك حفظا لهذا الدين ، حتى يكون أهله كما وصفهم الله به ﴿ **يأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَر** ﴾[1] فمتى وقع من أحدهم منكر خطأ أو عمداً أنكره عليه غيره .

وليس العلماء بأعظم من الأنبياء ، وقد قال تعالى : ﴿**وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِين . فَفَهَّمْناهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْمًا** ﴾[2] .

وثبت في الصحيحين عن ابن عمر ما أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لأصحابه عام الخندق : ((لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة ، فأدركتهم صلاة العصر في الطريق ، فقال بعضهم:لم يُرد منا تفويت الصلاة ، فصلّوا في الطريق . وقال بعضهم : لا نصلي إلا في بني قريظة ،فصلوا العصر بعد ماغربت الشمس،فما عنّف واحدة من الطائفتين))[3] فهذا دليل على أن المجتهدين يتنازعون في فهم كلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وليس كل واحد منهم آثماً .

الوجه الثامن : أن أهل السنة لم يقل أحد منهم إن إجماع الأئمة الأربعة حجة معصومة ، ولا قال : إن الحق منحصر فيها ، وإن ما خرج عنها باطل ، بل إذا قال من ليس من أتباع الأئمة ، كسفيان الثوري والأوزاعي واللَيْث بن سعد ومن قبلهم ومن بعدهم من المجتهدين قولا يخالف قول الأئمة الأربعة ، رُدَّ ما تنازعوا فيه إلى الله ورسوله ، وكان القول الراجح هو القول الذي قام عليه الدليل .

---

[1] (1) الآية 71 من سورة التوبة .

[2] (1) الآيتان 78 -79 من سورة الأنبياء .

[3] (2) البخاري ج 5 ص 112 ، ومسلم ج 3 ص 1391.

الوجه التاسع : قـوله : ((الصـحابة نصـوا علـى تـرك القياس)) . يقال [له] : الجمهور الذين يثبتـون القيـاس قـالوا: قد ثبت عن الصحابة أنهم قالوا بالرأي واجتهاد الرأي وقاسـوا ، كما ثبت عنهم ذم ما ذمـوه مـن القيـاس . قـالوا: وكلا القـولين صـحيح ، فالمـذموم القيـاس المعـارض للنـص ، كقيـاس الـذين قالوا : إنما البيع مثل الربا ، وقياس إبليس الذي عارض بـه أمـر الله له بالسجود لآدم ، وقياس المشركين الذين قالوا: أتـأكلون مـا قتلتـم ولا تـأكلون مـا قتلـه اللـه ؟ قـال اللـه تعـالى : ﴿**وَإِنَّ الشَّـيَاطِينَ لَيُوحُـونَ إِلَـى أَوْلِيَـائِهِمْ لِيُجَـادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُم المُشْرِكُون** ﴾[1] .

وكذلك القياس الذي لا يكون الفرع فيـه مشـاركا للأصـل في مناط الحكم، فالقياس يُذم إمـا لفـوات شـرطه ،وهـو عـدم المساواة في مناط الحكم، وإما لوجود مانعه ، وهو النص الـذي يجب تقـديمه عليـه ، وإن كانـا متلازمَيْـن فـي نفـس الأمـر ، فلا يفوت الشرط إلا والمانع موجود ، ولا يوجـد المـانع إلا والشـرط مفقود .

فأما القياس الذي يستوي فيه الأصل والفـرع فـي منـاط الحكم ولم يعارضه ماهو أرجح منه ، فهذا هو القياس الذي يتبـع .

ولا ريب أن القياس فيه فاسد ، وكثير من الفقهاء قاسـوا أقيسة فاسدة ، بعضها باطل بـالنص ، وبعضـها ممـا اتفـق علـى بطلانه ، لكن بطلان كثير من القياس لا يقتضـي بطلان جميعـه ، كما أن وجود الكذب في كثير من الحديث لا يوجب كذب جميعه .

(فـصـــل)

قال الرافضي : ((الوجه الثـاني : فـي الدلالـة علـى وجوب اتّباع مذهب الإماميـة : مـا قـاله شـيخنا الإمـام الأعظـم خواجه نصير الملة والحق والدين محمد بن الحسن الطوسـي ، قدّس الله روحه ، وقد سألته عن المـذاهب فقـال : بحثنـا عنهـا وعن قول رسول الله : ((ستفترق أمتي على ثلاث وسـبعين فرقـه ،منهـا فرقـة ناجيـة ، والبـاقي فـى النـار))[2] ، وقـد عيـن الفرقة الناجية والهالكة في حديث أخر صحيح متفق عليه ، وهو قوله : ((مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح : من ركبها نجا ، ومن

---

[1](1) الآية 121 من سورة الأنعام .

[2](2) سنن أبي داود ج 4 ص 276 والترمذي ج 4ص 134 .

تخلف عنها غرق)) ، فوجدنا الفرقه الناجية هي فرقة الإماميـة، لأنهم باينوا جميع المذاهب، وجميع المذاهب
قد اشتركت في أصول العقائد)).

فيقال : الجواب من وجوه:

أحدها : أن هـذا الإمـامي قـد كَفَّـر مـن قـال : ان اللـه موجب بالذات ، كما تقدم من قوله : يلزم أن يكون الله موجبـاً بذاته لا مختارا فيلزم الكفر .

وهذا الذي جعله شيخه الأعظـم واحتـج بقـوله، هـو ممـن يقول بأن الله موجب بالذات ، ويقول بقدم العالم،كما ذكرذلـك فى كتاب ((شرح الإشارات)) لـه. فيلـزم علـى قـوله أن يكـون شيخه هذا الذي احتج به كافراً، والكافر لا يُقبـل قـوله فـي ديـن المسلمين .

الثاني: أن هذا الرجل قد اشتهر عند الخاص والعام أنــه كان وزير الملاحدة الباطنيـة الإسـماعيلية بـالألموت[1] ، ثـم لمـا قدم الترك المشركون الى بلاد المسلمين ، وجـاءوا الـى بغـداد ،دار الخلافة ، كان هذا منجمـا مشـيرا لملـك الـترك المشـركين هولاكو أشـار عليـه بقتـل الخليفـة ، وقتـل أهـل العلـم والـدين، واستبقاء أهل الصناعات والتجارات الذين ينفعـونه فـي الـدنيا ، وأنه استولى على الوقف الذي للمسلمين ، وكان يعطي منه ما شاء الله لعلماء المشـركين وشـيوخهم مـن البخشـية السـحرة وأمثالهم وأنه لما بنى الرَّصد الذي بمراغة على طريـق الصـابئة المشركين ، كان أبخس النـاس نصـيبا منـه مـن كـان إلـى أهـلِ الملل أقرب ، وأوفرهم نصيبا من كان أبعدهم عن الملل ، مثـلَ الصـابئة المشـركين ومثـل المعطّلـة وسـائر المشـركون ، وإن ارتزقوا بالنجوم والطب ونحو ذلك .

ومـن المشـهور عنـه وعـن أتبـاعه الاسـتهتار بواجبـات الإسلام ومحرَّماته، لا يحافظون على الفرائـض كالصـلوات ، ولا ينزعون من محارم الله من الفـواحش والخمـر وغيـر ذلـك مـن المنكرات ، حتى أنهم في شهر رمضان يُذكر عنهم مـن إضـاعة الصلوات ، وارتكاب الفواحش ، وشرب الخمر –ما يعرفـه أهـل الخبرة بهم ، ولم يكن لهم قوة وظهور إلا مع المشركين ، الذين دينهم شر من دين اليهود والنصارى .

ولهذا كان كلما قـوى الإسـلام فـي المغـل وغيرهـم مـن ترك ، ضعف أمر هؤلاء لفرط معاداتهم للإسـلام وأهلـه . ولهـذا

---

[1](1) اسم قلعه في جبال الديلم بناها أحد ملوك الديلم .

كانوا من أنقص الناس منزلة عند الأمير نوروز المجاهد في سبيل الله الشهيد ، الذي دعا ملك المغل غازان إلى الإسلام ، والتزم له أن ينصره إذا أسلم ، وقتل المشركين الذين لم يسلموا من البخشية السحرة وغيرهم ، وهدم البذخانات ، وكسر الأصنام ومزق سدنتها كل ممزق ، وألزم اليهود والنصارى بالجزية والصغار ، وبسببه ظهر الإسلام في المغل وأتباعهم .

وبالجملة فأمر هذا الطوسى وأتباعه عند المسلمين أشهر وأعرف من أن يعرف ويوصف . ومع هذا فقد قيل : إنه كان آخر عمره يحافظ على الصلوات الخمس ويشتغل بتفسير البغوى والفقه ونحو ذلك . فإن كان قد تاب من الإلحاد فالله يقبل التوبة عن عباده ، ويعفو عن السيئات . والله تعالى يقول: **﴿يا عبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفوا عَلَى أنفسِهِمْ لا تَقْنَطوا مِن رَّحْمَة الله إنَّ اللهَ يَغْفِر الذُنوبَ جميعا ﴾[1] .**

لكن ما ذكره عن هذا ، إن كان قبل التوبة لم يُقبل قوله ، وإن كان بعد التوبة لم يكن قد تاب من الرفض ، بل من الإلحاد وحده . وعلى التقديرين فلا يُقبل قوله . والأظهر أنه إنما كان يجتمع به وبأمثاله لما كان منجما للمغل المشركين ، والإلحاد معروف من حاله إذ ذلك .

فمن يقدح في مثل أبي بكر وعمر وعثمان ، وغيرهم من السابقين الأوَّلين من المهاجرين والأنصار ، ويطعن على مثل مالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل وأتباعهم ، ويعيرهم بغلطات بعضهم في مثل إباحة الشطرنج والغناء ، كيف يليق به أن يحتج لمذهبه بقول مثل هؤلاء الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرِّمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق ، ويستحلون المحرَّمات المجمع على تحريمها ، كالفواحش والخمر ، في مثل شهر رمضان ، الذين أضاعوا الصلاة واتّبعوا الشهوات ، وخرقوا سياج الشرائع ، واستخفّوا بحرمات الدين ، وسلكوا غير طريق المؤمنين ، فهم كما قيل فيهم :

الدين يشكو بلية	من فرقة فلسفية
لا يشهدون صلاة	إلا لأجل التقية
ولا ترى الشرع إلا	سياسة مدنية
ويؤثرون عليه	مناهجافلسفية

---

[1](1) الآية 53 من سورة الزمر .

ولكـن هـذا حـال الرافضـة : دائمـا يعـادون أوليـاء اللـه المتقيـن ــ مـن السـابقين الأوليـن ،مـن المهـاجرين والأنصـار ، والذين اتّبعوا بإحسان ، ويوالون الكفّار والمنافقين . فإن أعظم الناس نفاقا في المنتسبين إلى الإسلام هـم الملاحـدة الباطنيـة الإسماعيلية ، فمن احتج بأقوالهم في نصرة قوله ، مع ما تقـدم من طعنه على أقوال أئمة المسلمين – كان مـن أعظـم النـاس موالاة لأهل النفاق ، ومعاداة لأهل الإيمان .

ومن العجب أن هذا المصنف الرافضـي الخـبيث الكـذّاب المفـتري ، يـذكر أبـا بكـر وعمـر وعثمـان ، وسـائر السـابقين والأوَّلين والتـابعين ، وسائر أئمـة المسـلمين ، مـن أهـل العلـم والدين بالعظائم التي يفتريها عليهم هـو وإخـوانه، ويجيء إلـى من قد اشتُهر عند المسلمين بمحـادته للـه ورسـوله ، فيقـول : ((قـال شـيخنا الأعظـم)) ، ويقـول ((قـدس اللـه روحـه)) مـع شـهادته بـالكفر عليـه وعلـى أمثـاله ،ومـع لعنـة طـائفته لخيـار المؤمنين من الأولين والآخرين .

وهؤلاء داخلون في معنى قـوله تعـالى : ﴿ **أَلَمْ تَـرَ إِلَـى الَّــذِينَ أُوتُــوا نَصِــيبًا مِــنَ الْكِتَــابِ يُؤْمِنُــونَ بِــالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّـذِينَ كَفَـرُوا هَـؤُلاءِ أَهْـدَى مِـنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً . أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا** ﴾[1].

فـإن هـؤلاء الإماميـة أوتـوا نصـيبا مـن الكتـاب ، إذ كـانوا مقرِّين ببعض ما في الكتاب المنزَّل ، وفيهم شعبة مـن الإيمـان بالجبت وهو السحر ، والطاغوت وهو كل ما يعبد من دون الله ، فـإنهم يعظِّمـون الفلسـفة المتضـمنة لـذلك ، ويـرون الـدعاء والعبـادة للمـوتى ، واتخـاذ المسـاجد علـى القبـور ، ويجعلـون السفر إليها حجا له مناسك ، ويقولون : ((مناسك حج المشاهد)).

وحدثني الثقات أن فيهم من يرون الحج إليهـا أعظـم مـن الحـج إلى البيت العتيق، فيرون الإشراك بالله أعظم من عبادة اللـه ، وهذا من أعظم الإيمان بالطاغوت .

وهم يقولون لمن يقرُّون بكفره من القائلين بقدم العـالم ودعوة الكواكب، والمسوِّغين للشرك : هؤلاء أهدى مـن الـذين

---

[1] (1) الآيتان 51-52 من سورة النساء .

آمنـوا سـبيلا ، فـ إنهم فضّـلوا هـؤلاء الملاحـدة المشـركين عل ى السـابقين الأوَّليـن مـن المهـاجرين والأنصـار والـذين اتبعـوهم بإحسان. وليس هذا ببدع من الرافضة ، فقد عُرف من موالاتهم لليهود والنصارى والمشركين ،ومعاونتهم على قتال المسـلمين ، ما يعرفه الخـاص والعـام ، حـتى قيـل : أنـه مـا اقتتـل يهـودي ومسلم ، ولا مشرك ومسـلم – إلا كـان الرافضـي مـع اليهـودي والنصراني والمشرك.

الوجه الثالث : أنه قد عـرف كـل أحـد أن الإسـماعيلية والنصيرية هم من الطوائف الذين يظهرون التشيع ، وإن كـانوا في الباطن كفّاراً منسلخين عن كـل ملـة ، والنصـيرية هـم مـن غلاة الرافضة الذين يدّعون إلهية عليّ وهؤلاء أكفـر مـن اليهـود والنصارى باتفاق المسلمين .

والإسماعيلية الباطنية أكفـر منهـم ، فـإن حقيقـة قـولهم التعطيل . أما أصحاب الناموس الأكبر والبلاغ الأعظم ، الذي هو آخر المراتب عندهم ، فهم من الدهريـة القـائلين بـأن العـالم لا فاعل له : لا علة ولا خالق . ويقولون : ليس بيننا وبين الفلاسفة خلاف إلا فـي واجـب الوجـود ، ، فـإنهم يثبتـونه ، وهـو شـيء لا حقيقة له ، ويستهزئون بأسـماء اللـه عـز وجـل ، ولا سـيما هـذا الاسم الذي هو الله ، فإن منهم مـن يكتبـه علـى أسـفل قـدميه ويطؤه .

وأما من هو دون هؤلاء فيقول بالس ابق وبالتـالي ، الـذين عبّـروا بهمـا عـن العقـل والنفـس عنـد الفلاسـفة ، وعـن النـور والظلمة عند المجوس ، وركَّبوا لهم مذهبا من مـذاهب الصـابئة والمجوس ظاهره التشيع .

ولا ريب أن المجوس والصابئة شر من اليهود والنصارى ، ولكن تظاهروا بالتشيع .

قالوا :لأن الشيعة أسرع الطوائف استجابة لنا ، لما فيهم م ن الخـروج عـن الشـريعة ، ولمـا فيهـم م ن الجهـل وتصـديق المجهولات .

ولهــذا كــان أئمتهــم فــي البــاطن فلاســفة ، كالنصــير الطوسي هذا ، وكسنان البصري الذي كان بحصـونهم بالشـام ، وكان يقول : قد رَفَعت عنهم الصوم والصلاة والحج والزكاة .

فـإذا كـانت الإسـماعيلية إنمـا يتظـاهرون فـي الإسـلام بالتشيع ، ومنه دخلوا وبه ظهروا ، وأهله هم المهـاجرين إليهـم ، لا إلى الله ورسوله ، وهم أنصارهم لا أنصار الله ورسوله – عُلم

أن شهادة الإسماعيلية للشيعة بأنهم على حق شـهادة مـردودة باتفاق العقلاء .

فإن هذا الشاهد : إن كان يعرف أن ما هـو عليـه مخـالف لدين الإسلام في الباطن ، وإنمـا أظهـر التشـيع لينفـق بـه عنـد المسلمين ، فهو محتاج إلى تعظيم التشيع ، وشهادته له شـهادة المـرء نفسـه ، فهـو كشـهادة الآدمـي لنفسـه ، لكنـه فـي هـذه الشهادة يعلم أنه يكذب ، وإنما كذب فيها كمـا كـذب فـي سـائر أحواله ، وإن كان يعتقـد ديـن الإسـلام فـي البـاطن ، ويظـن أن هؤلاء على دين الإسلام ، كـان أيضـا شـاهداً لنفسـه ، لكـن مـع جهله وضلاله .

وعلى التقديرين فشهادة المـرء لنفسـه لا تُقبـل ، سـواء علم كذب نفسه أو اعتقد صـدق نفسـه . كمـا فـي السـنن عـن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنـه قـال : « لا تُقبـل شـهادة خصم ولا ظنيـن ولا ذي غمـر علـى أخيـه »[1] . وهـؤلاء خصـمان أظِنّاء متهمون ذو غمر على أهل السـنة والجماعـة ، فشـهادتهم مردودة بكل طريق .

الوجه الرابع : أن يُقال : أولا أنتم قوم لا تحتجون بمثل هذه الأحاديث، فإن هذا الحديث إنما يرويه أهل السـنة بأسـانيد أهل السنة ، والحديث نفسه ليس في الصحيحين ، بل قد طعـن فيه بعض أهل الحديث كابن حزم وغيـره ، ولكـن قـد رواه أهـل السنن ، كأبي داود والترمذي وابن ماجة ، ورواه أهل المسانيد ، كالإمام أحمد وغيره[2] .

فمن أيـن لكـم علـى أصـولكم ثبـوته حـتى تحتجـوا بـه ؟ وبتقدير ثبوته فهو من أخبار الآحاد ، فكيف يجوز أن تحتجوا فـي أصـل مـن أصـول الـدين وإضـلال جميـع المسـلمين – إلا فرقـة واحدة – بأخبار الآحاد التي لا يحتجون هم بها في الفروع العملية ؟!.

وهل هذا إلا من أعظم التناقض والجهل ؟!

الوجه الخامس : أن الحـديث روى تفسـيره فيـه مـن وجهين : أحدهما : أنه صلى الله تعـالى عليـه وسـلم سـأل عـن الفرقة الناجية ، فقال : « من كان على مثل مـا أنـا عليـه اليـوم

---

(1)[1] انظر المسند ج 10 ص 224 وج 11 ص 138 ، 163 تحقيق أحمد شاكر .

(2)[2] يعني حديث الافتراق رواه أبو داود ج 5 ص 4 ، 5 والترمذي رقم 3991 في الفتن ، وقال : إنه حسن صحيح وغيرهما وله طرق كثيرة .

وأصحابي)) وفي الرواية الأخرى قال : ((هـم الجماعـة)). وكـل من التفسيرين يناقض قول الإماميـة ، ويقتضـي أنهـم خـارجون عن الفرقة الناجية ، فـإنهم خـارجون عـن جماعـة المسـلمين : يكفرون أو يفسِّقون أئمة الجماعة ، كأبي بكر وعمـر وعثمـان ، دع معاوية وملوك بني أمية وبنـي العبـاس ، وكـذلك يكفِّـرون أو يفسِّقون علماء الجماعة وعبّادهم ، كمالك والثـوري والأوزاعـي والليث بن سعد وأبي حنيفة والشـافعي وأحمـد وإسـحاق وأبـي عبيـد وإبراهيـم بـن أدهـم والفضـيل بـن عيـاض وأبـي سـليمان الداراني ومعروف الكرخي وأمثال هؤلاء ، وهم أبعد الناس عـن معرفة سير الصحابة والإقتداء بهم ، لا في حياة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولا بعـده ، فـإن هـذا إنمـا يعرفـه أهـل العلـم بالحديث والمنقولات ، والمعرفـة بالرجـال الضـعفاء والثقـات ، وهم من أعظم الناس جهلا بالحديث وبغضا له ، ومعاداة لأهله ، فإذا كان وصف الفرقة الناجية : أتباع الصحابة على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وذلك شعار السنة والجماعـة – كانت الفرقة الناجية هم أهـل السـنة والجماعـة ، فالسـنة مـا كان صلى الله تعالى عليه وسلم هو وأصحابه عليه فـي عهـده ، ممـا أمرهـم بـه وأقرَّهـم عليـه أو فعلـه هـو ، والجماعـة هـم المجتمعون الذين ما فرَّقوا دينهم وكانوا شـيعا ، فالـذين فرَّقـوا دينهم وكانوا شيعا خارجون عن الجماعة قد برَّأ الله نبيه منهـم ، فعُلـم بـذلك أن هـذا وصـف أهـل السـنة و الجماعـة ، لا وصـف الرافضة، وأن هذا الحديث وصـف الفرقـة الناجيـة باتّبـاع سـنته التي كان عليها هو وأصحابه ، وبلزوم جماعة المسلمين .

فإن قيل : فقد قال في الحديث : ((من كان على مثـل ما أنا عليه اليوم وأصحابي)) ، فمن خرج عن تلك الطريقة بعده لم يكـن علـى طريقـة الفرقـة الناجيـة ، وقـد ارتـد نـاس بعـده فليسوا من الفرقة الناجية .

قلنا : نعم وأشهر الناس بالردة خصوم أبي بكر الصديق وأتباعه كمسيلمة الكذّاب وأتبـاعه وغيرهـم . وهـؤلاء تتـولاهم الرافضـة كمـا ذكـر ذلـك غيـر واحـد مـن شـيوخهم ، مثـل هـذا الإمامي وغيره ، ويقولون : إنهم كانوا على حـق ، وأن الصـديق قاتلهم بغير حق . ثم مِن أظهر الناس ردة الغالية الذين حرَّقهم علي بالنار لما ادّعوا فيه الإلهية وهم السـبائية أتبـاع عبـد اللـه بن سبأ الذين أظهروا سب أبي بكر وعمر .

وأول من ظهـر عنـه دعـوى النبـوة مـن المنتسـبين إلـى الإسلام المختار بن أبي عبيد وكان من الشيعة ، فعُلم أن أعظم

الناس ردة هم في الشيعة أكثر منهم في سائر الطوائف ، ولهذا لا يُعرف ردة أسوأ حالا مـن ردة الغاليـة كالنصـيرية ، ومـن ردة الإسماعيلية الباطنية ونحوهم ، وأشهر النـاس بقتـال المرتـدين هو أبو بكر الصديق ، فلا يكون المرتدون في طائفة أكثر منها في خصوم أبي بكر الصديق ، فدل ذلك على أن المرتدين الذين لم يزالوا مرتدين على أعقابهم ، هم بالرافضة أوْلى منهم بأهـل السنة والجماعة .

وهذا بيِّـن يعرفـه كـل عاقـل يعـرف الإسـلام وأهلـه ، ولا يستريب أحد أن جنـس المرتـدين فـي المنتسـبين إلـى التشـيع أعظم وأفحش كفرا من جنس المرتـدين المنتسـبين إلـى أهـل السنة والجماعة ، إن كان فيهم مرتد.

الوجه السادس : أن يقال : هذه الحجة التي احتـج بهـا الطوسي على أن الإمامية هم الفرقة الناجية كذب في وصفها ، كما هي باطلـة فـي دلالتهـا . وذلـك أن قـوله : ((بـاينوا جميـع المذاهب ، وجميع المذاهب قد اشتركت فـي أصـول العقائـد)) إن أراد بذلك أنهم باينو جميع المذاهب فيما اختصـوا بـه ، فهـذا شأن جميع المذاهب ، فإن الخوارج أيضا بـاينوا جميـع المـذاهب فيما اختصوا به من التكفير بالذنوب ، ومن تكفير علي ، ومن إسقاط طاعة الرسول فيما لم يخبر به عن الله ، وتجويز الظلم عليـه فـي قسْـمهِ والجـور فـي حكمـه ، وإسـقاط اتّبـاع السـنة المتـواترة الـتي تخـالف مـا يُظـن أنـه ظـاهر القـرآن ، كقطـع السارق من المنكب وأمثال ذلك .

الوجه السابع : أن يُقال : مباينتهم لجميع المذاهب هو على فساد قولهم أدل منه على صحة قولهم ؛ فإن مجرد انفراد طائفـة عـن جميـع الطوائـف لا يـدل علـى أنـه هـو الصـواب ، واشتراك أولئك في قول لا يدل على أنه باطل.

فإن قيل : إن النبي صلى الله تعالى عليه وسـلم جعـل أمته ثلاثا وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، فدل على أنهـا لا بد أن تفارق هذه الواحدة سائر الاثنتين وسبعين فرقة .

قلنا : نعم . وكذلك يدل الحديث على مفارقة الثنتين وسـبعين بعضها بعضا ، كما فارقت هذه الواحدة . فليس في الحـديث مـا يدل على اشتراك الثنـتين والسـبعين فـي أصـول العقائـد ، بـل ليس في ظاهر الحديث إلا مباينة الثلاث والسـبعين كـل طائفـة للأخرى . وحينئذ فمعلوم أن جهة الافتراق جهة ذم لا جهة مـدح ، فـإن اللـه تعـالى أمـر بالجماعـة والائتلاف ، وذم التفريـق والاختلاف، فقال تعالى : **وَاعْتَصِموا بِحَبْلِ اللهِ جميعًـا وَلا**

تَفَرَّقوا ﴾[1] وقال : ﴿**وَلاَ تَكُونوا كالَّذينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفوا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْبَيِّنَاتْ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظيمٌ . يَوْمَ تَبْيَضْ وُجوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجوهٌ فَأَمّا الَّذينَ اسْوَدَّتْ وُجوهُهُم**﴾[2] .

قال ابن عباس وغيره : تبيض وجوه أهل السنة وتسودُّ وجوه أهل البدعة والفرقة . وقال تعالى : ﴿**إِنَّ الَّذينَ فَرَّقوا دِينَهُمْ وَكانوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ في شَيْءٍ**﴾[3] وقال : ﴿**وَما اخْتَلَفَ فيهِ إِلاّ الَّذينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ البَيِّناتُ بَغْيًا بَينَهُم**﴾[4] وقال: ﴿ **وَما تَفَرَّقَ الَّذينَ أُوتوا الكِتابَ إِلاَّ مِنْ بَعدِ ما جاءَتْهُمُ البَيِّنَةُ**﴾[5] .

وإذا كان كذلك فأعظم الطوائف مفارقة للجماعة و افتراقا في نفسها أولى الطوائف الذم ، و أقلها افتراقا ومفارقة للجماعة أقربها إلى الحق . وإذا كانت الإمامية أوْلى بمفارقة سائر طوائف الأمة فهم أبعد عن الحق ، لا سيما وهم في أنفسهم أكثر اختلافا من جميع فرق الأمة ، حتى يقال : إنهم ثنتان وسبعون فرقة . وهذا القدر فيما نقله عن هذا الطوسي بعضُ أصحابه، وقال : كان يقول : الشيعة تبلغ فرقهم ثنتين وسبعين فرقة ، أو كما قال . وقد صنَّف الحسن بن موسى النوبختي وغيره في تعديد فرق الشيعة .

وأما أهل الجماعة فهم أقل اختلافا في أصول دينهم من سائر الطوائف، وهم أقرب إلى كل طائفة من كل طائفة إلى ضدّها ، فهم الوسط في أهل الإسلام كما أن أهل الإسلام هم الوسط في أهل الملل : هم وسط في باب صفات الله بين أهل التعطيل وأهل التمثيل .

وقال صلى الله تعالى عليه وسلم : « خير الأمور أوسطها » وحينئذ أهل السنة والجماعة خير الفرق.

وفي باب القدر بين أهل التكذيب به وأهل الاحتجاج به ، وفي باب الأسماء والأحكام بين الوعيدية والمرجئة ، وفي باب الصحابة بين الغلاة والجفاة ، فلا يغلون في عليّ غلو الرافضة ، ولا يكفِّرونه تكفير الخوارج ، ولا يكفِّرون أبا بكر وعثمان كما

---

(1)[1] الآية 103 من سورة آل عمران .
(2)[2] الآيتان 105 ، 106 من سورة آل عمران .
(3)[3] الآية 159 من سورة الأنعام .
(4)[4] الآية 213 من سورة البقرة .
(5)[5] الآية 4 من سورة البينة .

تكفِّرهـم الروافـض ، ولا يكفِّـرون عثمـان وعليـا كمـا يُكفرهمـا الخوارج .

الوجه الثامن : أن يقال : إن الشـيعة ليـس لهـم قـول واحد اتفقوا عليه ، فإن القول الذي ذكره هـذا قـول مـن أقـوال الإماميـة ، ومـن الإماميـة طوائـف تخـالف هـؤلاء فـي التوحيـد والعدل ، كما تقدم حكـايته . وجمهـور الشـيعة تخـالف الإماميـة في الاثنى عشر ، فالزيدية والإسماعيلية وغيرهم متفقون علـى إنكار إمامة الاثنى عشر.

وهؤلاء الإمامية الاثنا عشرية يقولـون : إن أصـول الـدين أربعة : التوحيد ، والعـدل ، والنبـوة ، والإمامـة. وهـم مختلفـون في التوحيد والعدل والإمامـة . وأمـا النبـوة فغـايتهم أن يكونـوا مقرِّين بها كإقرار سائر الأمة. واختلافهم في الإمامة أعظم مـن اختلاف سائر الأمة ، فإن قالت الاثنـا عشـرية : نحـن أكـثر مـن هذه الطوائف ، فيكـون الحـق معنـا دونهـم . قيـل لهـم : وأهـل السنة أكـثر منكـم ، فيكـون الحـق معهـم دونكـم ، فغـايتكم أن تكون سائر فرق الإمامية معكم بمنزلتكم مع سائر المسـلمين ، والإسلام هو دين الله الذي يجمع أهل الحق .

(فصـــل)

قـــال الرافضـــي : ((**الـــوجه الثـــالث:**أن الإماميـــة جـــازمون بحصـــول النجـــاة لهـــم ولأئمتهـــم ، قـــاطعون بـــذلك ، وبحصول ضدها لغيرهم . وأهـل السـنة لا يجيـزون ولا يجزمـون بـذلك لا لهـم ولا لغيرهـم . فيكـون اتّبـاع أولئـك أوْلـى ، لأنَّـا لـو فرضنا مثلا خروج شخصين من بغـداد يريـدان الكوفـة ، فوجـدا طريقين سلك كل منهما طريقا ، فخـرج ثـالث يطلـب الكوفـة : فسأل أحدهما : إلى أين تذهب؟ فقال إلى الكوفة . فقـال لـه : هل طريقك توصلك إليها ؟ وهل طريقك آمن أم مخوف ؟ وهـل طريق صاحبك تؤديه إلى الكوفة ؟ وهـل هـو آمـن أم مخـوف ؟ فقال : لا أعلم شيئا من ذلك . ثم سـأل صـاحبه فقـال أعلـم أن طريقـي يوصِّـلني إلـى الكوفـة ، وأنـه آمـن ، وأعلـم أن طريـق صاحبي لا يؤديه إلى الكوفة ، وأنه ليس بـآمن ، فـإن الثـالث إن

تابع الأول عدَّه العقلاء سفيها ، وإن تابع الثاني نُسب إلـى الأخـذ بالحزم)) .

هكذا ذكره في كتابه ، والصواب أن يُقال : وسـأل الثـاني فقال له الثاني: لا أعلم أن طريقي تؤديني إلى الكوفة ولا أعلـم أنه آمن أم مخوف .

والجواب على هذا من وجوه :

أحدها :أن يُقال : إن كان اتّباع الأئمة الـذين تُـدَّعى لهـم الطاعة المطلقة، وأن ذلك يوجب لهم النجاة واجبا ، كـان اتّبـاع خلفاء بني أمية الذين كانوا يوجبون طاعة أئمتهم طاعة مطلقـة ويقولون : إن ذلك يوجب النجـاة مصـيبين علـى الحـق ، وكـانوا في سـبِّهم عليـا وغيـره وقتـالهم لمـن قـاتلوه مـن شـيعة علـيّ مصيبين ، لأنهم كانوا يعتقدون أن طاعة الأئمـة واجبـة فـي كـل شيء ، وأن الإمام لا يؤاخذه الله بذنب ، وأنه لا ذنـب لهـم فيمـا أطاعوا فيه الإمام ، بل أولئك أوْلى بالحجة مـن الشـيعة ، لأنهـم كانوا مطيعين أئمة أقامهم الله ونصيهم وأيّـدهم وملّكهـم ، ف إذا كان مذهب القدرية أن الله لا يفعل إلا ما هو الأصلح لعباده ،كان تولية أولئك الأئمة مصلحة لعباده .

ومعلوم ان اللطف والمصلحة الـتي حصـلت بهـم أعظـم من اللطف والمصـلحة الـتي حصـلت بإمـام معـدوم أو عـاجز . ولهذا حصل لاتّبـاع خلفـاء بنـي أميـة مـن المصـلحة فـي دينهـم ودنيـاهم ، أعظـم ممـا حصـل لاتّبـاع المنتظـر ؛ فـإن هـؤلاء لـم يحصل لهم إمام يأمرهم بشيء من المعروف ، ولا ينهـاهم عـن شيء من المنكر ، ولا يعينهم على شيء من مصـلحة دينهـم ولا دنياهم ، بخلاف أولئك ؛ فإنهم انتفعوا بأئمتهم منـافع كـثيرة فـي دينهم ودنياهم ، أعظم مما انتفع هؤلاء بأئمتهم .

فتبين أنه إن كانت حجـة هـؤلاء المنتسـبين إلـى مشـايعة عليّ صحيحة ، فحجة أولئك المنتسبين إلـى مشـايعة عثمـان أوْلى بالصحة ، وإن كانت باطلـة فهـذه أبطـل منهـا . فـإذا كـان هؤلاء الشيعة متفقين مع سائر أهل السنة على أن جـزم أولئـك بنجاتهم إذا أطاعوا أولئك الأئمة طاعـة مطلقـة خطـأ وضـلال ، فخطأ هؤلاء وضلالهم إذا جزموا بنجـاتهم لطـاعتهم لمـن يـدّعي أنـه نـائب المعصـوم – والمعصـوم لا عيـن لـه ولا أثـر – أعظـم وأعظم ؛ فإن الشيعة ليس لهم أئمة يباشـرونهم بالخطـاب ، إلا شيوخهم الذين يأكلون أموالهم بالباطل، ويصدّونهم عـن سـبيل الله.

الوجه الثاني : أن هذا المثل إنما كان يكون مطابقاً لو ثبت مقدمتان : إحداهما : أن لنا إماما معصوماً. والثانية : أنه أمر بكذا وكذا . وكلتا المقدمتين غير معلومة ، بل باطلة . دع المقدمة الأولى ، بل الثانية ، فإن الأئمة الذين يدّعى فيهم العصمة قد ماتوا منذ سنين كثيرة ، والمنتظر له غائب أكثر من أربعمائة وخمسين سنة ، وعند آخرين هو معدوم لم يوجد . والذين يُطاعون شيوخ من شيوخ الرافضة ، أو كتب صنّفها بعض شيوخ الرافضة ، وذكروا أن ما فيها منقول عن أولئك المعصومين . وهؤلاء الشيوخ المصنِّفون ليسوا معصومين بالاتفاق ، ولا مقطوعاً لهم بالنجاة .

فإذاً الرافضة لا يتّبعون إلا أئمة لا يقطعون بنجاتهم ولا سعادتهم ، فلم يكونوا قاطعين لا بنجاتهم ، ولا بنجاة أئمتهم الذين يباشرونهم بالأمر والنهي ، وهم أئمتهم ، وإنما هم في انتسابهم إلى أولئك الأئمة ، بمنزلة كثير من أتباع شيوخهم الذين ينتسبون إلى شيخ قد مات من مدة ،ولا يدرون بماذا أمر ، ولا عماذا نهى ، بل له اتباع يأكلون أموالهم بالباطل ويصدون عن سبيل الله ، يأمرونهم بالغلو في ذلك الشيخ وفي خلفائه ، وأن يتخذوهم أربابا ، وكما تأمر شيوخ الشيعة أتباعهم ، وكما تأمر شيوخ النصارى أتباعهم ، فهم يأمرونهم بالإشراك بالله وعبادة غير الله ، ويصدونهم عن سبيل الله ، فيخرجون عن حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله ، فإن التوحيد أن نعبد الله وحده ، فلا يُدعى إلا هو ، ولا يُخشى إلا هو ، ولا يتقى إلا هو ، ولا يتوكل إلا عليه ، ولا يكون الدين إلا له ، لا لأحد من الخلق ، وأن لا نتخذ الملائكة والنبيين أرباباً ، فكيف بالأئمة والشيوخ والعلماء والملوك وغيرهم !؟

والرسول صلى الله تعالى عليه وسلم هو المبلِّغ عن الله أمره ونهيه ، فلا يُطاع مخلوق طاعة مطلقة إلا هو ، فإذا جُعل الغمام والشيخ كأنه إله يُدعى مع مغيبه وبعد موته ، ويُستغاث به ، ويُطلب منه الحوائج ، والطاعة إنما هي لشخص حاضر يأمر بما يريد ، وينهى عمّا يريد كان الميت مشبَّها بالله تعالى، والحي مشبهاً برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فيخرجون عن حقيقة الإسلام الذي أصله شهادة أن لا إله إلا الله ، وشهادة أن محمداً رسول الله .

ثم إن كثيراً منهم يتعلّقون بحكايات تُنقل عن ذلك الشيخ ، وكثير منها كذب عليه ، وبعضها خطأ منه ، فيَعدِلون عن النقل الصدق عن القائل المعصوم إلى نقل غير مصدَّق عن قائل غير

معصوم . فإذا كان هؤلاء مخطئين في هذا ، فالشيعة أكثر وأعظم خطأ ، لأنهم أعظم كذبا فيما ينقلونه عن الأئمة ، وأعظم غلوا في دعوى عصمة الأئمة .

الوجه الثالث : منع الحكم في هذا المثال الذي ضربه وجعله أصلا قاس عليه،فان الرجل إذا قال له أحد الرجلين:طريقى آمن يوصلني،وقال له الآخر:لا علم لي بأن طريقي آمن يوصلني،أو قال ذلك الأول ، لم يحسن في العقل تصديق الأول بمجرد قوله ، بل يجوز عند العقلاء أن يكون هذا محتالا عليه ، يكذب حتى يصحبه في الطريق فيقتله ويأخذ ماله ، ويجوز أن يكون جاهلا لا يعرف ما في الطريق من الخوف ، وأما ذاك الرجل فلم يضمن للسائل شيئا ، بل رده إلى نظره ، فالحزم في مثل هذا أن ينظر الرجل أيّ الطريقين أولى بالسلوك : أحد ذينك الطريقين أو غيرهما .

فتبين أن مجرد الإقدام على الحزم لا يدل على علم صاحبه ولا على صدقه، وأن التوقف والإمساك حتى يتبين الدليل هو عادة العقلاء .

الوجه الرابع : أن يقال : قوله : ((إنهم جازمون بحصول النجاة لهم دون أهل السنة)) كذب ، فإنه إن أراد بذلك أن كل واحد ممن اعتقد اعتقادهم يدخل الجنة ، وإن تَرَك الواجبات وفَعَل المحرمات ، فليس هذا قول الإمامية ، ولا يقوله عاقل .

وإن كان حب عليّ حسنة لا يضر معها سيئة ، فلا يضره ترك الصلوات ، ولا الفجور بالعلويّات ، ولا نيل أغراضه بسفك دماء بني هاشم إذا كان يحب عليًّا .

فإن قالوا : المحبة الصادقة تستلزم الموافقة ، عاد الأمر إلى أنه لا بد من أداء الواجبات وترك المحرمات . وإن أراد بذلك أنهم يعتقدون أن كل من اعتقد الاعتقاد الصحيح ، وأدى الواجبات ، وترك المحرّمات يدخل الجنة – فهذا اعتقاد أهل السنة ؛ فإنهم يجزمون بالنجاة لكل من اتّقى الله ، كما نطق به القرآن.

وإنما يتوقفون في الشخص المعين لعدم العلم بدخوله في المتيقن ، فإنه إذا علم أنه مات على التقوى عُلم أنه من أهل الجنة . ولهذا يشهدون بالجنة لمن شهد له الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، ولهم فيمن استفاض في الناس حسن الثناء عليه قولان .

فتبين أنه ليس في الإمامية جزم محمود اختُصوا بـه عـن أهل السنة والجماعة . وإن قالوا : إنّا نجزم لكل شـخص رأينـاه ملتزماً للواجبات عندنا تاركاً للمحرمات ، بأنه من أهـل الجنـة ، من غير أن يخبرنا بباطنه معصوم . قيل : هذه المسألة لا تتعلق بالإمامية ، بل إن كان إلى هذا طريق صحيح فهو لأهـل السـنة ، وهم بسلوكه أحذق ، وإن لم يكن هنا طريق صـحيح إلـى ذلـك ، كان ذلك قولا بلا علم ، فلا فضيلة فيه ، بل في عدمه .

ففي الجملة لا يدّعون علما صحيحا إلا وأهل السـنة أحـق به ، وما ادّعوه من الجهل فهو نقص وأهل السنة أبعد عنه .

الوجه الخـامس : أن أهـل السـنة يجزمـون بحصـول النجـاة لأئمتهم أعظم من جزم الرافضة . وذلـك أن أئمتهـم بعـد النـبي صـلى اللـه تعـالى عليـه وسـلم هـم السـابقون الأوَّلـون مـن المهـاجرين والأنصـار ، وهـم جـازمون بحصـول النجـاة لهـؤلاء ، فإنهم يشهدون ان العشرة في الجنة ، ويشـهدون أن اللـه قـال لأهل بدر: ((**اعملوا ما شـئتم فقـد غفـرت لكـم**)) ، بـل يقولون : إنه ((لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة)) كما ثبـت ذلك في الصحيح عن النبي صـلى اللـه تعـالى عليـه وسـلم[1] . فهؤلاء أكثر من ألف وأربعمائة إمام لأهل السنة ، يشـهدون أنـه لا يدخل النار منهم أحد ، وهي شهادة بعلم ، كمـا دل علـى ذلـك الكتاب والسنة.

الـوجه السـادس : أن يقـال : أهـل السـنة يشـهدون بالنجاة : إما مطلقا ، وإمـا معينـا ، شـهادة مسـتندة إلـى علـم . وأما الرافضة فإنهم إن شهدوا شهدوا بما لا يعلمون ، أو شـهدوا بالزور الذي يعلمون أنه كذب ، فهم كمـا قـال الشـافعي رحمـه الله : ما رأيت قوما أشهد بالزور من الرافضة .

الوجه السابع : أن الإمام الذي شـهد لـه بالنجـاة : إمـا أن يكـون هـو المطـاع فـي كـل شـيء وإن نـازعه غيـره مـن المؤمنين ، أو هو مطاع فيما يأمر به من طاعـة اللـه ورسـوله ، وفيما يقوله باجتهاده إذا لم يعلم أن غيره أوْلى منه، ونحو ذلك . فإن كان الإمام هو الأول ، فلا إمام لأهل السنة بهـذا الاعتبـار إلا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وهم يقولون كما قال مجاهد والحاكم ومالك وغيرهم : كل أحد يُؤخذ من قوله ويُـترك إلا رسول الله عليه السـلام . وهـم يشـهدون لإمـامهم أنـه خيـر الخلائق ، ويشهدون ان كل من ائتم به ، ففعل ما أمر بـه وتـرك

---

[1](1) انظر البخاري ج 3 ص 46 ومسلم ج 2 ص 822.

ما نُهى عنه ، دخل الجنة . وهذه الشهادة بهذا وهذا هم فيها أتم من الرافضة من شهادتهم للعسكريِيْن وأمثالهما بأنه من أطاعهم دخل الجنة .

فثبت أن إمام أهل السنة أكمل ، وشهادتهم له ولهم إذا أطاعوه أكمل ، ولا سواء .

ولكن قال الله تعالى : ﴿**ءآلله خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكون**﴾[1] ، فعند المقابلة يُذكر الخير المحض على الشر المحض ، وإن كان الشر المحض لا خير فيه .

وإن أرادوا بالإمام الإمام المقيَّد ، فذاك لا يُوجب أهل السنة طاعته ، إن لم يكن ما أمر به موافقا لأمر الإمام المطلق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وهم إذا أطاعوه فيما أمر الله بطاعته فيه ، فإنما هم مطيعون لله ورسوله ، فلا يضرهم توقفهم في الإمام المقيَّد : هل هو في الجنة أم لا ؟ .

الوجه الثامن : أن يُقال : إن الله قد ضمن السعادة لمن أطاعه وأطاع رسوله ، وتوعّد بالشقاء لمن لم يفعل ذلك ، فمناط السعادة طاعة الله ورسوله . كما قال تعالى : ﴿ **وَمَن يُطِعْ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلئِكَ مَعَ الَّذينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقينَ والشُّهَداءْ وَالصَّالِحينَ وَحَسُنَ أولَئِكَ رَفيقًا** ﴾[2] وأمثال ذلك .

وإذا كان كذلك والله تعالى يقول : ﴿ **فاتَّقوا الله ما اسْتَطَعْتُمْ** ﴾[3] فمن اجتهد في طاعة الله ورسوله بحسب استطاعته كان من أهل الجنة .

فقول الرافضة : لن يدخل الجنّة إلا من كان إماميا ، كقول اليهود والنصارى : ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ، تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِين ، بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون﴾[4] .

ومن المعلوم أن المنتظر الذي يدّعيه الرافضي لا يجب على أحد طاعته ، فإنه لا يُعلم له قول منقول عنه ، فإذاً من أطاع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم دخل الجنة وإن لم يؤمن بهذا الإمام ، ومن آمن بهذا الإمام لم يدخل الجنة إلا إذا أطاع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، فطاعة الرسول

---

[1] (1) الآية 59 من سورة النمل .

[2] (2) الآية 69 من سورة النساء .

[3] (3) الآية 69 من سورة النساء .

[4] (1) الآيتان 111 ، 112 من سورة البقرة .

صلى الله تعالى عليه وسلم هي مدار السعادة وجودا وعدما ، وهي الفارقة بين أهل الجنة والنار ، ومحمد صلى لله تعالى عليه وسلم فرّق بين الناس ، والله سبحانه وتعالى قد دل الخلق على طاعته بما بينه لهم ، فتبين أن أهل السنة جازمون بالسعادة والنجاة لمن كان من أهل السنّة .

(فصـــل)

قال الرافضي: الوجه الرابع : أن الإمامية أخذوا مذهبهم عن الأئمة المعصومين المشهورين بالفضل والعلم ولزهد والورع ، والاشتغال في كل وقت بالعبادة والدعاء وتلاوة القرآن ،والمداومة على ذلك من زمن الطفولة إلى آخر العمر ، ومنهم من يعلم الناس العلوم ، ونزل في حقهم : ﴿**هَلْ أَتَى** ﴾ وآية الطهارة ، وإيجاب المودة لهم ، وآية الابتهال وغير ذلك . وكان عليّ يصلّي في كل يوم وليلة ألف ركعة ، ويتلو القرآن مع شدّة ابتلائه بالحروب والجهاد .

فأولهم عليّ بن أبي طالب كان أفضل الخلق بعد رسول الله وجعله الله نفس رسول الله حيث قال: ﴿**وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ** ﴾[1] وواخاه رسول الله وزوّجه ابنته ، وفَضْلُهُ لا يخفى وظهرت منه معجزات كثيرة ، حتى ادَّعى قوم فيه الربوبية وقتلهم ، وصار إلى مقالتهم آخرون إلى هذه الغاية كالغلاة والنصيرية . وكان ولداه سبطا رسول الله سيدا شباب أهل الجنة ، إمامين بنص النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وكانا أزهد الناس وأعلمهم في زمانهما ، وجاهدا في الله حق جهاده حتى قتلا ، ولبس الحسن الصوف تحت ثيابه الفاخرة من غير أن يشعر أحد بذلك ، وأخذ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يوما الحسين على فخذه الأيمن ، وإبراهيم على فخذه الأيسر ، فنزل جبرائيل عليه السلام وقال: إن الله تعالى لم يكن ليجمع لك بينهما ، فاختر من شئت منهما ، فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : إذا مات الحسين بكيت أنا وعليّ وفاطمة ، وإذا مات إبراهيم بكيت أنا عليه ، فاختار موت إبراهيم فمات بعد ثلاثة أيام ، وكان إذا جاء الحسين بعد ذلك يقبله ويقول : أهلا ومرحبا بمن فديته بابني إبراهيم .

---

[1](2) الآية 61 من سورة آل عمران .

وكان علي بن الحسين زين العابدين يصوم نهاره ويصوم ليله ، ويتلو الكتاب العزيز ، ويصلّي كل يـوم وليلـة ألـف ركعـة ، ويدعو كل ركعتين بالأدعية المنقولة عنـه وعـن آبـائه ثـم يرمـي الصحيفة كالمتضجر ، ويقول : أنّى لي بعبادة عليّ ، وكان يبكـي كثيراً حتى أخذت الدموع من لحم خديه ، وسجد حـتى سـمى ذا الثَفِنات ، وسماه رسول الله سيد العابدين .

وكان قد حـج هشـام بـن عبـد الملـك فاجتهـد أن يسـتلم الحجر فلم يمكنه من الزحام ، فجاء زين العابدين فوقف الناس له وتَنَحَّوْا عن الحجر حتى استلمه ، ولم يبق عند الحجر سـواه ، فقال هشام بن عبد الملك : من هذا فقال الفرزدق وذكر أبيـات الشعر المشهورة فبعث إليه الإمام زين العابـدين بـألف دينـار ، فردها ، وقال: إنما قلت هذا غضباً لله ولرسوله ، فما آخذ عليـه أجرا ، فقال عي بن الحسين : نحـن أهـل بيـت لا يعـود إلينـا مـا خرج منا فقبلها الفرزدق .

وكان بالمدينة قوم يأتيهم رزقهم ليلا ولا يعرفون ممن هو ، فلما مات زين العابدين ، انقطع ذلـك عنهـم وعرفـوا أنـه كـان منه .

وكان ابنه محمد الباقر أعظم الناس زهداً وعبادة ، بَقَرَ السجودُ جبهتَه، وكان أعلم أهل وقته ، سمَّاه رسول الله الباقر ، وجاء جابر بن عبد الله الأنصاري إليه وهو صغير في الكُتَّاب ، فقال له : جدّك رسول الله يسلّم عليك . فقال : وعلى جدّي السلام . فقيل لجابر كيـف هـو ؟ قـال كنـت جالسـاً عنـد رسـول اللـه والحسين في حجره وهو يلاعبه ، فقال : يـا جـابر يولـد لـه ولـد اسمه عليٌّ إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ : ليقم سيد العابدين ، فيقوم ولده ،ثم يولد له مولود اسمه محمد البـاقر ، يبقـر العلـم بقرا ، فإذا رأيته فـاقرئه منـي السـلام . وروى عنـه أبـي حنيفـة وغيره .

وكـان ابنـه الصـادق عليـه السـلام أفضـل أهـل زمـانه وأعبدهم ، قال علماء السيرة : إنه اشـتغل بالعبـادة عـن طلـب الرياسة ، وقـال عمـر بـن أبـي المقـدام: كنـت إذا نظـرت إلـى جعفر بن محمد الصادق علمت أنه من سلالة النبيين ،وهو الـذي نشر فقـه الإماميـة ، والمعـارف الحقيقيـة ، والعقائـد اليقينيـة ، وكان لا يخبر بأمر إلا وقع ، وبه سمُّوه الصادق الأمين .

وكان عبد اللـه بـن الحسـن جمـع أكـابر العلـويين للبيعـة لولديه ، فقال الصادق : هـذا الأمـر لا يتـم ، فاغتـاظ مـن ذلـك ، فقال : إنه لصاحب القباء الأصفر ، وأشار بذلك إلـى المنصـور ،

فلما سمع المنصور بذلك فرح لعلمه بوقوع ما يُخبر به ، وعلم أن الأمر يصل إليه ، ولما هرب كان يقول : أين قول صادقهم ؟ وبعد ذلك انتهى الأمر إليه .

وكان ابنه موسى الكاظم يُدْعى بالعبد الصالح ، وكان أعبد أهل زمانه، يقوم الليل ويصوم النهار ، وسمِّي الكاظم لأنه كان إذ بلغه عن أحد شيء بعث إليه بمال . ونقل فضله الموافق والمخالف . قال ابن الجوزي من الحنابلة: روي عن شقيق البلخي قال : خرجت حاجّا سنة تسع وأربعين ومائة ، فنزلت القادسية فإذا شاب حسن الوجه شديد السمرة ، عليه ثياب صوف مشتمل
بشملة ، في رجليه نعلان ، وقد جلس منفرداً عن الناس ، فقلت في نفسي : هذا الفتى من الصوفية يريد أن يكون كَلاًّ على الناس ، والله لأمضين إليه أوبِّخه ، فدنوت منه فلما رآني مقبلا قال: يا شقيق اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم .

فقلت في نفسي : هذا عبد صالح قد نطق على ما في خاطري ، لألحقنه ولأسألنَّه أن يحاللني ، فغاب على عيني ، فلما نزلنا واقصة إذا به يصلي ، وأعضاؤه تضطرب ، ودموعه تتحادر ، فقلت : أمضي إليه وأعتذر، فأوجز في صلاته ، ثم قال : يا شقيق : ﴿ **وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى** ﴾[1] فقلت : هذا من الإبدال ، قد تكلم على سرِّي مرتين . فلما نزلنا زبالة إذا به قائم على البئر وبيده ركوة يريد ان يسقي ماء فسقطت الركوة من يده في البئر فرفع طرفه إلى السماء وقال :

أنت ربي إذا ظمئت إلى الما ء وقوتي إذا أردت الطعاما

يا سيدي مالي سواها قال شقيق : فوالله لقد رأيت البئر قد ارتفع ماؤها فاخذ الركوة وملأها وتوضأ وصلى أربع ركعات ، ثم مال إلى كثيب رمل هناك ، فجعل يقبض بيده ويطرحه في الركوة ويشرب فقلت : أطعمني من فضل ما رزقك الله أو ما أنعم الله عليك ، فقال : يا شقيق لم تزل نعم الله علينا ظاهرة وباطنة فأحسن ظنك بربك ، ثم ناولني الركوة فشربت منها فإذا هو سويق وسكر ، ما شربت والله ألذ منه ولا أطيب منه ريحا فشبعت ورويت . وأقمت أياما لا أشتهي طعاما ولا شرابا ، ثم لم أره حتى دخلت مكة ، فرأيته ليلة إلى جانب قبة الميزاب

---

[1] (1) الآية 82 من سورة طه .

نصف الليل يصلّي بخشوع وأنين وبكاء ، فلم يزل كذلك حتى ذهب الليل ، فلما طلع الفجر جلس في مصلاه يسبح ، ثم قام إلى صلاة الفجر ، وطاف بالبيت أسبوعا ، وخرج فتبعته ، فإذا له حاشية وأموال وغلمان، وهو على خلاف ما رأيته في الطريق ، ودار به الناس يسلّمون عليه ويتبركون به ، فقلت لهم : من هذا ؟ قالوا موسى بن جعفر ، فقلت : قد عجبت أن تكون هذه العجائب إلا لمثل هذا السيد . هذا رواه الحنبلي .

وعلى يده تاب بشر الحافي لأنه عليه السلام اجتاز على داره ببغداد ، فسمع الملاهي وأصوات الغناء والقصب يخرج من تلك الدار ، فخرجت جارية وبيدها قمامة البقل ، فرمت بها في الدرب ، فقال لها : يا جارية ، صاحب هذا الدار حرٌّ أم عبد ؟ فقالت : بل حر ، فقال : صدقت لو كان عبدا لخاف من مولاه . فلما دخلت الجارية قال مولاه ا وهو على مائدة السكر : ما أبطأك علينا ؟ قالت : حدثني رجل بكذا وكذا ، فخرج حافيا حتى لقى مولانا موسى بن جعفر فتاب على يده .

والجواب عنه من وجوه : أحدها : أن يقال : لا نسلم أن الإمامية أخذوا مذهبهم عن أهل البيت : لا الاثنا عشرية ولا غيرهم ، بل هم مخالفون لعليّ وأئم ة أهل البيت في جميع أصولهم التي فارقوا فيها أهل السنة والجماعة : توحيدهم ، وعدلهم ، وإمامتهم ، فإن الثابت عن علي و أئمة أهل البيت من إثبات الصفات لله ، وإثبات القدر ، وإثبات خلافة الخلفاء الثلاثة ، وإثبات فضيلة أبي بكر وعمر ما ، وغير ذلك من المسائل كله يناقض مذهب الرافضة.

والنقل بذلك ثابت مستفيض في كتب أهل العلم ، بحيث إن معرفة المنقول في هذا الباب عن أئمة أهل البيت يوجب علما ضروريا بأن الرافضة مخالفون لهم لا موافقون لهم .

الثاني : أن يقال : قد عُلم أن الشيعة مختلفون اختلافا كثيرا في مس ائل الإمامة والصفات والقدر ، وغير ذلك من مسائل أصول دينهم . فأي قول لهم والمأخوذ عن الأئمة المعصومين ، حتى مسائل الإمامة ، قد عُرف اضطرابهم فيها .

وقد تقدم بعض اختلافهم في النص وفي المنتظر فهم في الباقي المنتظر على أقوال : منهم من يقول ببقاء جعفر بن محمد ، ومنهم من يقول ببقاء ابنه موسى بن جعفر ، ومنهم من يقول ببقاء محمد بن عبد الله بن حسن، ومنهم من يقول ببقاء محمد بن الحنفية ، وهؤلاء يقولون : نص عليٌّ على الحسن والحسين ، وهؤلاء يقولون على محمد بن الحنفية ، وهؤلاء

يقولون : أوصى عليٌّ بن الحسين إلى ابنه أبـي جعفـر ، وهـؤلاء يقولون : إلى ابنه عبد الله ، وهؤلاء يقولون : أوصى إلى محمـد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين ، وهؤلاء يقولون : إن جعفـر أوصى إلى ابنه إسماعيل ، وهؤلاء يقولون : إلى ابنه محمـد بـن إسماعيل ، وهؤلاء يقولون : إلى ابنه محمـد ، وهـؤلاء يقولـون : إلى ابنه عبد الله ، وهؤلاء يقولون : إلـى ابنـه موسـى ، وهـؤلاء يسوقون النص إلى محمد بن الحسن ، وهـؤلاء يسـوقون النـص إلى بني عبيد الله بن ميمون القـدّاح الحـاكم وشـيعته ، وهـؤلاء يسوقون النص من بني هاشم إلى بني العباس، ويمتنع ان تكون هذه الأقوال المتناقضة مأخوذة عـن معصـوم ، فبطـل قـولهم : إن أقوالهم مأخوذة عن معصوم .

الوجه الثالث : أن يُقال : هب أن عليّاً كـان معصـوما ، فإذا كان الاختلاف بين الشـيعة هـذا الاختلاف ، وهـم متنـازعون هذا التنازع ، فمن أين يُعلم صحة بعض هـذه الأقـوال عـن علـيّ دون الآخـر ، وكـل منهـم يـدَّعي أن مـا يقـوله إنمـا أخـذه عـن المعصومين ؟ وليس للشيعة أسانيد أهل السنة حتى يُنظـر فـي الإسناد وعدالة الرجـال . بـل إنم ا هـي منقـولات منقطعـة عـن طائفة عُرف فيها كثرة الكذب وكثرة التناقض فـي النقـل فهـل يثق عاقل بذلك ؟

وإن ادعوا تواتر نصّ هذا على هذا ، ونـصّ هـذا علـى هـذا كان هذا معارضاً بدعوى غيرهـم مثـل هـذا التـواتر ، فـ إن سـائر القـائلين بـالنص إذا ادعـوا مثـل هـذه الـدعوى لـم يكـن بيـن الدعويين فرق .

فهذه الوجوه وغيرها تبين أن بتقدير ثبوت عصـمة علـيّ فمذهبهم ليس مأخوذا عنه ، فنفس دعواهم العصمة فـي علـيّ مثل دعوى النصارى الإلهية في المسـيح . مـع أن مـا هـم عليـه ليس مأخوذا عن المسيح .

الـوجه الرابـع : أنهـم فـي مـذهبهم محتـاجون إلـى مقدمتين : إحـداهما : عصـمة مـن يضـيفون المـذهب إليـه مـن الأئمة ، والثانية ثبوت ذلك النقل عن الإمـام . وكلتـا المقـدمتين باطلة ، فإن المسيح ليس بإله ، بل هو رسـول كريـم ، وبتقـدير ان يكـون إلهـا أو رسـولا كريمـا فقـوله حـق ، لكـن مـا تقـوله النصارى ليس من قوله ، ولهذا كان في عليّ شبه من المسيح : قـوم غلـوا فيـه فـوق قـدره ، وقـوم نقصـوه دون قـدره فهـم كاليهود ، هؤلاء يقولون عن المسيح : إنه إله . وهؤلاء يقولـون :

كافر ولد بغيِّة . وكذلك عليّ : هؤلاء يقولون : إنه إله، وهؤلاء يقولون : إنه كافر ظالم .

الوجه الخامس : أن يقال: قد ثبت لعليّ بن أبي طالب ، والحسن ، والحسين ، وعلي بن الحسين ، وابنه محمد ، وجعفر بن محمد من المناقب والفضائل ما لم يذكره هذا المصنف الرافضي.وذكر أشياء من الكذب تدل على جهل ناقلها ، مثل قوله : نزل في حقهم : **هل أتى** فإن سورة **هَل أتىَ** مكّية باتفاق العلماء ، وعليّ إنما تزوج فاطمة بالمدينة بعد الهجرة ، ولم يدخل بها إلا بعد غزوة بدر ، ووُلد له الحسن في السنة الثالثة من الهجرة ، والحسين في السنة الرابعة من الهجرة بعد نزول : **هل أتى** بسنين كثيرة .

فقول القائل : إنها نزلت فيهم ، من الكذب الذي لا يخفى على من له علم بنزول القرآن وعلم بأحوال هؤلاء السادة الأخيار .

وأما آية الطهارة فليس فيها إخبار بطهارة أهل البيت وذهاب الرجس عنهم ، وإنما فيها الأمر لهم بما يوجب طهارتهم وذهاب الرجس عنهم . فإن قوله **إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**[1] كقوله تعالى : **مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُم**[2] وقوله: **يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُم وَيَهْدِيَكُم سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُم وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيم . وَاللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيمًا . يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُم وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا**[3] .

فالإرادة هنا متضمنة للأمر والمحبة والرضا ، وليست هي المشيئة المستلزمة لوقوع المراد ؛ فإنه لو كان كذلك لكان قد طهَّر كل من أراد الله طهارته . وهذا على قول هؤلاء القدرية الشيعة أوجه ، فإن عندهم أن الله يريد ما لا يكون ، ويكون ما لا يريد .

فقوله : **إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجزَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** إذا كان هذا بفعل المأمور وترك

---

[1](1) الآية 33 من سورة الأحزاب .
[2](2) الآية 6 من سورة المائدة .
[3](1) الآيات من 26 – 28 من سورة النساء .

المحظور ، كان ذلك متعلقا بإرادتهم وأفعالهم ، فإن فعلوا ما أمروا به طُهِّروا وإلا فلا .

وهم يقولون :إن الله لا يخلق أفعالهم ، ولا يقدر على تطهيرهم وإذهاب الرجز عنهم . وأما المثبتون للقدر فيقولون : إن الله قادر على ذلك ، فإذا ألهمهم فعل ما أَمَرَ وترك ما حَظَر حصلت الطهارة وذهاب الرجس .

ومما يبين أن هذا مما أُمروا به لا مما أُخبروا بوقوعه ، ما ثبت في الصحيح أن النبي أدار الكساء على عليّ وفاطمة وحسن وحسين ، ثم قال : « اللهم هؤلاء أهل بيتي ،فأذهب عنهم الجس وطهِّرهم تطهيرا ». وهذا الحديث رواه مسلم في صحيحه عن عائشة ، ورواه أهل السنن عن أم سلمة [1] .

وهو يدل على ضد قول الرافضة من وجهين : **أحدهما :** أنه دعا لهم بذلك ،وهذا دليل على أن الآية لم تخبر بوقوع ذلك ، فإنه لو كان قد وقع لكان يثنى على الله بوقوعه ويشطره على ذلك ، لا يقتصر على مجرد الدعاء به .

الثاني : أن هذا يدل على أن الله قادر على إذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم ، وذلك يدل على أنه خالق أفعال العباد . ومما يبين ان الآية متضمنة للأمر والنهي قوله في سياق الكلام : **﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا . وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ للهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا . يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفًا .وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاَةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا . وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾[2] .**

وهذا السياق يدل على ان ذلك أمر ونهي ، ويدل على أن أزواج النبي من أهل بيته ، فإن السياق إنما هو في مخاطبتهن ، و يدل على أن قوله :

---

[1](1) انظر مسلم : ج 4 ص 1883 والترمذي : ج 5 ص 30 وج 5 ص 328 والمسند : ج 6 ص 292 ،298.

[2](1) الآيات 30-34 من سورة الأحزاب .

 لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ عمّ غير أزواجه ، كعلي وفاطمة وحسن وحسين رضى الله عنهم لانه ذكره بصيغة التذكير لما اجتمع المذكر والمؤنث، وهؤلاء خُصُّوا بكونهم من أهل البيت بالأولى من أزواجه ، فلهذا خصَّهم بالدعاء لما أدخلهم في الكساء ، كما أن مسجد قُباء أسس على التقوى ، ومسجده أيضا أسس على التقوى وهو أكمل في ذلك ، فلما نزل قوله تعالى: **لمسجدٌ أُسّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيه رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِرِين** [1] بسبب مسجد قباء ، تناول اللفظ لمسجد قباء ولمسجده بطريق الأولى .

وكذلك قوله في إيجاب المودة لهم غلط . فقد ثبت في الصحيح عن سعيد بن جبير أن ابن عباس رضى الله عنهما سئل عن قوله تعالى : **قل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى** [2] قال: فقلت : إلا أن تودّوا ذوى قربى محمد . فقال ابن عباس : عَجلتَ ، إنه لم يكن بطن من قريش إلا لرسول الله منهم قرابة . فقال : قل لا أسألكم عليه أجرا إلا أن تودوني في القرابة التي بيني وبينكم .

فابن عباس كان من كبار أهل البيت وأعلمهم بتفسير القرآن ، وهذا تفسيره الثابت عنه . ويدل على ذلك أنه لم يقل : إلا المودة لذوى القربى . و لكن قال : إلا المودة في القربى . ألا ترى أنه لما أراد ذوى قرباه قال :

وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى [3] ، ولا يُقال : المودة في ذوى القربى . وإنما يقال : المودة لذوى القربى . فكيف وقد قال قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ؟!

ويبين ذلك ان الرسول لا يسال أجراً أصلاً إنما أجره على الله ، وعلى المسلمين موالاة أهل البيت لكن بأدلة أخرى غير هذه الآية ، وليست موالاتنا أهل البيت من أجر النبي في شيء.

وأيضاً فإن هذه الآية مكية ، ولم يكن عليٌّ قد تزوج بفاطمة ولا وُلد له أولاد .

---

[1] (2) الآية 108 من سورة التوبة .
[2] (3) الآية 23 من سورة الشورى .
[3] (1) الآية 41 من سورة الأنفال .

وأما آية الابتهال ففي الصحيح أنها لما نزلت أخـذ النـبي بيد عليٍّ وفاطمة وحسن وحسـين ليباهـل بهـم[1]، لكـن خصّـهم بذلك لأنهم كانوا أقرب إليه من غيرهم ، فـإنه لـم يكـن لـه ولـد ذكر إذ ذاك يمشي معه .ولكن كان يقول عن الحسن:« إن ابنـي هذا سيد » فهما ابناه ونسـاؤه إذ لـم يكـن قـد بقـي لـه بنـت إلا فاطمة ا، فإن المباهلة كانت لما قدم وفد نجران ،وهم نصـارى ، وذلك كان بعد فتح مكة ، بل كان سنة تسـع ، فهـذه الآيـة تـدل على كمال اتّصالهم برسول اللـه ، كمـا دل علـى ذلـك حـديث الكساء ، ولكن هذا لا يقتضي أن يكون الواحد منهم أفضـل مـن سـائر المـؤمنين ولا أعلـم منهـم ، لأن الفضـيلة بكمـال الإيمـان والتقوى لا بقرب النسب .

كما قال تعالى: **إِنَّ أَكْرَمَكُـمْ عِنْـدَ اللـهِ أَتْقَـاكُم** [2] وقـد ثبـت ان الصـديق كـان أتقـى الأمـة بالكتـاب والسـنة ، وتواترعن النبي أنه قال:« لو كنت متخذا من أهـل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا »[3] ، وهذا بسوط في موضعه .

وأما ما نقله عن عليّ أنه كان يصلّي كل يوم وليلة ألـف ركعـة ، فهذا يدل على جهله بالفضيلة وجهله بالواقع . أما أوّلا فلأن هـذا ليس بفضيلة ، فإنه قد ثبت في الصحيح عن النبي أنـه كـان لا يزيد في الليل على ثلاث عشرة ركعة[4]. وثبت عنه في الصحيح أنه قال : « أفضل القيام قيام داود ، كان ينام نصـف الليـل ، ويقوم ثلثه ، وينام سدسه»[5].

وأيضا فقوله : إن علي بن أي طالب كـان أفضـل الخلـق بعـد رسـول اللـه دعـوى مجـردة ، ينـازعه فيهـا جمهـور المسلمين من الأوّلين والآخرين .

وقـوله: جعلـه اللـه نفـس رسـول اللـه حيـث قـال : **وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ** وواخاه .

فيقال : أما حديث المؤاخاه فباطل موضوع ، فإن النبي لم يؤاخ أحدا ، ولا آخى بين المهاجرين بعضهم مع بعض ،ولا بين الأنصار بعضهم مع بعض ، ولكن آخى بين المهاجرين والأنصـار ، كما آخى بين سعد بن الربيع وعبد الرحمن بن عوف ، وآخى بين

---

[1](2) انظر صحيح مسلم ج 4 ، ص 1871 والترمذي ج 4 ص 293.
[2](1) الآية 13 من سورة الحجرات .
[3](2) انظر البخاري ج 1 ص 96 ومسلم ج 4 ص 1854.
[4](3) انظر البخاري ج 2 ص 51 ومسلم ج 1 ص 508 .
[5](4) انظر البخاري ج 4 ص 161 وج 2 ص 50 ومسلم ج 2 ص 816 وغيرهما .

سلمان الفارسي وأبي الدرداء ، كما ثبت ذلك في الصحيح .
وأما قوله: ﴿**وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ** ﴾ فهذا مثل قوله :﴿ **لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِم خَيْرًا** ﴾[1]
نزلت في قصة عائشة ا في الإفك ، فإن الواحد من المؤمنين من أنفس المؤمنين والمؤمنات .
وأما تزويجه فاطمة ففضيلة لعليّ ، كما أن تزويجه عثمان بابنتيه فضيلة لعثمان أيضا ، ولذلك سُمِّي ذو النورين . وكذلك تزوجه بنت أبي بكر وبنت عمر فضيلة لهما ، فالخلفاء الأربعة أصهاره ورضي الله عنهم .
وأما قوله : ((وظهرت منه معجزات كثيرة)) فكأنه يسمّى كرامات الأولياء معجزات ، وهذا إصلاح لكثير من الناس . فيقال : عليّ أفضل من كثير ممن له كرامات ، والكرامات متواترة عن كثير من عوام أهل السنة الذين يفضلون أبا بكر وعمر على عليّ ، فكيف لا تكون الكرامات ثابتة لعليّ ؟ وليس في مجرد الكرامات ما يدل على أنه أفضل من غيره .
وأما قوله : ((حتى ادّعى قوم فيه الربوبية و قتلهم)) .
فهذه مقالة جاهل في غاية الجهل لوجوه : أحدها : أن معجزات النبي أعظم بكثير وما ادّعى فيه أحد من الصحابة الإلهية .
الثاني : أن معجزات الخليل وموسى أعظم بكثير وما ادّعى أحد فيهما الإلهية .
الثالث : إن معجزات نبينا ومعجزات موسى أعظم من معجزات المسيح ، وما ادُّعيت فيهما الإلهية كما ادعيت في المسيح .
الرابع : أن المسيح ادعيت فيه الإلهية أعظم مما ادعيت في محمد وإبراهيم وموسى ، ولم يدل ذلك لا على أنه أفضل منهم ولا على أن معجزاته أبهر .
الخامس : أن دعوى الإلهية فيهما دعوى باطلة تقابلها دعوى باطلة ، وهي دعوى اليهود في المسيح ، ودعوى الخوارج في عليّ ؛ فإن الخوارج كفَّروا عليّاً ، فإن جاز أن يُقال : إنما ادّعيت فيه الإلهية لقوة الشبهة . وجاز أن يقال ، إنما ادّعى فيه

---

[1](5) الآية 12 من سورة النور.

الكفر لقوة الشبهة ، وجاز أن يقال ، صدرت منه ذنوب اقتضت أن يكفّره بها الخوارج .

والخوارج أكثر وأعقل وأدين من الذين ادّعوا فيه الإلهية ، فإن جاز الاحتجاج بمثل هذا ، وجُعلت هذه الدعوى منقبة ، كان دعوى المبغضين له ودعوى الخوارج مثلبة أقوى وأقوى ، وأين الخوارج من الرافضة الغالية ؟!

فالخوارج من أعظم الناس صلاة وصياما وقراءة للقرآن ، ولهم جيوش وعساكر ، وهم متدينون بدين الإسلام باطناً و ظاهراً . والغالية المدّعون للإلهية إما أن يكونوا من أجهل الناس ، وإما أن يكونوا من أكفر الناس ، والغالية كفّار بإجماع العلماء ، وأما الخوارج فلا يكفّرهم إلا من يكفّر الإمامية ، وعلي لم يكن يكفّرهم ، ولا أمر بقتل الواحد المقدور عليه منهم، كما أمر بتحريق الغالية ، بل لم يقاتلهم حتى قتلوا عبد الله بن خبّاب وأغاروا على سرح الناس .

فثبت بالإجماع من عليّ ومن سائر الصحابة والعلماء أن الخوارج خير من الغالية ، فإن جاز لشيعته أن تجعل دعوى الغالية الإلهية فيه حجة على فضيلته كان لشيعة عثمان ان يجعلوا دعوى الخوارج لكفره حجة على نقيضه بطريق الأوْلى ، فعلم أن هذه الحجة إنما يحتج بها جاهل ، ثم أنها تعود عليه لا له ، ولهذا كان الناس يعلمون أن الرافضة أجهل وأكذب من الناصبة .

وأما قوله : ((وكان ولده سبطا رسول الله س يدا شباب أهل الجنة إمامين بنص النبي)) .

فيقال : الذي ثبت بلا شك عن النبي في الصحيح أنه قال عن الحسن : « إن ابني هذا سيد ، وإن الله سيصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين »[1] . وثبت عنه في الصحيح أنه كان يقعده وأسامة بن زيد على فخذه ويقول : « اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما »[2]

وهذا يدل على أن ما فعله الحسن من ترك القتال على الإمامة ، وقصد الإصلاح بين المسلمين كان محبوبا يحبه الله ورسوله ولم يكن ذلك معصية ، بل كان ذلك أحب إلى الله ورسوله من اقتتال المسلمين ، ولهذا أحبه وأحب أسامة بن زيد

---

[1](1) البخاري ج 3 ص 186 ومواضع أخر منه وسنن أبي داود ج 4 ص 299.

[2](2) انظر المسند ج 5 ص 205 ، 210 .

ودعا لهما ، فإن كلاهما كان يكره القتال في الفتنة ،فأما أسامة فلم يقاتل لا مع علي ولا مع معاوية ، والحسن كان دائماً يشير على عليّ بترك القتال، وهذا نقيض ما عليه الرافضة من أن ذلك الصلح كان مصيبة وكان ذلا ، ولو كان هناك إمام معصوم يجب على كل أحد طاعته ، ومن تولّى غيره كانت ولايته باطلة لا يجوز أن يجاهد معه ولا يصلي خلفه ، لكان ذلك الصلح من أعظم المصائب على أمة محمد وفيه فساد دينها ، فأي فضيلة كانت تكون للحسن بذلك حتى يُثنى عليه به ؟ وإنما غايته أن يُعذر لضعفه عن القتال الواجب والنبي جعل الحسن في الصلح سيدا محمودا ، ولم يجعله عاجزا معذوراً ، ولم يكن الحسن أعجز عن القتال من الحسين بل كان أقدر على القتال من الحسين ، والحسين قاتل حتى قُتل ، فإن كان ما فعله الحسين هو الأفضل الواجب ، كان ما فعله الحسن تركا للواجب أو عجزا عنه ، وإن كان ما فعله الحسن هو الأفضل الأصلح ، دل على أن ترك القتال هو الأفضل الأصلح ، وأن الذي فعله الحسن أحب إلى الله ورسوله مما فعله غيره ، والله يرفع درجات المؤمنين المتقين بعضهم على بعض ، وكلهم في الجنة ، رضى الله عنهم أجمعين .

ثم إن كان النبي جعلهما إمامين لم يكونا قد استفادا الإمامة بنصّ عليّ ، ولاستفادها الحسين بنص الحسن عليه ، ولا ريب أن الحسن والحسين ريحانتا النبي في الدنيا . وقد ثبت أنه أدخلهما مع أبويهما تحت الكساء ، وقال: « اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا » وأنه دعالهما في المباهلة ، وفضائلهما كثيرة ، وهما من أجلاء سادات المؤمنين . وأما كونهما أزهد الناس وأعلمهم في زمانهم فهذا قول بلا دليل .

وأما قوله : ((وجاهدا في الله حق جهاده حتى قتلا)).

فهذا كذب عليهما ، فإن الحسن تخلّى عن الأمر وسلّمه إلى معاوية ومعه جيوش العراق ، وما كان يختار قتال المسلمين قط ، وهذا متواتر من سيرته .

وأما موته ، فقد قيل : إنه مات مسموما ، وهذه شهادة له وكرامة في حقّه ، لكن لم يمت مقاتلا .

والحسين ما خرج يريد القتال ، ولكن ظن أن الناس يطيعونه ، فلما رأى انصرافهم عنه ، طلب الرجوع إلى وطنه أو الذهاب إلى الثغر ، أو إتيان يزيد ، فلم يمكّنه أولئك الظلمة لا

من هذا ولا من هذا ، وطلبوا أن يأخذوه أسيرا إلى يزيد ، فـ امتنع من ذلك وقاتل حتى قُتل مظلومًا شهيداً ، لم يكن قصده ابتـداءً أن يُقاتل .

وأما قوله عـن الحسـن : إنـه لبـس الصـوف تحـت ثيـابه الفاخرة .

فهذا من جنس قوله في علي : إنه كان يصلي ألف ركعـة ، فإن هذا لا فضيلة فيه ، وهـو كـذب . وذلـك أن لبـس الصـوف تحت ثياب القطن وغيره لو كـان فاضـلا لكـان النـبي شـرعه لأمته ، إما بقوله أو بفعله ، أو كان يفعلـه أصـحابه علـى عهـده ، فلما لم يفعله هو ولا أحد من أصحابه على عهده ، ولا رغب فيـه ، دل على أنه لا فضيلة فيه ، ولكن النبي لبس في السفر جبة صوف فوق ثيابه .

وأما الحديث الـذي رواه أن النـبي أخـذ يومـاً الحسـين على فخذه الأيمن وولـده إبراهيـم علـى فخـذه الأيسـر ، فنـزل جبريل وقال: إن الله تعالى لم يكن ليجمع لك بينهما فاختر مـن شئت منهما . فقال النبي : ((إذا مات الحسن بكيت أنا وعلـي وفاطمـة ، وإذا مـات إبراهيـم بكيـت أنـا عليـه)) فاختـار مـوت إبراهيم ، فمات بعد ثلاثة أيام . وكان إذا جاء الحسـين بعـد ذلـك يقبّله ويقول : أهلاً ومرحباً بمن فديته بابني إبراهيم)) .

فيقال : هذا الحديث لم يروه أحد مـن أهـل العلـم ، ولا يُعرف له إسنادا ولا يُعرف في شيء مـن كتـب الحـديث . وهـذا الناقل لم يذكر له إسنادا ، ولا عـزاه إلـى كتـاب حـديث ، ولكـن ذكره على عادته في روايته أحاديث مسيَّبة بلا زمام ولا خطام .

ومن المعلوم أن المنقولات لا يُميّز بين صدقها وكـذبها إلا بالطرق الدالة علـى ذلـك ، وإلا فـدعوى النقـل المجـرد بمنزلـة سائر الدعاوى .

ثـم يقـال: هـذا الحـديث كـذب موضـوع باتفـاق أهـل المعرفـة بالحديث ، وهو من أحاديث الجهَّال ، فإن اللـه تعـالى ليـس فـي جمعه بين إبراهيم والحسين أعظم مما في جمعه بيـن الحسـن والحسين على مقتضى الحديث ، فإن موت الحسن أو الحسـين إذا كان أعظم من موت إبراهيم ، فبقاء الحسن أعظم من بقـاء إبراهيم، وقد بقى الحسن مع الحسين .

(فصـــل)

أما عليّ بن الحسين فمن كبار التـابعين وسـاداتهم علمـا ودينا .

قال يحيى بن سعيد : ((هو أفضل هاشمي رأيته في المدينة)) . وقال محمد بن سعد في ((الطبقات))((كان ثقة مأمونا كثير الحديث عاليا رفيعا)). وروى عن حمَّاد بن زيد عن يحيى بن سعيد الأنصاري قال : ((سمعت عليَّ بن الحسين ، وكان أفضل هاشمي أدركته ، يقول : يا أيها الناس أحبونا حب الإسلام ، فما برح بنا حبكم حتى صار عاراً علينا)) .

وأما ما ذكره من قيام ألف ركعة ، فقد تقدّم أن هذا لا يمكن إلا على وجه يكره في الشريعة ، أو لا يمكن بحال ، فلا يصلح ذكر مثل هذا في المناقب . وكذلك ما ذَكَرَه من تسمية رسول الله صلى لله عليه وسلم له سيد العابدين هو شيء لا أصل له ، ولم يروه أحد من أهل العلم والدين .

وكذلك أبو جعفر محمد بن عليّ من خيار أهل العلم والدين . وقيل إنما سمى الباقر لأنه بَقَرَ العلم ، لا لأجل بقر السجود جبهته . وأما كونه أعلم أهل زمانه فهذا يحتاج إلى دليل ، والزهري من أقرانه ، وهو عند الناس أعلم منه، ونَقْلُ تسميته بالباقر عن النبي لا أصل له عند أهل العلم ، بل هو من الأحاديث الموضوعة . وكذلك حديث تبليغ جابر له السلام هو من الموضوعات عند أهل العلم بالحديث .

وجعفر الصادق م ن خيار أهل العلم والدين .وقال عمرو بن أبي المقدام :((كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيين)).

وأما قوله ((اشتغل بالعبادة عن الرياسة)) .

وهذا تناقض من الإمامية ، لأن الإمامة عندهم واجب عليه أن يقوم بها وبأعبائها ، فإنه لا إمام في وقته إلا هو ، فالقيام بهذا الأمر العظيم لو كان واجبا لكان أوْلى من الاشتغال بنوافل العبادات .

وأما قوله : إنه : ((هو الذي نشر فقه الإمامية ، والمعارف الحقيقية، والعقائد اليقينية)).

فهذا الكلام يستلزم أحد أمرين : إما أنه ابتدع في العلم ما لم يكن يعلمه من قبله .وإما أن يكون الذين قبله قصّروا فيما يجب عليهم من نشر العلم . وهل يشك عاقل أن النبي بيَّن لأمته المعارف الحقيقية والعقائد اليقينية أكمل بيان ؟ وأن أصحابه تلقّوا ذلك عنه وبلّغوه إلى المسلمين؟

وهذا يقتضي القدح : إما فيه ، وإما فيهم . بل كُذِب على جعفر الصادق أكثر مما كُذِب على من قبله ، فالآفة وقعت من الكذَّابين عليه لا منه . ولهذا نُسب إليه أنواع من الأكاذيب ، مثل

كتــاب ((البطاقــة)) و((الجَفْــر)) و ((الهَفْــت)) والكلام فــي النجوم .

(فصـــل)

وأما من بعد جعفر فموسـى بـن جعفـر ، قـال فيـه أبـو حاتم الرازي :

((ثقة صدوق إمام من أئمة المسلمين)). قلت : موسى ولـد بالمدينة سنة بضع وعشرين ومائة ،وأقدمه المهـدي إلـى بغـداد ثم رده إلى المدينة ، وأقام بها إلى أيام الرشيد ، فقــدم هــارون منصرفا من عُمْرةٍ ، فحمل موسى معه إلى بغداد ، وحبسـه بهـا إلى أن تُوفي في محبسه .

وأما من بعد موسى فلم يؤخذ عنهم من العلم ما يذكر به أخبارهم في كتب المشهورين بـالعلم وتـواريخهم ، ولا هـم فـي التفسـير وغيـره أقــوال معروفــة، ولكــن لهــم مــن الفضــائل والمحاسن مـا هـم لـه أهـل ،م أجمعيـن ، وموسـى بـن جعفـر مشهور بالعبادة والنسك .

وأما الحكاية المذكورة عن شقسق البلخى فكذب ، فــإن هذه الحكاية تخالف المعروف من حال موسى بن جعفر .

أما قــوله : ((تـاب علـى يـديه بشـر الحـافي)) فمـن أكاذيب من لا يعرف حاله ولا حال بشر ، فإن موسى بـن جعفـر لما قدم به الرشيد إلى العراق حبسـه ، فلـم يكـن ممـن يجتـاز على دار بشر وأمثاله من العامة .

(فصـــل)

قال الرافضي: ((وكان ولده عليّ الرضـا أزهـد أهـل زمانه وكـان أعلمهـم وأخـذ عنـه فقهـاء الجمهـور كـثيرا ، وولاّه المأمون لعلمه بما هو عليه من الكمال والفضـل . ووعـظ يومـا أخاه زيداً ، فقال : يا زيد ما أنت قائل لرسول الله إذا سَفَكْتَ الدماء ، وأخذت الأموال من غير حلهـا وأخفـت السـبل ، وغـرّك حمقى أهل الكوفة؟ وقد قال رسول الله : إن فاطمة أحصـنت فرجها ، فحرم الله ذريتها على النار وفي رواية : إن عليـا قـال : يا رسول الله لم سميت فاطمة ؟ قال : لأن الله فطمها وذريتها من النار ، فلا يكـون الإحصـان سـببا لتحريـم ذريتهـا علـى النـار وأنت تظلم . والله ما نالوا ذلـك إلا بطاعـة للـه ، فـإن أردت أن تنال بمعصية الله ما نالوا بطاعته ، إنك إذاً لأكرم على الله منهم .

وضرب المأمون اسمه على الدراهم والدنانير ، وكتب إلى أهل الآفاق ببيعته ، وطرح السواد ولبس الخضرة)) .

فيقال : من المصائب التي ابتُلي بها ولد الحسين انتساب الرافضة إليهم و تعظيمهم ومدحهم لهم ، فإنهم يُمدحون بما ليس بمدح ، ويدّعون لهم دعاوى لا حجة لها ، ويذكرون من الكلام ما لو لم يُعرف فضلهم من غير كلام الرافضة ، لكان ما تذكره الرافضة بالقدح أشبه منه في المدح ، فإن علي بن موسى له من المحاسن والمكارم المعروفة، والممادح المناسبة لحاله اللائقة به ، ما يعرفه بها أهل المعرفة . وأما هذا الرافضي فلم يذكر له فضيلة واحدة بحجة .

وأما قوله : ((إن كان أزهد الناس وأعلمهم)) فدعوى مجردة بلا دليل ، فكل من غلا في شخص أمكنه أن يدّعى له هذه الدعوى . كيف والناس يعلمون أنه كان في زمانه من هو أعلم منه ، ومن هو أزهد منه ، كالشافعي وإسحاق بن راهوية وأحمد بن حنبل وأشهب بن عبد العزيز ، وأبي سليمان الداراني ، ومعروف الكرخي ،وأمثال هؤلاء .

وأما قوله : ((إنه أخذ عن فقهاء الجمهور كثيراً)) فهذا من أظهر الكذب . هؤلاء فقهاء الجمهور المشهورين لم يأخذوا عنه ما هو معروف ، وإن أخذ عنه بعض من لا يُعرف من فقهاء الجمهور فهذا لا يُنكر ، فإن طلبة الفقهاء قد يأخذون من المتوسطين في العلم ، ومن هم دون المتوسطين .

وما ذكره بعض الناس من أن معروفا الكرخي كان خادماًله ، وأنه أسلم على يديه ، أو أن الخرقة متصلة منه إليه ، فكله كذب باتفاق من يعرف هذا الشأن .

والحديث الذي ذكره عن النبي ﷺ عن فاطمة هو كذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث ، ويظهر كذبه لغير أهل الحديث أيضا ؛ فإن قوله : ((إن فاطمة أحصنت فرجها فحرَّم الله ذريتها على النار)) يقتضي أن إحصان فرجها هو السبب لتحريم ذريتها على النار وهذا باطل قطعا ، فإن سارَّة أحصنت فرجها ، ولم يحرِّم الله جميع ذريتها على النار .

وأيضا فتسمية جبريل رسول الله إلى محمد ﷺ خادماً له عبارة من لا يعرف قدر الملائكة ، وقدر إرسال الله لهم إلى الأنبياء .و لكن الرافضة غالب حججهم أشعار تليق بجهلهم وظلمهم ، وحكايات مكذوبة تليق بجهلهم وكذبهم ، وما يُثْبِت أصول الدين بمثل هذه الأشعار ، إلا ليس معدوداً من أولي الأبصار.

(فصـــل)

قال الرافضي : ((وكان ولده محمد بـن علـي الجـواد على منهاج أبيـه فـي العلـم والتقـى والجـود ، ولمـا مـات أبـوه الرضا شغف بحبه المأمون لكثرة علمه ودينه ووفـور عقلـه مـع صغر سنه ،وأراد أن يزوِّجه ابنته أم الفضل ، وكان قـد زوَّج أبـاه الرضا عليه السلام بابنته أم حبيب ، فغلظ ذلك على العباسـيين واستنكروه وخافوا أن يخرج الأمر منهـم ، وأن يبـايعه كمـا بـايع أباه ، فاجتمع الأدنـون منهـم وسـألوه تـرك ذلـك ، وقـالوا : إنـه صغير السن لا علم عنده، فقال : أنا أعرف منكم به ، فإن شئتم فامتحنوه ، فرضوا بذلك ، وجعلوا للقاضي يحيى بـن أكثـم مـالاً كثيرا على امتحانه في مسألة يعجزه فيها ، فتواعدوا إلى يـوم ، وأحضره المأمون وحضر القاضـي وجماعـة العباسـيين ، فقـال القاضي : أسألك عن شيء ؟ فقال عليه السلام سل فقال: مـا تقول في مُحْرِم قتل صيدا؟ فقال له عليه السلام قتله فـي حـل أو حرم ، عالماً كان أو جاهلا ، مبتدئا بقتله أو عائـذا ، مـن صـغار الصيد كان أم من كبارها ، عبدا كان المُحرم أو حرًّا ، صغيرا كان أو كبيرا ، من ذوات الطيـر كـان الصـيد أم مـن غيرهـا ؟ فتحيـر يحيى بن أكثم ، وبان العجز في وجهه ، حتى عرف جماعـة أهـل المجلس أمره ، فقال المأمون لأهل بيته : عرفتم الآن مـا كنتـم تنكرونه ، ثم أقبل الإمام فقال : أتخطـب ؟ قـال : نعـم فقـال : أخطب لنفسك خطبة النكـاح ، فخطـب وعقـد علـى خمسـمائة درهم جياداً كمهر جدته فاطمة عليها السلام ، ثم تزوج بها .

والجواب أن يقال : إن محمد بن عليّ الجواد كان من أعيان بني هاشم، وهو معروف بالسخاء والسؤدد . ولهذا سُـمِّيَ الجواد ، ومات وهو شاب ابن خمس وعشرين سنة ، ولـد سـنة خمس وتسعين ومات سنة عشرين أو سنة تسع عشرة ، وكان المأمون زوَّجه بابنته ، وكان يرسـل إليـه فـي السـنة ألـف ألـف درهم ، واستقدمه المعتصم إلى بغداد ، ومات بها .

وأما ما ذكره فإنه من نمط ما قبله ، فإن الرافضـة ليـس لهم عقل صريح ولا نقل صحيح ، ولا يقيمـون حقـا ،ولا يهـدمون باطلا ، لا بحجة وبيان ، ولا بيد وسنان ، فإنه ليس فيما ذكـره مـا يثبت فضيلة محمد بن عليّ ، فضلا عن ثبوت إمامته ، فـإن هـذه الحكاية التي حكاها عـن يحيـى بـن أكثـم مـن الأكـاذيب الـتي لا

يفرح بها إلا الجهال ، ويحيى بن أكثم كان أفقه وأعلم وأفضل من أن يطلب تعجيز شخص بأن يسأله عن مُحْرِم قتل صيدا ، فإن صغار الفقهاء يعلمون حكم هذه المسألَة ، فليست من دقائق العلم ولا غرائبه ،ولا مما يختص به المبرِّزون في العلم .

(فصـــل)

قال الرافضي :((وكان ولده عليّ الهادي ، ويُقال له: العسكري ، لأن المتوكل أشخصه من المدينة إلى بغداد ، ثم منها إلى سُرَّ من رأى ، فأقام بموضع عندها يقال له العسكر، ثم انتقل إلى سُرَّ من رأى فأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر ، وإنما أشخصه المتوكل لأنه كان يبغض عليًّا ، فبلّغه مقام عليّ بالمدينة ، وميل الناس إليه ، فخاف منه ، فدعا يحيى بن هبيرة وأمره بإحضاره ، فضج أهل المدينة لذلك خوفا عليه ، لأنه كان محسنا إليهم ، ملازماً للعبادة في المسجد ، فحلف يحيى أنه لا مكروه عليه ، ثم فتَّش منزله فلم يجد فيه سوى مصاحف وأدعية وكتب العلم ، فعظم في عينه ، وتولى خدمته بنفسه ، فلما قدم بغداد بدأ بإسحاق بن إبراهيم الطائي وإلى بغداد. فقال له : يا يحيى هذا الرجل قد ولده رسول الله ، والمتوكل من تَعْلَم ، فإن حرضته عليه قتله ، وكان رسول الله خصمك يوم القيامة ، فقال له يحيى : والله ما وقعت منه إلا على خير . قال : فلما دخلت على المتوكل أخبرته بحسن سيرته وورعه وزهده فأكرمه المتوكل ، ثم مرض المتوكل فنذر إن عوفيَ تصدّق بدراهم كثيرة ، فسأل الفقهاء عن ذلك فلم يجد عندهم جوابا فبعث إلى عليّ الهادي ، فسأله فقال : تصدّق بثلاثة وثمانين درهما ، فسأله

المتوكل عن السبب، فقال: لقوله تعالى:﴿**لقدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةً** ﴾[1] وكانت لمواطن هذه الجملة ، فإن النبي غزا سبعاً وعشرين غزاة ، وبعث ستا وخمسين سرية .

قال المسعودي : نُمى إلى المتوكل بعليّ بن محمد أن في منزله سلاحا من شيعته من أهل قُم وأنه عازم على الملك ، فبعث إليه جماعة من الأتراك ، فهجموا داره ليلا فلم يجدوا فيها شيئا ، ووجدوه في بيت مغلق عليه وهو يقرأ وعليه مُدرعة من صوف ، وهو جالس على الرمل والحصى متوجها إلى الله تعالى يتلو القرآن ، فحُمل على حالته تلك إلى المتوكل ، وأُدخل عليه وهو في مجلس الشراب ، والكأس في يد المتوكل ، فعظّمه

---

[1](1) الآية 25 من سورة التوبة .

وأجلسه إلى جانبه ، وناوله الكأس ، فقال : والله ما خامر لحمي ودمي قط فأعفني، فأعفاه وقال له: أسمعني صوتا، فقال:﴿**كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُوُن**﴾. الآيات[1] فقال: أنشدنى شعراً، فقال: إني قليل الرواية للشعر ، فقال لا بد من ذلك ، فأنشده :

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم غُلْبُ الرجال فما أغنتهم القُلَلُ
واستُنزلوا بعد عزٍمن معاقلهم وأسكنوا حفراً يا بئس ما نزلوا
ناداهُمُ صارخ من بعد دفنهم أين الأسرَّة والتيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت منعَّمة من دونها تُضرب الأستار والكِلَلُ
فأفصح القبر عنهُمْ حين ساءَلُهُمْ تلك الوجوهُ عليها الدود يقتتل
قد طال ما أكلوا دهرا وما شربوا فأصبحوا بعد طول الأكل قد أُكلوا

فبكى المتوكل حتى بلت دموعه لحيته)) .

فيقال : هذا الكلام من جنس ما قبله ، لم يذكر منقبة بحجة صحيحة ، بل ذكر ما يعلم العلماء أنه من الباطل ، فإنه ذكر في الحكاية أن والي بغداد كان إسحاق بن إبراهيم الطائي ، وهذا من جهله، فإن إسحاق بن إبراهيم هذا خزاعي معروف هو وأهل بيته،كانوا من خزاعة،فإنه إسحاق بن إبراهيم بن الحسين بن مصعب ، ، وابن عمه عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب أمير خراسان المشهورالمعلومة سيرته ، وابن هذا محمد بن عبد الله بن طاهر كان نائبا على بغداد في خلافة المتوكل وغيره ، وهو الذي صلّى على أحمد بن حنبل لما مات ، وإسحاق بن إبراهيم هذا كان نائبا لهم في إمارة المعتصم والواثق وبعض أيام المتوكل ،وهؤلاء كلهم من خزاعة ليسوا من طيئ وهم أهل بيت مشهورون .

وأما الفُتيا التي ذكرها من أن المتوكل نذر إن عُوفِيَ يتصدّق بدراهم كثيرة ، وأنه سأل الفقهاء عن ذلك فلم يجد عندهم جوابا ، وأن عليّ بن محمد أمره أن يتصدق بثلاثة وثمانين درهما ، لقوله تعالى : ﴿**لقَدْ نَصَرَكُمْ اللّه في**

---

[1](2) الآية 25 من سورة الدخان .

مَواطِنَ كَثيرَةً [1] ، وأن المـواطن كـانت هـذه الجملـة ، فـإن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم غزا سـبعاً وعشـرين غـزاة ، وبعث ستاً وخمسين سرية ، فهذه الحكاية أيضا تحكى عن عليّ بن موسى مع المأمون ، وهي دائرة بيـن أمريـن: إمـا أن تكـون كذبا ، وإما أن تكون جهلا ممن أفتى بذلك .

فإن قول القائل: له عليَّ دراهم كثيرة ، أو والله لأعطيـن فلانا دراهم كثيرة ، أو لأتصدقن بـدراهم كـثيرة ، لا يُحمـل علـى ثلاث وثمانين عند أحد من علماء المسلمين .

والحجة المذكورة باطلة لوجــوه :

أحـدها : أن قـول القائـل : إن المـواطن كـانت سـبعا وعشرين غزاة وستا وخمسين سرية ، ليس بصحيح ، فإن النبي لم يغز سبعا وعشرين غزاة باتفاق أهل العلم بالسير، بل أقل من ذلك.

الثاني : أن هذه الآية نزلت يوم حنيـن ، واللـه قـد أخـبر بما كان قبل ذلك، فيجب أن يكون ما تقـدَّم قبـل ذلـك مـواطن كثيرة ، وكان بعد يوم حنين غزوة الطائف وغزوة تبـوك ، وكـثير من السرايا كانت بعد يوم حنين كالسرايا الـتي كـانت بعـد فتـح مكة مثل إرسال جرير بـن عبـد اللـه إلـى ذي الخلصـة وأمثـال ذلك.

وجرير إنما أسلم قبل موت النبي بنحو سنة ، وإذا كـان كثير من الغزوات والسرايا كانت بعد نزول هذه الآية ، امتنـع أن تكون هذه الآية المخبرة عـن الماضـي إخبـارا بجميـع المغـازي والسرايا .

الثالث : أن الله لم ينصـرهم فـي جميـع المغـازي ، بـل يوم أحد تولـوا ، وكـان يـوم بلاء وتمحيـص . وكـذلك يـوم مؤتـة وغيرها من السرايا لم يكونوا منصورين فيها ، فلو كـان مجمـوع المغازي والسرايا ثلاثا وثمانين فإنهم لم ينصروا فيها كلها ، حتى يكون مجموع ما نصروا فيه ثلاثا وثمانين .

الرابع : أنه بتقدير أن يكون المراد بالكثير في الآية ثلاثا وثمانين ، فهذا لا يقتضي اختصاص هذا القدر بـذلك ؛ فـإن لفـظ ((الكثير)) لفظ عام يتنـاول الألـف والألفيـن والآلاف ، وإذا عـمَّ أنواعا من المقادير ، فتخصيص بعض المقادير دون بعض تحكّـم .

---

[1](1) الآية 25 من سورة الدخان .

الخامس : أن الله تعالى قال:َ **مِنْ ذَا الَّـذِي يُقْـرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَة** [1] ، واللـه يضاعف الحسنة إلى سبعمائة ضعف بنص القرآن ، وقد ورد أنه يضاعفها ألفى ألف حسنة ، فقد سـمَّى هـذه الأضـعاف كـثيرة ، وهذه المواطن كثيرة .

وقد قال تعـالى : **كَمْ مِـنْ فِئَـةٍ قَلِيلَـةٍ غَلَبَـتْ فِئَـةً كَثِيرَةً بِـإِذْنِ اللـه وَاللـهُ مَـعَ الصَّـابِرِين** [2] والكـثرة ههنـا تتناول أنواعاً من المقادير ، لأن الفئات المعلومـة مـع الكـثرة لا تحصر فـي عـدد معيـن ، وقـد تكـون الفئـة القليلـة ألفـا والفئـة الكثيرة ثلاثة آلاف ، فهي قليلة بالنسبة إلى كثرة عدد الأخرى .

(فصـــل)

قال الرافضي : ((وولده مولانا المهـدي محمـد عليـه السلام .روى ابن الجـوزى بإسـناده إلـى ابـن عمـر قـال : قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي ، اسمه كاسـمي وكنيتـه كنيتي ، يملأ الأرض عدلا ، كما ملئت جورا ، فذلك هو المهدي)).

فيقال : قد ذكر محمد بن جرير الطـبري وعبـد البـاقي بـن قـانع وغيرهمـا مـن أهـل العلـم بالأنسـاب والتواريـخ : أن الحسن بن عليّ العسكري لم يكن له نسل ولا عقب . والإمامية الـذين يزعمـون أنـه كـان لـه ولـد يـدّعون أنـه دخـل السـرداب بسامرّا وهو صغير ، منهم من قال : عمره سنتان ، ومنهـم مـن قال: عمره ثلاث ، ومنهم من قال: خمس سنين وهـذا لـو كـان موجودا معلوما ، لكن الواجب في حكم الله الثابت بنص القرآن والسنة والإجماع أن يكون محضونا عند من يحضـنه فـي بـدنه ، كأمه ،وأم أمه ، ونحوهما من أهل الحضانة ، وأن يكون ماله عند من يحفظه : أما وصى أبيه إن كان له وصى ، وإما غير الوصى : إما قريب ، وإما نائب لدى السلطان ، فإنه يتيم لموت أبيه .

والله تعالى يقول : **وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَى إِذَا بَلَغُـوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُم رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِم أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا** [3] . فهـذا لا يجـوز

---

(1)[1] الآية 245 من سورة البقرة .
(2) الآية 249 من سورة البقرة .

(1)[3] الآية 6 من سورة النساء .

تسليم ماله إليه حتى يبلغ النكاح ويؤنس منه الرشد ، كما ذكر الله تعالى ذلك في كتابه ، فكيف يكون من يستحق الحجر عليه في بدنه وماله إماما لجميع المسلمين معصوما ، لا يكون أحدا مؤمنا إلا بالإيمان به ؟!

ثم إن هذا باتفاق منهم : سواء قُدِّر وجوده أو عدمه ، لا ينتفعون به لا في دين ولا في دنيا ، ولا علَّمَ أحداً شيئا ، ولا يعرف له صفة من صفات الخير ولا الشر ، فلم يحصل به شيء من مقاصد الإمامة ولا مصالحها ، لا الخاصة ولا العامة ، بل إن قدِّر وجوده فهو ضرر على أهل الأرض بلا نفع أصلا ، فإن المؤمنين به لم ينتفعوا به ، ولا حصل لهم به لطف ولا مصلحة، والمكذِّبون به يعذَّبون عندهم على تكذيبهم به ، فهو شر محض لا خير فيه ، وخلق مثل هذا ليس من فعل الحكيم العادل .

وإذا قالوا : إن الناس بسبب ظلمهم احتجب عنهم .

قيل: أولا : كان الظلم موجودا في زمن آبائه ولم يحتجبوا .

وقيل : ثانيا : فالمؤمنون به طبَّقوا الأرض فهلاَّ اجتمع بهم في بعض الأوقات أو أرسل إليهم رسولا يعلِّمهم شيئا من العلم والدين ؟!

وقيل : ثالثا : قد كان يمكنه أن يأوي إلى كثير من المواضع التي فيها شيعته ، كجبال الشام التي كان فيها الرافضة عاصية ، وغير ذلك من المواضع العاصية .

وقيل : رابعا : فإذا كان هو لا يمكنه أن يذكر شيئا من العلم والدين لأحد ، لأجل هذا الخوف ، لم يكن في وجوده لطف ولا مصلحة ، فكان هذا مناقضا لما أثبتوه .بخلاف من أرسل من الأنبياء وكُذِّب، فإنه بلَّغ الرسالة ، وحصل لمن آمن به من اللطف والمصلحة ما هو من نعم الله عليه . وهذا المنتَظَر لم يحصل به لطائفته إلا الانتظار لمن لا يأتي ، ودوام الحسرة والألم، ومعاداة العالم ، والدعاء الذي لا يستجيبه الله ، لأنهم يدعون له بالخروج والظهور من مدة أكثر من أربعمائة وخمسين سنة لم يحصل شيء من هذا . ثم إن عمر واحد من المسلمين هذه المدة أمر يعرف كذبه بالعادة المطَّردة في أمة محمد ، فلا يُعرف أحد وُلد في دين الإسلام وعاش مائة وعشرين سنة ، فضلا عن هذا العمر . وقد ثبت في الصحيح عن النبي أنه قال في آخر عمره : « أرأيتكم ليلتكم هذه ، فإنه

على رأس مائة سنة منها لا يبقى على وجه الأرض ممن هو اليوم عليها أحد))[1] .

فمن كان في ذلك الوقت له سنة ونحوها لم يعش ؟أكثر من مائه سنة قطعا . وإذا كانت الأعمار في ذلك العصر لا تتجاوز هذا الحد ، فما بعده من الأعصار أوْلى بذلك في العادة الغالبة العامة ، فإن أعمار بني آدم في الغالب كلما تأخر الزمان قصرت ولم تطل ، فإن نوحا عليه السلام لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما ، وآدم عليه السلام عاش ألف سنة ، كما ثبت ذلك في حديث صحيح رواه الترمذي وصحَّحَه[2] ، فكان العمر في ذلك الزمان طويلا ، ثم أعمار هذه الأمة ما بين الستين إلى السبعين ، وأقلهم من يَجوز ذلك ، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح[3] .

واحتجاجهم بحياة الخضر احتجاج باطل ، فمن الذي يسلِّم لهم بقاء الخضر . والذي عليه سائر العلماء المحققون أنه مات ، وبتقدير بقائه فليس هو من هذه الأمة .

ولهذا يوجد كثير من الكذَّابين من الجن والإنس ممن يدَّعي أنه الخضر ويظن من رآه أنه الخضر ، وفي ذلك من الحكايات الصحيحة التي نعرفها ما يطول وصفها هنا .

وكذلك المنتظر محمد بن الحسن ، فإن عددا كثيرا من الناس يدَّعي كل واحد منهم أنه محمد بن الحسن ،منهم من يظهر ذلك لطائفة من الناس ، ومنهم من يكتم ذلك ولا يظهره إلا للواحد أو الاثنين ، وما من هؤلاء إلا من يَظْهَرُ كذبه كما يظهر كذب من يدَّعي أنه الخضر .

(فصـــــل)

وقوله : روى ابن الجوزي بإسناده إلى ابن عمر : قال : قال رسول الله ﷺ: ((يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي ، اسمه كاسمي، وكنيته كنيتي ، يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا،فذلك هو المهدي))

فيقال : الجواب من وجوه :

---

[1](1) انظر البخاري ج 1 ص 119 ومسلم ج 4 ص 1965 .

[2](1) انظر سنن الترمذي ج 5 ص 123 –124 وقال : حسن غريب من هذا الوجه .

[3](2) انظر سنن الترمذي ج 3 ص 387 وابن ماجة ج 2 ص 1415 .

أحدها : إنكم لا تحتجون بأحاديث أهل السنة ، فمثل هذا الحديث لا يفيدكم فائدة . وإن قلتم : هو حجة على أهل السنة ، فنذكر كلامهم فيه .

الثاني : إن هذا من أخبار الآحاد ، فكيف يثبت به أصل الدين الذي لا يصح الإيمان إلا به ؟

الثالث : أن لفظ الحديث حجة عليكم لا لكم ، فإن لفظه : ((يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي)) فالمهدي الذي أخبر به النبي اسمه محمد بن عبد الله لا محمد بن الحسن . وقد رُوي عن عليّ أنه قال : هو من ولد الحسن بن عليّ ، لا من ولد الحسين بن عليّ .

وأحاديث المهدي معروفة ، رواها الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم ، كحديث عبد الله بن مسعود عن النبي أنه قال : ((لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوَّل الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلا من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي ، يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا))[1] .

الرابع : أن الحديث الذي ذكره ، وقوله : ((اسمه كاسمي ، وكنيته كنيتي)) ولم يقل : ((يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي)) فلم يروه أحد من أهل العلم بالحديث في كتب الحديث المعروفة، بهذا اللفظ . فهذا الرافضي لم يذكر الحديث بلفظه المعروف في كتب الحديث ، مثل مسند أحمد ، وسنن أبي داود والترمذي ، وغير ذلك من الكتب . وإنما ذكره بلفظ مكذوب لم يروه أحد منهم .

وقوله : إن ابن الجوزي رواه بإسناده : إن أراد العالم المشهور صاحب المصنَّفات الكثيرة أبا الفرج ، فهو كذب عليه . وإن أراد سبطه يوسف بن قز أوغلى صاحب التاريخ المسمى ((بمرآة الزمان)) وصاحب الكتاب المصنَّف في ((الإثنى عشر))الذي سمَّاه ((إعلام الخواص)) فهذا الرجل يذكر في مصنفاته أنواعا من الغثّ والسمين ، ويحتجّ في أغراضه بأحاديث كثيرة ضعيفة وموضوعة ، وكان يصنِّف بحسب مقاصد الناس : يصنِّف للشيعة ما يناسبهم ليعوِّضوه بذلك ، ويصنِّف على مذهب أبي حنيفة لبعض الملوك لينال بذلك أغراضه ، فكانت طريقته طريقة الواعظ الذي قيل له : ما مذهبك ؟ قال : في أي مدينة ؟

---

[1](1) انظر سنن أبي داود ج 4 ص 151 والترمذي ج 3 ص 343 والمسند ج 2 ص 117 .

ولهـذا يوجـد فـي بعـض كتبـه ثلـب الخلفـاء الراشـدين وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم لأجل مداهنة من قصـد بذلك من الشيعة ، ويوجد في بعضها تعظيم الخلفـاء الراشـدين وغيرهم .

(فصـــل)

قال الرافضي : ((فهؤلاء الأئمة الفضلاء المعصومون ، الذين بلغوا الغاية في الكمال ، ولم يتخذوا ما اتخذ غيرهم مـن الأئمة المشتغلين بالملك وأنواع المعاصـي والملاهـي ، وشـرب الخمور والفجور ، حتى فعلوا بأقاربهم على ما هو المتـواتر بيـن الناس . قالت الإمامية : فالله يحكم بيننا وبين هؤلاء ، وهو خيــر الحاكمين)).

قال : ((وما أحسن قول الشاعر:

إذا شئت أن ترضـي لنفسـك مـذهبا وتعلـم أن النـاس فـي نقل أخــبار

فدع عنـك قـول الشـافعي ومالـــك وأحمـد والمـرويّ عـن كـعب أحبار

ووال أناسـا قولهـم وحديثهـم روى جدنا عـن جبرئيـل عـن الباري))

والجواب من وجوه :

أحدها : أن يقال : أمـا دعـوى العصـمة فـي هـؤلاء فلـم تذكر عليها حجة إلا ما ادّعيته من أنه يجـب علـى اللـه أن يجعـل للناس إماما معصوما ، ليكون لطفا ومصلحة في التكليف ، وقد تبين فسـاد هـذه الحجـة مـن وجـوه : أدناهـا أن هـذا مفقـود لا موجود ، فإنه لم يوجد إمام معصوم حصل به لطف ولا مصلحة، ولو لم يكن في الدليل على انتفاء ذلك إلا المنتظر الذي قد عُلم بصريح العقل أنه لم ينتفع به أحد ، لا في ديـن ولا فـي دنيـا ، ولا حصل لأحد من المكلّفين به مصلحة ولا لطـف ، لكـان هـذا دليلا على بطلان قولهم ، فكيف مع كثرة الدلائل على ذلك ؟

الوجه الثاني : أن قوله : ((كل واحد من هؤلاء قد بلـغ الغاية في الكمال)) هو قول مجرد عن الدليل ،والقول بلا علـم يمكن كل أحد أن يقابله بمثله . وإذا ادّعى المدّعي هـذا الكمـال فيمن هو أشهر في العلم والدين من العسكريين وأمثالهمـا مـن الصحابة والتابعين ، وسائر أئمـة المسـلمين ، لكـان ذلـك أوْلـى بالقبول . ومن طـالع أخبـار النـاس علـم أن الفضـائل العلميـة

والدينية المتواترة عن غير واحد من الأئمة أكثر مم ا ينقل عن العسكريين وأمثالهما من الكذب، دع الصدق .

الثالث : أن قوله : ((هؤلاء الأئمة)) إن أراد بذلك أنهم كانوا ذوى سلطان وقدرة معهم السيف ، فهذا كذب ظاهر ، وهم لا يدَّعون ذلك ، بل يقولون : إنهم ع اجزون ممنوعون مغلوبون مع الظالمين ، لم يتمكن أحد منهم من الإمامة ، إلاّ عليّ بن أبي طالب ، مع أن الأمور استصعبت عليه ، ونصف الأمة – أو أقل أو أكثر – لم يبايعوه ، بل كثير منهم قاتلوه وقاتلهم ، وكثير منهم لم يقاتلوه ولم يقاتلوا معه ، وفي هؤلاء من هو أفضل من الذين قاتلوه وقاتلوا معه ، وكان فيهم من فضلاء المسلمين من لم يكن مع عليّ مثلهم، بل الذين تخلَّفوا عن القتال معه وله كانوا أفضل ممن قاتله وقاتل معه .

وإن أراد أنه كان لهم علم ودين يستحقون به أو كانوا أئمة ، فهذه الدعوى إذا صحت لا تُوجب كونهم أئمة يجب على الناس طاعتهم ، كما أن استحقاق الرجل أن يكون إمام مسجد لا يجعله إماما ، واستحقاقه أن يكون قاضيا لا يصيِّره قاضيا ، واستحقاقه أن يكون أمير الحرب لا يجعله أمير الحرب . والصلاة لا تصح إلا خلف من يكون إماما . وكذلك الحكم بين الناس إنما يفصله ذو سلطان وقدرة لا من يستحق أن يولَّى القضاء ، وكذلك الجند إنما يقاتلون مع أمير عليهم لا مع من لم يؤمَّر وإن كان يستحق أن يؤمَّر .

الوجه الرابع :أن يقال ما تعنون بالاستحقاق ؟ أتعنون أن الواحد من هؤلاء كان يجب أن يولى الإمامة دون سائر قريش ؟ أم تريدون أن الواحد منهم من جملة من يصلح للخلافة ؟ فإن أردتم الأول فهو ممنوع مردود ، وإن أردتم الثاني فذلك قدر مشترك بينهم و بين خلق كثير من قريش .

الوجه الخامس : أن يقال الإمام هو الذى يؤتم به وذلك على وجهين : أحدها : أن يرج ع إليه في العلم و الدين بحيث يطاع باختيار المطيع ، لكونه عالما بأمر الله عزوجل آمرا به ، فيطيعه المطيع لذلك ، وإن كان عاجزا عن إلزامه الطاعة .

والثاني : أن يكون صاحب يد وسيف ، بحيث يطاع طوعا وكرها لكونه قادرا على إلزام المطيع بالطاعة .

الوجه السادس : أن يقال : قوله : ((لم يتخذوا ما اتخذه غيرهم من الأئمة المشتغلين بالملك والمعاصي)) كلام باطل . وذلك أنه إن أراد أهل السنة يقولون : إنه يؤتم بهؤلاء الملوك فيما يفعلونه من معصية الله ، فهذا كذب عليهم . فإن

علماء أهل السنة المعروفين بـالعلم عنـد أهـل السـنة متفقـون على أنه لا يُقتدى بأحد في معصية الله ، ولا يُتخذ إماما في ذلـك .

وإن أراد ان أهل السـنة يسـتعينون بهـؤلاء الملـوك فيمـا يُحتاج إليهم فيه من طاعة الله ، ويعاونونهم على ما يفعلونه من طاعة الله ، فيقـال لهـم : إن كـان اتخـاذهم أئمـة بهـذا الاعتبـار محـذوراً ، فالرافضـة أدخـل منهـم فـي ذلـك ، فـإنهم دائمـا يستعينون بالكفّـار والفجّـار علـى مطـالبهم ، ويعـاونون الكفّـار والفجّار على كثير من مآربهم ، وهذا أمر مشهود في كل زمـان ومكان ، ولو لم يكن إلا صاحب هذا الكتاب ((منهـاج الندامـة)) وإخوانه ، فإنهم يتخذون المغـل والكفـار أو الفسَّـاق أو الجهـال أئمة بهذا الاعتبار .

الوجه السابع : أن يقال الأئمة الـذين هـم مثـل هـؤلاء الذين ذكرهم في كتابه وادّعـى عصـمتهم ، ليـس لهـم سـلطان تحصل به مقاصد الإمامة ، ولا يكفي الائتمام بهم في طاعة الله ، ولا في تحصيل ما لا بد منه مما يعين على طاعة الله ، فإن لـم يكن لهم ملك ولا سلطان لم يمكن أن تصلّي خلفهـم جمعـة ولا جماعة ، ولا يكونون أئمة في الجهاد ولا في الحج ، ولا تُقام بهـم الحدود ، ولا تُفصل بهم الخصـومات ، ولا يسـتوفي الرجـل بهـم حقوقه التي عند الناس والتي فـي بيـت المـال ، ولا يـؤمَّن بهـم السبل ، فإن هذه الأمـور كلهـا تحتـاج إلـى قـادر يقـوم بهـا ، ولا يكون قادراً إلاّ من له أعوان على ذلـك ، بـل القـادر علـى ذلـك كان غيرهم ، فمن طلب هذه الأمور من إمـام عـاجز عنهـا كـان جاهلا ظالما ، ومن استعان عليها بمن هو قادر عليها كـان عالمـا مهتديا مسدَّدا ، فهذا يحصِّل مصلحة دينه ودنيـاه ، والأول تفـوته مصلحة دينه ودنياه .

الوجه الثامن : أن يقال: دعـوى كـون جميـع الخلفـاء كانوا مشتغلين بما ذكـره مـن الخمـور والفجـور كـذب عليهـم ، والحكايات المنقولة في ذلك فيهـا مـا هـو كـذب ، وقـد عُلـم أن فيهـم العـدْل الزاهـد كعمـر بـن عبـد العزيـز والمهـدى بـالله ، وأكثرهم لم يكن مظهراً لهذه المنكـرات مـن خلفـاء بنـي أميـة وبني العباس ، وإن كان أحدهم قـد يُبتلـى ببع ض الـذنوب ،وقـد يكـون تـاب منهـا ، وقـد يكـون لـه حسـنات كـثيرة تمحـو تلـك السيئات ، وقد يُبتلى بمصائب تكفِّر عنه خطاياه . ففـي الجملـة الملوك حسناتهم كبار وسيئاتهم كبار ، والواحـد مـن هـؤلاء وإن كـان لـه ذنـوب ومعـاص لا تكـون لآحـاد المـؤمنين ، فلهـم مـن

الحسنات ما ليس لآحاد المسلمين : من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإقامة الحدود ، وجهاد العدو ، وإيصال كثير من الحقوق إلى مستحقيها ، ومنع كثير من الظلم ، وإقامة كثير من العدل .

ونحن لا نقول : إنهم كانوا سالمين من المظالم والذنوب ، كما لا نقول: إن أكثر المسلمين كانوا سالمين من ذلك ، لكن نقول : وجود الظلم والمعاصي من بعض المسلمين وولاة أمورهم وعامتهم لا يمنع أن يشارك فيما يعمله من طاعة الله .

وإن قال : مرادى بهؤلاء الأئمة الاثنا عشر . قيل له : ما رواه عليّ بن الحسين وأبو جعفر وأمثالهما من حديث جدهم ، فمقبول منهم كما يرويه أمثاله . ولولا أن الناس وجدوا عند مالك والشافعي وأحمد أكثر مما وجدوه عند موسى بن جعفر ، وعلي بن موسى ، ومحمد بن علي ، لما عدلوا عن هؤلاء إلى هؤلاء . وإلا فأي غرض لأهل العلم والدين أن يعدلوا عن موسى بن جعفر إلى مالك بن أنس ، وكلاهما من بلد واحد ، في عصر واحد ؟

فإن زعم زاعم أنه كان عندهم من العلم المخزون ما ليس عند أولئك لكن كانوا يكتمونه ، فأي فائدة للناس في علم يكتمونه ؟ فعلم لا يَقال به ككنز لا يُنفق منه ،وكيف يأتم الناس بمن لا يبين لهم العلم المكتوم ، كالإمام المعدوم ، وكلاهما لا يُنتفع به ، ولا يحصل به لطف ولا مصلحة . وإن قالوا : بل كانوا يبينون ذلك لخواصّهم دون هؤلاء الأئمة . قيل : أولا : هذا كذب عليهم، فإن جعفر بن محمد لم يجيء بعده مثله . وقد أخذ العلم عنه هؤلاء الأئمة ، كمالك ، وابن عيينة ، والثوري ، وابن جريج ، ويحيى بن سعيد ، وأمثالهم من العلماء المشاهير الأعيان .

ثم من ظن بهؤلاء السادة أنهم يكتمون علمهم ويخصّون به قوما مجهولين ليس لهم في الأمة لسان صدق ، فقد أساء الظن بهم ؛ فإن في هؤلاء من المحبة لله ولرسوله ، والطاعة له ، والرغبة في حفظ دينه وتبليغه ، وموالاة من والاه ، ومعاداة من عاداه ، وصيانته عن الزيادة والنقصان ، ما لا يوجد قريب منه لأحد من شيوخ الشيعة .وهذا أمر معلوم بالضرورة لمن عرف هؤلاء وهؤلاء . واعتبر هذا مما تجده في كل زمان من شيوخ السنة وشيوخ الرافضة ، كمصنِّف هذا الكتاب ، فإنه عند الإمامية أفضلهم في زمانه، بل يقول بعض الناس : ليس في بلاد المشرق أفضل منه في جنس العلوم مطلقا .ومع هذا

فكلامه يدل على أنه من أجهل خلق اللـه بحـال النـبي ﷺوأقـواله وأعماله ، فيروى الكذب الذي يظهر أنه كذب من وجوه كـثيرة ، فإن كان عالما بأنه كـذب ، فقـد ثبـت عنـه ﷺأنـه قـال : ((مـن حدَّث عني بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحـد الكـاذبين)) وإن كان جاهلا بذلك دلّ على أنه من أجهل الناس بأحوال النبي ﷺكما قيل :

فإن كنت لا تدري فتلـك مصيبـة وإن كنت تــدري فالمصـيبة أعظـم

(فصـــل)

قال الرافضي : ((وما أظن أحدا من المحصِّلين وقف على هذه المذاهب واختار غير مذهب الإمامية باطنـا ، وإن كـان في الظـاهر يصـير إلـى غيـره طلبـا لـدنيا ، حيـث وُضـعت لهـم المدارس والربط والأوقاف حتى تستمر لبنـي العبـاس الـدعوة ويُشيدوا للعامة اعتقاد إمامتهم)).

فيقال : هذا الكلام لا يقوله إلا من هو من أجهل النـاس بأحوال أهل السنة ، أو من هو من أعظـم النـاس كـذبا وعنـادا ، وبطلانه ظاهر من وجـوه كـثيرة ؛ فـإنه مـن المعلـوم أن السـنة كانت قبل أن تُبنى المدارس أقوى وأظهر ، فإن المـدارس إنمـا بُنيت في بغداد في أثناء المائة الخامسـة : بنيـت النظاميـة فـي حدود الستين والأربعمائة ، وبنيتا على مـذهب واحـد مـن الأئمـة الأربعة . والمذاهب الأربعة طبقت المشرق والمغـرب ، وليـس لأحد منهم مدرسة ، والمالكية في المغرب لا يُذكر عنـدهم ولـد العباس.

ثم السنة كانت قبل دولة بني العباس أظهر منهـا وأقـوى في دولة بني العباس ، فإن بني العباس دخل في دولتهـم كـثير من الشيعة وغيرهم من أهل أبدع . ثم أن أهـل السـنة متفقـون على أن الخلافة لا تختص ببني العباس ، وإنـه لـو تولاهمـا بعـض العلويين أو الأمويين أو غيرهم من بطون قريش جاز ، ثـم مـن المعلوم أن علماء السنة ، كمالـك وأحمـد وغيرهمـا ، مـن أبعـد الناس عن مداهنة الملوك أو مقاربتهم ، ثم إن أهل السـنة إنمـا يعظِّمون الخلفاء الراشدين ، وليس فيهم أحد من بني العباس .

ثم من المعلوم لكل عاقل أنه ليس في علماء المسلمين المشـهورين أحـد رافضـي ، بـل كلهـم متفقـون علـى تجهيـل الرافضة وتضليلهم ، وكتبهـم كلهـا شـاهدة بـذلك ، وهـذه كتـب

الطوائف كلها تنطـق بـذلك ، مـع أنـه لا أحـد يلجئهـم إلـى ذكـر الرافضة ، وذكر جهلهم وضلالهم .

وهم دائما يذكون من جهـل الرافضـة وضـلالهم مـا يُعلـم معه بالاضطرار أنهـم يعتقـدون أن الرافضـة مـن أجهـل النـاس وأضلهم ، وأبعد طوائف الأمة عن الهدى . كيـف ومـذهب هـؤلاء الإمامية قد جمع عظائم البـدع المنكـرة ، فـإنهم جهميـة قدريـة رافضـة ،وكلام السـلف والعلمـاء فـي ذم كـل صـنف مـن هـذه الأصـناف لا يحصـيه إلا اللـه ، والكتـب مشـحونة بـذلك ، ككتـب الحديث والآثار والفقه والتفسير والأصول والفروع وغيـر ذلـك ، وهـؤلاء الثلاثـة شـر مـن غيرهـم مـن أهـل البـدع كالمرجئـة والحرورية .

والله يعلم أني مع كثرة بحثي وتطلعي إلى معرفة أقـوال الناس ومذاهبهم ما علمت رجلا له في الأمة لسان صـدق يُتهـم بمذهب الإمامية ، فضلا عن أن يُقال : إنه يعتقده في الباطن .

وقد اتُّهم بمذهب الزيدية الحسـن بـن الصـالح بـن حـيّ ، وكان فقيها صالحا زاهدا، وقيل : إن ذلك كذب عليه ، ولم ينقـل أحد عنه : إنه طعن في أبي بكر وعمر ، فضلا عن أن يشك فـي إمامتهما ، واتُّهم طائفة من الشيعة الأولى بتفضـيل علـيّ علـى عثمان ، ولم يُتهم أحد من الشيعة الأولى بتفضيل عليّ على أبي بكر وعمر ، بل كانت عامـة الشـيعة الأولـى الـذين يحبـون عليًّـا يفضِّلون عليه أبا بكر وعمر ، لكن كان فيهم طائفة ترجِّحه علـى عثمان ، وكان الناس في الفتنة صاروا شيعتين : شيعة عثمانيـة ، وشيعة علوية . وليس كل من قاتل مع عليّ كان يفضـله علـى عثمان ، بل كان كثير منهم يفضّل عثمـان علـى علـيّ ، كمـا هـو قول سائر أهل السنة .

(فصـــل)

قال الرافضـي : ((وكـثيرا مـا رأينـا مـن يتـدين فـي الباطن بمذهب الإمامية ، ويمنعه عن إظهار حـبّ الـدنيا وطلـب الرياسة ، وقد رأيت بعض أئمة الحنابلة يقول : إني على مذهب الإمامية فقلت : لم تدرس على مذهب الحنابلة ؟ فقال : ليـس فـي مـذهبكم البغلات والمشـاهرات . وكـان أكـبر مدرسـي الشافعية في زماننـا حيـث تـوفي أوصـى أن يتـولى أمـره فـي غُسله وتجهيزه بعض المـؤمنين ، وأن يُـدفن فـي مشـهد مولانـا الكاظم ، وأشهد عليه أنه كان على مذهب الإمامية)).

والجواب : أن قوله **:** ((وكثيرا م ا رأينا)) هذا كذب ، بل قد يوجد في بعض المنتسبين إلى مذهب الأئمة الأربعة من هو في الباطن رافضي ، كما يوجد في المظهرين للإسلام من هو في الباطن منافق ، فإن الرافضة لما كانوا من جنس المنافقين يخفون أمرهم احتاجوا أن يتظاهروا بغير ذلك ، كما احتاج المنافقون أن يتظاهروا بغير الكفر ، ولا يوجد هذا إلا فيمن هو جاهل بأحوال النبي وأمور المسلمين كيف كانت في أول الإسلام. وأما من عرف الإسلام كيف كان ، وهو مقرٌّ بأن محمداً رسول الله باطنا وظاهرا ، فإنه يمتنع أن يكون في الباطن رافضيا ، ولا يُتصور أن يكون في الباطن رافضيا إلا زنديق منافق ، أو جاهل بالإسلام كيف كان مُفرط في الجهل .

والحكاية التي ذكرها عن بعض الأئمة المدرسين ذكر لي بعض البغداديين أنها كذب مفترى ، فإن كان صادقا فيما نقله عن بعض المدرسين من هؤلاء وهؤلاء ، فلا يُنكر أن يكون في المنتسبين إلى الأئمة الأربعة من هو زنديق ملحد مارق من الإسلام ،فضلا عن أن يكون رافضيا . ومن استدل بزندقة بعض الناس في الباطن على أن علماء المسلمين كلهم زنادقة ، كان من أجهل الناس، كذلك من استدل برفض بعض الناس في الباطن .

(فصـــل)

قال الرافضي : ((الوجه الخامس : في بيان وجوب اتباع مذهب الإمامية أنهم لم يذهبوا إلى التعصب في غير الحق ، بخلاف غيرهم ، فقد ذكر الغزالي والماوردي ، وهما إمامان للشافعية ، أن تسطيح القبور هي المشروع، لكن لما جعلته الرافضة شعارا لهم عدلنا عنه إلى التسنيم ، وذكر الزمخشري ، وكان من أئمة الحنفية ، في تفسير قوله تعالى : ﴿ **هوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُم وَمَلاَئِكَتَهُ** ﴾[1] أنه يجوز بمقتضى هذه الآية أن يُصلَّى على آحاد المسلمين ، لكن لما اتخذت الرافضة ذلك في أئمتهم منعناه . وقال مصنف ((الهداية)) من الحنفية: إن المشروع التختم في اليمين ، ولكن لما اتخذته الرافضة جعلنا التختم في اليسار ، وأمثال ذلك كثير فانظر إلى من يغيّر الشريعة ويبدِّل الأحكام التي ورد بها النص عن النبي ويذهب

---

[1](1) الآية 43 من سورة الأحزاب .

إلـى ضـد الصـواب معانـدة لقـوم معينيـن ، فهـل يجـوز اتّبـاعه والمصير إلى أقواله ؟))

والجواب مـن طريقـتين : أحـدهما : أن هـذا الـذي ذكره هو بالرافضة ألصق .

والثاني : أن أئمة السنة براء من هذا .

أما الطريق الأول فيقال : لا نعلم طائفة أعظم تعصبا في الباطل من الرافضـة ، حـتى إنهـم دون سـائر الطوائـف عُـرف منهـم شـهادة الـزور لمـوافقهم علـى مخـالفهم ، وليـس فـي التعصب أعظم من الكـذب ، وحـتى أنهـم فـي التعصـب جعلـوا للبنت جميـع الميـراث ، ليقولـوا : إن فاطمـة رضـى اللـه عنهـا ورثت رسول الله دون عمه العباس ، وحتى أن فيهـم مـن حرَّم لحم الجمل لأن عائشة قاتلت على جمل ، فخـالفوا كتـاب الله وسنة رسـوله وإجمـاع الصـحابة والقرابـة لأمـر لا يناسـب ذلك ، فإن ذلك الجمل الذي ركبته عائشة رضى الله عنهـا مـات ،ولـو فـرض أنـه حـيّ فركـوب الكفّـار علـى الجمـال لا يـوجب تحريمها، وما زال الكفّار يركبون جمالا ويغنمها المسلمون منهم ، ولحمها حلال لهم ، فأي شيء في ركوب عائشـة للجمـل ممـا يوجب تحريم لحمه ؟وغاية ما يفرضـون أن بعـض مـن يجعلـونه كافرا ركب جملا ، مع أنهم كاذبون مفـترون فيمـا يرمـون بـه أم المؤمنين رضى الله عنها .

ومـن تعصـبهم أنهـم لا يـذكرون اسـم ((العشـرة)) بـل يقولـون تسـعة وواحـد ، وإذا بنـوا أعمـدة أو غيرهـا لا يجعلونهـا عشرة ، وهم يتحرَّون ذلك في كثير من أمورهم .

ومن تعصبهم أنهـم إذا وجـدوا مسـمّى بعلـيّ أو جعفـر أو الحسن أو الحسين بادروا إلى إكرامه ، مع أنه قد يكون فاسقا ، وقد يكون في البـاطن سـنياً ، فـإن أهـل السـنة يسـمُّون بهـذه الأسماء . كل هذا من التعصب والجهل ، ومن تعصـبهم وجهلهـم أنهم يُبغضون بني أمية كلهم لكون بعضهم كان ممن يبغض عليًّا .

وقد كان في بني أمية قوم صـالحون مـاتوا قبـل الفتنـة ، وكان بنو أمية اكثر القبائل عمَّـالا للنـبي ، فـإنه لمـا فتـح مكـة اسـتعمل عليهـا عتّـاب ابـن أسـيد بـن أبـي العاصـي بـن أميـة، واستعمل خالد بن سعيد بن العاص بن أمية ، وأخـويه أبـان بـن سعيد وسعيد بن سعيد على أعمال أُخر ، واسـتعمل أبـا سـفيان بن حرب بن أمية على نجران أو ابنه يزيد ، ومـات وهـو عليهـا ، وصاهر نبي الله ببناته الثلاث لبنـي أميـة ، ،فـزوّج أكـبر بنـاته

زينب بأبي العاص بن الربيع بـن أميـة بـن عبـد شـمس ، وحمـد صهره لما أراد عليٌّ أن يتزوج ببنت أبي جهل ، فـذكر صـهراً لـه من بني أمية بن عبد شمس فأثنى عليه فـي مصـاهرته ، وقـال: ((حدثني فصدقني ، ووعدني فوفَّى لي)). وزوَّج ابنتيه لعثمان بـن عفان ، واحدة بعد واحدة ، وقال:((لو كانت عندنا ثالثة لزوجناها عثمان)) .

وكذلك من جهلهم وتعصبهم أنهم يبغضـون أهـل الشـام ، لكونهم كان فيهم أولا مـن يبغـض عليًّـا . ومعلـوم أن مكـة كـان فيهـا كفّـار ومؤمنـون ، وكـذلك المدينـة كـان فيهـا مؤمنـون ومنافقون ، والشام في هذه الأعصار لم يبـق فيـه مـن يتظـاهر ببغض عليّ ، ولكن لفرط جهلهم يسحبون ذيل البغـض .وكـذلك من جهلهم أنهم يذمون مـن ينتفـع بشـيء مـن آثـار بنـي أميـة ، كالشرب من نهر يزيد، ويزيد لم يحفره ولكن وسَّعه ، وكالصلاة في جامع بناه بنو أمية . ومن المعلوم أن النبي كان يصلّي إلى الكعبة التي بناها المشركون ، وكان يسكن في المسـاكن الـتي بنوها ، وكان يشرب من ماء الآبـار الـتي حفروهـا ، ويلبـس مـن الثياب التي نسجوها ، ويعامل بالدراهم التي ضربوها . فإذا كان ينتفع بمساكنهم وملابسهم ، والمياه التي أنبطوهـا ، والمسـاجد التي بنوها ، فكيف بأهل القبلة ؟ !

فلو فـرض أن يزيـد كـان حـافراً وحفـر نهـرا ، لـم يكـره الشرب منه بإجماع المسلمين ،ولكن لفرط تعصبهم كرهـوا مـا يضاف إلى من يبغضونه .

ولقد حدثني ثقة أنه كان لرجـل منهـم كلـب فـدعاه آخـر منهـم : بكيـر ، فقـال صـاحب الكلـب : أتسـمي كلـبي بأسـماء أصحاب النار ؟ فاقتتلا علـى ذلـك حـتى جـرى بينهمـا دم . فهـل يكون أجهل من هؤلاء ؟!

وأما الطريق الثاني في الجـواب فنقـول : الـذي عليه أئمة الإسلام إن كان مشروعاً لم يُترك لمجـرد فعـل أهـل البدع : لا الرافضة ولا غيرهم . وأصول الأئمة كلهم توافق هذا ، منها مسـألة التسـطيح الـذي ذكرهـا ، فـإن مـذهب أبـي حنيفـة وأحمد أن تسنيم القبور أفضل ، كما ثبـت فـي الصـحيح أن قـبر النبي كان مسنَّماً ، ولأن ذلك أبعـد عـن مشـابهة أبنيـة الـدنيا، وأمنع عن القعود على القبور .والشافعي يستحب التسطيح لمـا رُوى من الأمر بتسوية القبور ، فرأى أن التسوية هي التسطيح . ثم إن بعض أصحابه قال : إن هذا شعار الرافضـة فيُكـره ذلـك ،

فخالفه جمهور الأصحاب وقالوا : بل هـو المسـتحب وإن فعلتـه الرافضة .

وكـذلك الجهـر بالبسـملة هـو مـذهب الرافضـة ، وبعـض الناس تكلّم في الشافعي بسببها ، وبسبب القنوت ،ونسبه إلـى قول الرافضة والقدريـة ، لأن المعـروف فـي العـراق إن الجهـر كان من شعار الرافضة ، وأن القنوت في الفجر كان من شـعار القدرية الرافضة ، حـتى أن سـفيان الثـوري وغيـره مـن الأئمـة يذكرون في عقائدهم ترك الجهر بالبسـملة ، لأنـه كـان عنـدهم من شعار الرافضة ، كما يذكرون المسح على الخفين لأن تركه كان من شعار الرافضة، ومع هذا فالشافعي لما رأى أن هذا هـو السنة كان ذلك مذهبه وإن وافق قول الرافضة .

وكذلك إحرام أهل العـراق مـن العقيـق يسـتحب عنـده ، وإن كان ذلك مذهب الرافضة ، ونظائر هذا كثيرة .

(فصـــل)

قال الرافضي : ((مع أنهم ابتدعوا أشـياء ، واعـترفوا بأنها بدعة ، وأن النبي قال : « كل بدعة ضلالة ، وكـل ضـلالة فإن مصيرها النار »). وقال : « من أدخل في ديننا ما ليس منـه فهو ردّ »، ولو ردوا عنها كرهته نفوسهم ونفرت قلـوبهم ، كـذكر الخلفاء في خطبهم ، مع أنه بالإجماع لم يكن في زمـن النـبي ، ولا في زمن أحد من الصحابة والتابعين ، ولا في زمن بني أمية ، ولا في صدور ولاية العباسيين ، بـل شـيء أحـدثه المنصـور لمـا وقع بينه وبين العلوية خلاف،فقال:والله لأرغمن أنفـي وأنـوفهم وأرفـع عليهـم بنـي تيـم وعـدي ،وذكـر الصـحابة فـي خطبتـه ، واستمرت هذه البدعة إلى هذا الزمان)).

فيقـال : الجـواب مـن وجـوه : أحـدها : أن ذكـر الخلفاء على المنبر كان على عهد عمر بن عبد العزيـز ، بـل قـد رُوى أنه كان على عهد عمر بن الخطاب .

الوجه الثاني : أنه قيل : أن عمر بـن عبـد العزيـز ذكـر الخلفاء الأربعة لما كان بعض بني أمية يسبُّون عليا ، فعوَّض عن ذلك بذكر الخلفاء والترضّي عنهم ، ليمحو تلك السنة الفاسدة .

الـوجه الثـالث : أن مـا ذكـره مـن إحـداث المنصـور وقصده بذلك باطل ، فإن أبا بكر وعمر مـا توليـا الخلافـة قبـل المنصور وقبل بني أمية، فلم يكن في ذكر المنصور لهما إرغـام لأنفه ولا لأنوف بني عليّ، إلا لو كان بعض بني تيْم أو بعـض بنـي عدي ينازعهم الخلافة ، ولم يكن أحد من هؤلاء ينازعهم فيها .

الـوجه الرابـع : أن أهـل السـنة لا يقولـون : إن ذكـر الخلفاء الأربعة في الخطبة فـرضٌ ، بـل يقولـون : إن الاقتصـار على عليّ وحده ، أو ذكر الاثنى عشر هو البدعـة المنكـرة الـتي لم يفعلها أحد ، لا من الصحابة ، ولا مـن التـابعين ، ولا مـن بنـي أمية ، ولا من بني العباس . كما يقولون : إن سب عليّ أو غيـره من السلف بدعة منكرة ، فإن كان ذكر الخلفاء الأربعـة بدعـة ، مع أن كثيراً من الخلفاء فعلوا ذلك ، فالاقتصار على علـيّ ، مـع أنه لم يسبق إليه أحد من الأمة أوْلى أن يكون بدعـة ، وإن كـان ذكر عليٍّ لكونه أمير المؤمنين مستحبا ، فذكر الأربعة الذين هم الخلفـاء الراشـدون أوْلـى بالاسـتحباب ، لكـن الرافضـة مـن المطففين : يرى أحدهم القَذَاة في عيون أهل السنة ، ولا يـرى الجذع المعترض في عينه .

ومن المعلوم أن الخلفاء الثلاثة اتفق عليهم المسـلمون ، وكان السيف في زمانهم مسلولا على الكفار ، مكفوفاً عن أهل الإسلام . وأما علـيّ فلـم يتفـق المسـلمون علـى مبـايعته ، بـل وقعت الفتنة تلك المدة ، وكان السيف في تلـك المـدة مكفوفـا عن الكفار مسلولاً على أهل الإسلام ، فاقتصار المقتصـر علـى ذكر عليّ وحـده دون م ن سـبقه ، هـو تـرك لـذكر الأئمـة وقـت اجتماع المسلمين وانتصارهم على عدوهم ، واقتصار على ذكـر الإمام الذي كان إماما وقت افتراق المسـلمين وطلـب عـدوهم لبلادهم .

(فصـــل)

قال الرافضي : ((وكمسح الرجلين الذي نصّ الله تعالى عليه في كتابه العزيز فقال :ﷲ **فاْغسِلُوا وُجُـوهَكُمْ وَأَيْـدِيَكُم إِلَـى الْمَرَافِـقِ وَامْسَـحُوا بِرُؤُوسِـكُمْ وَأَرْجُلَكُـمْ إِلَـى الْكَعْبَيْـن** ﷲ[1] ، وقـال ابـن عبـاس : ((عضـوان مغسـولان، وعضوان ممسوحان ، فغيروه وأوجبوا الغسل)) .

فيقال : الـذين نقلـوا عـن النـبي ﷺ الوضـوء قـولا وفعلا، والذين تعلّموا الوضوء منه وتوضـؤوا علـى عهـده ، وهـو يراهـم ويقرهم عليه ونقلوه إلى من بعدهم ، أكثر عددا من الذين نقلوا لفظ هذه الآيـة ، فـإن جميـع المسـلمين كـانوا يتوضـؤون علـى عهده ، ولم يتعلموا الوضوء إلا منه ﷺ؛ فإن هذا العمـل لـم يكـن معهوداً عندهم في الجاهلية ، وهم قد رأوه يتوضـأ مـا لا يحصـى

[1](1) الآية 6 من سورة المائدة .

عدده إلا الله تعالى ، ونقلوا عنه ذكر غسل الرجليـن فيمـا شـاء الله من الحديث ، حتى نقلـوا عنـه مـن غيـر وجـه فـي الصـحاح وغيرها أنه قال : « ويل للأعقاب وبطون الأقدام من النار» ، مع أن الفرض إذا كان مسح ظهر القدم ، كان غسل الجميع كلفة لا تدعو إليها الطباع ، كما تدعو الطباع إلى طلب الرئاسة والمـال فإن جاز أن يقال : إنهم كذبوا وأخطؤوا فيما نقلوه عنه من ذلك ، كان الكذب والخطأ فيما نُقل من لفظ الآية أقرب إلى الجواز .

وإن قيل بل لفظت الآية بالتواتر الذي لا يمكن الخطأ فيه ، فثبوت التواتر في نقل الوضوء عنه أوْلى وأكمل ،ولفظ الآية لا يخالف ما تواتر من السـنَّة ، فـ إن المسـح جنـس تحتـه نوعـان : الإسالة ، وغير الإسالة ، كما تقول العـرب : تمسَّـحت للصـلاة ، فما كان بالإسالة فهـو الغسـل ، وإذا خـص أحـد النـوعين باسـم الغسل فقد يخص النـوع الآخـر باسـم المسـح ، فالمسـح يُقـال على المسح العام الذي يندرج فيه الغسل ، ويُقال على الخـاص الذي لا يندرج فيه الغسل.

وفي القرآن مـا يـدل علـى أنـه لـم يُـرد بمسـح الرجليـن المسح الذي هو قسيم الغسل ، بل المسح الذي الغسـل قسـم منه ؛ فإنه قال : ﴿ إلى الكعبين ﴾ ولم يقـل : إلـى الكعـاب ، كمـا قال : ﴿ إلى المرافق ﴾ ، فدل على أنه ليس في كل رجـل كعـب واحد ، كما في كل يد مرفق واحد ، بـل فـي كـل رجـل كعبـان ، فيكون تعالى قد أمر بالمسح إلى العظمين النـاتئين ، وهـذا هـو الغسل ، فإن من يمسح المسح الخـاص يجعـل المسـح لظهـور القدمين ، وفي ذكره الغسل في العضوين الأوَّلَيْن والمسح فـي الآخرين ، التنبيه على أن هـذين العضـوين يجـب فيهمـا المسـح العام ، فتـارة يُجـزئ المسـح الخـاص ، كمـا فـي مسـح الـرأس والعمامة والمسح على الخفين ، وتارة لا بد من المسح الكامـل الذي هو غسل، كما في الرجلين المكشوفتين .

وقد تواترت السـنة عـن النـبي ﷺ بالمسـح علـى الخفيـن وبغسل الرجلين ، والرافضة تخالف هذه السنة المتـواترة، كمـا تخالف الخوارج نحـو ذلـك ، ممـا يتوهمـون أنـه مخـالف لظـاهر القرآن ، بل تـواتر غسـل الرجليـن والمسـح علـى الخفيـن عـن النبي ﷺأعظم من تواتر قطع اليد في ربع دينار، أو ثلاثـة دراهـم ، أو عشرة دراهم ، أو نحو ذلك .

وفي الجملة فالقرآن ليس فيه نفي إيجـاب الغسـل ، بـل فيه إيجاب المسح، فلو قدِّر أن السنة أوجبت قدراً زائدا على ما

أوجبه القرآن لم يكن في هذا رفعا لموجب القـرآن ، فكيـف إذا فسَّرته وبيَّنت معناه ؟ وهذا مبسوط في موضعه .

(فصـــل)

قال الرافضي : ((وكالمتعتين اللتين ورد بهما القرآن ، فقال في متعة الحج :﴿ **فمنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْي** ﴾[1] وتأسّف النبي ﷺ على فواتها لما حجَّ قارنا، وقال لو ((استقبلت من أمرى ما استدبرت لما سقت الهدى)) وقال في متعة النساء :﴿ **فما اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَأْتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَة** ﴾[2] واستمرت فعلهما مدة زمان النبي ﷺ ومدة خلافة أبي بكر ، وبعض خلافة عمر ، إلى أن صعد المنبر ، وقال: ((متعتان كانتا محللتين على عهد رسول الله ﷺ وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما)) .

والجواب أن يقال : أما متعة الحج فمتفق على جوازها بين أئمة المسلمين ، ودعواه أن أهل السنة ابتدعوا تحريمها كذب عليهم ، بل أكثر علماء السنة يستحبون المتعة ويرجّحونها أو يوجبونها . والمتعة اسم جامع لمن اعتمر في أشهر الحج وجمع بينها وبين الحج في سفر واحد ، سواء حلّ من إحرامه بالعمرة ثم أحرم بالحج ، أو أحرم بالحج قبل طوافه بالبيت وصار قارنا ، أو بعد طوافه بالبيت وبين الصفا والمروة قبل التحلل من إحرامه لكونه ساق الهدى ، أو مطلقا. وقد يراد بالمتعة مجرد العمرة في أشهر الحج .

وأكثر العلماء ، كأحمد وغيره من فقهاء الحديث ، وأبي حنيفة وغيره من فقهاء العراق ، والشافعي في أحد قوْليه ، وغيره من فقهاء مكة: يستحبون المتعة .

وأما متعة النساء المتنازع فيها فليس في الآية نصٌّ صريح بحلها ، فإنه تعالى قال : ﴿ **وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُم أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا . وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ** ﴾[3] الآية . فقوله :﴿ **فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ**

---

(1)[1] الآية 196 من سورة البقرة .
(2) الآية 24 من سورة النساء .

(1)[3] الآيتان 24، 25 من سورة النساء .

بِهِ مِنْهُنَّ ﴾ يتناول كل من دخل بها من النساء، فإنه أمر بأن يعطى جميع الصداق ، بخلاف المطلّقة قبل الدخول التي لم يستمتع بها فإنها لا تستحق إلا نصفه .

وهذا كقوله تعالى : ﴿**وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا** ﴾[1] . فجعل الإفضاء مع العقد موجبا لاستقرار الصداق ، يبيّن ذلك أنه ليس لتخصيص النكاح المؤقت بإعطاء الأجر فيه دون النكاح المؤبد معنى ، بل إعطاء الصداق كاملا في المؤبد أوْلى ، فلا بد أن تدل الآية على المؤبد : إما بطريق التخصيص ، وإما بطريق العموم .

يدل على ذلك أنه ذكر بعد هذا نكاح الإماء ، فعُلم أن ما ذُكر كان في نكاح الحرائر مطلقا . فإن قيل : ففي قراءة طائفة من السلف : ﴿ **فما اْستَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى** ﴾ قيل : أوّلا : ليست هذه القراءة متواترة، وغايتها أن تكون كأخبار الآحاد . ونحن لا ننكر أن المتعة أحلت في أوّل الإسلام ، لكن الكلام في دلالة القرآن على ذلك .

الثاني : أن يقال: هذا الحرف إن كان نزل ، فلا ريب أنه ليس ثابتا من القراءة المشهورة ، فيكون منسوخا ، ويكون نزوله لما كانت المتعة مباحة، فلما حُرِّمت نسخ هذا الحرف ، ويكون الأمر بالإيتاء في الوقت تنبيها على الإيتاء في النكاح المطلق . وغاية ما يقال إنهما قراءتان ،وكلاهما حق.والأمر بالإيتاء في الاستمتاع إلى أجل مسمَّى واجب إذا كان ذلك حلالا ، وإنما يكون ذلك إذا كان الاستمتاع إلى أجل مسمَّى حلالا ، وهذا كان في أول الإسلام ، فليس في الآية ما يدل على أن الاستمتاع بها إلى أجل مسمَّى حلال ، فإنه لم يقل : وأحل لكم أن تستمتعوا بهن إلى أجل مسمَّى ، بل قال :﴿**فما اْستَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ** ﴾ فهذا يتناول ما وقع من الاستمتاع : سواء كان حلالا ، أو كان في وطء شبهة .

ولهذا يجب المهر في النكاح الفاسد بالسنة والاتفاق . والمتمتع إذا اعتقد حلّ المتعة وفَعَلَها فعليه المهر ، وأما الاستمتاع المحرّم فلم تتناوله الآية؛ فإنه لو استمتع بالمرأة من غير عقد مع مطاوعتها ، لكان زنا ، ولا مهر فيه . وإن كانت مستكرهة ، ففيه نزاع مشهور .

---

[1](2) الآية 21 من سورة النساء .

وأما ما ذكره من نهي عمر عن متعة النساء ، فقد ثبت عن النبي أنه حرَّم متعة النساء بعد الإحلال . هكذا رواه الثقات في الصحيحين وغيرهما عن الزهري عن عبد الله والحسن ابنى محمد بن الحنفية عن أبيهما محمد بن الحنفية، عن علي بن أبي طالب ، أنه قال لابن عباس لما أباح المتعة : إنك امرؤ تائه ، إن رسول الله حرَّم المتعة ولحوم الحمر الأهلية عام خيبر[1] ، رواه عن الزهري أعلم أهل زمانه بالسنة وأحفظهم لها ، أئمة الإسلام في زمنهم ، مثل مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وغيرهما ، ممن اتفق المسلمون على علمهم وعدلهم وحفظهم ، ولم يختلف أهل العلم بالحديث في أن هذا حديث صحيح متلقى بالقبول ، ليس في أهل العلم من طعن فيه .

وكذلك ثبت في الصحيح أنه حرَّمها في غزاة الفتح إلى يوم القيامة[2] . وقد تنازع رواة حديث علي : هل قوله : ((عام خيبر)) توقيت لتحريم الحُمُر فقط أو له ولتحريم المتعة ؟ فالأول قول ابن عيينة وغيره ، قالوا : إنما حرّمت عام الفتح . ومن قال بالآخر قال : إنها حرّمت ثم أحلّت ثم حرّمت . وادعت طائفة ثالثة أنها أحلّت بعد ذلك ، ثم حرّمت في حجة الوداع.

فالروايات المستفيضة المتواترة متواطئة على أنه حرّم المتعة بعد إحلالها . والصواب أنها بعد أن حرّمت لم تُحل ، وأنها إنما حرّمت عام فتح مكة ولم تُحل بعد ذلك ، ولم تحرّم عام خيبر، بل عام خيبر حرّمت لحوم الحُمُر الأهلية . وكان ابن عباس يبيح المتعة ولحوم الحُمُر فأنكر علي بن أبي طالب ذلك عليه ، وقال له : إن رسول الله حرّم متعة النساء وحرّم لحوم الحمر يوم خيبر، فقرن علي بينهما في الذكر لما روى ذلك لابن عباس رضى الله عنهمما ، لأن ابن عباس كان يبيحهما . وقد روى عن ابن عباس أنه رجع عن ذلك لما بلغه حديث النهي عنهما .

فأهل السنة اتبعوا عليا وغيره من الخلفاء الراشدين فيما رووه عن النبي .

والشيعة خالفوا عليًّا فيما رواه عن النبي ، واتبعوا قول من خالفه .

---

[1](1) انظر البخاري ج 7 ص 12 و مسلم ج 2 ص 1027 .

[2](2) انظر صحيح مسلم ج 2 ص 1026 .

وأيضا فإن الله تعالى إنما أباح فـي كتـابه الزوجـة وملـك اليمين ، والمتمتع بها ليست واحدة منهما ، فإنها لو كانت زوجـة لتوارثا ، ولوجبت عليها عدة الوفاة، ولحقها الطلاق الثلاث ؛ فإن هذه أحكام الزوجة في كتاب الله تعالى ، فلما انتفى عنها لوازم النكاح دل على انتفاء النكـاح فـإن انتفـاء اللازم يقتضـي انتفـاء الملزوم . والله تعالى إنما أباح في كتابه للأزواج وملك اليميـن ، وحرَّم ما زاد على ذلك بقوله تعالى : ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـافِظُونِ. إِلاَّ عَلَـى أَزْوَاجِهِـمْ أَوْ مَـا مَلَكَـتْ أَيْمَـانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِين . فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُون**﴾[1] .

والمستمتع بها بعد التحريم ليست زوجة ولا ملـك يميـن ، فتكون حراما بنص القرآن . أما كونها ليست مملوكـة فظـاهر ، وأما كونها ليست زوجة فلانتفـاء لـوازم النكـاح فيهـا ، فإن مـن لـوازم النكـاح كـونه سـببا للتـوارث وثبـوت عـدة الوفـاة فيـه ، والطلاق الثلاث ، وتنصيف المهر بـالطلاق قبـل الـدخول ، وغيـر ذلك من اللوازم .

(فصـــل)

قال الرافضي : ((ومنع أبو بكر فاطمة إرثها فقالت يا ابن أبي قحافة أترث أباك ولا أرث أبـي ؟ والتجـأ فـي ذلـك إلـى رواية انفرد بها – وكان هو الغريـم لهـا ، لأن الصـدقة تحـلّ لـه – لأن النبي ﷺ قال: ((نحـن معاشـر الأنبيـاء لا نُـورث ، مـا تركنـاه صدقة)) على أن ما رووه عنه فـالقرآن بخـالف ذلـك ، لأن اللـه تعالى قال:ﷻ **يوصيكمُ اللهُ فِي أَوْلادِكُم لِلـذَّكَرِ مِثْـلُ حَـظِّ الأُنْثَيَينْ**﴾[2] .ولم يجعل الله ذلك خاصا بالأمـة دونـه ﷺ، وكـذّب روايتهـم فقـال تعـالى : ﷻ **وَوَرِثَ سُـلَيْمَانَ دَاوُد**﴾[3] ، وقـال تعـالى عـن زكريـا : ﷻ **وَإِنِّـي خِفْـتُ الْمَـوَالِيَ مِـنْ وَرَائِـي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِنْ لَّدُنْكَ وَلِيًّـا . يَرِثُنِـي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوب**﴾[4] .

والجواب عن ذلك من وجوه : أحدها : أن ما ذكر من قول فاطمة رضى الله عنها : أترث أباك ولا أرث أبـي ؟ لا يُعلـم

---

(1)[1] الآيات 5-7 من سورة المؤمنون .
(2)[2] الآية 11 من سورة النساء .
(3)[3] الآية 16 من سورة النمل .
(4)[1] الآية 5و6 من سورة مريم .

صحته عنها ، وإن صح فليس فيه حجـة ، لأن أباهـا صـلوات اللـه وسلامه عليه لا يُقاس بأحد مـن البشـر ، وليـس أبـو بكـر أوْلـى بالمؤمنين مـن أنفسـهم كأبيهـا ، ولا هـو ممـن حـرَّم اللـه عليـه صدقة الفرض والتطـوع كأبيهـا ، ولا هـو أيضـا ممـن جعـل اللـه محبته مقدمة على محبة الأهل والمال ، كما جعل أباها كذلك .

والفرق بين الأنبياء وغيرهم أن اللـه تعـالى صـان الأنبيـاء على أن يورَّثوا دنيا ، لئلا يكون ذلك شبهة لمن يقدح في نبـوتهم بـأنهم طلبـوا الـدنيا وخلَّفـوا لـورثتهم . وأمـا أبـو بكـر الصـديق وأمثاله فلا نبوة لهم يُقدح فيها بمثل ذلك ، كما صان اللـه تعـالى نبينا عن الخط والشعر صيانة لنبوّته عن الشبهة ، وإن كان غيره لم يحتج إلى هذه الصيانة .

الثاني : أن قوله : ((والتجأ في ذلك إلـى روايـة انفـرد بها)) كذب ؛ فإن قول النبي ﷺ: « لا نُورَثُ ما تركنا فهو صدقة » رواه عنه أبو بكر وعمر وعثمـان وعلـيّ وطلحـة والزبيـر وس عد وعبد الرحمن بن عوف والعباس بن عبد المطلب وأزواج النـبي ﷺوأبو هريرة، والرواية عن هؤلاء ثابتة في الصـحاح والمسـانيد ، مشهورة يعلمها أهل العلم بالحـديث[1] فقـول القائـل : إن أبـا بكر انفرد بالرواية ، يدل على فرط جهله أو تعمده الكذب .

الثالث : قوله : ((وكان هو الغريم لها)) كذب ، فإن أبا بكر ﷺ لم يدع هذا المال لنفسه ولا لأهل بيتـه ، وإنمـا هـو صـدقة لمستحقيها كما أن المسجد حق للمسلمين .

الرابع : أن الصديق ﷺ لم يكن من أهل هذه الصدقة ، بل كان مستغنيا عنها ، ولا انتفع هو ولا أحد من أهله بهذه الصدقة ؛ فهو كما لو شهد قوم من الأغنياء على رجـل أنـه وصّـى بصـدقة للفقراء ؛ فإن هذه شهادة مقبولة بالاتفاق .

الخامس : أن هذا لو كان فيه ما يعود نفعه على الراوي له من الصحابة لقُبلت روايته لأنه مـن بـاب الروايـة لا مـن بـاب الشهادة ، والمحـدِّث إذا حـدَّث بحـديث فـي حكومـة بينـه وبيـن خصمه قُبلت روايته للحديث ، لأن الروايـة تتضـمن حكمـا عامـا يدخل فيه الراوي وغيره .وهذا من باب الخير ، كالشهادة برؤيـة الهلال ؛ فإن ما أمر به النبي ﷺيتناول الراوي وغيـره، وكـذلك مـا نهى عنه ، وكذلك ما أباحه .

---

[1](2) انظر البخاري : ج 4 ص 79 ، ومسلم : ج 3 ص 1376 .

وهذا الحديث تضمَّن رواية بحكم شرعي ، ولهذا تضمن تحريم الميراث على ابنة أبي بكر عائشة ا ، وتضمن تحريم شرائه لهذا الميراث من الورثة واتّهابه لذلك منهم ، وتضمن وجوب صرف هذا المال في مصارف الصدقة .

السادس : أن قوله : ((على ما رووه فالقرآن يخالف ذلك ، لأن الله تعالى قال: **يوصيكمُ اللهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ** [1] ولم يجعل الله ذلك خاصا بالأُمَّة دونه .

فيقال: أولا : ليس في عموم لفظ الآية ما يقتضي أن النبي يورث ، فإن الله تعالى قال: **يوصيكمُ اللهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَك وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُدُس** [2] وفي الآية الأخرى : **وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لِمَ يَكُن لَهُنَّ وَلَد فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْن** –إلى قوله- **مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غيرَ مُضَارٍّ** [3] .

وهذا الخطاب شامل للمقصودين بالخطاب وليس فيه ما يوجب أن النبي مخاطب بها .

الوجه التاسع : أن يقال : كون النبي لا يُورث ثبت بالسنة المقطوع بها وبإجماع الصحابة وكل منهما دليل قطعي ، فلا يُعارض ذلك بما يُظن أنه العموم ، وإن كان عموما فهو مخصوص ، لأن ذلك لو كان دليلا لما كان إلا ظنيا ، فلا يعارض القطعي ؛ إذ الظنى لا يعارض القطعي .

وذلك أن هذا الخبر رواه غير واحد من الصحابة في أوقات ومجالس، وليس فيهم من ينكره ، بل كلهم تلقّاه بالقبول والتصديق . ولهذا لم يُصرّ أحد من أزواجه على طلب الميراث ،ولا أصرّ العم على طلب الميراث ،بل من طلب من ذلك شيئا فأخبر بقول النبي رجع عن طلبه. واستمر الأمر

---

[1] (1) الآية 11 من سورة النساء .
[2] (2) الآية 11 من سورة النساء .

[3] (1) الآية 12 من سورة النساء .

على ذلك على عهد الخلفاء الراشدين إلى عليّ ، فلم يغير شيئا من ذلك ولا قسم له تركة .

الوجه العاشر : أن يقال : إن أبا بكر وعمر قد أعطيا عليّا وأولاده من المال أضعاف أضعاف ما خلّفه النبي ﷺ من المال . والمال الذي خلّفه النبي ﷺ لم ينتفع واحد منهما منه بشيء ، بل سلّمه عمر إلى العباس ﷺ م يليانه ويفعلان فيه ما كان النبي ﷺ يفعله . وهذا مما يوجب انتفاء التهمة عنهما في ذلك .

الوجه الحادىعشر: أن قوله تعالى ﷺ **وَوَرِثَ سُلَيْمَانَ دَاوُد** ﷺ[1].وقوله

تعالىعن زكريا:ﷺ **فهبْ لِي مِنْ لَّدُنْكَ وَلِيًّا . يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوب** ﷺ[2]

لا يدل على محل النزاع . لأن الإرث اسم جنس تحته أنواع ، والدال على ما به الاشتراك لا يدل على ما به الامتياز . فإذا قيل : هذا حيوان ، لا يدل على أنه إنسان أو فرس أو بعير .

وذلك أن لفظ ((الإرث)) يُستعمل في إرث العلم والنبوة والملك وغير ذلك من أنواع الانتقال. قال تعالى : ﷺ **ثمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا** ﷺ[3] .

وقال تعالى : ﷺ **أُوْلَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ . الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هَمْ فِيهَا خَالِدُون** ﷺ[4]. وغيرها كثير في القرآن .

وقال النبي ﷺ: « إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر » رواه أبو داود وغيره[5] .

الوجه الثالث عشر : أن يقال : المراد بهذا الإرث إرث العلم والنبوة ونحو ذلك لا إرث المال . وذلك لأنه قال :ﷺ

---

[1](2) الآية 16 من سورة النمل .

[2](1) الآيتان 5 و 6من سورة مريم .

[3](2) الآية 32 من سورة فاطر .

[4](3) الآيتان 10 و 11 من سورة المؤمنون .

[5](4) انظر سنن أبي داود : ج 3 ص 432 ، والترمذي : ج 4 ص 153 وغيرها .

وَوَرِثَ سُلَيْمَانَ دَاوُد ، ومعلوم أن داود كان له أولاد كثيرون غير سليمان ، فلا يختص سليمان بماله .

وأيضا فليس في كونه ورث ماله صفة مدح ،لا لـداود ولا لسـليمان ، فـإن اليهـودي والنصـراني يـرث ابنـه مـاله ، والآيـة سيقت في بيان المدح لسليمان،وما خصه الله به من النعمة .

وأيضا فإرث المال هو من الأمور العاديـة المشـتركة بيـن الناس ، كالأكل، والشرب ، ودفن الميت . ومثـل هـذا لا يُقـصُّ عن الأنبياء إذ لا فائدة فيـه ، وإنمـا يُقـصُّ مـا فيـه عـبرة وفائـدة تسـتفاد ، وإلا فقـول القائـل : ((مـات فلان وورث ابنُـه مـاله)) مثل قوله : ((ودفنوه)) ومثل قوله : ((أكلوا وشربوا وناموا)) ونحو ذلك مما لا يحسن أن يُجعل من قصص القرآن .

(فصـــل)

قال الرافضي : ((ولما ذكرت فاطمة أن أباها رسول الله وهبها فدَك قال لها : هات أسودا وأحمر يشهد لـك بـذلك ، فجاءت بأم أيم ن ، فشـهدت لهـا بـذلك ، فق ال: امـرأة لا يقبـل قولها . وقد رووا جميعا أن رسول الله قـال: أم أيمـن امـرأة من أهل الجنة ، فجاء أمير المؤمنين فشـهد لهـا بـذلك ، فقـال : هذا بعلك يجرّه إلـى نفسـه ولا نحكـم بشـهادته لـك ، وقـد رووا جميعا أن رسول الله قال : علـيٌّ مـع الحـق ، والحـق معـه يدور معه حيث دار لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحـوض، فغضـبت فاطمة عليها السلام عند ذلك وانصرفت ، وحلفـت أن لا تكلمـه ولا صاحبه حتى تلقى أباها وتشـكو إليـه ، فلمـا حضـرتها الوفـاة أوصت عليًّا أن يدفنها ليلا ولا يدع أحدا منهم يصلِّي عليهـا ، وقـد رووا جميعا أن النبي قال : يا فاطمـة إن اللـه تعـالى يغضـب لغضبك ويرضى لرضـاك، ورووا جميعـا أنـه قـال فاطمـة بضـعة مني ، من آذاها فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله . ولو كـان هذا الخبر صحيحا حقا لما جاز له ترك البغلة التي خلفها النبي وسيفه وعمامته عند أمير المؤمنين عليّ ، ولما حكم له بهـا لمـا ادّعاها العباس ، ولكان أهل البيت الذين طهّرهم الله فـي كتـابه من الرجس مرتكبين ما لا يجوز ، لأن الصـدقة عليهـم محرّمـة . وبعـد ذلـك جـاء إليـه مـال البحريـن وعنـده جـابر بـن عبـد اللـه الأنصاري ، فقال له : إن النبي قال لي : إذا أتى مال البحرين حثوث لك ، ثم حثوت لك ، ثلاثا، فقال له : تقـدم فخـذ بعـددها ، فأخذ من بيت مال المسلمين من غير بيِّنة بل بمجرد قوله)) .

والجـواب : أن فـي هـذا الكلام مـن الكـذب والبهتـان والكلام الفاسد ما لا يكاد يحصى إلا بكلفـة ،ولكـن سـنذكر مـن ذلك وجوها إن شاء الله تعالى .

أحدها : أن ما ذكر من ادّعـاء فاطمـة رضـى اللـه عنهـا فَدَاك فإن هذا يناقض كونها ميراثا لها ، فإن كان طلبهـا بطريـق الإرث امتنع أن يكون بطريق الهبة ، وإن كان بطريق الهبة امتنع أن يكون بطريق الإرث ، ثم إن كانت هذه هبة في مرض الموت ، فرسول الله منـزّه ، إن كـان يُـورث كمـا يـورث غيـره ، أن يوصى لوارث أو يخصه في مـرض مـوته بـأكثر مـن حقـه ، وإن كان في صحته فلا بد أن تكون هذه هبة مقبوضة ، وإلا إذا وهـب الواهب بكلامه ولم يقبض الموهـوب شـيئا حـتى مـات الـواهب كان ذلك باطلا عند جماهير العلماء ، فكيـف يهـب النـبي ﷺ فَـدَك لفاطمة ولا يكون هذا أمرا معروفا عند أهـل بيتـه والمسـلمين ، حتى تختص بمعرفته أم أيمن أو علي رضى الله عنهما ؟

الوجه الثاني : أن ادعاء فاطمة ذلك كذب على فاطمة ، وقد قال الإمام أبو العباس بن سريج في الكتـاب الـذي صـنَّفه في الرد على عيسى بن أبـان لمـا تكلّـم معـه فـي بـاب اليميـن والشاهد ، واحتجّ بما احتجّ ، وأجاب عمَّا عـارض بـه عيسـى بـن أبان ، قال : وأما حديث البحتري بن حسَّان عن زيد بن علـي أن فاطمة ذكرت لأبي بكـر أن رسـول اللـه ﷺ أعطاهـا فَـدَك ، وأنهـا جاءت برجل وامرأة ، فقال : رجل مع رجل ، وامرأة مع امـرأة، فسبحان الله ما أعجب هذا ! قد سألت فاطمة أبـا بكـر ميراثهـا وأخبرها عن رسول اللـه ﷺ أنـه قـال : لا نُـورث ، ومـا حكـى فـي شيء من الأحاديث أن فاطمة ادّعتها بغير الميراث ، ولا أن أحدا شهد بذلك .

ولقد روى جرير عن مغيرة عن عمر بـن عبـد العزيـز أنـه قال في فَدَك: ((إن فاطمة سألت النبي ﷺ أن يجعلها لها فـأبى ، وأن النبي كان ينفق منها ويعود على ضَعَفَة بني هاشم ويزوّج منه أيِّمِهم، وكـانت كـذلك حيـاة الرسـول ﷺ أمـر صـدقة وقبلـت فاطمة الحق ، وإني أُشهدكم أني رددتها إلى ما كانت عليه فــي عهد رسول الله ﷺ.

ولم يُسمع أن فاطمة رضى اللـه عنهـا ادّعـت أن النـبي أعطاها إياها في حديث ثابت متصل ، ولا أن شـاهداً شـهد لهـا . ولو كان ذلك لحُكـي ، لأنهـا خصـومة وأمـر ظـاهر تنـازعت فيـه الأمة وتحادثت فيه ، فلم يقل أحد من المسلمين : شهدت النبي

 أعطاها فاطمة ولا سمعت فاطمة تدّعيها حتى جاء البحتري بن حسّان يحكى عن زيد شيئا لا ندري ما أصله ، ولا من جاء به ، وليس من أحاديث أهل العلم : فضل بن مرزوق عن البحتري عن زيد ، وقد كان ينبغي لصاحب الكتاب أن يكف عن بعض هذا الذي لا معنى له ، وكان الحديث قد حسن بقول زيد : لو كنت أنا لقضيت بما قضى أبو بكر . وهذا مما لا يثبت على أبي بكر ولا فاطمة لو لم يخالفه أحد ، ولو لم تجر فيه المناظرة ويأتي فيها الرواية ، فكيف وقد جاءت ؟ وأصل المذهب أن الحديث إذا ثبت عن رسول الله ، ثم قال أبو بكر بخلافه ، إن هذا من أبي بكر رحمه الله كنحو ما كان منه في الجدّة ، وأنه متى بلغه الخبر رجع إليه .

ولو ثبت هذا الحديث لم يكن فيه حجة ، لأن فاطمة لم تقل : إني أحلف مع شاهدي فمنعت . ولم يقل أبو بكر : إني لا أرى اليمين مع الشاهد .

قالوا : وهذا الحديث غلط ؛ لأن أسامة بن زيد يروى عن الزهري عن مالك بن أوس بن الحَدَثان قال : كانت لرسول الله ثلاث صفايا: بنو النضير ، وخيبر وفدك . فأما بنو النضير فكانت حُبساً لنوائبه . وأما فَدَك فكانت حُبُساً لأبناء السبيل ، وأما خيبر فجزَّأها رسول الله ثلاثة أجزاء : جزئين بين المسلمين ، وجزءاً نفقة لأهله ، فما فَضَلَ عن نفقة أهله جعله بين فقراء المهاجرين جزئين .

وروى الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أنها أخبرته أن فاطمة بنت رسول الله أرسلت إلى أبي بكر الصديق تسأله ميراثها من رسول الله مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بق ي من خمس خيبر،فقال أبو بكر:إن رسول الله قال:لا نورث ما تركنا صدقة،وإنما يأكل آل محمد من هذا المال،وإنى والله لا أغير شيئا من صدقة رسول الله عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله ، ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئا[1].

وقد روى عن أنس أن أبا بكر قال لفاطمة وقد قرأت عليه إني أقرأ مثل ما قرأت ولا يبلغن علمي أن يكون قاله كله . قالت فاطمة : هو لك ولقرابتك ؟ قال : لا وأنت عندي مصدَّقة

---

[1](1) انظر البخاري ج 5 ص 20 ومسلم ج 3 ص 1381 –1382 .

أمينة ، فإن كان رسول الله ﷺ عهد إليك في هـذا ، أو وعـدك فيـه موعداً أو أوجبه لكم حقًّا صدَّقتك. فقالت:لاغيرأن رسول اللـه ﷺ قال حين أنزل عليه : « أبشروا يا آل محمد وقد جاءكم الله عـز وجل بالغنى ». قال أبـو بكـر : صـدق اللـه ورسـوله وصـدقت ، فلكم الفيء ، ولم يبلغ علمي بتأويل هذه أن أستلم هذا السـهم كله كاملا إليكم ،ولكن الفيء الذي يسـعكم . وهـذا يـبيِّن أن أبـا بكر كان يقبل قولها ، فكيف يرده ومعـه شـاهد وامـرأة؟ ولكنـه يتعلق بشيء يجده .

الـوجه الثـالث : أن يقـال : إن كـان النـبي ﷺ يُـورث فالخصم فيذلك أزواجه وعمـه ، ولا تُقبـل عليهـم شـهادة امـرأة واحـدة ولا رجـل واحـد بكتـاب اللـه وسـنة رسـوله ﷺ واتفـاق المسلمين ، وإن كان لا يُورث فالخصـم فـي ذلـك المسـلمون ، فكذلك لا يقبل عليهم شهادة امرأة واحدة ولا رجل واحد باتفـاق المسلمين ، ولا رجل وامرأة . نعم يُحكم في مثل ذلـك بشـهادة ويمين الطالب عنـد فقهـاء الحجـاز وفقهـاء أصـحاب الحـديث . وشهادة الـزوج لزوجتـه فيهـا قـولان مشـهوران للعلمـاء ، همـا روايتان عن أحمد : **إحداهما :** لا تُقبل ، وهي مذهب أبي حنيفة ومالك والليث بن سعد والأوزاعي وإسحاق وغيرهم .

والثانية : تُقبل ، وهي مذهب الإمام الشافعي وأبي ثور وابن المنذر وغيرهم . فعلى هذا لو قدِّر صـحة هـذه القصـة لـم يجز للإمام أن يحكم بشهادة رجل واحـد وامـرأة واحـدة باتفـاق المسلمين ، لا سيما وأكـثرهم لا يجيـزون شـهادة الـزوج ، ومـن هؤلاء من لا يحكم بشاهد ويمين ، ومن يحكم بشاهد ويمين لـم يحكم للطالب حتى يحلّفه .

الوجه الرابع : قوله : ((فجاءت بـأم أيمـن فشـهدت لها بـذلك ، فقـال : امـرأة لا يُقبـل قولهـا . وقـد رووا جميعـا أن رسول الله ﷺ قال: « أم أيمن امرأة من أهل الجنة » .

الجواب : أن هذا احتاج جاهل مفرط في الجهل يريد أن يحتج لنفسه فيحتج عليها ، فإن هذا القول لـو قـاله الحجّـاج بـن يوسف والمختار بن أبي عبيد وأمثالهما لكان قد قال حقّاً ، فـإن امرأة واحدة لا يُقبل قولها في الحكم بالمال لمدعٍ يريد أن يأخذ ما هو في الظاهر لغيره ، فكيف إذا حُكى مثل هذا عن أبي بكـر الصديق ﷺ ؟!

وأما الحديث الذي ذكره وزعم أنهـم رووه جميعـا ، فهـذا الخبر لا يعرف في شيء مـن دواويـن الإسـلام ولا يُعـرف عـالم

من علماء الحديث رواه . وأم أيمن هي أم أسامة بن زيد ، وهي حاضنة النبي ﷺ، وهي من المهاجرات، ولها حق وحرمة ، لكن الرواية عن النبي ﷺ لا تكون بالكذب عليه وعلى أهل العلم . وقول القائل : ((رووا جميعا)) لا يكون إلا في خبر متواتر ، فمن ينكر حديث النبي ﷺ أنه لا يُورث ، وقد رواه أكابر الصحابة ، ويقول : إنهم جميعا رووا هذا الحديث ، إنما يكون من أجهل الناس وأعظمهم جحداً للحق .

الوجه الخامس : قوله :((إن عليًّا شهد لها فردّ شهادته لكونه زوجها)) فهذا مع أنه كذب لو صح ليس يقدح ، إذ كانت شهادة الزوج مردودة عند أكثر العلماء ، ومن قبلها منهم لم يقبلها حتى يتم النصاب إما برجل آخر وإما بامرأة مع امرأة ، وأما الحكم بشهادة رجل وامرأة مع عدم يمين المدّعي فهذا لا يسوغ .

الوجه السادس : قوله : إنهم رووا جميعا أن رسول الله ﷺ قال : ((عليّ مع الحق ، والحق معه يدور حيث دار ،ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض)) من أعظم الكلام كذبا وجهلا ، فإن هذا الحديث لم يروه أحد عن النبي ﷺ: لا بإسناد صحيح ولا ضعيف . فكيف يقال : إنهم جميعا رووا هذا الحديث ؟ وهل يكون أكذب ممن يروى عن الصحابة والعلماء أنهم رووا حديثا،والحديث لا يُعرف عن واحد منهم أصلا ؟ بل هذا من أظهر الكذب . ولو قيل رواه بعضهم ، وكان يمكن صحته لكان ممكنا ، فكيف وهو كذب قطعا على النبي ﷺ؟!

بخلاف إخباره أن أم أيمن في الجنة ، فهذا يمكن أنه قاله ، فإن أم أيمن امرأة صالحة من المهاجرات ، فإخباره أنها في الجنة لا يُنكر ، بخلاف قوله عن رجل من أصحابه أنه مع الحق وأن الحق يدور معه حيثما دار ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ؛ فإنه كلام ينزَّه عنه رسول الله ﷺ.

أما أولا : فلأن الحوض إنما يَرِدُه عليه أشخاص ، كما قال للأنصار : « اصبروا حتى تلقوني على الحوض »[1] ، وقال : « إن حوضي لأبعد من بين أيلة إلى عدن ، وإن أول الناس وروداً فقراء المهاجرين الشعث رؤوسا الدنس ثيابا الذين لا ينكحون المتنعّمات ولا تفتح لهم أبواب السدد ، يموت أحدهم وحاجته في صدره لا يجد لها قضاء » رواه مسلم وغيره[2] .

---

[1](1) انظر البخاري : ج 5 ص 33 ، ومسلم : ج 3 ص 1474.

وأما الحق فليس من الأشخاص الـذين يـردون الحـوض . وقـد روى أنـه قـال : « إنـي تـارك فيكـم الثقليـن : كتـاب اللـه وعترتى أهل بيتي ، ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحـوض » . فهـو من هذا النمط ، وفيه كلام يذكر في موضعه إن شاء الله .

الوجه السابع : أن ما ذكره عن فاطمة أمر لا يليق بهـا ، ولا يحتج بذلك إلا رجل جاهل يحسب أنه يمدحها وهو يجرحها ؛ فإنه ليس فيما ذكره ما يوجب الغضب عليه ، إذ لـم يحكـم –لـو كان ذلـك صـحيحا – إلا بـالحق الـذي لا يحـل لمسـلم أن يحكـم بخلافه . ومن طلب أن يُحكم له بغير حكم الله ورسوله فغضب وحلف أن لا يكلِّم الحاكم ولا صاحب الحاكم ، لم يكـن هـذا ممـا يُحْمد عليه ولا مما يذم به الحاكم ، بل هذا إلـى أن يكـون جرحـا أقرب منه إلى أن يكون مدحا . ونحـن نعلـم أن مـا يحكـى عـن فاطمة وغيرها من الصحابة من القوادح كثير منها كذب وبعضها كانوا فيه متأولين . وإذا كان بعضها ذنبا فليس القوم معصومين ، بل هم مع كونهم أولياء الله ومن أهل الجنة لهم ذنوب يغفرهـا الله لهم .

وكذلك ما ذكره من إيصائها أن تُدفن ليلا ولا يُصلِّى عليهـا أحد منهم ، لا يحكيه عن فاطمة ويحتج به إلا رجلٌ جاهل يطـرق على فاطمة ما لا يليق بها ، وهذا لو صح لكان بالـذنب المغفـور أوْلى منه بالسعي المشـكور ، فـإن صـلاة المسـلم علـى غيـره زيادة خير تصل إليه ، ولا يضر أفضل الخلق أن يصلِّي عليه شـر الخلق ، وهـذا رسـول اللـه ﷺ يصـلى عليـه ويسـلم عليـه الأبـرار والفجار بل والمنافقون ،وهذا إن لم ينفعه لم يضره ، وهو يعلـم أن في أمته منافقين ولم ينه أحد من أمته عن الصلاة عليه .

وأما قوله : ((ورووا جميعا أن النبي ﷺ قال : يا فاطمة إن الله يغضب لغضبك ، ويرضى لرضاك)) فهذا كذب منه ، ما رووا هذا عـن النـبي ﷺ، ولا يُعـرف هـذا فـي شـيء مـن كتـب الحـديث المعروفة ، ولا له إسناد معروف عن النبي ﷺ: لا صحيح ولا حسن . ونحن إذا شهدنا لفاطمة بالجنة ،وبأن الله يرضى عنها ، فنحـن لأبي بكر وعمر وعثمـان وعلـيّ وطلحـة والزبيـر وسـعيد وعبـد الرحمن بن عوف بـذلك نشـهد ، ونشـهد بـان اللـه تعـالى أخـبر برضاه عنهم فـي غيـر موضـع، كقـوله تعـالى : ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُـونَ مِـنَ الْمُهَـاجِرِينَ وَالأَنْصَـارَ وَالَّـذِينَ اتَّبَعُـوهُم**

[2](2) مسلم : باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء ج 1 /247 ص 217.

بِإِحْسَانٍ﴾[1] ، وقـوله تعـالى : ﴿ لقـدْ رَضِـيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْـتَ الشَّـجَرَة ﴾[2] .وقـد ثبت أن النبي ﷺ توفى و هو عنهم راض ، ومن رضـى اللـه عنـه ورسوله لا يضره غضب أحد من الخلق عليه كائنا من كان.

وأما قوله : ((رووا جميعا أن فاطمـة بضـعة منـي مـن آذاها آذاني ، ومن آذاني آذى الله)) فـإن هـذا الحـديث لـم يـرو بهذا اللفظ ، بل روى بغيره ، كما روى في سـياق حـديث خطبـة عليّ لابنة أبي جهل ، لما قـام النـبي ﷺ خطيبـا فقـال : ((إن ابنـي هشام بن المغيرة اسـتأذنوني أن ينكحـوا ابنتهـم علـيّ بـن أبـي طالب ، وإني لا آذن ، ثم لا آذن، ثم لا آذن ، إنمـا فاطمـة بضـعة مني يريبني ما رابها ، ويـؤذيني مـا آذاهـا ، إلا أن يريـد ابـن أبـي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم)).

الوجه الثامن : أن قوله :((لو كان هذا الخـبر صـحيحاً حقاًّ لما جاز له ترك البغلة والسيف و العمامة عند عليّ والحكم له بها لما ادّعاها العباس)).

فيقال : ومن نقل أن أبا بكر وعمر حكما بـذلك لأحـد ، أو تركا ذلك عند أحد على أن ذلك ملك له ، فهذا مـن أبْيَـن الكـذب عليهما ، بل غاية ما في هذا أن يُترك عند من يُترك عنـده ، كمـا تـرك صـدقته عنـد علـيّ والعبـاس ليصـرفاها فـي مصـارفها الشرعية .

وأما قوله : ((ولكان أهل البيت الذين طهّرهم الله في كتابه مرتكبين ما لا يجوز)) .

فيقال له : أولاً : إن اللـه تعـالى لـم يخـبر أنـه طهّـر جميع أهل البيت وأذهب عنهم الرجس ، فإن هذا كذب على الله . كيف ونحن نعلـم أن فـي بنـي هاشـم مـن ليـس بمطهّـر مـن الذنوب ،ولا أذهب عنهم الرجس ، لا سيما عنـد الرافضـة ، فـإن عندهم كل من كان من بني هاشم يحب أبا بكر عمر ﷺ ما فليـس بمطهِّر ، والآية إنما قال فيها : ﴿ **ما يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُـم مِنْ حَـرَجٍ وَلَكِـنْ يُرِيـدُ لِيُطَهِّرَكُـمْ وَلِيُتِـمَّ نِعْمَتَـهُ عَلَيْكُـم لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُون ﴾**[3] وقوله: ﴿**يرِيدُ اللهُ لِيُبَين لَكُم وَيَهْدِيَكُم سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُم وَيَتُوبَ عَلَيْكُم ﴾**[4] ، ونحو ذلك ممـا

---

(1) الآية 100 من سورة التوبة .
(2) الآية 100 من سورة التوبة .
(1) الآية 6 من سورة المائدة .
(2) الآية 26 من سورة النساء .

فيه بيان أن الله يحب ذلك لكم،ويرضاه لكم،ويأمركم به فمن فعلة حصل له هذا المراد المحبوب المرضي ، ومن لم يفعله لم يحصل له ذلك

وأما قوله : ((لأن الصدقة محرمة عليهم)) .

فيقال له :أولا المحرم عليهم صدقة الفرض ، وأما صدقات التطوع فقد كانوا يشربون من المياه المسبّلة بين مكة والمدينة ، ويقولون : إنما حرّم علينا الفرض ، ولم يحَرّم علينا التطوع. وإذا جاز أن ينتفعوا بصدقات الأجانب التي هي تطوع ، فانتفاعهم بصدقة النبي أولى وأحرى؛ فإن هذه الأموال لم تكن زكاة مفروضة على النبي صلى الله عليه وسلم، وهي أوساخ الناس التي حرّمت عليهم ، وإنما هي من الفيء الذي أفاءه الله على رسوله ، والفيء حلال لهم، والنبي جعل ما جعله الله له من الفيء صدقة ، إذ غايته أن يكون ملكا للنبي تصدّق به على المسلمين ، وأهل بيته أحق بصدقته ؛ فإن الصدقة على المسلمين صدقة ، والصدقة على القرابة صدقة وصلة .

الوجه التاسع : في معارضته بحديث جابر فيق ال : جابر لم يدّع حقا لغيره يُنتزع من ذلك الغير ويُجعل له ، وإنما طلب شيئا من بيت المال يجوز للإمام أن يعطيه إياه ، ولو لم يعده به النبي ، فإذا وعده به كان أوْلى بالجواز ، فلهذا لم يفتقر إلى بيِّنة .

أما قصة فاطمة رضى الله عنها فما ذكروه من دعواها الهبة والشهادة المذكورة ونحو ذلك ، لو كان صحيحاً لكان بالقدح فيمن يحتجون له أشبه منه بالمدح .

(فصـــل)

قال الرافضي: ((وقد روى عن الجماعة كلهم أن النبي قال في حق أبي ذر : ((ما أقلّت الغبراء ، ولا أظلّت الخضراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر)) ، ولم يسمُّوه صدِّيقا ، وسمُّوا أبا بكر بذلك مع أنه لم يرد مثل ذلك في حقه)).

فيقال : هذا الحديث لم يروه الجماعة كلهم ، ولا هو في الصحيحين ، ولا هو في السنن ،بل هو مروي في الجملة وبتقدير صحته و ثبوته ، فمن المعلوم ان هذا الحديث لم يرد به أن أبا ذر أصدق من جميع الخلق ، فإن هذا يلزم منه أن يكون أصدق من النبي ، ومن سائر النبيين ، ومن عليّ بن أبي طالب

وهذا خلاف إجماع المسلمين كلهم من السنة والشيعة، فعُلم أن هذه الكلمة معناها أن أبا ذر صادق ، ليس غيره أكثر تحرّيا للصدق منه . و لا يلزم إذا كان بمنزلة غيره في تحرّي الصدق ، أن يكون بمنزلته في كثرة الصدق والتصديق بالحق ، وفي عظم الحق الذي صَدَقَ فيه وصدّق به . وذلك أنه يقال : فلان صادق اللهجة إذا تحرّى الصدق ، وإن كان قليل العلم بما جاءت به الأنبياء ، والنبي لم يقل : ما أقلت الغبراء أعظم تصديقا من أبي ذر . بل قال : أصدق لهجة ، والمدح للصدّيق الذي صدَّق الأنبياء ليس بمجرد كونه صادقاً، بل في كونه مصدِّقاً للأنبياء . وتصديقه للنبي هو صدق خاص ، فالمدح بهذا التصديق –الذي هو صدق خاص –نوع ، والمدح بنفس كونه صادقاً من نوع آخر . فكل صدّيق صادق ، وليس كل صادق صدِّيقاً .

(فصـــــل)

قال الرافضي : ((وسمّوه خليفة رسول الله ، ولم يستخلفه في حياته ولا بعد وفاته عندهم ، ولم يسمّوا أمير المؤمنين خليفة رسول الله مع أنه استخلف في عدة مواطن ، منها : أنه استخلفه على المدينة المنورة في غزوة تبوك ، وقال له : إن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك ، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي .

وأمّر أسامة بن زيد على الجيش الذين فيهم أبو بكر وعمر ، ومات ولم يعزله ، ولم يسمّوه خليفة ، ولما تولى أبو بكر غضب أسامة ، وقال : إن رسول الله أمّرني عليك ، فمن استخلفك عليّ ؟ فمشى إليه هو وعمر حتى استرضياه ، وكانا يسمّيانه مدة حياته أميراً)) .

والجواب من وجوه : أحدها : أن الخليفة إما أن يكون معناه : الذي يخلف غيره وإن كان لم يستخلفه ، كما هو المعروف في اللغة ، وهو قول الجمهور . وإما أن يكون معناه : من استخلفه غيره ، كما قاله طائفة من أهل الظاهر و الشيعة ونحوهم .فإن كان هو الأوّل ؛ فأبو بكر خليفة رسول الله ، لأنه خلفه بعد موته ، ولم يخلف رسول الله أحد بعد موته إلا أبو

بكـر ن فكـان هـو الخليفـة دون غيـره ضـرورة ، فـإن الشـيعة وغيرهم لا ينازعون في أنه هو الذي صار وليّ الأمر بعده ، وصار خليفة له يصلّي بالمسلمين ، ويقيم فيهم الحدود ، ويقسم بينهم الفيء ، ويغزو بهم العدو ، ويولّي عليهم العمال والأمراء ، وغيـر ذلك من الأمور التي يفعلها ولاة الأمور .

فهذه باتفاق الناس إنما باشرها بعد موته أبو بكر ، فكـان هو الخليفة للرسول فيها قطعا . لكـن أهـل السـنة يقولـون : خلفه وكان هو أحق بخلافته والشـيعة يقولـون : علـيّ كـان هـو الأحق لكن تصح خلافة أبي بكر ، ويقولون : ما كان يحـلّ لـه أن يصير هو الخليفة ، لكن لا ينازعون في أنه صار خليفـة بالفعـل ، وهو مستحق لهذا الاسم ، إذ كان الخليفة من خَلَـفَ غيـره عل ى كل تقدير.

وأما إن قيل : إن الخليفة من استخلفه غيـره ، كمـا قـاله بعض أهل السنة وبعض الشيعة ، فمن قال هذا من أهـل السـنة فإنه يقول : إن النبي استخلف أبا بكر إما بـالنص الجلـيّ ، كمـا قـال بعضـهم ، وإمـا بـالنص الخفـيّ . كمـا أن الشـيعة القـائلين بالنص على علـيّ منهـم م ن يقـول بـالنص الجلـيّ ، كمـا تقـوله الإمامية ، ومنهم من يقول بالنص الخفيّ ، كما تقوله الجارودية من الزيدية . ودعوى أولئك للنص الجليّ أو الخفيّ على أبي بكر أقوى وأظهر بكثير من دعوى هـؤلاء للنـص علـى علـيّ ، لكـثرة النصوص الدالّة على ثبوت خلافة أبـي بكـر، وأن عليّـاً لـم يـدل على خلافته إلا ما يُعلم أنه كذب، أو يُعلم أنه لا دلالة فيه .

وعلى هذا التقدير فلم يستخلف بعد موته أحداً إلا أبا بكـر ، فلهذا كان هو الخليفة ، فإن الخليفة المطلق هو من خلفه بعـد موته ، أو استخلفه بعد موته. وهذان الوصفان لـم يثبتـا إلا لأبـي بكر ؛ فلهذا كان هو الخليفة .

وأمـا اسـتخلافه لعلـيّ علـى المدينـة ، فـذلك ليـس مـن خصائصه ، فإن النبي كان إذا خرج فـي غـزاة اسـتخلف علـى المدينة رجلا من أصحابه ، كمـا اسـتخلف ابـن أم مكتـوم تـارة ، وعثمان ابن عفان تارة .

وإذا كان قد استخلف غير عليّ على أَكثر وأفضل مما استخلف عليه عليّاً ، وكان ذلك اسـتخلافاً مقيّـداً علـى طائفـة معينة في مغيبه ، ليس هو استخلافاً مطلقاً بعد موته على أمتـه ، لم يطلق على أحد من هؤلاء أنه خليفـة رسـول اللـه إلا مـع التقييد . وإذا سمّيَ عليّ بذلك فغيره من الصحابة المسـتخلفين أوْلى بهذا الاسم ، فلم يكن هذا من خصائصه .

وأيضا فالذي يخلف المَطاع بعد موته لا يكون إلا أفضل الناس . وأما الذي يخلفه في حال غزوه لعدوه ، فلا يجب أن يكون أفضل الناس ، بل العادة جارية بأنه يستصحب في خروجه لحاجته إليه في المغازي من يكون عنده أفضل ممن يستخلفه على عياله ، لأن الذي ينفع في الجهاد هو شريكه فيما يفعله ، فهو أعظم ممن يخلفه على العيال ، فإن نفع ذاك ليس كنفع المشارك له في الجهاد .

والنبي إنما شبه عليّاً بهارون في أصل الاستخلاف لا في كماله ، ولعليّ شركاء في هذا الاستخلاف . يبين ذلك أن موسى لما ذهب إلى ميقات ربه لم يكن معه أحد يشاركه في ذلك ، فاستخلف هارون على جميع قومه . والنبي لما ذهب إلى غزوة تبوك أخذ معه جميع المسلمين إلا المعذور ، ولم يستخلف عليّاً إلا على العيال وقليل من الرجال ، فلم يكن استخلافه كاستخلاف موسى لهارون ، بل ائتمنه في حال مغيبه ، كما ائتمن موسى هارون في حال مغيبه ، فبيّن له النبي أن الاستخلاف ليس لنقص مرتبة المستخلَف ، بل قد يكون لأمانته كما استخلف موسى هارون على قومه ، وكان عليّ خرج إليه يبكي وقال : أتذرني مع الصبيان والنساء ؟ كأنه كره أن يتخلف عنه .

وأما قوله : ((إنه قال له : إن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك)) فهذا كذب على النبي لا يُعرف في كتب العلم المعتمدة . ومما يبين كذبه أن النبي خرج من المدينة غير مرة ومعه عليّ. وليس بالمدينة لا هو ولا عليّ. فكيف يقول : إن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك ؟

والرافضة من فرط جهلهم يكذبون الكذب الذي لا يخفى على من له بالسيرة أدنى علم .

وأما قوله : ((إنه أمّر أسامة على الجيش الذين فيهم أبو بكر وعمر)) .

فمن الكذب الذي يعرفه من له أدنى معرفة بالحديث ؛ فإن أبا بكر لم يكن في ذلك الجيش ، بل كان النبي يستخلفه في الصلاة من حين مرض إلى أن مات ، وأسامة قد رُوي أنه قد عقد له الراية قبل مرضه ، ثم لما مرض أمر أبا بكر أن يصلّي بالناس ، فصلى بهم إلى أن مات النبي ، فلو قدر أنه أُمر بالخروج مع أسامة قبل المرض لكن أمره له بالصلاة تلك

المدة ، مع إذنه لأسامة أن يسافر في مرضه ، موجبا لنسخ إمرة أسامة عنه ، فكيف إذا لم يؤمَّر عليه أسامة بحال ؟

وقوله : ((ومات ولم يعزله)).

فأبو بكر أنفذ جيش أسامة بعد أن أشار الناس عليه برده خوفا من العدو . وقال : والله لا أحلَ راية عقدها رسول الله ، مع أنه كان يملك عزله ، كما كان يملك ذلك رسول الله ، لأنه قام مقامه ، فيعمل ما هو أصلح للمسلمين .

وأما ما ذكره من غضب أسامة لما تولَّى أبو بكر ، فمن الأكاذيب السمجة ، فإن محبة أسامة لأبي بكر وطاعته له أشهر وأعرف من أن تُنكر ، وأسامة من أبعد الناس عن الفرقة والاختلاف ، فإنه لم يقاتل لا مع عليّ ولا مع معاوية واعتزل الفتنة . وأسامة لم يكن من قريش ، ولا ممن يصلح للخلافة ، ولا يخطر بقلبه أن يتولاها ، فأي فائدة له في أن يقول مثل هذا القول لأيّ من تولى الأمر ، مع علمه أنه لا يتولّى الأمر أحد إلا كان خليفة عليه ، ولو قدِّر أن النبي أمّره على أبي بكر ثم مات ، فبموته صار الأمر إلى الخليفة من بعده ، وإليه الأمر في إنفاذ الجيش أو حبسه ، وفي تأمير أسامة أو عزله . وإذا قال : أمّرني عليك فمن استخلفك عليّ ؟ قال : من استخلفني على جميع المسلمين ، وعلى من هو أفضل منك . وإذا قال : أنا أمَّرني عليك . قال : أمَّرك عليّ قبل أن أستخلف، فبعد أن صرت خليفة صرت أنا الأمير عليك .

ومثل هذا لا ينكره إلا جاهل . وأسامة أعقل وأتقى وأعلم من أن يتكلم بمثل هذا الهذيان لمثل أبي بكر .

وأعجب من هذا قول هؤلاء المفترين : أنه مشى هو وعمر إليه حتى استرضياه ، مع قولهم : إنهما قهرا عليّاً وبني هاشم وبني عبد مناف ،ولم يسترضياهم ،وهم أعز وأقوى وأكثر وأشرف من أسامة ، فأي حاجة بمن قهروا بني هاشم وبني أمية وسائر بني عبد مناف ، وبطون قريش والأنصار والعرب ، إلى أن يسترضوا أسامة بن زيد ، وهو من أضعف رعيتهم ، ليس له قبيلة ولا عشيرة ، ولا معه مال ولا رجال ، ولولا حب النبي إياه وتقديمه له لم يكن إلا كأمثاله من الضعفاء ؟.

فإن قلتم : إنهما استرضياه لحب النبي له . فأنتم تقولون : إنهم بدّلوا عهده ، وظلموا وصيَّه وغصبوه ، فمن عصى الأمر الصحيح ، وبدل العهد البيّن ، وظلم واعتدى وقهر ، ولم يلتفت إلى طاعة الله ورسوله ، ولم يرقب في آل محمد

إلاَّ ولا ذمة ، يراعى مثل أسامة بن زيد ويسترضيه ؟ وهو قـد ردّ شهادة أم أيمن ولم يسترضيها ، وأغضب فاطمة وآذاهـا ، وهـي أحق بالاسترضاء . فمن يفعل هـذا أي حاجـة بـه إلـى استرضـاء أسامة بن زيد ؟ وإنما يُسترضى الشخص للدين أو للـدنيا ، فـإذا لم يكن عندهم دين يحملهم على استرضاء من يجب استرضاؤه ، ولا هـم محتـاجون فـي الـدنيا إليـه ، فـأي داع يـدعوهم إلـى استرضائه ؟! والرافضة من جهلهـم وكـذبهم يتناقضـون تناقضـا كثيراً بيِّناً إذ هم في قول مختلف ، يُوفك عنه من أفك.

(فصـــل)

قال الرافضي : ((وسمّوا عمر الفاروق ، ولم يسـموا عليّاً عليه السلام بذلك ، مع أن رسـول اللـه قـال فيـه : هـذا فاروق أمتي يفرق بين أهل الحق والباطل . وقال ابن عمر : ما كنا نعرف المنافقين على عهـد النـبي إلا ببغضـهم عليّـاً عليـه السلام)) .

فيقـال : أوّلا : أمـا هـذان الحـديثان فلا يسـتريب أهـل المعرفة بالحديث أنهما حديثان موضوعان مكذوبان على النـبي ولم يرو واحدٌ منهما في شيء من كتب العلم المعتمـدة ، ولا لواحد منهما إسناد معروف.

ويقال : ثانيا : من احتج في مسـألة فرعيـة بحـديث فلا بد ان يسنده ، فكيـف في مسـائل أصـول الـدين ؟ وإلا فمجـرد قول القائل : ((قـال رسـول اللـه)) ليـس حجـة باتفـاق أهـل العلم . ولو كان حجة لكان كل حديث قـال فيـه واحـد مـن أهـل السنة : ((قال رسول الله)) حجة ، ونحن نقنع في هذا البـاب بأن يُرْوى الحديثُ بإسناد معروفون بالصدق من أي طائفة كانوا .

لكن إذا لم يكن الحديث له إسناد ، فهذا الناقل لـه ، وإن كان لم يكذبه بل نقله من كتاب غيره ، فذلك الناقـل لـم يعـرف عمّن نقله . ومن المعروف كثرة الكذب في هذا الباب وغيــره ، فكيف يجوز لأحد أن يشهد علـى رسـول اللـه بمـا لـم يعـرف إسناده ؟

ويقال : ثالثا : من المعلوم لكل مـن لـه خـبرة أن أهـل الحديث أعظم الناس بحثاً عن أقوال النـبي ، وطلبـا لعلمهـا ، وأرغب الناس في اتّباعها ، وأبعد الناس عن اتّباع هوىً يخالفها ، فلو ثبت عندهم أن النبي قال لعلـيّ هـذا ، لـم يكـن أحـد مـن

الناس أوْلى منهم باتّباع قوله ، فـإنهم يتّبعـون قـوله إيمانـاً بـه ، ومحبة لمتابعته ، ولا لغرض لهم في الشخص الممدوح .

فلو ثبت عندهم أن النبي – قال لعليّ : هذا فاروق أمتي ، لقبلوا ذلك ،ونقلوه ، كما نقلوا قوله لأبـي عبيـدة: « هـذا أميـن هذه الأمة »[1]وقوله للزبير:« إن لكل نبي حواريّ وحواريّ الزبير »[2] وكما قبلوا ونقلوا قوله لعليّ « لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله »[3] وحديث الكسـاء لمـا قـال لعلـيّ وفاطمـة وحسـن وحسـين :« اللهـم هـؤلاء أهـل بيـتي ، فأذهب عنهم الرجس وطهِّرهم تطهيراً »[4] وأمثال ذلك .

ويقال : رابعا : كلٌّ من الحديثين يُعلم بالدليل أنه كـذب ، لا يجوز نسبته إلى النبي . فإنه يقال : ما المعنى بكـون علـيّ أو غيره فاروق هذه الأمة يفرق بيـن الحـق والباطـل ؟ إن عنـى بذلك أنه يميّز بيـن أهـل الحـق والباطـل، فيميّـز بيـن المـؤمنين والمنافقين ، فهذا أمر لا يقدر عليه أحـدٌ مـن البشـر: لا نـبي ولا غيـره . وقـد قـال تعـالى: ﴿**وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُم نَحْنُ نَعْلَمُهُم**﴾[5] كان النبي لا يعلَم عينَ كل منـافق في مدينته وفيما حولها ، فكيف يعلم ذلك غيره ؟

ومحبة الرافضة لعليّ باطلة ، فإنهم يحبّون ما لم يوجـد ، وهو الإمام المعصوم المنصوص على إمامته ، الذي لا إمـام بعـد النبي إلا هو ، الذي كان يعتقـد أن أبـا بكـر وعمـر رضـى اللـه عنهما ظالمان معتديان أو كافران ، فإذا تبيّن لهـم يـوم القيامـة أن عليّاً لم يكن أفضـل مـن واحـد مـن هـؤلاء ، وإنمـا غـايته أن يكون قريباً من أحدهم ، وأنه كان مقرّاً بإمامتهم وفضلهم ، ولم يكن معصوما لا هو ولا هم ولا كان منصوصا على إمـامته ، تـبين لهم أنهم لم يكونوا يحبون عليّاً ، بل هم من أعظم الناس بغضـاً لعليّ في الحقيقة ، فإنهم يبغضون من اتصف بالصـفات الـتي كانت في عليّ أكمل منها في غيـره : مـن إثبـات إمامـة الثلاثـة وتفضيلهم ، فإن عليًّا كان يفضّلهم ويقرُّ بإمامتهم . فتبيَّن أنهم مبغضون لعليّ قطعا .

---

(1) رواه البخاري : ج 5 ص 25 وغيره .
(2) انظر البخاري : ج 5 ص 21 ، ومسلم : ج 4 ص 1879.
(3) انظر البخاري : ج 5 ص 18 ، ومسلم : ج 4 ص 1871.
(4) انظر مسلم : ج 4 ص 1883.
(5) الآية 101 من سورة التوبة .

وبهذا يتبين الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن عليّ أنه قال: إنه لعهد النبي الأميّ إليّ أنه((لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلامنافق))[1]إن كان هذا محفوظا ثابتا عن النبي صلى الله عليه وسلم، فإن الرافضة لا تحبه على ما هو عليه ، بل محبتهم من جنس محبة اليهود لموسى والنصارى لعيسى ، بل الرافضة تبغض نعوت عليّ وصفاته ، كما تبغض اليهود والنصارى نعوت موسى وعيسى ، فإنهم يبغضون من أقر نبوة محمد ، وكانا مقرين بها صلى الله عليهم أجمعين .

(فصـــــل)

قال الرافضي : ((وأعظموا أمر عائشة على باقي نسوانه ، مع أنه عليه السلام كان يكثر من ذكر خديجة بنت خويلد ، وقالت له عائشة : إنك تكثر من ذكرها ، وقد أبدلك الله خيرا منها . فقال : والله ما بُدِّلت بها ما هو خير منها ؛ صدَّقتني إذ كذبني الناس ، وآوتني إذ طردني الناس ، وأسعدتني بمالها ، ورزقني الله الولد منها ، ولم أرزق من غيرها)).

والجواب أولا : أن يقال : إن أهل السنة ليسوا مجمعين على أن عائشة أفضل نسائه ، بل قد ذهب إلى ذلك كثير من أهل السنة ، واحتجوا بما في الصحيحين عن أبي موسى وعن أنس رضى الله عنهما أن النبي قال:((فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام))[2].

والثريد هو أفضل الأطعمة لأنه خبز ولحم ، كما قال الشعر :

إذا ما الخبز تأدمه بلحم فذاك أمانة الله الثريد

وذلك أن البُرّ أفضل الأقوات ، واللحم أفضل الآدام ، كما في الحديث الذي رواه ابن قتيبة وغيره عن النبي أنه قال : ((سيد إدام أهل الدنيا والآخرة اللحم))[3]. فإذا كان اللحم سيد الآدام ، والبُرُّ سيد الأقوات ، ومجموعها الثريد ، لكان الثريد أفضل الطعام . وقد صح من غير وجه عن الصادق المصدوق أنه قال : ((فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)).

وفي الصحيح عن عمرو بن العاص قال : قلت يا رسول الله : أي الناس أحب إليك ؟ قال : ((عائشة)) . قلت : من

---

[1](1) انظر مسلم : ج 1 ص 86.

[2](1) انظر البخاري : ج 5 ص 29 ، ومسلم : ج 4 ص 5 189.

[3](2) سنن ابن ماجة : ج 2 ص 1099 وهو ضعيف .

الرجـال ؟ قـال : ((أبوهـا)) . قلـت : ثـم مـن ؟ قـال : ((عمـر)) وسمّى رجالا[4] .

وهؤلاء يقولون : قوله لخديجـة : ((مـا أبـدلني اللـه بخيـر منها)) : إن صح معناه: م ا أبـدلني بخيـر لـي منه ا ؛ لأن خديجـة نفعته في أول الإسلام نفعا لم يقم غيرها فيه مقامهـا ، فكـانت خيرا له من هذا الوجه ، لكونها نفعته وقت الحاجة ، لكن عائشة صحبته في آخـر النبـوة وكمـال الـدين ، فحصـل لهـا م ن العلـم والإيمان ما لم يحصل لمن لم يدرك إلا أول زمن النبوة ، فكانت أفضل بهذه الزيادة ، فإن الأمـة انتفعـت بهـا أكـثر ممـا انتفعـت بغيرها ،وبلغت من العلم والسنة ما لـم يبلغـه غيرهـا ، فخديجـة كان خيرها مقصورا على نفس النبي ، لم تبلِّغ عنه شيئاً ، ولـم تنتفع بها الأمة كما انتفعوا بعائشة ، ولا كان الدين قد كمل حـتى تعلمه ويحصل لها من كمـال الإيمـان بـه مـا حصـل لمـن علمـه وآمن به بعد كماله .

(فصـــــل)

قال الرافضي : ((وأذاعت سر رسول الله صـلى للـه عليه وسلم ، وقال لها النبي : إنك تقاتلين عليًّا وأنت ظالمة لـه ، ثـم إنهـا خـالفت أمـر اللـه فـي قـوله تعـالى : **وقرن فـي بيوتكن** ، وخرجت في ملأ من النـاس لتقاتـل عليًّـا علـى غيـر ذنب ، لأن المسلمين أجمعوا على قتل عثمان ، وكانت هي فـي كل وقت تأمر بقتله ، وتقول اقتلوا نعثلا ، قتل اللـه نعثلا ، ولمـا بلغها قتله فرحت بذلك، ثم سألت : من تولى الخلافـة ؟ فقـالوا عليّ. فخرجت لقتاله على دم عثمان ، فأي ذنب كان لعليّ على ذلك ؟ وكيف استجاز طلحـة والزبيـر وغيرهمـا مطاوعتهـا علـى ذلك ؟ وبأي وجه يلقون رسـول اللـه ؟ مـع أن الواحـد منـا لـو تحدث مع امرأة غيره وأخرجها من منزلها وسافر بها كـان أشـد الناس عداوة له ، وكيف أطاعها على ذلك عشـرات ألـوف مـن المسلمين ، وساعدوها على حرب أمير المـؤمنين ، ولـم ينصـر أحد منهم بنت رسول الله لما طلبت حقهـا مـن أبـي بكـر ، ولا شخص واحد كلَّمه بكلمة واحدة)) .

والجواب : أن يقال : أما أهل السـنة فـإنهم فـي هـذا الباب وغيره قائمون بالقسط شهداء لله ، وقولهم حق وعدل لا

---

[4](3) انظر البخاري : ج 5 ص 5 ، ومسلم : ج 4 ص 1856.

يتناقض . وأما الرافضة وغيرهم من أهل البدع ففي أقوالهم من الباطل والتناقض ما ننبِّه إن شاء الله تعالى على بعضه ، وذلك أن أهل السنة عندهم أن أهل بدر كلهم في الجنة ، وكذلك أمّهات المؤمنين : عائشة وغيرها ، وأبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير هم سادات أهل الجنة بعد الأنبياء ، وأهل السنة يقولون : إن أهل الجنة ليس من شرطهم سلا متهم عن الخطأ ، بل ولا عن الذنب ، بل يجوز أن يذنب الرجل منهم ذنبا صغيراً أو كبيراً ويتوب منه . وهذا متفق عليه بين المسلمين ، ولو لم يتب منه فالصغائر مغفورة باجتناب الكبائر عند جماهيرهم، بل وعند الأكثرين منهم أن الكبائر قد تمحى بالحسنات التي هي أعظم منها ، وبالمصائب المكفِّرة وغير ذلك .

وإذا كان هذا أصلهم فيقولون : ما يذكر عن الصحابة من السيّئات كثير منه كذب ، وكثير منه كانوا مجتهدين فيه ، ولكن لم يعرف كثير من الناس وجه اجتهادهم ، وما قُدِّر أنه كان فيه ذنب من الذنوب لهم فهو مغفور لهم : إما بتوبة ، وإما بحسنات ماحية ، وإما بمصائب مكفِّرة ، وإما بغير ذلك؛ فإنه قد قام الدليل الذي يجب القول بموجبه : إنهم من أهل الجنة فامتنع أن يفعلوا ما يوجب النار لا محالة ، وإذا لم يمت أحد منهم ، على موجب النار لم يقدح ما سوى ذلك في استحقاقهم للجنة . ونحن قد علمنا أنهم من أهل الجنة، ولو لم يُعلم أن أولئك المعيَّنين في الجنة لم يجز لنا أن نقدح في استحقاقهم للجنة بأمور لا نعلم أنها توجب النار ، فإن هذا لا يجوز في آحاد المؤمنين الذين لم يُعلم أنهم يدخلون الجنة ، ليس لنا أن نشهد لأحد منهم بالنار لأمور محتملة لا تدل على ذلك ، فكيف يجوز مثل ذلك في خيار المؤمنين ، والعلم بتفاصيل أحوال كل واحد واحد منهم باطنا وظاهرا ، وحسناته وسيئاته واجتهاداته ، أمر يتعذر علينا معرفته ؟! فكان كلامنا في ذلك كلاماً فيما لا نعلمه ،والكلام بلا علم حرام ، فلهذا كان الإمساك عمّا شجر بين الصحابة خيراً من الخوض في ذلك بغير علم بحقيقة الأحوال ، إذ كان كثير من الخوض فـي ذلك – أو أكثره – كلاماً بلا علم ، وهذا حرام لو لم يكن فيه هوىً ومعارضة الحق المعلوم ، فكيف إذا كان كلاماً بهوىً يطلب فيه دفع الحق المعلوم؟

وأما قوله : ((وأذاعت سرَّ رسول الله)) فلا ريب أن الله تعالى يقول : **وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ**

وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ[1] .

وقد ثبت في الصحيح عن عمر أنها عائشة وحفصة[2] .

فيقال : أولا : هؤلاء يعمدون إلى نصوص القرآن التي فيها ذكر ذنوبٍ ومعاصٍ بيّنة لمن نصّت عنه من المتقدمين يتأوّلون النصوص بأنواعٍ التأويلات ، وأهل السنة يقولون : بل أصحاب الذنوب تابوا منها ورفع الله درجاتهم بالتوبة .

وهذه الآية ليست أوْلى في دلالتها على الذنوب من تلك الآيات ، فإن كان تأويل تلك سائغا كان تأويل هذه كذلك ، وإن كان تأويل هذه باطلا فتأويل تلك أبطل .

ويقال: ثانيا : بتقدير أن يكون هناك ذنب لعائشة وحفصة ، فيكونان قد تابتا منه. وهذا ظاهر لقوله تعالى : ﴿ **إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا** ﴾، فدعاهما الله تعالى إلى التوبة ، فلا يظن بهما أنهما لم يتوبا ، مع ما ثبت من علو درجتهما ، وأنهما زوجتا نبيّنا في الجنة ، وأن الله خيرهن بين الحياة الدنيا وزينتها وبين الله ورسوله والدار الآخرة ، فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة ، ولذلك حرّم الله عليه أن يتبَدّل بهن غيرهن ، وحرم عليه أن يتزوج عليهن ،واختُلف في إباحة ذلك له بعد ذلك ،ومات عنهن وهن أمهات المؤمنين بنص القرآن . ثم قد تقدَّم أن الذنب يُغفر ويُعفى عنه بالتوبة وبالحسنات الماحية وبالمصائب المكفرة .

ويقال : ثالثا : المذكور عن أزواجه كالمذكور عمّن شُهد له بالجنة من أهل بيته وغيرهم من الصحابة ، فإن عليًّا لما خطب ابنة أبي جهل على فاطمة، وقام النبي ﷺ خطيبا فقال : « إن بني المغيرة استأذنوني أن ينكحوا عليًّا ابنتهم ، وإني لا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن ، إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي ويتزوج ابنتهم ، إنما فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها » فلا يُظن بعلي ﷺ أنه ترك الخطبة في الظاهر فقط ، بل تركها بقلبه وتاب بقلبه عما كان طلبه وسعى فيه.

وأما الحديث الذي رواه وهو قوله لها:«تقاتلين عليًّا وأنت ظالمة له » فهذا لا يُعرف في شيء من كتب العلم المعتمدة ، ولا له إسناد معروف ،وهو بالموضوعات المكذوبات أشبه منه بالأحاديث الصحيحة ، بل هو كذب قطعاً ، فإن عائشة لم تقاتل

---

[1] (1) الآية 3 من سورة التحريم .

[2] (1) انظر البخاري : ج 6 ص 156، ومسلم : ج 2 ص 1110 .

ولم تخرج لقتال ، وإنما خرجت لقصد الإصلاح بين المسلمين ، وظنت أن في خروجها مصلحة للمسلمين ، ثم تبين لها فيما بعد أن ترك الخروج كان أوْلى ، فكانت إذا ذكرت خروجها تبكي حتى تبل خمارها .

وأما قوله : ((وخالفت أمر الله في قوله تعالى : ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى**﴾[1] .فهي ﷺ لم تتبرج تبرج الجاهلية الأولى. والأمر بالاستقرار في البيوت لا ينافي الخروج لمصلحة مأمور بها ، كما لو خرجت للحج وللعمرة أو خرجت مع زوجها في سفره ، فإن هذه الآية قد نزلت في حياة النبي ﷺ، وقد سافر بهن رسول الله ﷺ بعد ذلك كما سافر في حجة الوداع بعائشة رضى الله عنها وغيرها ، وأرسلها مع عبد الرحمن أخيها فأردفها خلفه ، وأعمرها من التنعيم .

وأما قوله :((إنها خرجت في ملأ من الناس تقاتل عليًّا من غير ذنب)) .

فهذا أولا : كذب عليها . فإنها لم تخرج لقصد القتال ، ولا كان أيضا طلحة والزبير قصدهما قتال عليّ ، ولو قدر أنهم قصدوا القتال ، فهذا هو القتال المذكور في قوله تعالى : ﴿**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِين . إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُم**﴾[2] فجعلهم مؤمنين أخوة مع الاقتتال. وإذا كان هذا ثابتا لمن هو دون أولئك المؤمنين فهم به أوْلى وأحرى.

وأما قوله : ((إن المسلمين أجمعوا على قتل عثمان)) .

فجوابه من وجوه : أحدها : أن يقال : أولا : هذا من أظهر الكذب وأبينه ؛ فإن جماهير المسلمين لم يأمروا بقتله ، ولا شاركوا في قتله ، ولا رضوا بقتله .

---

(1) الآية 33 من سورة الأحزاب .

(2) الآيتان 9و10 من سورة الحجرات .

أما أولا : فلأن أكثر المسلمين لم يكونوا بالمدينة ، بل كانوا بمكة واليمن والشام والكوفة والبصرة ومصر وخراسان ، وأهل المدينة بعض المسلمين .

وأما ثانيا : فلأن خيار المسلمين لم يدخل واحد منهم في دم عثمان لا قتل ولا أمر بقتله ، وإنما قتله طائفة من المفسدين في الأرض من أوباش القبائل وأهل الفتن ، وكان عليّ يحلف دائما : ((إني ما قتلت عثمان ولا مالأت على قتله)) ويقول : ((اللهم العن قتلة عثمان في البر والبحر والسهل والجبل)) . وغاية ما يقال : إنهم لن ينصروه حق النصرة ، وأنه حصل نوع من الفتور والخذلان ، حتى تمكن أولئك المفسدون . ولهم في ذلك تأويلات ، وما كانوا يظنون أن الأمر يبلغ إلى ما بلغ ، ولو علموا ذلك لسدّوا الذريعة وحسموا مادة الفتنة .

الثاني : أن هؤلاء الرافضة في غاية التناقض والكذب ؛ فإنه من المعلوم أن الناس أجمعوا على بيعة عثمان ما لم يجمعوا على قتله ؛ فإنهم كلهم بايعوه في جميع الأرض . فإن جاز الاحتجاج بالإجماع الظاهر ، فيجب أن تكون بيعته حقاً لحصول الإجماع عليها . وإن لم يجز الاحتجاج به ، بطلت حجتهم بالإجماع على قتله . لا سيما ومن المعلوم أنه لم يباشر قتله إلا طائفة قليلة . ثم إنهم ينكرون الإجماع على بيعته، ويقولون : إنما بايع أهل الحق منهم خوفا وكرها . ومعلوم أنهم لو اتفقوا كلهم على قتله ، وقال قائل : كان أهل الحق كارهين لقتله لكن سكتوا خوفا وتقيَّة على أنفسهم ، لكان هذا أقرب إلى الحق ، لأن العادة قد جرت بأن من يريد قتل الأئمة يخيف من ينازعه ، بخلاف من يريد مبايعة الأئمة ، فإنه لا يخيف المخالف ، كما يخيف من يريد قتله ، فإن المريدين للقتل أسرع إلى الشر وسفك الدماء وإخافة الناس من المريدين للمبايعة . فقول أهل السنّة خبر صادق وقول حكيم ، وقول الرافضة خبر كاذب وقول سفه ، فأهل السنّة يقولون الأمير والإمام والخليفة ذو السلطان الموجود ، الذي له القدرة على عمل مقصود الولاية ، كما أن إمام الصلاة هو الذي يصلي بالناس ، وهم يأتمون به ليس إمام الصلاة من يستحق أن يكون إماما وهو لا يصلي بأحد ، لكن هذا ينبغي أن يكون إماما ، والفرق بين الإمام وبين من ينبغي أن يكون هو الإمام لا يخفى على الطغام .

ويقولون أنه يعاون على البر والتقوى ، دون الإثم والعدوان ، ويطاع في طاعة الله دون معصيته ، ولا يخرج عليه

بالسيف ، وأحاديث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إنمـا تـدل على هذا .

كما في الصحيحين ، عن ابن عباس –رضي الله عنهمـا – عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال:((من رأى من أميـره شيئا يكرهه فليصبرعليه ، فإنه ليس أحد من النـاس يخـرج عـن السلطان شـبرا فمـات عليـه إلا مـات ميتـة جاهليـة))[1] فجعـل المحذور هـو الخـروج عـن السـلطان ومفارقـة الجماعـة وأمـر بالصبر على ما يكره من الأمير لم يخص بذلك سلطاناً معيناً ولا أميرا معينا ولا جماعة معينة .

(قـال الرافضـي الفصـل الثـاني فـي أن مـذهب الإمامية واجب الاتباع)

ومضمون ما ذكره أن الناس اختلفوا بعد النبي صـلى اللـه تعالى عليه وسلم فيجب النظـر فـي الحـق واعتمـاد الإنصـاف ، ومـذهب الإماميـة واجـب الاتبـاع لأربعـة وجـوه ، لأنـه أحقهـا ، وأصدقها ، ولأنهم باينوا جميع الفرق في أصول العقائد ، ولأنهـم جـازمون بالنجـاة لأنفسـهم ، ولأنهـم أخـذوا دينهـم عـن الأئمـة المعصومين ، وهذا حكاية لفظه .

قال الرافضي : أنه لما عمت البلية بموت النـبي صـلى الله تعالى عليه وسلم –واختلف الناس بعده ، وتعددت آراؤهم ، بحسب تعدد أهوائهم ، فبعضهم طلب الأمر لنفسـه بغيـر حـق ، وبايعه أكثر الناس للدنيا ، كما اختار عمرو بن سـعد ملـك الـرى أياما يسيرة ، لما خير بينه وبين قتل الحسين مع علمه ، بأن من قتله في النار ، واختياره ذلك في شعره حيث يقول :

فوالله ما أدري وإني لصادق أفـكرفي أمـر علـى خطرين

أاترك ملك الريّ والرى منيتي أم أصبـح مأثوما بقتل حسين

وفي قتله النار التي ليس دونها حجاب وملـك الـريّ قرة عيني

---

[1](1) سبق ذكره انظر ص

وبعضهم اشتبه الأمر عليه ، ورأى لطالب الدنيا مبايعا ، فقلده وبايعه وقصر في نظره ، فخفى عليه الحق فاستحق المؤاخذة من الله تعالى بإعطاء الحق لغير مستحقه بسبب إهمال النظر ، وبعضهم قلد لقصور فطنته ، ورأى الجم الغفير فتابعهم ، وتوهم أن الكثرة تستلزم الصواب ، وغفل عن قوله تعالى : ﴿**وَقَلِيلٌ مَا هُمْ** ﴾ [1] ﴿ **وَقَلِيلُ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُور** ﴾[2] وبعضهم طلب الأمر لنفسه بحق له وبايعه الأقلون الذين أعرضوا عن الدنيا وزينتها ، ولم يأخذهم في الله لومة لائم بل أخلصوا لله واتبعوا ما أمروا به من طاعة من يستحق التقديم .

وحيث حصل للمسلمين هذه البلية ، وجب على كل أحد النظر في الحق واعتماد الإنصاف ، وأن يقر الحق مستقره ، ولا يظلم مستحقه ، فقد قال تعالى : ﴿**أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِين** ﴾[3] و إنما كان مذهب الإمامية واجب الاتباع لوجوه هذا لفظه .

فيقال: أنه قد جعل المسلمين بعد نبيهم أربعة أصناف ،، وهذا من أعظم الكذب فإنه لم يكن من في الصحابة المعروفين أحد من هذه الأصناف الأربعة، فضلا عن أن لا يكون فيهم أحد إلا من هذه الأصناف .

إما طالب للأمر بغير حق كأبي بكر في زعمه . وإما طالب للأمر بحق كعلي في زعمه .

وهذا كذب على علي ، وعلى أبي بكر ، فلا علي طلب الأمر لنفسه قبل قتل عثمان ، ولا أبو بكر طلب الأمر لنفسه فضلا عن أن يكون طلبه بغير حق .

وجعل القسمين الآخرين إما مقلدا لأجل الدنيا، وإما مقلدا لقصوره في النظر، وذلك أن الإنسان يجب عليه ان يعرف الحق وأن يتبعه ، وهو الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم ، من النبيين والصديقين ، والشهداء والصالحين ، غير المغضوب عليهم ، ولا الضالين . وهذا هو الصراط الذي أمرنا أن نسأله هدايتنا إياه ، في كل صلاة بل في كل ركعة .

---

(1)[1] الآية 24 من سورة ص .
(2)[2] الآية 13 من سورة سبأ .
(3)[3] الآية 18 من سورة هود .

وهذه الأمة خير الأمم ، وخيرها القرن الأول ، كان القـرن الأول أكمل الناس في العلم النافع ، والعمل الصالح .

وهؤلاء المفترون وصفوهم بنقيض ذلك ، بأنهم لم يكونـوا يعلمون الحق ويتبعونه ، بل كان أكثرهم عنـدهم يعلمـون الحـق ويخالفونه ، كما يزعمون في الخلفاء الثلاثة ، وجمهور الصـحابة ، والأمة ، وكثير منهم عندهم لا يعلم الحق ، بل اتبع الظـالمين تقليداً لعدم نظرهم المفضى إلى العلـم ، والـذي لـم ينظـر قـد يكون تركه النظر لأجل الهوى وطلب الدنيا ، وقد يكون لقصوره ونقص إدراكه .

وادعى أن منهم من طلب الأمر لنفسه بحق يعني عليـاً ، وهذا مما علمنا بالاضطرار أنه لـم يكـن ، فلـزم مـن ذلـك علـى قول هؤلاء أن تكون الأمة كلها كانت ضالة ، بعد نبيها ليـس فيهـا مهتد .

فتكون اليهود ولنصارى بعد النسخ والتبديل خيراً منهم ، لأنهم كمـا قـال تعـالى: ﴿**وَمِنْ قَـوْمِ مُوسَـى أُمَّـةً يَهْـدُونَ بِالحَقِّ وَهُمْ يَعْدِلُون**﴾[1] . وقد أخبر النـبي صـلى اللـه تعـالى عليه وسلم أن اليهود والنصارى افترقت علـى أكـثرمن سـبعين فرقة ، فيها واحدة ناجية ، وهذه الأمة على موجب ما ذكروه لـم يكن فيهم بعد موت النـبي صـلى اللـه تعـالى عليـه وسـلم أمـة تقوم بالحق ولا تعدل به، وإذا لـم يكـن ذلـك فـي خيـار قرونهـم ففيما بعد ذلك أولى .

فيلزم من ذلك ان يكون اليهود والنصارى بعـد النسـخ والتبديل خيرا من خير أمة أخرجت للناس ، فهذا لازم لما يقوله هؤلاء المفترون ، فإذا كان هذا في حكايته لما جرى عقب مـوت النبي صلى الله تعالى عليـه وسـلم مـن اختلاف الأمـة ، فكيـف سائر ما ينقله ويستدل به ، ونحن نبين ما في هذه الحكايـة مـن الأكاذيب من وجوه كثيرة، فنقول :

ما ذكره هذا المفترى من قوله : أنه لما عمت البليـة علـى كافة المسلمين بمـوت النـبي صـلى اللـه تعـالى عليـه وسـلم . واختلف الناس بعده ، وتعددت آراؤهم بحسـب تعـدد أهـوائهم ، فبعضهم طلب الأمر لنفسه ، وتابعه أكـثر النـاس طلبـاً للـدنيا ، كما اختار عمر بن سعد ، ملك الرى أيامـا يسـيرة لمـا خيـر بينـه

---

[1](1) الآية 159 من سورة الأعراف .

وين قتل الحسين ، مع علمه بان في قتلـه النـار واختيـاره ذلـك في شعره .

فيقال في هذا الكلام مـن الكـذب ، والباطـل وذم خيـار الأمة ، بغير حـق مـا لا يخفـى مـن وجـوه . (**أحدهما) :**قـوله تعددت آراؤهـم بحسـب تعـدد أهـوائهم ، فيكـون كلهـم متبعيـن أهوائهم ، ليس فيهـم طـالب حـق ، ولا مريـد لـوجه اللـه تعـالى والدار الآخرة ، ولا من كان قوله عن اجتهاد واستدلال .

وعموم لفظه يشمل علياً وغيره ، وهؤلاء الذين وصفهم بهـذا ، هم الـذين أثنـى اللـه عليهـم هـو ورسـوله ، ورضـي اللـه عنهـم ووعدهم الحسنى ، كما قال تعـالى : ﴿**وَالسَّـابِقُونَ الأَوَّلُـونَ مِنَ المُهَاجِرينَ وَالأَنْصَـار الَّـذِينَ اتَّبَعُـوهُم بِإِحْسَـان ﴿م وَرَضُـوا عَنْـهُ وَأَعَـدَّ لَهُـمْ جَنَّـاتٍ تَجْـرِي تَحْتهـا الأَنْهَـار خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيم** ﴾ [1] .وقال تعالى : ﴿ **مُحَمَّدٌ رَسُـولُ اللـهِ وَالَّـذِينَ مَعَـهُ أَشِـدَّاءَ عَلَـى الكُفَّـارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللـهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُم في وُجُوهِهِم مِنْ أَثَـرِ السُّـجُودِ ذَلِـكَ مَثَلُهُمْ في التَّوْرَاةِ ، وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلَ كَـزَرْعٍ أَخْـرَجَ شَطْأَهُ فآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُـوقِهِ يُعْجِـبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِم الكُفَّار ، وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُـمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيمًا** ﴾[2] **.**

وقال تعالى : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِـأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِـهِمْ فِـي سَـبِيلِ اللـهِ وَالَّـذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُوْلَئِكَ بَعضُهم أَوْلِيَاءَ بَعْـض** –إلـى قـوله– **أُوْلَئِـكَ هُمُ المُؤْمِنُونَ حَقًّـا لَهُـم مَغْفِـرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيـم وَالَّـذِينَ آمَنُوا مِن بَعد وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُـم فَأُوْلَئِـكَ مِنْكُـم** ﴾[3] **.**

وقال تعالى : ﴿**لاَ يَسْتَوِي مِنْكُم مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَل أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِـنْ بَعْد وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الحُسْنَى** ﴾[4] **.**

---

(1)[1] الآية 100 من سورة التوبة .
(2)[2] الاية 29 من سورة الفتح .
(3)[3] الآيات من 72- 75 من سورة الأنفال .
(4)[4] الآية 10 من سورة الحديد .

وقال تعالى : ﴿**للفقراءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَـارِهِمْ وَأَمْـوَالِهِم يَبْتَغُونَ فَضْـلاً مِـنَ اللـهِ وَرِضـوانًا وَيَنْصُرُونَ الله وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُـم الصَّـادِقُون وَالَّـذِينَ تَبَوّؤا الدَّارَ وَالإِيمَان مِن قَبْلِهِم يُحِبُّون مَن هَاجَرَ إِلَيْهِم وَلاَ يَجِدُونَ في صُـدُورِهِم حَاجَـةً مِمَّـا أُوتُـوا وَيُـؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفسِهِم وَلَوْ كَانَ بِهِـمْ خَصَاصَـة وَمَـن يُـوقَ شُـحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْـدِهِم يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَان وَلاَ تَجْعَلْ في قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُـوا رَبَّنَـا إِنَّـكَ رَءُوفٌ رَحِيم﴾**[1] .

وهذه الآيات تتضمن الثناء على المهاجرين ، والأنصار ، وعلى الذين جاءوا من بعدهم ، يستغفرون لهم ويسألون الله أن لا يجعل في قلوبهم غلا لهم ، وتتضمن أن هؤلاء الأصناف هم المستحقون للفيء .

ولا ريب أن هؤلاء الرافضة خارجون من الأصناف الثلاثة فإنهم لم يستغفروا للسابقين ، وفي قلوبهم غل عليهم ، ففي الآيات الثناء على الصحابة، وعلى أهل السنّة الذين يتولونهم ، وإخراج الرافضة من ذلك ، وقد روى ابن بطة وغيره من حديث أبي بدر ، قال : حدثنا عبد الله بن زيد ، عن طلحة بن مصرف ، عن مصعب بن سعد ، عن سعد بن أبي وقاص ، قال : ((الناس على ثلاث منازل فمضت منزلتان وبقيت واحدة ، فأحسن ما أنتم عليه كائنون، أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت .

ثم قرأ ﴿ **للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، هؤلاء المهاجرون ، وهذه منزلة قد مضت، ثم قرا والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا . ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصا صة﴾** .

ثم قال هؤلاء الأنصار وهذه منزلة قد مضت .

ثم قرأ ﴿ **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ ، يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَان ، وَلا تَجْعَلْ**

---

[1](1) الآيات 10،9،8 من سورة الحشر .

في قُلُوبِنَا غُلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا، رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ [1] ، فقد مضت هاتان وبقيت هذه المنزلة ، فأحسن ما أنتم عليه كائنون أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت أن تستغفروا لهم)) [2] .

وروى أيضا بإسناده عن مالك بن أنس أنه قال:((من سب السلف فليس له في الفيء نصيب)) لأن الله تعالى يقول : **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِم** [3] -الآية – وهذا معروف عن مالك ، وغير مالك من أهل العلم كأبي عبيد القاسم بن سلام[4] .

وكذلك ذكره أبو حكيم النهرواني ، من أصحاب أحمد وغيره من الفقهاء، وروى أيضا عن الحسن بن عمارة ، عن الحكيم عن مقسم عن ابن عباس رضى الله عنهما . قال : ((أمر الله بالاستغفار لأصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وهو يعلم أنهم يقتتلون))[5] .

وقال عروة قالت لي عائشة رضى الله عنها: ((يا ابن أختي أمروا بالاستغفار لأصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم . فسبوهم))[6] .

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري قال . قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ((لا تسبوا أصحابي فلو ان أحدهم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه))[7] .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : ((لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه))[8] .

وفي صحيح مسلم أيضاً عن جابر بن عبد الله قال : قيل لعائشة : ((إن ناسا يتناولون أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، حتى أبا بكر وعمر ، فقالت وما تعجبون من

---

[1](1) الآية 10 من سورة الحشر .
[2](2) يظهر أن هذا الأثر في الإبانة الكبرى إذ لم أجده في الصغرى .
[3](3) هذا الأثر في الإبانة مختصرا ص 162 والظاهر أن المؤلف ينقل عن الكبرى .
[4](4) انظر المرجع المذكور ص 162 .
[5](5) المرجع المذكور ص 119 .
[6](6) انظر الإبانة ص 120 .
[7](7) البخاري ج 5 ص 8 و مسلم ج 4 ص 1967 .
[8](1) مسلم ج 4 ص 1967 .

هذا ، انقطع عنهم العمل ، فأحب الله أن لا يقطع عنهم الأجر))[1] .

وروى ابن بطة بالإسناد الصحيح عن عبد الله بن أحمد قال حدثني أبي . حدثنا معاوية . حدثنا رجاء عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ((لا تسبوا أصحاب محمد فإن الله تعالى قد أمرنا بالاستغفار لهم وهو يعلم أنهم سيقتلون))[2] .

ومن طريق أحمد ، عن عبد الرحمن بن مهدي ، وطريق غيره عن وكيع ، وأبي نعيم ثلاثتهم ، عن الثوري ، عن نسير بن ذعلوق ، سمعت عبد الله بن عمر يقول : ((لا تسبوا أصحاب محمد ، فلمقام أحدهم ساعة يعني مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خير من عمل أحدكم أربعين سنة)).

وفي رواية وكيع (خير من عبادة أحدكم عمره) .

وقال تعالى :﴿ **لقد رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَة فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِم وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيمًا وَعَدَكُم اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُم هَذِهِ وَكَفَّ أَيدي النَّاسِ عَنْكُم وَلِتَكُونَ آيةً للمُؤمِنِين وَيهْدِيكُم صِرَاطاً مُسْتَقِيمًا وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللهُ بِهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرًا** ﴾[3]

وقد أخبر الله أنه سبحانه وتعالى رضي عنهم ، وأنه علم ما في قلوبهم ، وأنه أثابهم فتحا قريبا .

وهؤلاء هم أعيان من بايع أبا بكر وعمر وعثمان ، بعد موت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، لم يكن في المسلمين من يتقدم عليهم ، بل كان المسلمون كلهم يعرفون فضلهم عليهم ، لأن الله تعالى بين فضلهم في القرآن بقوله : ﴿ **لاَ يَسْتَوِي مِنْكُم مَن أَنْفَقَ مِن قَبْلِ الفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذينَ أَنْفَقُوا مِن بَعدُ وَقَاتَلوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الحُسْنَى** ﴾[4] .

---

[1] (1) يظهر أنه في بعض النسخ فإني لم أجده في مسلم .

[2] (2) انظر الإبانة ص 119 .

[3] (3) الآيات 18-21 من سورة الفتح .

[4] (1) الآية 10 من سورة الحديد .

ففضل المنفقين المقاتلين قبل الفتح ، والمراد بالفتح هنا صلح الحديبية ، ولهذا سئل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « أو فتح هو ؟ فقال : نعم »[1].

وأهل العلم يعلمون أن فيه أنزل الله تعالى : ﴿ **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَيَنْصُرَكَ اللهُ نَصْرًا عَزِيزاً** ﴾. فقال بعض المسلمين : يا رسول الله هذا لك ، فما لنا ؟ يا رسول الله . فأنزل الله تعالى : ﴿ **هوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ في قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِم** ﴾.

وهذه الآية نص في تفضيل المنفقين المقاتلين قبل الفتح على المنفقين بعده،ولهذا ذهب جمهور العلماء إلى أن السابقين في قوله تعالى :﴿ **وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَار** ﴾[2]هم هؤلاء الذين أنفقوا من قبل الفتح قاتلوا ، وأهل بيعة الرضوان كلهم منهم ،وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة ، وقد ذهب بعضهم إلى أن السابقين الأوّلين، هم من صلى إلى القبلتين ، وهذا ضعيف ، فإن الصلاة إلى القبلة المنسوخة ليس بمجرده فضيلة، ولأن النسخ ليس من فعلهم ، الذي يفضلون به ، ولأن التفضيل بالصلاة إلى القبلتين لم يدل عليه دليل شرعي ، كما دل على التفضيل بالسبق إلى الإنفاق والجهاد ، والمبايعة تحت الشجرة .

وقد علم بالاضطرار أنه كان في هؤلاء السابقين الأولين أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وبايع النبي ﷺ بيده عن عثمان ، لأنه كان غائبا قد أرسله إلى أهل مكة ليبلغهم رسالته ، وبسببه بايع النبي ﷺ الناس ، لما بلغه أنهم قتلوه : وقد ثبت في صحيح مسلم ، عن جابر بن عبد الله ﷺ أنه قال : « لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة »[3] ، و قال تعالى : ﴿ **لقدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِي وَالمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَار الَّذِينَ اتّبَعُوهُ في سَاعَةِ العُسْرَة مِن بَعْدِ مَا كَانَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهَمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِم إِنَّهُ بِهِم رَءُوفٌ رَحِيم** ﴾[4]

---

(2)[1] انظر سنن أبي داود ج 3 ص 101 .
(3)[2] الآية 100 من سورة التوبة .
(1)[3] مسلم ج 4 ص 1942 رقم 2496 .
(2)[4] الآية 117 من سورة التوبة .

.فجمع بينهم وبين رسول الله فـي التوبـة . وقـال تعـالى : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُـوا وَهَـاجَرُوا وَجَاهَـدُوا بِـأَمْوَالِهِم وَأَنْفُسِـهِم فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَالَّـذِينَ آوَوْا وَنَصَـرُوا أُوْلَئِـكَ بَعْضُـهُم أَوْلِيَاءَ بَعْضٍ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا** –إلى قولهِ تعالى –**وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعد وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُم فَأُوْلَئِكَ مِنْكُـم** ﴾[1] فـأثبت المـوالاة بينهـم وقـال للمـؤمنين:﴿ **يـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا اليَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُـهُم أَوْلِيَاءَ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِنْكُـمْ فَـإِنَّهُ مِنْهُـم إِنَّ اللـهَ لاَ يَهْدِي القَـوْمَ الظَّـالِمِينَ** –إلـى قـوله – **إِنَّمَـا وَلِيُّكُـمُ اللـه وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذينَ يُقِيمُـونَ الصَّـلاَةَ وَيُؤْتُـونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُون ، وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّـذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُـمُ الغَـالِبُون** ﴾[2] . وقـال تعـالى : ﴿ **وَالمُؤمِنُونَ وَ المُؤمِنَات بَعْضَهُم أَوْلِيَاء بَعْض**﴾[3].

فأثبت الموالاة بينهم، وأمرهم بموالاتهم ، والرافضة تتبرأ منهـم ولا تتـولاهم ،وأصـل المـوالاة المحبـة ، وأصـل المعـاداة البغض ،وهم يبغضونهم ولا يحبونهم .

وقد وضع بعض الكذابين حديثا مفترى ، أن هذه الآية نزلت في علي لما تصدق بخاتمه في الصلاة ، وهذا كذب بإجماع أهـل العلم بالنقل ، وكذبه بيّن من وجوه كثيرة .

منها أن قوله الذين صيغة جمع . وعلي واحد .

ومنها أن الواو ليست واو الحال إذ لو كان كذلك لكان لا يسوغ أن يتـولى إلا مـن أعطـى الزكـاة فـي حـال الركـوع . فلا يتولى سائر الصحابة والقرابة .

ومنها ان المدح إنما يكون بعمل واجب أو مستحب ، وإيتاء الزكاة في نفس الصلاة ليس واجب ولا مستحب ، باتفاق علماء الملة ، فإن الصلاة شغلا.

ومنها أنه لو كان إيتاؤها في الصلاة حسنا لم يكن فرق بين حال الركوع وغير الركوع ، بل إيتاؤها في القيام و القعود أمكـن .

ومنها أن عليا لم يكن عليه زكاة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

ومنها أن إيتاء غير الخاتم في الزكاة خير من إيتاء الخاتم ، فإن أكثر الفقهاء يقولون لا يجزئ إخراج الخاتم في الزكاة .

---

[1](3) الآيات 72-75 من سورة الأنفال .

[2](4) الآيات من 51 – 56 من سورة المائدة .

[3](5) الآية 71 من سورة التوبة .

ومنها أن هذا الحديث فيه أنه أعطاه السائل ،والمدح في الزكـاة أن يخرجهـا ابتـداء ويخرجهـا علـى الفـور ، لا ينتظـر أن يسأله سائل .

ومنها أن الكلام في سياق النهي عن موالاة الكفار ، والأمر بموالاة المؤمنين ، كما يـدل عليـه سـياق الكلام ، وسـيجيء إن شاء الله تعالى تمـام الكلام علـى هـذه الآيـة ، فـإن الرافضـة لا يكادون يحتجون بحجة إلا كانت حجة عليهم لا لهم ، كاحتجـاجهم بهذه الآية على الولاية التي هي الإمارة ، وإنما هـي فـي الولايـة التي هي ضد العداوة .

والرافضة مخالفون لها ، والإسماعيلية والنصيرية ونحوهم يوالون الكفار ، من اليهود والنصارى والمشـركين والمنـافقين ، ويعادون المـؤمنين مـن المهـاجرين والأنصـار والـذين اتبـوعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وهذا أمر مشهور .

يعادون خيار عباد الله المؤمنين ويوالون اليهود والنصارى والمشركين من الترك وغيرهم ، وقال تعالى : ﴿ **يا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِين**﴾[1] . أي الله كافيك ومن اتبعـك مـن المـؤمنين ، والصـحابة أفضـل مـن اتبعـه مـن المؤمنين، وأولهم و قال تعالى : ﴿ **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالفَتْح وَرَأَيْتَ النَّـاسَ يَـدْخُلُونَ فـي دِيـنِ اللـهِ أَفْوَاجًـا فَسَـبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا** ﴾.

والذين رآهم النبي ﷺ يدخلون في دين الله أفواجا هم الذين كانوا على عصره، وقال تعالى : ﴿ **هـوَ الَّـذِي أَيَّـدَكَ بِنَصْـرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّـفَ بَيْـنَ قُلُـوبِهِمْ** ﴾[2] . و إنمـا أيـده فـي حياته بالصحابة ، و قال تعالى :

﴿ **وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ المتَّقُون لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِين لِيُكَفِّرَ اللـهُ عَنْهُمْ أَسْـوَأَ الَّـذِي عَمِلُـوا وَيَجْزِيَهُـم أَجْرَهُـم بِأَحْسَـنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُون** ﴾[3] .

وهذا الصنف الذي يقول الصدق ، ويصدق به خلاف الصنف الذي يفتري الكذب أو يكـذب بـالحق ، لمـا جـاءه كمـا سنبسـط القول فيهما إن شاء الله تعالى .

---

(1)[1] الآية 64 من سورة الأنفال .

(2)[2] الآية 62 من سورة الأنفال .

(3)[3] الآيات 33-35 من سورة الزمر .

والصحابة الذين كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله ، وأن محمـدا رسـول اللـه ، وأن القـرآن حـق ، هـم أفضـل مـن جـاء بالصدق وصدق به ، بعد الأنبياء وليس فـي الطوائـف المنتسـبة إلى القبلة أعظم افتراء للكـذب علـى اللـه وتكـذيبا بـالحق مـن المنتسبين إلى التشيع . ولهذا لا يوجد الغلو في طائفة أكثر مما يوجد فيهم .

ومنهم من ادعى إلهية البشر ، وادعى النبوة في غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وادعى العصمة في الأئمة ، ونحـو ذلك مما هو أعظم مما يوجد في سائر الطوائـف ، واتفـق أهـل العلم أن الكذب ليس في طائفة من المنتسبين إلى القبلة أكـثر منه فيهـم ، وقـال تعـالى : ﴿ **قلِ الْحَمْـدُ للـهِ وَسَـلاَمٌ عَلَـى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى** ﴾. قال طائفة من السلف هم أصحاب محمـد صـلى اللـه تعـالى عليـه وسـلم ،ولا ريـب أنهـم أفضـل المصطفين من هذه الأمة ، التي قال اللـه فيهـا : ﴿ **ثمَّ أَوْرَثْنَـا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُم ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُقْتَصِد وَمِنْهُم سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللـه ذَلِـكَ هُوَ الْفَضْلُ الكَبِير جَنَّـات عَـدْنٍ يَـدْخُلُونَهَا يُحَلَّـوْنَ فِيهَـا مِـنْ أَسَـاوِرَ مِـنْ ذَهَـبٍ وَلُؤْلُـؤًا وَلِبَاسُـهُم فِيهـا حَرِيـر وَقَالوا الْحَمْدُ للهِ الَّذي أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَن إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُـورٌ شَكُور الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لاَ يَمَسّنَا فيها نَصبٌ وَلاَ يَمَسُّنَا فيها لُغُوب** ﴾[1] .

فأمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الذين أورثوا الكتاب بعد الأمتين قبلهم اليهود والنصارى .

وقد أخبر الله تعالى أنهم الذين اصطفى .

وتواتر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « خير القرون القرن الـذي بعثـت فيـه ، ثـم الـذين يلـونهم، ثـم الذين يلونهم »، ومحمد صلى الله تعالى عليـه وسـلم وأصـحابه هم المصطفون ، من المصطفين من عباد الله وقـال تعـالى : ﴿ **مُحمـدٌ رَسُـولُ اللـهِ وَالَّـذِينَ مَعَـهُ أَشِـدَّاءَ عَلَـى الْكُفَّـارُ رُحَمَاءَ بَيْنَهُم** ﴾[2] إلى آخر السورة . وقال تعالى : ﴿**وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فـي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِـن قَبْلِهِـم وَلَيُمَكِّنَـنَّ لَهُـمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُـم وَلَيُبْـدِلَنَّهُم مِـنْ بَعْـدِ خَـوْفِهِمْ**

---

[1](1) الآيات 32 – 35 من سورة فاطر .

[2](2) الآية 29 من سورة الفتح .

أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ [1] . فقد وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالاستخلاف ، كما وعدهم في تلك الآية مغفرة وأجرا عظيما ، والله لا يخلف الميعاد .

فدل ذلك أن الذين استخلفهم كما استخلف الذين من قبلهم ومكن لهم دين الإسلام ، وهو الدين الذي ارتضاه لهم ، كما قال تعالى : **وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا** [2] وبدلهم بعد خوفهم أمنا لهم [3] المغفرة والأجر العظيم .

وهذا يستدل به على وجهين : على أن المستخلفين مؤمنون عملوا الصالحات ، لأن الوعد لهم لا لغيرهم ، ويستدل به على ان هؤلاء مغفور لهم، ولهم أجر عظيم ، لأنهم آمنوا وعملوا الصالحات ، فتناولتهم الآيتان – آية النور وآية الفتح .

من المعلوم أن هذه النعوت منطبقة على الصحابة على زمن أبي بكر وعمر وعثم ان ، فإنه إذ ذاك حصل الاستخلاف ، وتمكن الدين والأمن ، بعد الخوف لما قهروا فارس والروم وفتحوا الشام والعراق ، ومصر وخراسان ، وأفريقية .

ولما قتل عثمان وحصلت الفتنة لم يفتحوا شيئا من بلاد الكفار ، بل طمع فيهم الكفار بالشام وخراسان ، وكان بعضهم يخاف بعضاً .

وحينئذ قد دل القرآن على إيمان أبي بكر وعمر وعثمان ،ومن كان معهم في زمن الاستخلاف والتمكين والأمن ، والذين كانوا في زمن الاستخلاف والتمكين والأمن أدركوا زمن الفتنة كعلي وطلحة وأبي موسى الأشعري ، ومعاوية وعمرو بن العاص ، دخلوا في الآية لأنهم استخلفوا ومكنوا ، وأمنوا .

و أما من حدث في زمن الفتنة كالرافضة الذين حدثوا في الإسلام ، في زمن الفتنة والافتراق ، وكالخوارج المارقين ،فهؤلاء لم يتناولهم النص ، فلم يدخلوا فيمن وصف بالإيمان والعمل الصالح ، المذكورين في هذه الآية ، لأنهم أولا ليسوا من الصحابة المخاطبين بهذا .

ولم يحصل لهم من الاستخلاف والتمكين والأمن بعد الخوف ما حصل للصحابة ، بل لا يزالون خائفين مقلقلين غير ممكنين .

---

[1] (3) الآية 55 من سورة النور .

[2] (1) جزء من الآية رقم 3 من سورة المائدة .

[3] (2) قوله " لهم المغفرة والأجر العظيم " خبر عن قوله فدل ذلك الخ .

فإن قيل لما قال وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم ولم يقل وعدهم كلهم . قيل كما قال وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ، ولم يقل وعدكم .

و"من" تكون لبيان الجنس فلا يقتضي أن يكون قد بقي من المجرور بها شيء خارج ، عن ذلك الجنس كما في قوله تعالى : ﴿**فاجتنبوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ**﴾[1] فإنه لا يقتضى أن يكون من الأوثان ما ليس برجس ، وإذا قلت ثوبا من حرير ، فهو كقولك ثوب حرير ، وكذلك قولك باب من حديد فهو، كقولك باب حديد ، وذلك لا يقتضي أن يكون هناك حرير وحديد غير المضاف إليه ، وإن كان الذي يتصوره كليا ، فإن الجنس الكلي ، هو ما لا يمنع تصوره من وقوع الشركة فيه ، وإن لم يكن مشتركاً فيه في الوجود .

فإذا كانت من بيان الجنس ، كان التقدير وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات من هذا الجنس ، وإن كان الجنس كلهم مؤمنين صالحين ، وكذلك إذا قال وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات من هذا الجنس والصنف مغفرة وأجراً عظيما ، لم يمنع ذلك أن يكون جميع هذا الجنس مؤمنين صالحين .

ولما قال لأزواج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: ﴿ **وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ للهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا** ﴾[2] لم يمنع أن يكون كل منهن تقنت لله ورسوله ، وتعمل صالحا ، ولما قال تعالى : ﴿**وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُم كَتَبَ رَبُّكُم عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُم سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾[3] لم يمنع أن يكون كل منهم متصفاً بهذه الصفة ، ولا يجوز ان يقال أنهم لو عملوا سوءاً بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا لم يغفر إلا لبعضهم.

ولهذا تدخل من هذه في النفي لتحقيق نفي الجنس كما في قوله تعالى :

---

(1)[1] الآية 30 من سورة الحج .

(2)[2] الآية 31 من سورة الأحزاب .

(1)[3] الآية 54 من سورة الأنعام .

﴿**وَمَا التَّنَاهُم مِن عَمَلِهِم مِن شَيءٍ**﴾[1] وقوله تعالى: ﴿**وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ الله**﴾ [2]﴿**فَمَا مِنْكُم مِن أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِين**﴾[3] .

ولهذا إذا دخلت في النفي تحقيقا أو تقديرا أفادت نفي الجنس قطعاً ،

(فالتحقيق ما ذكر والتقدير كقوله تعالى: ﴿**لا إله إلا الله**﴾وقوله: ﴿**لاَرَيْبَ فيه**﴾ ونحو ذلك بخلاف ما إذا لم تكن "من"موجودة كقولك ((ما رأيت رجلا)) فإنها ظاهرة لنفي الجنس ، ولكن قد يجوز أن ينفي بها الواحد من الجنس ، كما قال سيبويه : يجوز أن يقال ما رأيت رجلا ، بل رجلين .

فتبين أنه يجوز إرادة الواحد ، وإن كان الظاهر نفي الجنس ، بخلاف ما إذا دخلت (من) فإنه ينفي الجنس قطعا ، ولهذا لو قال لعبيده من أعطاني منكم ألفا فهو حر فأعطاه كل واحد ألفا عتقوا كلهم .

وكذلك لو قال واحد لنسائه من أبرأتني منكن من صداقها فهي طالق فأبرأنه كلهن ، طلقن كلهن .

فإن المقصود بقوله منكن بيان جنس المعطى والمبرئ لا إثبات هذا الحكم لبعض العبيد والأزواج .

فإن قيل فهذا كما لا يمنع أن يكون كل المذكور متصفا بهذه الصفة فلا يوجب ذلك أيضا ، فليس في قوله وعد الله الذين آمنوا منكم و عملوا الصالحات ما يقتضي أن يكونوا كلهم كذلك .

قيل : نعم ونحن لا ندعي أن مجرد هذا اللفظ دل على ان جميعهم موصوفون بالإيمان والعمل الصالح ، ولكن مقصودنا أن (من) لا ينافى شمول هذا الوصف لهم فلا يقول قائل ان الخطاب دل على ان المدح شملهم وعمهم بقوله محمد رسول الله والذين معه إلى آخر الكلام ، ولا ريب أن هذا مدح لهم بما ذكر ، من الصفات ، وهو الشدة على الكفار ، والرحمة بينهم والركوع والسجود يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، والسيما في وجوههم من أثر السجود ، وانهم يبتدئون من ضعف إلى كمال القوة والاعتدال ، كالزرع والوعد بالمغفرة والأجر العظيم ، ليس على مجرد هذه الصفات بل على الإيمان والعمل الصالح .

فذكر ما به يستحقون الوعد ، وإن كانوا كلهم بهذه الصفة ، ولولا ذكر ذلك لكان يظن انهم بمجرد ما ذكر يستحقون

---

[1](2) الآية 21 من سورة الطور.

[2](3) الآية 62 من سورة آل عمران .

[3](4) الآية 47 من سورة الحاقة .

المغفرة والأجر العظيم ولم يكن فيه بيان سبب الجزاء ، بخلاف ما إذا ذكر الإيمان والعمل الصالح .

فإن الحكم إذا علق باسم مشتق مناسب كان ما منه الاشتقاق سبب الحكم.

فإن قيل فالمنافقون كانوا في الظاهر مسلمين ، قيل المنافقون لم كونوا متصفين بهذه الصفات ، ولم يكونوا مع الرسول والمؤمنين ولم يكونوا منهم ، كما قال الله تعالى : ﴿ **فعسى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِم نَادِمِين ، وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنوا أَهَؤُلاَءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِم إِنَّهُم لَمَعَكُم حَبطت أَعْمَالُهُم فَأَصْبَحُوا خَاسِرِين** ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ فَإِذَا أُو ذوى في اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابَ اللهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولن إِنَّا مَعَكُم أَوَ لَيْسَ الله بِأَعْلَم بِمَا فِي صُدُور العَالَمِين وَلَيَعْلَمَنَّ الله الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُم وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِين** ﴾[2]

فأخبرأن المنافقين ليسوا من المؤمنين ، ولا من أهل الكتاب .

هؤلاء لا يجدون في طائفة من المتظاهرين بالإسلام ، أكثر منهم في الرافضة ، ومن انطوى إليهم . فدل هذا على ان المنافقين لم يكونوا من الذين آمنوا معه ، والذين كانوا منافقين منهم من تاب عن نفاقه وانتهى عنه ، وهم الغالب بدليل قوله تعالى : ﴿ **لئنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ وَالْمُرْجَفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لِنُغْرِيَنَّكَ بِهِم ثُمَّ لاَ يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلاَّ قَلِيلاً مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً** ﴾[3] **.**

فلما لم يغره الله بهم ، ولم يقتلهم تقتيلا ، بل كانوا يجاورونه بالمدينة فدل ذلك على أنهم انتهوا ، والذين كانوا معه بالحديبية كلهم بايعوه تحت الشجرة ، إلا الجد بن قيس فإنه اختبأ خلف جمل أحمر .

وكذا حاء في الحديث كلهم يدخل الجنة إلا صاحب الجمل الأحمر ، وبالجملة فلا ريب أن المنافقين كانوا مغمورين

---

[1](1)الآيات 52 –53 من سورة المائدة .

[2](1)الآيتان 10 و 11 من سورة العنكبوت .

[3](2) الآيتان 60 و 61 من سورة الأحزاب.

مقهورين ، أذلاء ، لا سيما في آخر أيام الرسـول . وفي غـزوة تبوك لأن الله تعالى قال : ﴿**يقولون لئن رَجعنا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيَخْرُجَــنَّ الأَعَــزَّ مِنْهَــا الأَذَلَّ وَللــه العِــزَّةُ لِرَسُــولِهِ وَلِلْمُؤمِنِين وِلَكِن الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُون**﴾[1] .

فأخبر أن العزة للمؤمنين ، لا للمنافقين ، فعلم أن العزة والقوة كانت في المؤمنين ، وأن المنافقين كانوا أذلاء بينهم .

فيمتنع أن تكون الصحابة الذين كانوا أعـز المسـلمين من المنافقين ، بل ذلك يقتضى أن من كان أعز كان أعظم إيمانا .

ومـن المعلـوم أن السـابقين الأوليـن مـن المهـاجرين والأنصار ، الخلفاء الراشدين وغيرهم كـانوا اعـز النـاس ، وهـذا كله مما يبين أن المنافقين كانوا ذليلين في المؤمنين .

فلا يجوز أن يكون الأعزاء من الصحابة منهـم ، ولكـن هـذا الوصف مطابق للمتصفين بـه مـن الرافضـة وغيرهـم ،والنفـاق والزندقة في الرافضة أكثر منه في سائر الطوائف .

بل لا بد لكل منهم من شـعبة نفـاق ، فـإن أسـاس النفـاق الذي بني عليه ، الكذب ، وأن يقول الرجل بلسانه ما ليـس فـي قلبه ، كما اخبر الله تعالى عن المنافقين أنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم .

والرافضـة تجعـل هـذا مـن أصـول دينهـا وتسـميه التقيـة وتحكى هذا عن أئمة أهل البيت الـذين برأهـم اللـه عـن ذلـك ، حتى يحكوا ذلك عن جعفر الصادق أنه قـال التقيـة دينـي وديـن آبائي و قد نزه الله المؤمنين من أهل البيت وغيرهم عن ذلك.

بل كانوا من أعظم الناس صدقا وتحقيقا للإيمـان ، وكـان دينهــم التقــوى لا التقيــة ، وقــول اللــه تعــالى : ﴿**لاَ يَتَّخِــذِ الْمُؤْمِنونَ الكَـافِرِينَ أَوْلِيَـاءَ مِـنْ دُونِ الْمُـؤْمِنِين وَمَـنْ يَفْعَل ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ في شَيء إِلاّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُم تُقَاه**﴾[2].

إنما هو الأمر بالاتقاء من الكافرين ، لا الأمر بالنفاق والكذب .

والله تعالى قد أباح لمن أكره على كلمـة الكفـر أن يتكلـم بها ، إذا كان قلبه مطمئنا بالإيمان ، لكن لم يكره أحداً من أهـل البيت على شيء من ذلك ، حتى أن أبا بكـر لم يكـره أحـدا لا

---

[1] (3) الآية 8 من سورة المنافقون .

[2] (1) الآية 28 من سورة آل عمران .

منهم، ولا من غيرهم على متابعته، فضلا على ان يكرههم على مدحه ، والثناء عليه.

بل كان علي وغيره من أهل البيت يظهرون ذكر فضائل الصحابة والثناء عليهم والترحم عليهم والدعاء لهم ولم يكن أحد يكرههم على شيء منه باتفاق الناس .

وقد كان زمن بني أمية وبني العباس خلق عظيم دون عليّ وغيره في الإيمان والتقوى يكرهون منهم أشياء ولا يمدحونهم ولا يثنون عليهم ، ولا يقربونهم ، ومع هذا لم يكن هؤلاء يخافونهم ، ولم يكن أولئك يكرهونهم مع أن الخلفاء الراشدين كانوا باتفاق الخلق أبعد عن قهر الناس وعقوبتهم على طاعتهم ، من هؤلاء .

فإذا كان لم يكن الناس مع هؤلاء مكرهين على ان يقولوا بألسنتهم خلاف ما في قلوبهم ، فكيف يكونون مكرهين مع الخلفاء على ذلك ، بل على الكذب وشهادة الزور وإظهار الكفر ، كما تقوله الرافضة من غير ان يكرههم أحد على ذلك .

فعلم أن ما تتظاهر به الرافضة هو من باب الكذب والنفاق ، وأنهم يقولوا بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ، لا من باب ما يكره المؤمن عليه ، من التكلم بالكفر وهؤلاء أسرى المسلمين ، في بلاد الكفار غالبهم يظهرون دينهم،والخوارج مع تظاهرهم بتكفير الجمهور، وتكفير عثمان وعلي ومن ولاهما يتظاهرون بدينهم.

وإذا سكنوا بين الجماعة ، سكنوا على الموافقة والمخالفة ، والذي يسكن في مدائن الرافضة فلا يظهر الرفض وغايته إذا ضعف ان يسكت عن ذكر مذهبه لا يحتاج أن يتظاهر بسب الخلفاء والصحابة، إلا أن يكونوا قليلا .

فكيف يظن بعلي وغيره من أهل البيت أنهم كانوا اضعف دينا من الأسرى في بلاد الكفر ، ومن عوام أهل السنة ، ومن النواصب ، مع أنا قد علمنا بالتواتر أن أحدا لم يكره عليّا ولا أولاده على ذكر فضائل الخلفاء ، والترحم عليهم ، بل كانوا يقولون ذلك من غير إكراه ، ويقوله أحدهم لخاصته كما ثبت ذلك بالنقل المتواتر .

وأيضا فقد يقال في قوله تعالى : **وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُم وَعَمِلوا الصَّالِحَات** أن ذلك وصف الجملة بصفة تتضمن حالهم عند الاجتماع كقوله تعالى : **وَمَثَلُهُم فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغيظَ بِهِم الكُفَّار**

والمغفرة والأجر في الآخرة يحصل لكل واحد واحـد ، فلا بـد ان يتصف بسبب ذلك ، وهو الإيمان والعمـل الصـالح، إذ قـد يكـون في الجملة منافقا .

وفي الجملة ما في القرآن من خطاب المؤمنين والمتقين والمحسنين ، ومدحهم والثناء عليهم ، فهـم أول مـن دخـل فـي ذلك من هذه الأمة ، وأفضل من دخل في ذلـك مـن هـذه الأمـة كما استفاض عن النبي صلى الله تعـالى عليـه وسـلم مـن غيـر وجه أنه قال : ((خير القرون القرن الذي بعثت فيهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم))[1] .

(الوجه الثاني) : في بيان كذبه وتحريفه فيما نقله عـن حال الصحابة بعد موت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم .

(قوله : فبعضهم طلب الأمر لنفسه بغير حق ، وبايعه اكـثر الناس طلبا للدنيا) .

وهذا إشارة إلى أبي بكر فإنه هو الذي بايعه أكثر الناس ، ومن المعلوم أن أبا بكر لم يطلب الأمر لنفسه ، لا بحق ولا بغير حق ، بل قال: قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين ، إما عمـر بـن الخطاب وإما أبا عبيدة .

قال عمر : فوالله لأن أقدم فتضرب عنقي لا يقرّبني ذلـك إلـى إثم أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر ، وهذا اللفـظ في الصحيحين[2] .

وقـد روى عنـه انـه قـال : أقيلـوني، أقيلـوني ، فالمسـلمون اختاروه وبايعوه ، لعلمهم بأنه خيرهم ، كمـا قـال لـه عمـر يـوم السقيفة بمحضر المهاجرين والأنصار أنت سيدنا وخيرنا ، وأحبنا إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم ينكر ذلك أحد ، وهذا أيضا في الصحيحين[3] .

والمسلمون اختاروه كما قال النبي صلى الله تعـالى عليـه وسلم في الحديث الصحيح لعائشة : ((ادعـى لـي أبـاك وأخـاك حتى أكتب لأبي بكر كتابا، لا يختلف عليه الناس مـن بعـدي ، ثـم قال يأبى الله والمؤمنون أن يتولى غير أبـي بكـر))[4] فـالله هـو

---

(1)[1] انظر البخاري ج 3 ص 171 ومواضع أُخر ، ومسلم ج 4 ص 1962 .
(2)[2] انظر البخاري ج 8 ص 140 – 142 .
(1)[3] انظر الذي قبله .
(2)[4] وقد سبق ذكره ص 63 .

ولاه قدرا ، وشرعا ، وأمر المؤمنين ، بـولايته ، وهـداهم إلـى أن ولوه من غير أن يكون طلب ، ذلك لنفسه .

(الوجه الثالث) : أن يقال فهب أنه طلبهـا وبـايعه أكـثر الناس فقولكم : أن ذلك طلب للدنيا كذب ظاهر .

فإن أبا بكر لم يعطهم دنيا ، وكان قد أنفق ماله في حيـاة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، ولما رغب النبي صـلى اللـه تعالى عليه وسلم في الصـدقة جـاء بمـاله كلـه ، فقـال لـه:«مـا تركت لأهلك . قال :تركت لهم الله ، ورسوله »[1]

والذين بايعوه هم أزهد الناس في الدنيا ، وهم الذين أثنى اللـه عليهم.

وقد علم الخاص والعام زهد عمر ، وأبي عبيدة ، وأمثالهمـا ، وإنفاق الأنصار أموالهم كأسيد بن حضير ، وأبي طلحة ، وأبـي أيوب وأمثالهم .

ولم يكن عند موت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لهم بيت مال يعطيهم ما فيه ، ولا كان هنـاك ديـوان للعطـاء يفـرض لهم فيه ، والأنصار كانوا في أملاكهم ، وكـذلك المهـاجرون مـن كان له شيء من مغنم أو غيره فقد كان له .

وكانت سيرة أبي بكر في قسم الأموال التسـوية ، وكـذلك سيرة علي ، فلو بايعوا عليّا أعطاهم ما أعطاهم أبو بكر ، مع كون قبيلته أشرف القبائل ، وكون بني عبد مناف وهم أشــراف قريش الذين هم اقرب العرب مـن بنـي أميـة وغيرهـم إذ ذلـك كأبي سفيان بن حرب وغيره ، وبنـي هاشـم كالعبـاس وغيـره ، كانوا معه .

فقد أراد أبو سفيان وغيره أن تكون الإمارة فـي بنـي عبـد مناف ، على عادة الجاهلية فلم يجبه إلى ذلك علي ولا عثمـان ، ولا غيرهمـا لعلمهـم ، أو دينهـم فـأيّ رياسـة ، وأي مـال كـان لجمهور المسلمين بمبايعة أبي بكر ، لا سـيما وهـو يسـوّي بيـن السابقين والأولين ، وبين آحاد المسلمين في العطاء ، ويقـول : إنما أسلموا لله وأجورهم على الله ،وإنما هذا المتاع بلاغ .

---

[1](3) انظر البخاري ج 2 ص 112 وغيره .

وقال لعمر لما أشارعليه بالتفضيل في العطاء أفأشتري منهم إيمانهم؟ فالسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين اتبعوهم أولا ، كعمر وأبي عبيدة وأسيد بن حضير وغيرهم ، سوّى بينهم وبين الطلقاء الذين أسلموا عام الفتح ، وبين من أسلم بعد موت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، فهل حصل لهؤلاء من الدنيا بولايته شيء .

(**الوجه الرابع) :** أن يقال : أهل السنّة مع الرافضة كالمسلمين مع النصارى ، فإن المسلمين يؤمنون بأن المسيح عبد الله ورسوله ، ولا يغلون فيه غلو النصارى ، ولا يجفون جفاء اليهود .

والنصارى تدعى فيه الإلهية وتريد أن تفضله على محمد وإبراهيم وموسى ، بل تفضل الحواريين على هؤلاء الرسل .

كما تريد الروافض أن تفضل من قاتل مع علي كمحمد بن أبي بكر والأشتر النخعي على أبي بكر وعمر وعثمان وجمهور المهاجرين والأنصار ، فالمسلم إذا ناظر النصراني لا يمكنه أن يقول في عيسى إلا الحق ، لكن إذا أردت أن تعرف جهل النصراني وأنه لا حجة له فقدّر المناظرة بينه وبين اليهود .

فإن النصراني لا يمكنه أن يجيب عن شبهة اليهودي[1] إلا بما يجيب به المسلم ، فإن لم يدخل في دين الإسلام وإلا كان منقطعا مع اليهودي ، فإنه إذا أمر بالإيمان بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم .

فإن قدح في نبوته بشيء من الأشياء ، لم يمكنه أن يقول شيئا إلا قال اليهودي في المسيح ما هو أعظم من ذلك ، فإن البينات لمحمد أعظم من البينات للمسيح .

وبعد أمره عن الشبهة ، أعظم من بعد المسيح عن الشبهة ، فإن جاز القدح فيما دليله أعظم وشبهته أبعد عن الحق ، فالقدح فيما دونه أولى .

---

[1](1) يعني أن اليهود يرمون مريم بالفجور ، وما دام النصراني يكذب ما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم لا يمكنه الرد على اليهود في أمر عيسى . لأن عيسى أمر بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فإذا امتنع النصارى من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم صار ذلك فيه كذيب لعيسى .

وإن كان القدح في المسيح باطلا فالقدح في محمد أولى بالبطلان ، فإنه إذا بطلت الشبهة القوية فالضعيفة أولى بالبطلان ، وإذا ثبتت الحجة التي غيرها أقوى منها فالقوية أولى بالإثبات .

ولهذا كان مناظرة كثير من المسلمين للنصارى من هذا الباب كالحكاية المعروفة عن القاضي أبي بكر بن الطيب ، لما أرسله المسلمون إلى ملك النصارى بالقسطنطينية ، فإنهم عظموه ، وعرف النصارى قدره ، فخافوا أن لا يسجد للملك إذا دخل ، فأدخلوه من باب صغير ليدخل منحنيا ، ففطن لمكرهم ، فدخل مستدبرا متلقيا لهم بعجزه .

ففعل نقيض ما قصدوه ، ولما جلس وكلموه ، أراد بعضهم القدح في المسلمين ، فقال له ما قيل في عائشة امرأة نبيكم ، يريد إظهار قول الإفك الذي يقوله من يقول من الرافضة ، أيضا .

فقال القاضي ثنتان قدح فيهما ورميتا بالزنا إفكا وكذبا ، مريم وعائشة فأما مريم فجاءت بالولد تحمله من غير زوج ، وأما عائشة فلم تأت بولد مع أنه كان لها زوج ، فأبهت النصارى .

وكان مضمون كلامه أن ظهور براءة عائشة أعظم من ظهور براءة مريم ، وأن الشبهة إلى مريم أقرب منها إلى عائشة ، فإذا كان مع هذا قد ثبت كذب القادحين في مريم ، فثبوت قدح الكاذبين في عائشة أولى .

ومثل هذه المناظرة أن يقع التفضيل بين طائفتين ، ومحاسن إحداهما أكثر وأعظم ومساويها أقل وأصغر ، فإذا ذكر ما فيها من ذلك عورض بأن مساوئ تلك أعظم ، كقوله تعالى : ﴿ **يسئلونكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٌ فِيهِ قُل قِتَالٌ فيهِ كَبِير**﴾ ثم قال : ﴿ **وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرَ عِنْدَ الله وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرَ مِنَ الْقَتْلِ** ﴾[1] فإن الكفار عيروا سرية من سرايا المسلمين بأنهم قتلوا ابن الحضرمي في الشهر الحرام ، فقال تعالى هذا

---

[1](1) الآية 217 من سورة البقرة .

كبير وما عليه المشركون من الكفر بالله والصد عن سبيله وعن المسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله ، فإن هذا صد عما لا تحصل النجاة والسعادة إلا به ، وفيه من انتهاك المسجد الحرام ما هو أعظم من انتهاك الشهر الحرام.

لكن في هذا النوع قد اشتملت كل من الطائفتين على ما يذم ، وأما النوع الأول فيكون كل من الطائفتين لا يستحق الذم ، بل هناك شبه في الموضعين ، وأدلة في الموضعين وأدلة أحد الصنفين أقوى وأظهر ، وشبهته أضعف وأخفى ، فيكون أولى بثبوت الحق مما تكون أدلته أضعف ، وشبهته أقوى .

هذا حال النصارى واليهود مع المسلمين ، وهو حال أهل البدع مع أهل السنّة لاسيما الرافضة ، وهكذا أمر أهل السنّة مع الرافضة في أبي بكر وعلي، فإن الرافضي لا يمكنه أن يثبت إيمان علي وعدالته وأنه من أهل الجنة فضلا عن إمامته إن لم يثبت ذلك لأبي بكر وعمر وعثمان .

وإلا فمتى أراد إثبات ذلك لعلي وحده لم تساعده الأدلة ، كما أن النصراني إذا أراد إثبات نبوة المسيح دون محمد لم تساعده الأدلة .

فإذا قالت له الخوارج الذين يكفرون عليّا ، أو النواصب الذين يفسقونه أنه كان ظالما طالبا للدنيا ، وأنه طلب الخلافة لنفسه ، وقاتل عليها بالسيف وقتل على ذلك ألوفا من المسلمين ، حتى عجز عن انفراده بالأمر ، وتفرق عليه أصحابه وظهروا عليه فقتلوه ، فهذا الكلام إن كان فاسد ففساد كلام الرافضي في أبي بكر وعمر أعظم ،وإن كان ما قاله في أبي بكر وعمر متوجها مقبولا ، فهذا أولى بالتوجيه والقبول .

لأنه من المعلوم للخاصة والعامة أن من ولاه الناس باختيارهم ورضاهم من غير أن يضرب أحدا بالسيف ولا عصى ولا أعطى أحدا ممن ولاه من مال واجتمعوا عليه فلم يول أحد من أقاربه ، وعترته ، ولا خلف لورثته مالاً من مال المسلمين ، وكان له مال قد أنفقه في سبيل الله ، فلم يأخذ بدله ، وأوصى أن يرد إلى بيت مالهم ما كان عنده لهم ، وهو جرد قطيفة ، وبكر وأمة سوداء ، ونحو ذلك .

حتى قال عبد الرحمن بن عوف لعمر : أتسلب هذا آل أبي بكر ، قال كلا والله لا يتحنث فيها أبو بكر وأتحملها أنا ، وقال يرحمك الله يا أبا بكر لقد أتعبت الأمراء بعدك .

ثم مع هذا لم يقتل مسلما على ولايته ، ولا قاتل مسلما بمسلم ، بل قاتل بهم المرتدين عن دينهم ، والكفار حتى شرع

بهم في فتح الأمصار واستخلف القوي الأميـن العبقـري ، الـذي فتح الأمصار ونصب الديوان ، وعم بالعدل والإحسان .

فـإن جـاز للرافضـي أن يقـول إن هـذا كـان طالبـا للمـال والرياسة ، أمكن الناصـبي أن يقـول : كـان علـي ظالمـا طالبـا للمـال والرياســة ، قاتــل علــى الولايــة حــتى قتــل المسـلمون بعضهم بعضا ،ولم يقاتل كافراً ولم يحصل للمسلمين فـي مـدة ولايته إلا شر وفتنة في دينهم ودنياهم .

فإن جاز أن يقال : علي كان مريدا لـوجه اللـه ، والتقصـير من غيره من الصحابة ، أو يقـال كـان مجتهـداً مصـيباً ، وغيـره مخطئ مع هذه الحالة فإنه يقـال كـان أبـو بكـر وعمـر مريـدين وجـه اللــه مصـيبين والرافضــة مقصـرون فــي معرفــة حقهـم مخطئون في ذمهم بطريق الأولى والأحرى .

فإن أبا بكـر وعمـر كـان بعـدهما ع ن شـبة طلـب المـال والرياسة أشد من بعد علي عـن ذلـك ،وشـبهة الخـوارج الـذين ذموا عليّا وعثمان وكفروهما أقرب مـن شـبهة الرافضـة الـذين ذموا أبا بكر وعمر وكفروهما ، فكيف بحال الصـحابة والتـابعين الذين تخلفوا عن بيعته أو قاتلوه فشبهتهم أقوى من شـبهة مـن قدح في أبي بكر وعمر وعثمان ، فإن أولئك قالوا مـا يمكننـا أن نبايع إلا من يعدل علينا ،ويمنعنا ممن ظلمنا ، ويأخـذ حقنـا ممـن ظلمنا ، فإذا لم يفعل هذا كان عاجزاً أو ظالما ، وليس علينـا أن نبايع عاجزا أو ظالما .

وهذا الكلام إذا كان باطلا ، فبطلان قول مـن يقـول أن أبـا بكر وعمر كانا ظالمين طالبين للرياسة والمال أبطـل وأبطـل ، وهذا الأمر لا يستريب فيه من له بصر ومعرفة ، وأين شبهة مثل أبي موسى الأشعري الذي وافق عمرو على عزل علي ومعاوية ، وأن يجعل الأمر شورى في المسلمين ، من شبهة عبد الله بن سبأ وأمثاله الذين يدعون أنه إمام معصوم ، وأنه إله أو نبي .

بل أين شبهة الذين رأوا أن يولوا معاوية من شبهة الـذين يدعون أنه إله أو نبي ، فإن هؤلاء كفار باتفاق المسلمين بخلاف أولئك ، ومما يبين هذا أن الرافضة تعجز عن إثبـات إيمـان عل ي وعدالته ، مع كونهم على مذهب الرافضة ، ولا يمكنهـم ذلـك إلا إذا صاروا من أهـل السـنة ، فـإذا قـالت لهـم الخـوارج وغيرهـم ممن تكفره ، أو تفسقه ، لا نسلم أنه كان مؤمناً ، بل كان كافرا أو ظالما ، كما يقولون هم في أبي بكر وعمر لم يكن لهم دليــل

علـى إيمـانه وعـدله ، إلا وذاك الـدليل علـى أبـي بكـر وعمـر وعثمان أدل .

فإن احتجوا بما تواتر مـن إسـلامه وهجرتـه وجهـاده فقـد تواتر ذلك عن هؤلاء ، بل تواتر إسلام معاوية ويزيد وخلفاء بنـي أمية وبني العباس وصـلاتهم وصـيامهم ، وجهـادهم للكفـار فـإن ادعوا في واحد مـن هـؤلاء النفـاق ، أمكـن الخـارجى أن يـدعى النفاق فيه[1] .

وإذا ذكروا شبهة ، ذكر ما هو أعظم منهـا ، وإذا قـالوا مـا تقوله أهـل الفريـة ، مـن أن أبـا بكـر وعمـر كانـا منـافقين فـي الباطن ، عدوين للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم . أفسدا دينه ، بحسب الإمكان أمكن الخارجى ان يقول ذلك في علي ويـوجه ذلك بأن يقول : كان يحسد ابن عمه وأنه كان يريد إفساد دينـه فلم يتمكن من ذلك في حياته وحياة الخلفاء الثلاثة حـتى سـعى في قتل الخليفة الثـالث ، وأوقـد الفتنـة ، حـتى غلـى فـي قتـل أصـحاب محمـد ، وأمتـه بغضـا لـه وعـداوة ، وأنـه كـان مباطنـاً للمنافقين الذين ادعوا فيه الإلهية والنبوة ، وكـانيظهر خلاف مـا يبطن ، لأن دينه التقية ، فلما أحرقهم بالنار، أظهر إنكـار ذلـك ، وإلا فكان في الباطن معهم .

ولهذا كانت الباطنيـة مـن اتبـاعه ،وعنـدهم سـره ، وهـم ينقلون عنه الباطن الذي ينتحلونه ، ويقـول الخـارجى مثـل هـذا الكلام الذي يروج على كثير من الناس أعظـم ، ممـا يـروج كلام الرافضة في الخلفاء الثلاثة ، لأن شـبهة الرافضـة أظهـر فسـادا من شبهة الخوارج ، وهم أصح منهم عقلا ، ومقصدا .

والرافضة أكـذب وأفسـد دينـا ، وإن أرادوا إثبـات إيمـانه وعدالته بنص القرآن عليه ، قيل القـرآن عـام وتنـاوله لـه ليـس بأعظم من تناوله لغيره ، وما من آيـة يـدعون اختصاصـها بـه إلا أمكن أن يدعى اختصاصها أو اختصاص مثلها أو أعظم منها بأبي بكر وعمر .

فبـاب الـدعوى بلا حجـة ممكنـة ، والـدعوى فـي فضـل الشيخين أمكن منها فـي فضـل غيرهمـا ، وإن قـالوا ثبـت ذلـك بالنقل والرواية ، فالنقل والرواية في أولئك أكثر وأشـهد ، فـإن ادعوا تواتراً ، فـالتواتر هنـاك أصـح ، وإن اعتمـدوا علـى نقـل الصحابة فنقلهم لفضائل أبي بكر وعمر أكثر ، ثم هـم يقولـون : أن الصحابة ارتدوا إلا نفـرا قليلا فكيـف تقبـل روايـة هـؤلاء فـي

---

[1](1) يعني في علي .

فضيلة أحـد ، ولـم يكـن فـي الصـحابة رافضـة كـثيرون ، يتـواتر نقلهم ، فطريق النقل مقطوعا عليهـم ، إن لـم يسـلكوا طريـق أهل السنة ، كمـا هـو مقطـوع علـى النصـارى فـي إثبـات نبـوة المسيح إن لم يسلكوا طريق المسلمين .

وهذا كمن أراد أن يثبـت فقـه ابـن عبـاس دون علـي ، أو فقه علقمة والأسود دون ابن مسـعود ، ونحـو ذلـك مـن الأمـور التي يثبت فيها للشيء حكم دون ما هو أولى بذلك الحكم منه ، فإن هذا تناقض ممتنع عند من سلك طريق العلم والعدل .

ولهذا كانت الرافضة من أجهل النـاس وأضـلهم ، كمـا أن النصارى من أجهل الناس ، والرافضة من أخبث الناس ، كما أن اليهود من أخبث الناس ، ففيهم نوع من ضلال النصـارى ،ونـوع من خبث اليهود .

(الوجه الخامس): أن يقال : تمثيل هذا بقصة عمر بن سعد طالبا للرياسـة والمـال مقـدما علـى المحـرّم لأحـل ذلـك فيلزم أن يكون السابقون الأولون بهذه الحال ، وهذا أبوه سـعد بن أبي وقاص، كان من أزهد الناس في الإمارة والولايـة ، ولمـا وقعت الفتنة اعتزل الناس في قصره بالعقيق ، وجاءه عمر ابنه هذا فلامه على ذلـك ، وقـال لـه النـاس فـي المدينـة يتنـازعون الملك وأنت ههنا؟ فقال : « اذهب فإني سمعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول إن الله يحب العبد التقي الغنـي الخفـيّ »[1] .

هذا ولم يكن قد بقي أحد من أهل الشـورى غيـره وغيـر علي رضى اللـه عنهمـا ، وهـو الـذي فتـح العـراق ، وأذل جنـود كسرى وهو آخر العشرة موتا.

فإذا لم يحسن أن يشبه بابنه عمر أيشبه به أبو بكر وعمر وعثمان ، هذا وهم لا يجعلون محمد بن أبي بكر بمنزلة أبيه ، بل يفضلون محمداً ويعظمونه ، ويتولونه لكـونه آذى عثمـان وكـان من خواص أصحاب علي لأنه كان ربيبه ، ويسـبون أبـاه أبـا بكـر ويلعنـونه ، فلـو أن النواصـب فعلـوا بعمـر بـن سـعد مثـل ذلـك فمدحوه على قتل الحسين ، لكونه كان من شيعة عثمان ، ومن المنتصرين له ، وسبوا أباه سـعد لكـونه تخلـف عـن القتـال مـع معاوية والانتصار لعثمان ، هل كانت النواصب لو فعلـت ذلـك إلا من جنس الرافضة .

---

[1] (1) انظر المسند ج 3 ص 26 تحقيق أحمد شاكر ، وانظر صحيح مسلم ج 4 ص 2277.

بل الرافضة شر منهم ، فإن أبا بكـر أفضـل مـن سـعد ، وعثمان كان أبعد عن استحقاق القتـل مـن الحسـين ، وكلاهمـا مظلوم وشهيد رضي الله تعالى عنهما ، ولهذا كان الفساد الذي حصل في الأمة بقتل عثمان أعظم من الفساد الذي حصل فـي الأمة بقتل الحسين .

وعثمان من السابقين الأولين وهو خليفة مظلوم طلـب منه أن ينعزل بغير حق فلم ينعزل ولم يقاتـل عـن نفسـه حـتى قتل ، والحسين لم يكن متوليا وإنما كان طالبا للولايـة ، حـتى رأى أنها متعذرة وطلب منه ليستأسر ليحمل إلى يزيد مأسورا ، فلم يجب إلى ذلك وقاتل حـتى قتـل مظلومـا ، شـهيدا ، فظلـم عثمان كان أعظم وصبره وحلمه كان أكمـل ، وكلاهمـا مظلـوم شـهيد ، ولـو مثـل ممثـل طلـب علـي والحسـين للأمـر بطلـب الإسـماعيلية كالحـاكم وأمثـاله وقـال إن علـي والحسـين كانـا ظالمين طالبين للرياسة من غير حق ، بمنزلـة الحـاكم وأمثـاله من ملوك بني عبيد ، أما كان يكون كاذبا مفتريا في ذلك لصـحة إيمـان الحسـن والحسـين ، ودينهمـا وفضـلهما ، ولنفـاق هـؤلاء وإلحادهم .

وكذلك مـن شـبه عليـا والحسـين ببعـض مـن قـام مـن الطالبيين أو غيرهم بالحجاز ، أو الشرق أو الغرب يطلب الولاية بغير حق ، ويظلم الناس في أموالهم وأنفسهم ، أما كـان يكـون ظالما كاذبا ؟ فالمشبه بـأبي بكـر وعمـر بعمـر بـن سـعد أولـى بالكذب والظلم ، ثم غاية عمر بن سعد وأمثاله ، أن يعترف بأنه طلب الدنيا بمعصية يعترف أنها معصية ، وهذا ذنب كثير وقوعه من المسلمين .

وأمـا الشـيعة فكـثيرمنهم يعـترفون بـأنهم إنمـا قصـدوا بالملك إفساد دين الإسـلام ، ومعـاداة النـبي صـلى اللـه تعـالى عليه وسلم كما يعرف ذلك من خطاب الباطنية وأمثالهم ، مـن الداخلين فـي الشـيعة ، فـإنهم يعـترفون بـأنهم فـي الحقيقـة لا يعتقدون ديـن الإسـلام ، وإنمـا يتظـاهرون بالتشـيع لقلـة عقـل الشيعة وجهلهم ليتوصلوا بهم إلى أغراضهم .

وأوّل هؤلاء ، بل خيارهم هو المختار بن أبي عبيد الكذاب ، فإنه كـان أميـر الشـيعة ، وقتـل عبيـد اللـه بـن زيـاد ، وأظهـر الانتصار للحسين ، حتى قتل قاتله وتقرب بذلك إلـى محمـد بـن الحنفية وأهل البيت ، ثم ادعـى النبـوة وأن جبريـل يـأتيه ، وقـد

ثبت في صحيح مسلم عن النبي صلى اللـه تعـالى عليـه وسـلم أنه قال : « سيكون في ثقيف كذاب ومبير »[1] .

فكان الكذاب هو المختار بن أبي عبيد ، وكـان المـبير هـو الحجاج بن يوسف الثقفي ، ومن المعلوم أن عمر بن سعد أمير السرية التي قتلـت الحسـين، مـع ظلمـه وتقـديمه الـدنيا علـى الدين ، لم يصل في المعصية إلى فعل المختـار بـن أبـي عبيـد ، الذي أظهر الانتصار للحسين ، وقتل قـاتله بـل كـان هـذا أكـذب وأعظم ذنبا من عمر بن سعد .

فهذا الشيعي شر من ذلك الناصـبي ، بـل والحجـاج بـن يوسف خير من المختار بن أبي عبيد ، فـإن الحجـاج كـان مـبيرا كما سماه النبي صلى الله تعـالى عليـه وسـلم –يسـفك الـدماء بغير حق ، والمختار كان كذابا يدعى الوحي وإتيان جبريل إليـه ، وهذا الذنب أعظم من قتل النفوس ، فإن هذا كفر وإن لم يتـب منه كان مرتدا ، والفتنة أعظم من القتل .

وهذا باب مطرد لا تجد أحداً ممن تذمه الشيعة بحـق أو باطل إلا وفيهم من هـو شـر منـه ، ولا تجـد أحـداً ممـن تمـدحه الشـيعة إلا وفيمـن تمـدحه الخـوارج مـن هـو خيـر منـه ، فـإن الروافـض شـر مـن النواصـب ،والـذين تكفرهـم أو تفسـقهم الروافض ، هم أفضل من الذين تكفرهم أو تفسقهم النواصب .

وأما أهل السنة فيتولون جمع لمؤمنين ، ويتكلمون بعلم وعدل ليسوا من أهل الجهل ، ولا مـن أهـل الأهـواء ، ويتـبرءون من طريقـة الروافـض والنواصـب جميعـا ، ويتولـون السـابقين الأوليـن كلهـم ،ويعرفـون قـدر الصـحابة ، وفضـلهم ، ومنـاقبهم ،ويرعون حقوق أهل البيت التي شرعها اللـه لهـم ، ولا يرضـون بما فعله المختار ونحو من الكذابين ، ولا ما فعل الحجاج ونحـوه من الظالمين .

ويعلمون مع هذا مراتب السابقين الأولين ، فيعلمون أن لأبي بكر وعمر من التقدم والفضائل ما لم يشاركهما فيهما أحد ، من الصحابة لا عثمان ولا علي ولا غيرهمـا ، وهـذا كـان متفقـا عليه في الصدر الأول ، إلا أن يكون خلاف شاذ لا يعبأ به .

حتى إن الشيعة الأولى أصحاب علي لم يكونوا يرتـابون في تقديم أبي بكر وعمر عليه ، فكيف وقد ثبت عنه مـن وجـوه متواترة أنه كان يقول : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمـر ، ولكن كان طائفة من شيعة علي ، تقـدمه علـى عثمـان ، وهـذه

---

[1](1) مسلم ج 4 ص 1971 .

المسألة أخفى من تلك ، ولهذا كـان أئمـة أهـل السـنة متفقيـن علـى تقـديم أبـي بكـر وعمـر كمـا فـي مـذهب أبـي حنيفـة ، والشافعي ، ومالك ، وأحمد بن حنبـل ، والثـورى ، والأوزاعـي ، والليـث بـن سـعد ، وسـائر أئمـة المسـلمين ، مـن أهـل الفقـه والحديث والزهد والتفسير من المتقدمين والمتأخرين.

وأما عثمان وعلي فكان طائفة من أهل المدينة يتوقفون فيهما ، وهي إحدى الروايتين عن سفيان الثـوري ، ثـم قيـل إنـه رجع عن ذلك لما اجتمع به أيوب السـختياني ، وقـال مـن قـدم عليا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصـار ، وسـائر أئمـة السنة على تقـديم عثمـان وهـو مـذهب جمـاهير أهـل الحـديث وعليه يدل النص ، والإجماع والاعتبار .

وأما ما يحكى عن بعض المتقدمين من تقـديم جعفـر أو تقديم طلحة أو نحو ذلك فـذلك فـي أمـور مخصوصـة لا تقـديما عاما ، و كذلك ما ينقل عن بعضهم في علي .

وأما قوله : فبعضهم اشتبه الأمرعليه ورأى لطالب الـدنيا مبايعا فقلده ،

وبايعه وقصر في نظره فخفي عليه الحـق فاسـتحق المؤاخـذة من الله تعالى ، بإعطاء الحق لغيـر مسـتحقه ، قـال : وبعضـهم قلـد لقصـور فطنتـه ، ورأى الجـم الغفيـر فتـابعهم ، وتـوهم أن الكثرة تستلزم الصواب ، وغفل عن قوله تعالى :

﴿**وَقَلِيلٌ مَا هُم** ﴾ ، [1]﴿**وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُور** ﴾[2] .

فيقال لهذا المفترى : الذي جعل الصحابة الذين بايعوا أبا بكر ثلاثة أصناف أكثرهم طلبوا الدنيا وصنف قصروا في النظر ، وصنف عجزوا عنه، لأن الشر إما أن يكون لفساد القصد . وإمـا أن يكون للجهل ، والجهل إما أن يكون لتفريط في النظر ، وإما أن يكون لعجز عنه .

وذكر أنه كان في الصحابة وغيرهم من قصر في النظـر حين بايع أبا بكـر ، ولـو نظـر لعـرف الحـق ، وهـذا يؤاخـذ علـى تفريطه ، بترك النظر الـواجب، وفيهـم مـن عجـز عـن النظـر ، فقلد الجم الغفير ، يشير بذلك إلى سبب مبايعة أبي بكر .

فيقـال لـه هـذا مـن الكـذب الـذي لا يعجـز عنـه أحـد ، والرافضة قوم بهت فلو طلب من هذا المفتري دليل على ذلـك لم يكن له على ذلك دليل ، والله تعال قد حرم القول بغير علـم

---

[1](1) الآية 24 من سورة ص .

[2](2) الآية 24 من سورة ص .

، فكيف إذا كان المعروف ضد ما قاله فلو لم نكن نحن عالمين بأحوال الصحابة لم يجز أن نشهد عليهم بما لا نعلم من فساد القصد ، والجهل بالمستحق . قال تعالى : ﴿**ولا تقفُ ما ليس لك به علم إنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أولئِكَ كان عنهُ مَسئولاً** ﴾[1] وقال تعالى :﴿**ها أَنْتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمُ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْم** ﴾[2] فكيف إذا كنا نعلم أنهم كانوا أكمل هذه الأمة عقلا ، وعلما ، ودينا ، كما قال فيهم عبد الله بن مسعود : ((من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات ، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة ، أولئك أصحاب محمد كانوا والله أفضل هذه الأمة ، وأبرها قلوبا ، وأعمقها علما وأقلها تكلفا ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ، وإقامة دينه، فأعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم ، في آثارهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ، ودينهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم))[3] . رواه غير واحد منهم ابن بطة ، عن قتادة .

وروى هو وغيره بالأسانيد المعروفة إلى زر بنت حبيش ، قال : قال عبد الله بن مسعود : ((إن الله تبارك وتعالى نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه ، وابتعثه برسالته ، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه ، يقاتلون على دينه ، فما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ، وما رآه المسلمون سيئاً فهو عند الله سيء))[4] .

وفي رواية قال أبو بكر بن عياش الراوي لهذا الأثر ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود ، وقد رأى أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جميعاً أن يستخلفوا أبا بكر .

فقول عبد الله بن مسعود كانوا أبر هذه الأمة قلوبا ، وأعمقها علما ، وأقلها تكلفا ، كلام جامع بين فيه حسن قصدهم ونياتهم ، ببر القلوب وبين فيه كمال المعرفة ودقتها بعمق العلم ، وبين فيه تيسر ذلك عليهم وامتناعهم من القول بلا علم ، بقلة

---

[1](1) الآية 36 من سورة الإسراء .

[2](2) الآية 66 من سورة آل عمران .

[3](3) انظر المسند ج 5 ص 211 تحقيق أحمد شاكر ، وقال الهيثمي : رواه أحمد والبزار ، والطبراني في الكبير . مجمع الزوائد ج 1 ص 177

[4](1) انظر المرجع السابق .

التكلف وهذا خلاف ما قاله هذا المفترى الذي وصف أكثرهم بطلب الدنيا ، وبعضهم بالجهل ، إما عجزا وإما تفريطا والذي قاله عبد الله حق فإنهم خير هذه الأمة ، كما تواترت بذلك الأحاديث عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حيث قال : « خير القرون القرن الذي بعثت فيهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم »[1] .وهم أفضل الأمة الوسط الشهداء على الناس ، الذين هداهم الله لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، فليسوا من المغضوب عليهم الذين يتبعون أهواءهم ، ولا من الضالين الجاهلين ، كما قسمهم هؤلاء المفترون ، إلى ضلال وغواة ، بل لهم كمال العلم ،وكمال القصد .

إذ لو لم يكن كذلك للزم أن لا تكون هذه الأمة خير الأمم ،وأن لا يكونوا خير الأمة وكلاهما خلاف الكتاب والسنة ، وأيضا فالاعتبار العقلي يدل على ذلك ، فإن من تأمل أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، وتأمل أحوال اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين ، تبين له من فضيلة هذه الأمة على سائر الأمم في العلم النافع ،والعمل الصالح ، ما يضيق هذا الموضع عن بسطه .

والصحابة أكمل الأمة في ذلك بدلالة الكتاب والستة والإجماع ، والاعتبار ولهذا لا تجد أحدا من أعيان الأمة إلا وهو معترف بفضل الصحابة عليه ، وعلى أمثاله ، وتجد من ينازع في ذلك كالرافضة من أجهل الناس ، ولهذا لا يوجد في أئمة الفقه الذين يرجع إليهم رافضي ، ولا في أئمة الحديث ولا في أئمة الزهد والعبادة ، ولا في أئمة الجيوش المؤيدة المنصورة رافضي، ولا في الملوك الذين نصروا الإسلام وأقاموه وجاهدوا عدوه من هو رافضي، ولا في الوزراء الذين لهم سيرة محمودة من هو رافضي .

وأكثر ما تجد الرافضة إما في الزنادقة المنافقين الملحدين ، وإما في جهال ليس لهم علم بالمنقولات ولا بالمعقولات ، قد نشأ بالبوادي والجبال ، وتجبروا على المسلمين ، فلم يجالسوا أهل العلم والدين ، وإما في ذوي الأهواء ممن قد حصل له بذلك رياسة ومال ، أوله نسب يتعصب به كفعل أهل الجاهلية ، وأما من هو عند المسلمين من أهل العلم والدين ، فليس في هؤلاء رافضي ، لظهور الجهل

---

[1](2) تقدمت الإشارة إلى مواضعه انظر ص.

والظلم في قولهم ، و تجـد ظهـور الرفـض فـي شـر الطوائـف كالنصـيرية والاسـماعيلية ، والملاحـدة الطرقيـة ، وفيهـم مـن الكذب والخيانة وإخلاف الوعد ما يدل علـى نفـاقهم ، كمـا فـي الصحيحين عن النبي صلى اللـه تعـالى عليـه وسـلم أنـه قـال : ((آية المنافق ثلاث ،إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمـن خان))[1] – زاد مسلم – ((وإن صام وصلى وزعـم أنـه مسـلم)) وأكثر ما توجد هذه الثلاث في طوائف أهل القبلة في الرافضة.

وأيضا فيقال لهذا المفـترى :هـب أن الـذين بـايعوا الصديق كانوا كما ذكرت إما طالب دنيا وإمـا جاهـل ، فقـد جـاء بعـد أولئـك فـي قـرون الأمـة ، مـن يعـرف كـل أحـد زكـاءهم ، وذكاءهم .

مثل سعيد بن المسيب ، الحسن البصـري ، وعطـاء بـن أبـي ربـاح ، وإبراهيـم النخعـي ، وعلقمـة ، والأسـود ، وعبيـدة السلماني ، وطاوس ، ومجاهد، وسعيد بن جبير ، وأبي الشـعثاء جابر بن زيد ، وعلي بن زيد ، وعلي بن الحسين ، وعبيد الله بـن عبد الله بن عتبة ، وعروة بن الزبير ، والقاسم بن محمد بن أبي بكر ، وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام ، ومطـرف بن الشخير ، ومحمد بن واسـع ، وحـبيب العجمـى ، ومالـك بـن دينار، ومكحول ، والحكم بن عتبة ، ويزيد بن أبي حبيب ، ومن لا يحصي عددهم إلا الله .

ثم بعدهم أيوب السختياني ، وعبد الله بن عون ، ويونس بن عبيد ، وجعفر بن محمد ، والزهري، وعمرو بن دينار ، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وربيعة بن أبي عبد الرحمـن ، وأبـو الزنـاد ، ويحيى بن أبي كثير ، وقتادة ، ومنصور بن المعتمر ، والأعمـش ، وحماد بن أبي سليمان ، وهشام الدسـتوائي، وسـعيد بـن أبـي عروبة .

ومن بعد هؤلاء مثل ، مالك بن انـس ، وحمـاد بـن زيـد ، وحماد بن سلمة ، والليث بن سعد ، والأوزاعـي ، وأبـي حنيفـة ، وابن أبي ليلى ، وشريك، وابن أبي ذئب ، وابن الماجشون .

ومـن بعـدهم ، مثـل يحيـى بـن سـعيد القطـان ، وعبـد الرحمـن بـن مهـدي ، ووكيـع بـن الجـراح ، وعبـد الرحمـن بـن القاسم ، وأشهب بن عبـد العزيـز ، وأبـي يوسـف ، ومحمـد بـن الحسن ، والشافعي ، وأحمد بـن حنبـل ، وإسـحق بـن راهـويه ، وأبي عبيد ، وأبي ثور ، ومن لا يحصى عدده إلا الله تعالى ،ممـن

---

[1](1) انظر البخاري ج 1 ص 12 وغيره ، ومسلم ج 1 ص 78 .

ليس لهم غرض في تقديم غير الفاضل لا لأجل رياسة ،ولا مـال .

وممن هم اعظم الناس نظرا في العلم وكشفا لحقائقه ، وهم كلهم متفقون على تفضيل أبي بكر وعمر .

بل الشيعة الأولـى الـذين كـانوا علـى عهـد علـي كـانوا يفضلون أبا بكر وعمر ، قال أبي القاسم سألت مالكـا عـن أبـي بكـر وعمـر، فق ال : مـارأيت أحـدا ممـن اقتـدى بـه يشـك ف ي تقديمهما. يعني على علي وعثمان فحكى إجمـاع أهـل المدينـة على تقديمهما.

وأهل المدينة لم يكونوا مائلين الى بنـي أميـة كمـا كـان أهل الشام ، بـل قـد خلعـوا بيعـة يزيـد ، وحـاربهم عـام الحـرة وجرى بالمدينة ما جرى .

ولم يكن أيضا قتل علي منهم أحـدا كمـا قتـل مـن أهـل البصرة ومن أهل الشام ، بل كانوا يعدّونه م ن علمـاء المدينـة ، إلى أن خرج منها ، وهم متفقون على تقديم أبي بكر وعمر .

وروى البيهقي بإسناده عن الشافعي . قال : لم يختلـف الصحابة والتابعون في تقديم أبي بكر وعمر ، وقال شـريك بـن أبي نمر : وقال له قائل أيما أفضل أبو بكر أو علي ؟ فقال لـه : أبو بكر . فقـال لـه السـائل : تقـول هـذا و أنـت مـن الشـيعة ؟ فقال: نعم إنما الشيعيّ من يقـول هـذا ، واللـه لقـد رق ى علـىّ هذه الأعواد، فقال : ألا إن خيـر هـذه الأمـة بعـد نبيهـا أبـو بكـر وعمر أفكنا نردّ قوله، أفكنا نكذبه ، والله ما كان كذابا[1] .

وذكر هذا القاضي عبد الجبار في كتاب تثبت النبوة لـه ، وعزاه إلى كتاب أبي القاسم البلخي ، الذي صـنفه فـي النقـض على ابن الرواندي اعتراضه على الجاحظ[2] .

فكيف يقال مع هذا أن الذين بايعوه كانوا طلاب الدنيا ،أو جهالا،ولكن هذا وصف الطاعن فيهم ، فإنك لا تجد فـي طوائـف القبلة أعظم جهلا من الرافضة، ولا أكثر حرصا على الدنيا ، وقد تدبرتهم فوجدتهم لا يضيفون إلى الصحابة عيبـا إلا وهـم أعظـم الناس اتصافا به ، والصـحابة ابعـد عنـه ، فهـم أكـذب النـاس بلا ريب كمسيلمة الكذاب ، إذ قال : أنا نـبي صـادق، ولهذايصـفون

---

[1](1) تقدمت الإشارة إليه ص 55 وص 9 .

[2](2) انظر في تثبيت دلائل النبوة ج 2 ص 549 .

أنفسـهم بالإيمـان ، ويصـفون الصـحابة بالنفـاق ،وهـم أعظـم الطوائف نفاقا ، والصحابة أعظم الخلق إيمانا .

وأما قوله : وبعضهم طلب الأمـر لنفسـه بحـق وبـايعه الأقلون الذين اعرضوا عن الـدنيا وزينتهـا ، ولـم تأخـذهم بـالله لومة لائم ، بل أخلصوا لله واتبعوا ما أمـروا بـه مـن طاعـة مـن يستحق التقديم ، وحيـث حصـل للمسـلمين هـذه البليـة ،وجـب على كل أحد النظر في الحق واعتماد الإنصاف ، وأن يقر الحـق مقره، ولا يظلم مسـتحقه ، فقـد قـال تعـالى:ﷺ **أَلاَ لَعْنَةَ اللـهِ عَلَى الظَّالِمِين** ﷺ[1] .

فيقال له أولا : قـد كـان الـواجب أن يقـال لمـا ذهـب طائفة إلى كذا ، وطائفة إلى كذا ، وجـب أن ينظـر أي القـولين أصح ، فأما إذا رضيت إحدى الطائفتين باتبـاع الحـق ، والأخـرى باتباع الباطل ، فإن كان هذا قد تبين فلا حاجة إلـى النظـر ، وإن لم يتبين بعد لم يذكر حتى يتبين .

ويقال له ثانيا : قولك : أنه طلب الأمر لنفسـه بحـق ، وبايعه الأقلون كذب على علي ﷺ ، فإنه لم يطلب الأمر لنفسه في خلافة أبي بكر ، وعمر وعثمان ،وإنما طلبه لما قتـل عثمـان وبويع وحينئذ فأكثر الناس كانوا معه ، لم يكن معه الأقلون وقـد اتفق أهل السنة والشيعة على أن عليا لم يدع إلى مبـايعته فـي خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ، ولا بايعه على ذلك أحد.

ولكن الرافضة تدعى أنـه كـان يريـد ذلـك ، وتعتقـد أنـه الإمام المسـتحق للإمامـة ، دون غيـره ، لكـن كـان عـاجزا عنـه وهذا لو كان حقا لم يفدهم ، فإنه لـم يطلـب الأمـر لنفسـه ، ولا تابعه أحد على ذلك ، فكيف إذا كان باطلا.

وكذلك قوله بايعه الأقلون ، كذب على الصحابة فـإنه لـم يبايع منهم أحد لعلي على عهد الخلفـاء الثلاثـة ، ولا يمكـن أحـد أن يدعي هذا ، ولكن غاية ما يقول القائـل انـه كـان فيهـم مـن يختار مبايعته ، ونحن نعلم أن عليا لما تولى كان كثير من الناس يختار ولاية معاوية ، وولاية غيرهما ، ولما بويع عثمـان كـان فـي نفوس بعض النـاس ميـل إلـى غيـره ، فمثـل هـذا لا يخلـو مـن الوجود .

وقد كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة وبها وما حولها منافقون ، كما قـال تعـالى : ﷺ **وَمِمَّـنْ حَـوْلَكُم**

---

[1](1) الآية 18 من سورة هود عليه السلام

مِنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ [1] وقد قال تعالى عن المشركين : **وَقَالُوا لَوْلاَ نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ** [2]

فأحبوا أن ينزل القرآن على من يعظمونه من أهل مكة والطائف ، قال تعالى : **أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَعِيشَتَهُم فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُم فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ** [3] .

وأما ما وصفه لهؤلاء بأنهم الذين أعرضوا عن الدنيا وزينتها ، وأنهم لا تأخذهم في الله لومة لائم ، فهذا من أبين الكذب ، فإنه لم ير الزهد والجهاد في طائفة أقل منه في الشيعة ، والخوارج المارقون كانوا أزهد منهم وأعظم قتالا ، حتى يقال في المثل حملة خارجية وحروبهم مع جيوش بني أمية وبني العباس وغيرهما بالعراق والجزيرة وخراسان والمغرب وغيرهما معروفة ، وكانت لهم ديار يتحيزون فيها لا يقدر عليهم أحد .

وأما الشيعة فهم دائما مغلوبون ، مقهورون منهزمون ، وحبهم للدنيا وحرصهم عليها ظاهر ، ولهذا كاتبوا الحسين ، فلما أرسل إليهم ابن عمه، ثم قدم بنفسه غدروا به ، وباعوا الآخرة بالدنيا ، وأسلموه إلى عدوه ، وقاتلوه مع عدوه ، فأي زهد عند هؤلاء ، وأي جهاد عندهم .

وقد ذاق منهم علي بن أبي طالب من الكاسات المرة ما لا يعلمه إلا الله ، حتى دعا عليهم ، فقال: اللهم إني سئمتهم وسئموني فأبدلني بهم خيرا منهم ، وأبدلهم بي شرا مني ، وقد كانوا يغشونه ويكاتبون من يحاربه ، ويخونونه في الولايات ، والأموال ، هذا ولم يكونوا بعد صاروا رافضة ، إنما سمعوا شيعة علي لما افترق الناس فرقتين ، فرقة شايعت أولياء عثمان ، وفرقة شايعت أولياء عليا رضى الله عنهما ، فأولئك خيار الشيعة ، وهم من شر الناس معاملة لعلي بن أبي طالب ، وابنيه سبطى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وريحانته في الدنيا الحسن والحسين ، وهم أعظم الناس قبولا للوم اللائم في الحق ، وأسرع الناس إلى الفتنة ، وأعجزهم عنها ،

---

(1) الآية 101 من سورة التوبة .

(2) الآية 31 من سورة الزخرف .

(3) الآية 32 من سورة الزخرف .

يغرون من يظهرون نصره من أهل البيت ، حتى إذا اطمأن إليهم ولامهم عليه اللائم ، خذلوه وأسلموه وآثروا عليه الدنيا ، ولهذا أشار عقلاء المسلمين ونصحاؤهم على الحسين أن لا يذهب إليهم ، مثل عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام وغيرهم ، لعلمهم بأنهم يخذلونه ، ولا ينصرونه ، ولا يوفون له بما كتبوا به إليه ، وكان الأمر كما رأى هؤلاء، ونفذ فيهم دعاء عمر بن الخطاب ، ثم دعاء علي بن أبي طالب .

حتى سلط الله عليهم الحجاج بن يوسف ، كان لا يقبل من محسنهم ، ولا يتجاوز عن مسيئهم ، ودب شرهم إلى من لم يكن منهم، حتى عم الشر ، وهذه كتب المسلمين التي ذكر فيها زهاد الأمة ليس فيهم رافضي .

كيف والرافضي من جنس المنافقين ، مذهبه التقية فهل هذا حال من لا تأخذه بالله لومة لائم ، إنما هذه حال من نعته الله في كتابه بقوله :﴿ **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرتَدّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهَ بِقَومٍ يُحِبُّهُم وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لاَئِمْ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاء وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيم** ﴾ [1] .

وهذه حال من قاتل المرتدين ، وأولهم الصديق ، ومن اتبعه إلى يوم القيامة ، فهم الذين جاهدوا المرتدين ، كأصحاب مسيلمة الكذاب ، ومانعي الزكاة ، وغيرهما وهم الذين فتحوا الأمصار، وغلبوا فارس والروم ، وكانوا أزهد الناس ، كما قال عبد الله بن مسعود لأصحابه : أنتم أكثر صلاة وصياما من أصحاب محمد ، وهم كانوا خيرا منكم ، قالوا : لما يا أبا عبد الرحمن ، قال: لأنهم كانوا ، أزهد في الدنيا ، وأرغب في الآخرة ، فهؤلاء هم الذين لاتأخذهم في الله لومة لائم .

بخلاف الرافضة ، فإنهم أشد الناس خوفا من لوم اللائم ،ومن عدوّهم، وهم كما قال تعالى :﴿ **يحسبونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِم هُمُ الْعَدُوّ فَاحْذَرْهُم قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُون** ﴾ [2] .ولا يعيشون في أهل القبلة إلا من جنس اليهود في أهل الملل . ثم يقال : من هؤلاء الذين زهدوا في الدنيا ، ولم تأخذهم في الله لومة لائم ، ممن لم يبايع أبا بكر وعمر وعثمان

---

[1] (1) الآية 54 من سورة المائدة .

[2] (1) الآية 4 من سورة المنافقون .

رضى الله عنهم ، وبـايع عليـا، فـإنه مـن المعلـوم أن فـي زمـن الثلاثة لم يكن أحد منحازا عن الثلاثة مظهراً لمخالفتهم ومبايعة علي ، بل كل الناس كانوا مبايعين لهم فغاية ما يقال أنهم كانوا يكتمون تقديم علي وليست هذه حال من لا تأخذه في الله لومة لائم .

وأما في حال ولاية علي فقد كان من أكثر الناس لوما لمن معه على قلة جهادهم ، ونكولهم عن القتـال ، فـأين هـؤلاء الذين لا تأخذهم في الله لومـة لائـم ، مـن هـؤلاء الشـيعة ، وإن كذبوا على أبي ذر من الصحابة وسلمان وعمار وغيرهـم ، فمـن المتواتر أن هؤلاء كانوا من أعظم الناس تعظيما لأبي بكر وعمر ، واتباعاً لهما ، وإنما ينقل عن بعضهم التعنت على عثمـان ، لا على أبي بكر وعمر ، وسيأتي الكلام على ما جرى لعثمان .

ففي خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ، لم يكن أحد يسمى من الشيعة ، ولا تضاف الشيعة إلى أحـد لا عثمـان ولا علـي ولا غيرهما ، فلما قتل عثمان تفـرق المسـلمون ، فمـال قـوم إلـى عثمان ، ومال قوم إلى علي واقتتلـت الطائفتـان، وقتـل حينئـذ شيعة عثمان شـيعة علـي ، وفـي صـحيح مسـلم عـن سـعد بـن هشام أنه أراد أن يغزو في سبيل الله وقـدم المدينـة فـأراد أن يبيع عقارا له فيها فيجعله في السلاح والكـراع ، ويجاهـد الـروم حتى يموت ، فلما قدم المدينـة لقـي أناسـا مـن أهـل المدينـة ، فنهوه عن ذلك وأخـبروه أن رهطـاً سـتة أرادوا ذلـك فـي حيـاة النبي صلى الله تعالى عليه وسـلم نهـاهم نـبي اللـه صـلى اللـه تعالى عليه وسلم . وقـال : « أليـس لكـم بـي أسـوة ؟» ، فلمـا حدثوه بذلك راجع امرأته ، وقد كان طلقها وأشهد على رجعتها . فأتى ابن عباس وسأله عن وتر رسول الله صلى لله تعالى عليه وسلم . فقال ابن عبـاس : ألا أدلـك علـىأعلم أهـل الأرض بـوتر رسول الله صلى الله تعالى عليـه وسـلم ؟ فقـال مـن ؟ قـال : عائشة ا ، فأتها فاسألها ثم ائتني فاخبرني ، بردها عليـك ، قـال فانطلقت إليها فأتيت على حكيم بن افلح فاستلحقته إليها فقال : ما أنا بقاربها لأني نهيتها أن تقـول فـي هـاتين الشـيعتين شـيئا فأبت فيهما لا مضيا .

قال : فأقسمت عليه فجاء فانطلقنـا إلى عائشة رضى الله عنها وذكرا

الحديث[1]، وقال معاوية لابن عباس أنت على ملة علـي ، فقـال لا على ملة علي ، ولا على ملة عثمان ، أنا على ملة رسول اللـه صلى الله تعالى عليه وسلم .

وكانت الشيعة أصحاب علي يقدمون عليه أبا بكر وعمر ، وإنما كان النـزاع فـي تقـديمه علـى عثمـان ،ولـم يكـن حينئـذ يسمى أحد لا إماميا ولا رافضـيا وإنمـا سـموا رافضـة ، وصـاروا رافضة ، لما خرج زيد بن علي بن الحسين بالكوفة ، فـي خلافـة هشام ، فسألته الشـيعة عـن أبـي بكـر وعمـر ، فـترحم عليهمـا فرفضه قوم ، فقال رفضتموني رفضتموني . فسـموا رافضـة ، وتولاه قوم فسموا زيدية ، لانتسابهم إليه .

ومن حينئذ انقسمت الشيعة ، إلى رافضة إمامية وزيدية ، وكلما زادوا في البدعـة زادوا فـي الشـر ، فالزيديـة خيـر مـن الرافضة ، أعلم وأصدق وأزهد ، وأشجع .

ثم بعد أبي بكر ، عمر بن الخطـاب هـو الـذي لـم تكـن تأخذه في الله لومة لائم ، وكان أزهد الناس باتفاق الخلـق كمـا قيل فيه رحم الله عمر لقد تركه الحق ما له من صديق .

ونحن لا ندعي العصمة لكل صنّف من أهل السنّة ، وإنمـا ندعي أنهم لا يتفقون على ضلالة ، وأن كل مسألة اختلـف فيهـا أهل السنّة والجماعة والرافضة ، فالصواب فيها مع أهل السـنّة .

وحيث تصيب الرافضة ، فلا بد أن يوافقهم على الصـواب بعض أهل السنّة، وللروافض خطأ لا يوافقهم أحد عليه من أهـل السـنّة ، وليـس للرافضـة مسـألة واحـدة لا يـوافقهم فيهـا أحـد فانفردوا بها عن جميع أهل السنّة والجماعـة إلا وهـم مخطئـون فيها كإمامة الإثنى عشر ، وعصمتهم .

(فصـــل)

قال الرافضـي : ((وذهـب جميـع مـن عـدا الإماميـة والاسماعيلية إلى أن الأنبياء والأئمـة غيـر معصـومين ، فجـوّزوا بعثة من يجـوز عليـه الكـذب والسـهو والخطـأ والسـرقة ، فـأي وثوق يبقى للعامة في أقوالهم ، وكيـف يحصـل الانقيـاد إليهـم ، وكيف يجب اتباعهم مع تجويز أن يكـون مـا يـأمرون بـه خطـأ ؟ ولم يجعلوا الأئمة محصورين في عدد معين ، بل كـان مـن بـايع قرشيا انعقدت إمامته عندهم ، ووجب طاعته على جميع الخلق

---

[1](1) انظر مسلم ج 2 ص 512 .

إذا كان مستور الحال ، وإن كان على غاية من الكفر والفسوق والنفاق)).

فيقال :الكلام على هذا من وجوه :

أحدها : أن يقال : ما ذكرته عن الجمهور من نفي العصمة عن الأنبياء وتجويز الكذب والسرقة والأمر بالخطأ عليهم ، فهذا كذب على الجمهور ، فإنهم متفقون على أن الأنبياء معصومون في تبليغ الرسالة ، ولا يجوز أن يستقر في شيء من الشريعة خطأ باتفاق المسلمين ، وكل ما يبلّغونه عن الله عز وجل من الأمر والنهي يجب طاعتهم فيه باتفاق المسلمين ، وما أخبروا به وجب تصديقهم فيه بإجماع المسلمين ، وما أمروهم به ونهوهم عنه وجبت طاعتهم فيه عند جميع فرق الأمة ، إلا عند طائفة من الخوارج يقولون: إن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم معصوم فيما يبلّغه عن الله ، لا فيما يأمر هو به وينهى عنه . وهؤلاء ضُلاّل باتفاق أهل السنّة والجماعة .

وقد ذكرنا غير مرة أنه إذا كان في بعض المسلمين من قال قولا خطأ لم يكن ذلك قدحا في المسلمين ، ولو كان كذلك لكان خطأ الرافضة عيبا في دين المسلمين ، فلا يُعرف في الطوائف أكثر خطأ وكذبا منهم ، وذلك لا يضر المسلمين شيئا ، فكذلك لا يضرهم وجود مخطئ آخر غير الرافضة.

وأكثر الناس – أو كثير منهم – لا يجوِّزون عليهم الكبائر ، والجمهور

الذين يجوزون الصغائر – هم ومن يجوِّز الكبائر – يقولون : إنهم لا يُقَرُّون عليها ، بل يحصل لهم بالتوبة منها من المنزلة أعظم مما كان قبل ذلك ، كما تقدم التنبيه عليه .

وبالجملة فليس في المسلمين من يقول : أنه يجب طاعة الرسول مع جواز أن يكون أمره خطأ ، بل هم متفقون على أن الأمر الذي يجب طاعته لا يكون إلا صوابا . فقوله : ((كيف يجب اتباعهم مع تجويز أن يكون ما يأمرون به خطأ ؟ قول لا يلزم أحدا من الأمة .

وللناس في تجويز الخطأ عليهم في الاجتهاد قولان معروفان ، وهم متفقون على أنهم لا يقرُّون عليه ، وإنما يطاعون فيما أقرُّوا عليه ، لا فيما غيَّره الله ونهى عنه ، ولم يأمر بالطاعة فيه .

وأما عصمة الأئمة فلم يَقُل بها – إلا كما قال – الإمامية والإسماعيلية. وناهيك بقول لم يوافقهم عليه إلا الملاحدة

المنافقون ، الذين شيوخهم الكبار أكفـر مـن اليهـود والنصـارى والمشركين !. وهذا دأب الرافضة دائما يتجـاوزون عـن جماعـة المسـلمين إلـى اليهـود والنصـارى والمشـركين فـي الأقـوال والموالاة والمعاونة والقتال وغير ذلك .

فهل يوجد أضل من قوم يعـادون السـابقين الأوليـن مـن المهاجرين والأنصار ، ويوالـون الكفـار والمنـافقين ؟ وقـد قـال الله تعالى : ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّـذِينَ تَوَلَّـوا قَوْمًـا غَضِـبَ اللـهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِنْكُـم وَلاَ مِنْهُـم وَيَحْلِفُـونَ عَلَـى الْكَـذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُون . أَعَدَّ اللهُ لَهُم عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُم سَـاءَ مَـا كَانُوا يَعْمَلُون ، اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُم جُنَّةً فَصَدُّوا عَـن سَـبِيلِ اللهِ فَلَهُم عَذَابٌ مُهِين . لَن تُغْنِـي عَنْهُـم أَمْـوَالُهُم وَلاَ أَوْلاَدهُم مِنَ اللهِ شَيئًا أُوْلَئِـكَ أَصْـحَابُ النَّـارِ هُـمْ فِيهَـا خَالِدُون . يَوْمَ يَبْعَثُهُـم اللـهُ جَمِيعًـا فَيَحْلِفُـونَ لَـهُ كَمَـا يَحْلِفُونَ لَكُم وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم عَلَى شَيْءٍ أَلاَ إِنَّهُـم هُـمُ الكَاذِبون . اسْـتَحْوَذَ عَلَيْهِـمُ الشَّـيْطَان فَأَنْسَـاهُمْ ذِكْـرَ الله أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَان أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الشَّـيْطَانِ هُـمُ الْخَاسِرُون . إِنَّ الَّذِينَ يُحَادّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلّين . كَتَبَ اللهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَـا وَرُسـلِي إِنَّ اللـهَ قَـوِيٌّ عَزِيز، لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُـوَادّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَـانُوا آبَـاءَهُم أَو أَبْنَـاءَهُم أَو إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِم الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْـه وَيُـدْخِلُهُم جَنَّـاتٍ تَجْـرِي مِـنْ تَحْتِهَـا الأَنْهَارَ خَالِدِينَ فِيها ﴾م وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الله أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُون ﴾**[1].

فهذه الآيات نزلت في المنافقين ، وليس المنافقون فـي طائفة أكثر منهم في الرافضة ، حتى أنه ليس في الروافـض إلا من فيه شعبة من شعب النفاق .

كما فال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : « أربع من كن فيـه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من خصل النفاق حتى يدعها : إذا حدّث كذب ، وإذا اؤتمن خـان ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر» أخرجاه في الصحيحين[2] .

قال تعالى :﴿ **ترَىَ كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُـم أَنْفُسُـهُم أَنْ سَـخِطَ اللـهُ عَلَيْهِـمْ**

---

[1] (1) الآيات 14 –22 من سورة المجادلة .

[2] (1) البخاري ج 1 ص 12 ومواضع أُخر ، ومسلم ج 1 ص 102 .

وَفِي الْعَذَابِ هُـم خَالِـدُون . وَلَـو كَـانُوا يُؤْمِنُـونَ بِـاللهِ وَالنَّبِيّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَـذُوهُم أَوْلِيَـاءَ وَلَكِـنَّ كَثِيـرًا مِنْهُمْ فَاسِقُون [1] وقال تعالى : **لعنَ الَّذِينَ كَفَـرُوا مِـنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ذَلِـكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُون . كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَـنْ مُنْكَـرٍ فَعَلُـوهُ لَبِئْـسَ مَـا كَـانُوا يَفْعَلُـونَ ، تَـرَى كَثِيـرًا مِنْهُـم يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا** [2] .

وهم غالبا لا يتناهون عن منكر فعلـوه ، بـل ديـارهم أكـثر البلاد منكرا مـن الظلـم والفـواحش وغيـر ذلـك ، وهـم يتولـون الكفار الذين غضب الله عليهـم ، فليسـوا مـع المـؤمنين ولا مـع الكفار ، كما قال تعالى : **أَلَمْ تَـرَ إِلَـى الَّـذِينَ تَوَلَّـوا قَوْمًـا غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ مَا هُم مِنْكُم وَلاَ مِنْهُم** [3] .

ولهذا هم عنـد جمـاهير المسـلمين نـوع آخـر ، حـتى إن المسلمين لما قاتلوهم بالجبل الذي كانوا عاصـين فيـه بسـاحل الشـام ، يسـفكون دمـاء المسـلمين، ويأخـذون أمـوالهم ، ويقطعون الطريق ، استحلالا لـذلك وتـدينا بـه ، فقـاتلهم صـنف من التركمان ، فصاروا يقولون : نحن مسلمون ، فيقولـون :لا ، أنتم جنس آخر خارجون عن المسلمين لامتيازهم عنهم .

وقد قال الله تعالى: **وَيَحْلِفُونَ عَلَـى الْكَـذِبِ وَهُـمْ يَعْلَمُون** [4] .

وهذا حال الرافضة ،وكذلك: **وَاتَّخَذُوا أَيْمَـانَهُمْ جُنَّـةً فَصَـدُّوا عَـنْ سَـبِيلِ اللـه** إلـى قـوله : **لاَ تَجِـدُ قَوْمًـا يُؤْمِنُـونَ بِـاللهِ وَالْيَـوْمِ الآخِـرِ يُـوَادّونَ مَـنْ حَـادَّ اللـهَ وَرَسُولَه ....**الآية [5] وكثير منهم يواد الكفار مـن وسـط قلبـه أكثر من موادّته للمسلمين . ولهذا لما خـرج الـترك الكفـار مـن جهـة المشـرق فقـاتلوا المسـلمين وسـفكوا دمـاءهم ، ببلاد خرسان والعـراق والشـام والجزيـرة وغيرهـا ، كـانت الرافضـة معاونـة لهـم علـى قتـال المسـلمين ، ووزيـر بغـداد المعـروف بالعلقمي هو وأمثاله كانوا من أعظم النـاس معاونـة لهـم علـى المسـلمين ، وكـذلك الـذين كـانوا بالشـام بحلـب وغيرهـا مـن الرافضة كانوا من أشد الناس معاونة لهم على قتال المسـلمين

---

[1] (2) الآيتان 80 -81 من سورة المائدة .
[2] (3) الآيات 78 – 80 من سورة المائدة .
[3] (4) الآية 14 من سورة المجادلة .
[4] (5) الآية 14 من سورة المجادلة .
[5] (1) الآيات 16 – 22 من سورة المجادلة .

. وكـذلك النصـارى الـذين قـاتلهم المسـلمون بالشـام كـانت الرافضـة مـن أعظـم أعـوانهم ، وكـذلك إذا صـار لليهـود دولـة بالعراق وغيره تكون الرافضة من أعظـم أعـوانهم ، فهـم دائمـا يوالون الفـار مـن المشـركين واليهـود والنصـارى ، ويعـاونونهم على قتال المسلمين ومعاداتهم .

ثم إن هذا ادّعى عصمة الأئمة دعوى لم يقم عليها حجة ، إلا ما تقدم من أن الله لم يخل العالم م ن أئمـة معصـومين لمـا في ذلك من المصلحة واللطف، ومن المعلوم المـتيقن أن هـذا المنتظر الغـائب المفقـود لـم يحصـل بـه شـيء مـن المصـلحة واللطف ، سواء كان ميتا ، كمـا يقـوله الجمهـور ، أو كـان حيـا ، كما تظنه الإمامية . وكذلك أجداده المتقـدمون لـم يحصـل بهـم شيء من المصـلحة واللطـف الحاصـلة مـن إمـام معصـوم ذي سلطان ، كما كان النبي صلى الله تعالى عليـه وسـلم بالمدينـة بعد الهجرة ، فإنه كان إمام المؤمنين الذي يجب عليهم طاعته ، ويحصل بذلك سعادتهم ، ولم يحصل بعده أحد له سلطان تُدعى له العصمة إلا عليّ زمن خلافته .

ومن المعلوم بالضرورة أن حال اللطف و المصلحة التي كان المؤمنون فيها زمـن الخلفـاء الثلاثـة ، أعظـم مـن اللطـف والمصـلحة الـذي كـان فـي خلافـة علـي زمـن القتـال و الفتنـة والافتراق ، فإذا لم يوجد من يـدعي الإماميـة فيـه أنـه معصـوم وحصل له السلطان بمبايعة ذي الشوكة إلا علـيّ وحـده ، وكـان مصلحة المكلفين واللطف الذي حصل لهم فـي دينهـم ودنيـاهم فـي ذلـك الزمـان أقـل منـه فـي زمـن الخلفـاء الثلاثـة ،عُلـم بالضرورة أن ما يدّعونه من اللطف والمصلحة الحاصلة بالأئمـة المعصومين باطل قطعا.

وهو من جنس الهـدى والإيمـان الـذي يُـدَّعى فـي رجـال الغيب بجبل لبنان وغيره من الجبال مثل جبل قاسيون بدمشـق ، ومغارة الـدم ، وجبـل الفتـح بمصـر ، ونحـو ذلـك مـن الجبـال والغيران ، فإن هذه المواضع يسكنها الجن ، ويكون بها شياطين ، ويتراءون أحيانا لبعض الناس ، ويغيبون عن الأبصـار فـي أكـثر الأوقات ، فيظن الجهال أنهم رجال من الإنس ، وإنما هم رجـال من الجن .

كمـا قـال تعـالى : ﴿**وَإِنَّـهُ كَـانَ رِجَـالٌ مِـنَ الإِنْـسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا** ﴾[1] .

---

[1] (1) الآية 6 من سورة الجن .

وهؤلاء يؤمن بهم وبمن ينتحلهم من المشايخ طوائف ضالون ، لكن المشايخ الذين ينتحلون رجال الغيب لا يحصل بهم من الفساد ما يحصل بالذين يدّعون الإمام المعصوم ، بل المفسدة والشر الحاصل في هؤلاء أكثر ، فإنهم يدّعون الدعوة إلى إمام معصوم ، ولا يوجد لهم أئمة ذووا سيف يستعينون بهم ، إلا كافر أو فاسق أو منافق أو جاهل ، لا تخرج رؤوسهم عن هذه الأقسام .

والإسماعيلية شر منهم ، فإنهم يدعون إلى الإمام المعصوم ، ومنتهى دعوتهم إلى رجال ملاحدة منافقين فسّاق ، ومنهم من هو شر في الباطن من اليهود والنصارى .

فالداعون إلى المعصوم لا يدعون إلى سلطان معصوم ، بل إلى سلطان كفور أو ظلوم ، وهذا أمر مشهور يعرفه كل من له خبرة بأحوالهم .

وقد قال تعالى :﴿ **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً** ﴾[1]، فأمر الله المؤمنين عند التنازع بالرد إلى الله والرسول ، ولو كان للناس معصوم غير الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لأمرهم بالرد إليه ، فدل القرآن على أنه لا معصوم إلا الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم .

(فصـــل)

وأما قوله : ((ولم يجعلوا الأئمة محصورين في عدد معين)) فهذا حق . وذلك أن الله تعالى قال:﴿ **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُم** ﴾، ولم يوقّتهم بعدد معين .

وكذلك قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الأحاديث الثابتة عنه المستفيضة لم يوقّت ولاة الأمور في عدد معين . ففي الصحيحين عن أبي ذر قال : ((إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع وإن كان عبدا حبشيا مجدّع الأطراف))[2] .

---

[1] (1) الآية 59 من سورة النساء .

[2] (2) مسلم ج 1 ص 448 وج 3 ص 1467 وأبو داود ج 2 ص 955 .

(فصـــل)

وأما قوله عنهم ((كل من بايع قرشيا انعقدت إمـامته ووجبت طاعته على جميع الخلـق إذا كـان مسـتور الحـال ، وإن كان على غاية من الفسق والكفر والنفاق)) .

فجوابه من وجوه :

أحدها : أن هذا ليس من قـول أهـل السـنة والجماعـة ، وليس مذهبهم أنـه بمجـرد مبايعـة واحـد قرشـي تنعقـد بيعتـه ، ويجب على جميع الناس طاعته ، وهذا وإن كان قـد قـاله بعـض أهل الكلام ، فليس هو قول أهل السنة والجماعة، بـل قـد قـال عمر بن الخطاب : ((من بايع رجلا بغير مشورة المسلمين ، فلا يبـايع هـو ولا الـذي بـايعه تغِـرَّة أن يُقتلا)). الحـديث رواه البخاري ، وسيأتي بكماله إن شاء الله تعالى .

الوجه الثاني : أنهم لا يوجبون طاعة الإمام في كل مـا يأمر به ، بل لا يوجبون طـاعته إلا فيمـا تسـوغ طـاعته فيـه فـي الشريعة ، فلا يجوّزون طاعته في معصـية اللـه وإن كـان إمامـا عـادلاً ، وإذا أمرهـم بطاعـة اللـه فأطـاعوه: مثـل ان يـأمرهم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكـاة ، والصـدق والعـدل والحـج والجهـاد في سبيل الله ، فهم في الحقيقـة إنمـا أطـاعوا اللـه ، والكـافر والفاسق إذا أمر بمـا هـو طاعـة للـه لـم تحـرم طاعـة اللـه ولا يسقط وجوبها لأجل أمر ذلك الفاسق بها ، كما أنه إذا تكلم بحق لم يجز تكـذيبه ولا يسـقط وجـوب اتبـاع الحـق لكـونه قـد قـاله فاسـق ، فأهـل السـنة لا يطيعـون ولاة الأمـور مطلقـا ، إنمـا يطيعونهم فـي ضـمن طاعـة الرسـول صـلى اللـه تعـالى عليـه وسلم .

كما قـال تعـالى: **أَطِيعُوا اللـهَ وَأَطِيعُـوا الرَّسُـولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُم** [1]

فأمر بطاعة الله مطلقا ، وأمر بطاعـة الرسـول لأنـه لا يـأمر إلا بطاعة الله َ**منْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهِ** [2] و جعـل طاعة أولـي الأمـر داخلـة فـي ذلـك ، فقـال : **وَأُولِي الأَمْـرِ مِنْكُم** ولـم يـذكر لهـم طاعـة ثالثـة ، لأن ولـي الأمـر لا يطـاع طاعة مطلقة ، إنما يطاع في المعروف.

---

[1] (1) الآية 59 من سورة النساء .

[2] (2) الآية 80 من سورة النساء .

كما قال النبي صلى الله تعـالىعليه وسـلم:((إنمـا الطاعـة في المعروف))[1] وقال: ((لا طاعة فـي معصـية اللـه))[2] و ((لا طاعـة لمخلـوق فـي معصـية الخـالق))[3] وقـال : ((مـن أمركـم بمعصية الله فلا تطيعوه))[4] .

وقال هؤلاء الرافضة المنسوبين إلـى شـيعة علـيّ أنـه تجب طاعة غير الرسول صلى اللـه تعـالى عليـه وسـلم مطلقـا في كل ما أمر به ، أفسد من قول من كان منسـوبا إلـى شـيعة عثمان من أهل الشام من أنه يجب طاعة ولي الأمر مطلقا ، فإن أولئـك كـانوا يطيعـون ذا السـلطان وهـو موجـود ، وهـؤلاء يوجبون طاعة معصوم مفقود .

وأيضا فأولئك لم يكونوا يدّعون في أئمتهم العصمة الـتي تدعيها الرافضة ،بل كانوا يجعلونهم كالخلفـاء الراشـدين وأئمـة العدل الذين يقلدون فيما لا تعرف حقيقة أمره ، أو يقولون : إن الله يقبل منهم الحسنات ويتجـاوز عـن السـيئات . وهـذا أهـون ممن يقول : أنهم معصومون ولا يخطئون .

فتبين ان هؤلاء المنسوبين إلى النصب من شيعة عثمـان ، وإن كان فيهم خروج عن بعض الحق والعدل ، فخروج الإمامية عن الحق والعدل أكثر وأشد ، فكيف بقول أئمة السنة الموافق للكتاب والسنة ،وهو الأمر بطاعة ولي الأمر فيمـا يـأمر بـه مـن طاعة الله ، دون ما يأمر به من معصية الله .

(فصـل)

قال الرافضي : ((وذهـب الجميـع منهـم إلـى القـول بالقياس ، والأخذ بالرأي ، فأدخلوا في دين الله مـا ليـس منـه ، وحرّفوا أحكام الشريعة ، وأحدثوا مـذاهب أربعـة لـم تكـن فـي زمن النـبي صـلى اللـه تعـالى عليـه وسـلم ولا زمـن صـحابته ، وأهملوا أقاويل الصحابة ، مع أنهـم نصُّـوا علـى تـرك القيـاس ، وقالوا : أول من قاس إبليس)) .

فيقال الجواب عن هذا من وجوه :

---

[1](3) المسند ج 4 ص 426 ، 427 ، 436 .
[2](4) المسند ج 4 ص 426 ، 427 ، 436 .
[3](5) المسند ج 5 ص 66 .
[4](1) المسند ج 3 ص 67 وابن ماجة ج 2 ص 955 .

أحدها : أن دعواه على جميع أهل السنة المثبتين لإمامة الخلفاء الثلاثة أنهم يقولون بالقياس دعـوى باطلـة ، قـد عُـرف فيهـم طوائـف لا يقولـون بالقيـاس ، كالمعتزلـة البغـداديين ، وكالظاهريـة كـداود وابـن حـزم وغيرهمـا ، وطائفـة مـن أهـل الحديث والصوفية .

وأيضا ففي الشيعة من يقول بالقيـاس كالزيديـة . فصـار النزاع فيه بين الشيعية كما هو بين أهل السنة والجماعة .

الثاني : أن يقال : القياس ولو قيل : إنه ضعيف هو خير من تقليد من لم يبلغ في العلم مبلغ المجتهدين ، فإن كل من له علم وإنصاف يعلم أن مثل مالـك والليـث بـن سـعد والأوْزاعـي وأبي حنيفة والثَّوري وابن أبـى ليلـى ، ومثـل الشـافعي وأحمـد إسـحاق وأبـى عبيـد وأبـى ثَـوْر أعلـم وأفقـه مـن العسـكريين أمثالهما.

وأيضا فهؤلاء خير من المنتظـر الـذي لا يعلـم مـا يقـول ، فإن الواحد من هؤلاء إن كان عنده نص منقول عن النبي صـلى الله تعالى عليه وسلم فلا ريب أن النص الثابت عن النبي صـلى الله تعالى عليه وسلم مقدَّم على القياس بلا ريب ، وإن لم يكن عنده نص ولم يقل بالقياس كـان جـاهلا ، فالقيـاس الـذي يفيـد الظن خير من الجهل الذي لا علم معه ولا ظن ، فإن قال هـؤلاء كل ما يقولونه هو ثابت عن النبي صلى الله تعـالى عليـه وسـلم كان هذا أضعف من قول من قال كـل مـا يقـوله المجتهـد فـإنه قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، فإن هذا يقـوله طائفـة من أهل الرأي ، وقولهم أقرب مـن قـول الرافضـة ، فـإن قـول أولئك كذب صريح .

وأيضا فهذا كقول من يقول : عمل أهـل المدينـة متلقـى عن الصحابة وقول الصحابة متلقى عن النبي صـلى اللـه تعـالى عليه وسلم ، وقول من يقول : ما قاله الصحابة في غير مجاري القياس فإنه لا يقوله إلا توقيفا عن النبي صلى الله تعـالى عليـه وسلم ، وقوله من يقول : قول المجتهـد أو الشـيخ العـارف هـو إلهام من الله ووحي يجب اتباعه .

فإن قال : هؤلاء تنازعوا .

قيل وأولئك تنازعوا ، فلا يمكن أن تدَّعي دعوى باطلة إلا أمكـن معارضتهم بمثلها أو بخير منها ولا يقولون حقًّا إلا كـان فـي أهـل السنة والجماعة من يقول مثل ذلك الحق أو مـا هـو خيـر منـه ، فإن البدعة مع السـنة كـالكفر مـع الإيمـان . وقـد قـال تعـالى :

﴿**وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً**﴾[1] .

الثالث : أن يقال الذين أدخلوا في دين الله ما ليس منه وحرّفوا أحكام الشريعة ، ليسوا في طائفة أكثر منهم في الرافضة ، فإنهم أدخلوا في دين الله من الكذب على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما لم يكذبه غيرهم ، وردّوا من الصدق ما لم يرده غيرهم ، وحرّفوا القرآن تحريفاً لم يحرّفه أحد غيرهم مثل قولهم : إن قوله تعالى : ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُون**﴾ [2] نزلت في عليّ لما تصدق بخاتمه في الصلاة .

وقوله تعالى :﴿**مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ**﴾[3] : علي وفاطمة ، ﴿**يخرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَان**﴾[4] : الحسن والحسين ، ﴿**وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِين**﴾[5]علي بن أبي طالب ﴿**إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيم وَآلَ عِمْرَانَ**﴾[6]هم آل أبي طالب واسم أبي طالب عمران،﴿**فقاتلواأَئِمَّةَ الْكُفْر**﴾[7] :طلحة والزبير، ﴿**وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآن**﴾[8] هم بنو أمية ، ﴿**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُم أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَة**﴾[9] :عائشة و﴿**لئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ**﴾[10] : لئن أشركت بين أبي بكر وعلي في الولاية .

وكل هذا وأمثاله وجدته في كتبهم . ثم من هذا دخلت الإسماعيلية والنصيرية في تأويل الواجبات والمحرّمات ، فهم أئمة التأويل ، الذي هو تحريف الكلم عن مواضعه ، ومن تدبر ما عندهم وجد فيه من الكذب في المنقولات ، والتكذيب بالحق منها والتحريف لمعانيها ، مالا يوجد في صنف من المسلمين ،

---

[1] (1) الآية 33 من سورة الفرقان .
[2] (2) الآية 55 من سورة المائدة .
[3] (3) الآية 19 من سورة الرحمن .
[4] (4) الآية 22 من سورة الرحمن .
[5] (5) الآية 12 من سورة يس .
[6] (6) الآية 33 من سورة آل عمران .
[7] (7) الآية 12 من سورة التوبة .
[8] (8) الآية 60 من سورة الإسراء .
[9] ( ) الآية 67 من سورة البقرة .
[10] ( ) الآية 65 من سورة الزمر .

فهم قطعا أدخلوا في دين الله ما ليس منه أكثر مـن كـل أحـد ، وحرّفوا كتابه تحريفا لم يصل غيرهم إلى قريب منه .

الوجه الرابع : قـوله : ((وأحـدثوا مـذاهب أربعـة لـم تكن فـي زمـن النـبي صـلى اللـه تعـالى عليـه وسـلم ولا زمـن صحابته ، وأهملوا أقاويل الصحابة)).

فيقال له : متى كـان مخالفـة الصـحابة والعـدول عـن أقـاويلهم منكـراً عنـد الإماميـة ؟ وهـؤلاء متفقـون علـى محبـة الصـحابة ومـوالاتهم وتفضـيلهم علـى سـائر القـرون وعلـى أن إجماعهم حجة ، وعلى أنه ليس لهم الخروج عن إجماعهم ، بـل عامة الأئمة المجتهدين يصـرّحون بـأنه ليـس لنـا أن نخـرج عـن أقاويل الصحابة ، فكيـف يطعـن عليهـم بمخالفـة الصـحابة مـن يقول : إن إجماع الصـحابة ليـس بحجـة ، وينسـبهم إلـى الكفـر والظلم ؟

فإن كان إجماع الصحابة حجة فهو حجة على الطائفتين ، وإن لم يكن حجة فلا يحتج به عليهم .

وإن قال : أهل السنة يجعلونه حجة ، وقد خالفوه .

قيل : أما أهل السنة فلا يتصـور أن يتفقـوا علـى مخالفـة إجمـاع الصـحابة ، وأمـا الإماميـة فلا ريـب أنهـم متفقـون علـى مخالفة إجماع العترة النبوية ، مع مخالفة إجماع الصحابة ، فـإن لم يكن في العترة النبوية –بنو هاشم – علـى عهـد النـبي صـلى الله تعالى عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضى الله عنهم من يقول بإمامة الاثنى عشـر ولا بعصـمة أحـد بعـد النـبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، ولا بكفر الخلفـاء الثلاثـة ، بـل ولا من يطعـن فـي إمـامتهم ، بـل ولا مـن ينكـر الصـفات ، ولا مـن يكذب بالقدر .

فالإمامية بلا ريب متفقـون علـى مخالفـة إجمـاع العـترة النبوية ، مع مخالفتهم لإجماع الصحابة ، فكيف ينكرون على من لم يخالف لا إجماع الصحابة ولا إجماع العترة ؟ .

الوجه الخامس : أن قوله : ((أحدثوا مذاهب أربعة لم تكن على عهد رسول الله صلى الله تعـالى عليـه وسـلم)). إن أراد بذلك أنهم اتفقوا على أن يحدثوا هذه المذاهب مع مخالفـة الصحابة فهذا كذب عليهـم ، فـإن هـؤلاء الأئمـة لـم يكونـوا فـي عصر واحد ، بل أبو حنيفـة تـوفى سـنة خمسـين ومائـة ومالـك سنة تسع وسبعين ومائة ، والشافعي سنة أربع ومائتين ، وأحمد بن حنبل سنة إحدى وأربعيـن ومـائتين ، وليـس فـي هـؤلاء مـن يقلد الآخر ، ولا من يأمر باتّباع الناس لـه ، بـل كـل منهـم يـدعو

إلى متابعة الكتاب والسنة ، وإذا قال غيره قولا يخـالف الكتـاب والسنة عنده رده ،ولا يوجب على الناس تقليده.

وإن قلـت ان هـذه المـذاهب اتّبعهـم النـاس ، فهـذا لـم يحصل بموطأة ، بل اتفق أن قوما اتّبعوا هذا ، وقوما اتبعوا هـذا ، كالحجاج الذين طلبوا من يدلهم على الطريق ، فرأى قوم هذا الدليل خبيراً فاتّبعوه ، وكذلك الآخرون .

وإذا كان كذلك لم يكن في ذلك اتفـاق أهـل السـنة علـى باطل ، بل كل قوم منهم ينكرون مـا عنـد غيرهـم مـن الخطـأ ، فلم يتفقوا على أن الشخص المعيّن عليه أن يقبل من كـل مـن هؤلاء ما قاله ، بل جمهورهم لا يـأمرون العـاميّ بتقليـد شـخص معيّن غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في كل ما يقوله.

والله تعالى قد ضمن العصمة للامة ، فمن تمام العصــمة أن يجعل عدداً من العلماء إن أخطأ الواحد منهم في شيء كان الآخر قد أصاب فيه حتى لا يضيع الحق ، ولهذا لما كان في قول بعضهم من الخطأ مسائل ، كبعض المسائل التي أوردها ، كـان الصواب في قول الآخر ، فلم يتفق أهل السنة على ضلالة أصـلا ، وأما خطأ بعضهم في بعض الدين ، فقد قدّمنا في غير مـرة أن هذا لا يضـر ، كخط أ بع ض المسـلمين . وأمـا الشـيعة فكـل م ا خالفوا فيه أهـل السـنة كلهـم فهـم مخطئـون فيـه ، كمـا أخطـأ اليهود والنصارى في كل ما خالفوا فيه المسلمين .

الــوجه الســادس : أن يُقــال : قــوله : ((إن هــذه المذاهب لم تكن في زمن النبي صلى اللـه تعـالى عليـه وسـلم ولا الصحابة))إن أراد أن الأقوال التي

لهم لم تنقل عن النبي صـلى اللـه تعـالى عليـه وسـلم ولا عـن الصحابة ، بل تركوا قول النـبي صـلى اللـه تعـالى عليـه وسـلم والصحابة وابتدعوا خلاف ذلك ، فهـذا كـذب عليهـم ، فـإنهم لـم يتفقوا على مخالفة الصـحابة ، بـل هـم – وسـائر أهـل السـنة – متبعون للصحابة في أقـوالهم ، وإن قـدّر أن بعـض أهـل السـنّة خـالف الصـحابة لعـدم علمـه بأقـاويلهم ، فالبـاقون يوافقـون ويثبتـون خطـأ مـن يخـالفهم ، وإن أراد أن نفـس أصـحابها لـم يكونوا في ذلك الزمان ، فهذا لا محذور فيه . فمـن المعلـوم أن كل قرن يأتي يكون بعد القرن الأول .

الوجه السابع : قوله : ((وأهملـوا أقاويـل الصـحابة)) كذب منـه ، بـل كتـب أربـاب المـذاهب مشـحونة بنقـل أقاويـل الصحابة والاستدلال بها ، وإن كان عند كل طائفة منها مـا ليـس عند الأخرى . وإن قـال : أردت بـذلك أنهـم لا يقولـون : مـذهب

أبي بكر وعمر ونحو ذلك ، فسبب ذلك أن الواحد من هؤلاء جمع الآثار وما استنبطه منها ، فأضيف ذلك إليه ، كما تضاف كتب الحديث إلى من جمعها ، كالبخاري ومسلم وأبي داود ، ، وكما تضاف القراءات إلى من اختارها ، كنافع وابن كثير .

وغالب ما يقوله هؤلاء منقول عمن قبلهم ، وفي قول بعضهم ما ليس منقولا عمن قبله ، لكنه استنبطه من تلك الأصول . ثم قد جاء بعده من تعقب أقواله فبيّن منها ما كان خطأ عنده ، كل ذلك حفظا لهذا الدين ، حتى يكون أهله كما وصفهم الله به ﴿ **يأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ** ﴾[1] فمتى وقع من أحدهم منكر خطأ أو عمداً أنكره عليه غيره .

وليس العلماء بأعظم من الأنبياء ، وقد قال تعالى : ﴿**وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِين . فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْمًا** ﴾[2] .

وثبت في الصحيحين عن ابن عمر ما أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لأصحابه عام الخندق : ((لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة، فأدركتهم صلاة العصر في الطريق ، فقال بعضهم : لم يُرد منا تفويت الصلاة، فصلّوا في الطريق . وقال بعضهم : لا نصلي إلا في بني قريظة،فصلوا العصر بعد ماغربت الشمس،فما عنّف واحدة من الطائفتين))[3] فهذا دليل على أن المجتهدين يتنازعون في فهم كلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وليس كل واحد منهم آثماً .

الوجه الثامن : أن أهل السنة لم يقل أحد منهم إن إجماع الأئمة الأربعة حجة معصومة ، ولا قال : إن الحق منحصر فيها ، وإن ما خرج عنها باطل ، بل إذا قال من ليس من أتباع الأئمة ، كسفيان الثوري والأوزاعي واللَيْث بن سعد ومن قبلهم ومن بعدهم من المجتهدين قولا يخالف قول الأئمة الأربعة ، رُدَّ ما تنازعوا فيه إلى الله ورسوله ، وكان القول الراجح هو القول الذي قام عليه الدليل .

الوجه التاسع : قوله : ((الصحابة نصوا على ترك القياس)) . يقال [له] : الجمهور الذين يثبتون القياس قالوا:

---

[1] (1) الآية 71 من سورة التوبة .
[2] (2) الآيتان 78 -79 من سورة الأنبياء .
[3] (3) البخاري ج 5 ص 112 ، ومسلم ج 3 ص 1391.

قد ثبت عن الصحابة أنهم قالوا بالرأي واجتهاد الرأي وقاسوا ، كما ثبت عنهم ذم ما ذموه من القياس . قالوا: وكلا القولين صحيح ، فالمذموم القياس المعارض للنص ، كقياس الذين قالوا : إنما البيع مثل الربا ، وقياس إبليس الذي عارض به أمر الله له بالسجود لآدم ، وقياس المشركين الذين قالوا: أتأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله ؟ قال الله تعالى : ﴿**وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُم المُشْرِكُون**﴾[1] .

وكذلك القياس الذي لا يكون الفرع فيه مشاركا للأصل في مناط الحكم، فالقياس يُذم إما لفوات شرطه ،وهو عدم المساواة في مناط الحكم، وإما لوجود مانعه ، وهو النص الذي يجب تقديمه عليه ، وإن كانا متلازمَيْن في نفس الأمر ، فلا يفوت الشرط إلا والمانع موجود ، ولا يوجد المانع إلا والشرط مفقود .

فأما القياس الذي يستوي فيه الأصل والفرع في مناط الحكم ولم يعارضه ماهو أرجح منه ، فهذا هو القياس الذي يتبع .

ولا ريب أن القياس فيه فاسد ، وكثير من الفقهاء قاسوا أقيسة فاسدة ، بعضها باطل بالنص ، وبعضها مما اتفق على بطلانه ، لكن بطلان كثير من القياس لا يقتضي بطلان جميعه ، كما أن وجود الكذب في كثير من الحديث لا يوجب كذب جميعه .

(فصـــل)

قال الرافضي : ((الوجه الثاني : في الدلالة على وجوب اتّباع مذهب الإمامية : ما قاله شيخنا الإمام الأعظم خواجه نصير الملة والحق والدين محمد بن الحسن الطوسي ، قدّس الله روحه ، وقد سألته عن المذاهب فقال : بحثنا عنها وعن قول رسول الله :((ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقه ،منها فرقة ناجية ، والباقي فى النار))[2] ، وقد عين الفرقة الناجية والهالكة في حديث أخر صحيح متفق عليه ، وهو قوله : ((مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح : من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق)) ، فوجدنا الفرقه الناجية هي فرقة الإمامية، لأنهم باينوا جميع المذاهب، وجميع المذاهب

---

[1](1) الآية 121 من سورة الأنعام .

[2](2) سنن أبي داود ج 4 ص 276 والترمذي ج 4ص 134 .

قد اشتركت في أصول العقائد)).

فيقال : الجواب من وجوه:

أحدها : أن هـذا الإمـامي قـد كَّفـر مـن قـال : ان اللـه موجب بالذات ، كما تقدم من قوله : يلزم أن يكون الله موجبـاً بذاته لا مختارا فيلزم الكفر .

وهذا الذي جعله شيخه الأعظـم واحتـج بقـوله، هـو ممـن يقول بأن الله موجب بالذات ، ويقول بقدم العالم،كما ذكرذلـك فى كتاب ((شرح الإشارات)) لـه. فيلـزم علـى قـوله أن يكـون شيخه هذا الذي احتج به كافراً، والكافر لا يُقبـل قـوله فـي ديـن المسلمين .

الثاني: أن هذا الرجل قد اشتهر عند الخاص والعام أنــه كان وزير الملاحدة الباطنيـة الإسـماعيلية بـالألموت[1] ، ثـم لمـا قدم الترك المشركون الى بلاد المسلمين ، وجـاءوا الـى بغـداد ،دار الخلافة ، كان هذا منجمـا مشـيرا لملـك الـترك المشـركين هولاكو أشـار عليـه بقتـل الخليفـة ، وقتـل أهـل العلـم والـدين، واستبقاء أهل الصناعات والتجارات الذين ينفعـونه فـي الـدنيا ، وأنه استولى على الوقف الذي للمسلمين ، وكان يعطي منه ما شاء الله لعلماء المشـركين وشـيوخهم مـن البخشـية السـحرة وأمثالهم وأنه لما بنى الرَّصد الذي بمراغة على طريـق الصـابئة المشركين ، كان أبخس النـاس نصـيبا منـه مـن كـان إلـى أهـلِ الملل أقرب ، وأوفرهم نصيبا من كان أبعدهم عن الملل ، مثــلَ الصـابئة المشـركين ومثـل المعطّلـة وسـائر المشـركون ، وإن ارتزقوا بالنجوم والطب ونحو ذلك .

ومــن المشــهور عنــه وعــن أتبــاعه الاســتهتار بواجبــات الإسلام ومحرَّماته، لا يحافظون على الفرائـض كالصـلوات ، ولا ينزعون من محارم الله من الفـواحش والخمـر وغيـر ذلـك مـن المنكرات ، حتى أنهم في شهر رمضان يُذكر عنهم مــن إضـاعة الصلوات ، وارتكاب الفواحش ، وشرب الخمر –ما يعرفـه أهـل الخبرة بهم ، ولم يكن لهم قوة وظهور إلا مع المشركين ، الذين دينهم شر من دين اليهود والنصارى .

ولهذا كان كلما قـوى الإسـلام فـي المغـل وغيرهـم مـن ترك ، ضعف أمر هؤلاء لفرط معاداتهم للإسـلام وأهلـه . ولهـذا كانوا من أنقص الناس منزلـة عنـد الأميـر نـوروز المجاهـد فـي سبيل الله الشهيد ، الذي دعا ملك المغل غـازان إلـى الإسـلام ،

---

[1](1) اسم قلعه في جبال الديلم بناها أحد ملوك الديلم .

والـتزم لـه أن ينصـره إذا أسـلم ، وقتـل المشـركين الـذين لـم يسـلموا مـن البخشـية السـحرة وغيرهـم ، وهـدم البـذخانات ، وكسـر الأصـنام ومـزق سـدنتها كـل ممـزق ، وألـزم اليهـود والنصارى بالجزية والصغار ، وبسببه ظهـر الإسـلام فـي المغـل وأتباعهم .

وبالجملـة فـأمر هـذا الطوسـى وأتبـاعه عنـد المسـلمين أشهر وأعرف من أن يعرف ويوصف . ومع هذا فقـد قيـل : إنـه كان آخر عمره يحافظ على الصلوات الخمس ويشتغل بتفسـير البغوى والفقه ونحو ذلك . فإن كان قد تـاب مـن الإلحـاد فـالله يقبل التوبة عن عباده ، ويعفو عن السيئات . والله تعالى يقول: **﴿يا عبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفوا عَلَى أنفسِهِمْ لا تَقْنَطوا مِـن رَّحْمَة الله إنَّ اللهَ يَغْفِر الذُنوبَ جميعًا ﴾[1] .**

لكن ما ذكره عن هذا ، إن كان قبل التوبة لم يُقبل قوله ، وإن كان بعد التوبة لم يكن قد تاب من الرفض ، بل من الإلحـاد وحده . وعلى التقديرين فلا يُقبل قوله . والأظهر أنـه إنمـا كـان يجتمع به وبأمثاله لما كان منجمـا للمغـل المشـركين ، والإلحـاد معروف من حاله إذ ذلك .

فمن يقدح في مثل أبي بكر وعمر وعثمان ، وغيرهم من السابقين الأوَّلين من المهاجرين والأنصـار ، ويطعـن على مثـل مالك والشافعي وأي حنيفة وأحمد بن حنبل وأتباعهم ، ويعيرهم بغلطات بعضهم في مثل إباحة الشطرنج والغناء ، كيف يليق به أن يحتـج لمـذهبه بقـول مثـل هـؤلاء الـذين لا يؤمنـون بـالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرِّمون مـا حـرم اللـه ورسـوله ، ولا يـدينون ديـن الحـق ، ويسـتحلون المحرَّمـات المجمـع علـى تحريمهـا ، كالفواحش والخمر ، فـي مثـل شـهر رمضـان ، الـذين أضـاعوا الصلاة واتّبعوا الشهوات ، وخرقـوا سـياج الشـرائع ، واسـتخفّوا بحرمات الدين ، وسلكوا غير طريق المـؤمنين ، فهـم كمـا قيـل فيهم :

الدين يشكـو بليـة من فرقة فلسـفية
لا يشهدون صـلاة إلا لأجـل التقيـة
ولا ترى الشرع إلا سياسـة مدنيـة
ويؤثـرون عليـه منـاهجا فلسفـية

ولكـن هـذا حـال الرافضـة : دائمـا يعـادون أوليـاء اللـه المتقيـن ــ مـن السـابقين الأوليـن ،مـن المهـاجرين والأنصـار ،

---

[1] (1) الآية 53 من سورة الزمر .

والذين اتّبعوا بإحسان ، ويوالون الكفّار والمنافقين . فإن أعظم الناس نفاقا في المنتسبين إلى الإسلام هم الملاحدة الباطنية الإسماعيلية ، فمن احتج بأقوالهم في نصرة قوله ، مع ما تقدم من طعنه على أقوال أئمة المسلمين – كان من أعظم الناس موالاة لأهل النفاق ، ومعاداة لأهل الإيمان .

ومن العجب أن هذا المصنف الرافضي الخبيث الكذّاب المفتري ، يذكر أبا بكر وعمر وعثمان ، وسائر السابقين والأوَّلين والتابعين ، وسائر أئمة المسلمين ، من أهل العلم والدين بالعظائم التي يفتريها عليهم هو وإخوانه، ويجيء إلى من قد اشتُهر عند المسلمين بمحادته لله ورسوله ، فيقول : ((قال شيخنا الأعظم)) ، ويقول ((قدس الله روحه)) مع شهادته بالكفر عليه وعلى أمثاله ،ومع لعنة طائفته لخيار المؤمنين من الأولين والآخرين .

وهؤلاء داخلون في معنى قوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً . أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا** ﴾[1].

فإن هؤلاء الإمامية أوتوا نصيبا من الكتاب ، إذ كانوا مقرِّين ببعض ما في الكتاب المنزَّل ، وفيهم شعبة من الإيمان بالجبت وهو السحر ، والطاغوت وهو كل ما يعبد من دون الله ، فإنهم يعظِّمون الفلسفة المتضمنة لذلك ، ويرون الدعاء والعبادة للموتى ، واتخاذ المساجد على القبور ، ويجعلون السفر إليها حجا له مناسك ، ويقولون : ((مناسك حج المشاهد)).

وحدثني الثقات أن فيهم من يرون الحج إليها أعظم من الحج إلى البيت العتيق، فيرون الإشراك بالله أعظم من عبادة الله ، وهذا من أعظم الإيمان بالطاغوت .

وهم يقولون لمن يقرُّون بكفره من القائلين بقدم العالم ودعوة الكواكب، والمسوِّغين للشرك : هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا ، فإنهم فضّلوا هؤلاء الملاحدة المشركين على السابقين الأوَّلين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان. وليس هذا ببدع من الرافضة ، فقد عُرف من موالاتهم

---

[1](1) الآيتان 51-52 من سورة النساء .

لليهود والنصارى والمشركين ،ومعاونتهم على قتال المسلمين ، ما يعرفه الخاص والعام ، حتى قيل : أنه ما اقتتل يهودي ومسلم ، ولا مشرك ومسلم – إلا كان الرافضي مع اليهودي والنصراني والمشرك.

الوجه الثالث : أنه قد عرف كل أحد أن الإسماعيلية والنصيرية هم من الطوائف الذين يظهرون التشيع ، وإن كانوا في الباطن كفّاراً منسلخين عن كل ملة ، والنصيرية هم من غلاة الرافضة الذين يدّعون إلهية عليّ وهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى باتفاق المسلمين .

والإسماعيلية الباطنية أكفر منهم ، فإن حقيقة قولهم التعطيل . أما أصحاب الناموس الأكبر والبلاغ الأعظم ، الذي هو آخر المراتب عندهم ، فهم من الدهرية القائلين بأن العالم لا فاعل له : لا علة ولا خالق . ويقولون : ليس بيننا وبين الفلاسفة خلاف إلا في واجب الوجود ، ، فإنهم يثبتونه ، وهو شيء لا حقيقة له ، ويستهزئون بأسماء الله عز وجل ، ولا سيما هذا الاسم الذي هو الله ، فإن منهم من يكتبه على أسفل قدميه ويطؤه .

وأما من هو دون هؤلاء فيقول بالسابق وبالتالي ، الذين عبّروا بهما عن العقل والنفس عند الفلاسفة ، وعن النور والظلمة عند المجوس ، وركّبوا لهم مذهبا من مذاهب الصابئة والمجوس ظاهره التشيع .

ولا ريب أن المجوس والصابئة شر من اليهود والنصارى ، ولكن تظاهروا بالتشيع .

قالوا :لأن الشيعة أسرع الطوائف استجابة لنا ، لما فيهم من الخروج عن الشريعة ، ولما فيهم من الجهل وتصديق المجهولات .

ولهذا كان أئمتهم في الباطن فلاسفة ، كالنصير الطوسي هذا ، وكسنان البصري الذي كان بحصونهم بالشام ، وكان يقول : قد رَفَعت عنهم الصوم والصلاة والحج والزكاة .

فإذا كانت الإسماعيلية إنما يتظاهرون في الإسلام بالتشيع ، ومنه دخلوا وبه ظهروا ، وأهله هم المهاجرين إليهم ، لا إلى الله ورسوله ، وهم أنصارهم لا أنصار الله ورسوله – عُلم أن شهادة الإسماعيلية للشيعة بأنهم على حق شهادة مردودة باتفاق العقلاء .

فإن هذا الشاهد : إن كان يعرف أن ما هو عليه مخالف لدين الإسلام في الباطن ، وإنما أظهر التشيع لينفق به عند

المسلمين ، فهو محتاج إلى تعظيم التشيع ، وشهادته له شـهادة المـرء نفسـه ، فهـو كشـهادة الآدمـي لنفسـه ، لكنـه فـي هـذه الشهادة يعلم أنه يكذب ، وإنما كذب فيها كمـا كـذب فـي سـائر أحواله ، وإن كان يعتقـد ديـن الإسـلام فـي البـاطن ، ويظـن أن هؤلاء على دين الإسلام ، كـان أيضـا شـاهداً لنفسـه ، لكـن مـع جهله وضلاله .

وعلى التقديرين فشهادة المـرء لنفسـه لا تُقبـل ، سـواء علم كذب نفسه أو اعتقد صـدق نفسـه . كمـا فـي السـنن عـن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنـه قـال : ((لا تُقبـل شـهادة خصم ولا ظنيـن ولا ذي غمـر علـى أخيـه))[1] . وهـؤلاء خصـمان أظِنّاء متهمون ذو غمر على أهل السـنة والجماعـة ، فشـهادتهم مردودة بكل طريق .

الوجه الرابع : أن يُقال : أولا أنتم قوم لا تحتجون بمثل هذه الأحاديث، فإن هذا الحديث إنما يرويه أهل السـنة بأسـانيد أهل السنة ، والحديث نفسه ليس في الصحيحين ، بل قد طعـن فيه بعض أهل الحديث كابن حزم وغيـره ، ولكـن قـد رواه أهـل السنن ، كأبي داود والترمذي وابن ماجة ، ورواه أهل المسانيد ، كالإمام أحمد وغيره[2] .

فمن أيـن لكـم علـى أصـولكم ثبـوته حـتى تحتجـوا بـه ؟ وبتقدير ثبوته فهو من أخبار الآحاد ، فكيف يجوز أن تحتجوا فـي أصـل مـن أصـول الـدين وإضـلال جميـع المسـلمين – إلا فرقـة واحدة – بأخبار الآحاد التي لا يحتجون هم بها في الفروع العملية ؟!.

وهل هذا إلا من أعظم التناقض والجهل ؟!

الوجه الخامس : أن الحـديث روى تفسـيره فيـه مـن وجهين : أحدهما : أنه صلى الله تعـالى عليـه وسـلم سـأل عـن الفرقة الناجية ، فقال : ((من كان على مثل مـا أنـا عليـه اليـوم وأصحابي)) وفي الرواية الأخرى قال : ((هـم الجماعـة)). وكـل من التفسيرين يناقض قول الإماميـة ، ويقتضـي أنهـم خـارجون عن الفرقة الناجية ، فـإنهم خـارجون عـن جماعـة المسـلمين : يكفرون أو يفسِّقون أئمة الجماعة ، كأبي بكر وعمـر وعثمـان ،

---

[1](1) انظر المسند ج 10 ص 224 وج 11 ص 138 ، 163 تحقيق أحمد شاكر .

[2](2) يعني حديث الافتراق رواه أبو داود ج 5 ص 4 ، 5 والترمذي رقم 3991 في الفتن ، وقال : إنه حسن صحيح وغيرهما وله طرق كثيرة .

دع معاوية وملوك بني أمية وبني العباس ، وكذلك يكفِّرون أو يفسِّقون علماء الجماعة وعبّادهم ، كمالك والثوري والأوزاعي والليث بن سعد وأبي حنيفة والشافعي وأحمد وإسحاق وأبي عبيد وإبراهيم بن أدهم والفضيل بن عياض وأبي سليمان الداراني ومعروف الكرخي وأمثال هؤلاء ، وهم أبعد الناس عن معرفة سير الصحابة والإقتداء بهم ، لا في حياة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولا بعده ، فإن هذا إنما يعرفه أهل العلم بالحديث والمنقولات ، والمعرفة بالرجال الضعفاء والثقات ، وهم من أعظم الناس جهلا بالحديث وبغضا له ، ومعاداة لأهله ، فإذا كان وصف الفرقة الناجية : أتباع الصحابة على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وذلك شعار السنة والجماعة – كانت الفرقة الناجية هم أهل السنة والجماعة ، فالسنة ما كان صلى الله تعالى عليه وسلم هو وأصحابه عليه في عهده ، مما أمرهم به وأقرَّهم عليه أو فعله هو ، والجماعة هم المجتمعون الذين ما فرَّقوا دينهم وكانوا شيعا ، فالذين فرَّقوا دينهم وكانوا شيعا خارجون عن الجماعة قد برَّأ الله نبيه منهم ، فعُلم بذلك أن هذا وصف أهل السنة و الجماعة ، لا وصف الرافضة، وأن هذا الحديث وصف الفرقة الناجية باتّباع سنته التي كان عليها هو وأصحابه ، وبلزوم جماعة المسلمين .

فإن قيل : فقد قال في الحديث : « من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي » ، فمن خرج عن تلك الطريقة بعده لم يكن على طريقة الفرقة الناجية ، وقد ارتد ناس بعده فليسوا من الفرقة الناجية .

قلنا : نعم وأشهر الناس بالردة خصوم أبي بكر الصديق وأتباعه كمسيلمة الكذَّاب وأتباعه وغيرهم . وهؤلاء تتولاهم الرافضة كما ذكر ذلك غير واحد من شيوخهم ، مثل هذا الإمامي وغيره ، ويقولون : إنهم كانوا على حق ، وأن الصديق قاتلهم بغير حق . ثم مِن أظهر الناس ردة الغالية الذين حرَّقهم علي بالنار لما ادّعوا فيه الإلهية وهم السبائية أتباع عبد الله بن سبأ الذين أظهروا سب أبي بكر وعمر .

وأول من ظهر عنه دعوى النبوة من المنتسبين إلى الإسلام المختار بن أبي عبيد وكان من الشيعة ، فعُلم أن أعظم الناس ردة هم في الشيعة أكثر منهم في سائر الطوائف ، ولهذا لا يُعرف ردة أسوأ حالا من ردة الغالية كالنصيرية ، ومن ردة الإسماعيلية الباطنية ونحوهم ، وأشهر الناس بقتال المرتدين هو أبو بكر الصديق ، فلا يكون المرتدون في طائفة أكثر منها

في خصوم أبي بكر الصديق ، فدل ذلك على أن المرتدين الذين لم يزالوا مرتدين على أعقابهم ، هم بالرافضة أوْلى منهم بأهـل السنة والجماعة .

وهذا بيِّـن يعرفـه كـل عاقـل يعـرف الإسـلام وأهلـه ، ولا يستريب أحد أن جنـس المرتـدين فـي المنتسـبين إلـى التشـيع أعظم وأفحش كفرا من جنس المرتـدين المنتسـبين إلـى أهـل السنة والجماعة ، إن كان فيهم مرتد.

الوجه السادس : أن يقال : هذه الحجة التي احتـج بهـا الطوسي على أن الإمامية هم الفرقة الناجية كذب في وصفها ، كما هي باطلـة فـي دلالتهـا . وذلـك أن قـوله : ((بـاينوا جميـع المذاهب ، وجميع المذاهب قد اشتركت فـي أصـول العقائـد)) إن أراد بذلك أنهم باينو جميع المذاهب فيما اختصـوا بـه ، فهـذا شأن جميع المذاهب ، فإن الخوارج أيضا بـاينوا جميـع المـذاهب فيما اختصوا به من التكفير بالذنوب ، ومن تكفير علي ، ومن إسقاط طاعة الرسول فيما لم يخبر به عن الله ، وتجويز الظلم عليـه فـي قسْـمهِ والجـور فـي حكمـه ، وإسـقاط اتّبـاع السـنة المتـواترة الـتي تخـالف مـا يُظـن أنـه ظـاهر القـرآن ، كقطـع السارق من المنكب وأمثال ذلك .

الوجه السابع : أن يُقال : مباينتهم لجميع المذاهب هو على فساد قولهم أدل منه على صحة قولهم ؛ فإن مجرد انفراد طائفـة عـن جميـع الطوائـف لا يـدل علـى أنـه هـو الصـواب ، واشتراك أولئك في قول لا يدل على أنه باطل.

فإن قيل : إن النبي صلى الله تعالى عليه وسـلم جعـل أمته ثلاثا وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، فدل على أنهـا لا بد أن تفارق هذه الواحدة سائر الاثنتين وسبعين فرقة .

قلنا : نعم . وكذلك يدل الحـديث علـى مفارقـة الثنـتين وسبعين بعضها بعضا ، كما فـارقت هـذه الواحـدة . فليـس فـي الحديث مـا يـدل علـى اشـتراك الثنـتين والسـبعين فـي أصـول العقائد ، بل ليس في ظاهر الحديث إلا مباينة الثلاث والسـبعين كل طائفة للأخرى . وحينئذ فمعلوم أن جهة الافتراق جهة ذم لا جهـة مـدح ، فـإن اللـه تعـالى أمـر بالجماعـة والائتلاف ، وذم التفريق والاختلاف، فقـال تعـالى : ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْـلِ اللـهِ جميعًا وَلا تَفَرَّقوا** ﴾[1] وقال: ﴿**وَلاَ تَكُونوا كالَّذينَ تَفَرَّقُـوا وَاخْتَلَفوا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْبَيِّنَاتْ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ**

---

[1](1) الآية 103 من سورة آل عمران .

عَظيـمٌ.يَـوْمَ تَبْيَـضّ وُجـوهٌ وَتَسْـوَدُّ وُجـوهٌ فَأَمّـا الَّـذينَ اسْوَدَّتْ وُجوهُهُم[1] **.**

قال ابن عباس وغيره : تبيض وجوه أهـل السـنة وتسـودُّ وجـوه أهل البدعة والفرقة . وقال تعالى : **إِنَّ الَّذينَ فَرَّقوا دِينَهُمْ وَكانوا شِـيَعًا لَسْـتَ مِنْهُـمْ فـي شَـيْءٍ**[2] وقـال : **وَمـا اخْتَلَفَ فيهِ إِلاّ الَّذينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ البَيِّنـاتُ بَغْيًا بَينَهُم**[3] وقال: **وَما تَفَرَّقَ الَّذينَ أُوتوا الكِتابَ إِلاَّ مِنْ بَعدِ ما جاءَتْهُمُ البَيِّنَةُ**[4] .

وإذا كـان كـذلك فـأعظم الطوائـف مفارقـة للجماعـة و افتراقـا فـي نفسـها أولـى الطوائـف الـذم ، و أقلهـا افتراقـا ومفارقة للجماعة أقربها إلى الحق . وإذا كـانت الإماميـة أوْلـى بمفارقة سائر طوائف الأمة فهم أبعد عن الحق ، لا سيما وهـم في أنفسهم أكثر اختلافا من جميع فرق الأمة ، حتى يقال : إنهم ثنتان وسبعون فرقة . وهذا القدر فيما نقله عـن هـذا الطوسـي بعضُ أصحابه، وقال : كـان يقـول : الشـيعة تبلـغ فرقهـم ثنـتين وسبعين فرقة ، أو كمـا قـال . وقـد صـنَّف الحسـن بـن موسـى النوبختي وغيره في تعديد فرق الشيعة .

وأما أهل الجماعة فهم أقل اختلافا في أصول دينهـم مـن سائر الطوائف، وهم أقرب إلى كل طائفة من كـل طائفـة إلـى ضدّها ، فهم الوسط في أهل الإسلام كما أن أهـل الإسـلام هـم الوسط في أهل الملل : هم وسط في باب صفات الله بين أهل التعطيل وأهل التمثيل .

وقـال صـلى اللـه تعـالى عليـه وسـلم : « خيـر الأمـور أوسطها » وحينئذ أهل السنة والجماعة خير الفرق.

وفي باب القدر بين أهل التكذيب به وأهل الاحتجـاج بـه ، وفي باب الأسماء والأحكام بين الوعيدية والمرجئة ، وفـي بـاب الصحابة بين الغلاة والجفاة ، فلا يغلون في عليّ غلو الرافضـة ، ولا يكفِّرونه تكفير الخوارج ، ولا يكفِّـرون أبـا بكـر وعثمـان كمـا تكفِّرهـم الروافـض ، ولا يكفِّـرون عثمـان وعليـا كمـا يُكفرهمـا الخوارج .

---

[1](2) الآيتان 105 ، 106 من سورة آل عمران .
[2](3) الآية 159 من سورة الأنعام .
[3](4) الآية 213 من سورة البقرة .
[4](5) الآية 4 من سورة البينة .

الوجه الثامن : أن يقال : إن الشيعة ليس لهم قول واحد اتفقوا عليه ، فإن القول الذي ذكره هذا قول من أقوال الإمامية ، ومن الإمامية طوائف تخالف هؤلاء في التوحيد والعدل ، كما تقدم حكايته . وجمهور الشيعة تخالف الإمامية في الاثنى عشر ، فالزيدية والإسماعيلية وغيرهم متفقون على إنكار إمامة الاثنى عشر.

وهؤلاء الإمامية الاثنا عشرية يقولون : إن أصول الدين أربعة : التوحيد ، والعدل ، والنبوة ، والإمامة. وهم مختلفون في التوحيد والعدل والإمامة . وأما النبوة فغايتهم أن يكونوا مقرِّين بها كإقرار سائر الأمة. واختلافهم في الإمامة أعظم من اختلاف سائر الأمة ، فإن قالت الاثنا عشرية: نحن أكثر من هذه الطوائف ، فيكون الحق معنا دونهم . قيل لهم : وأهل السنة أكثر منكم ، فيكون الحق معهم دونكم ، فغايتكم أن تكون سائر فرق الإمامية معكم بمنزلتكم مع سائر المسلمين ، والإسلام هو دين الله الذي يجمع أهل الحق .

(فصـــل)

قـال الرافضـي : ((**الـوجه الثـالث:**أن الإماميـة جـازمون بحصـول النجـاة لهـم ولأئمتهـم ، قـاطعون بـذلك ، وبحصول ضدها لغيرهم . وأهـل السـنة لا يجيـزون ولا يجزمـون بـذلك لا لهـم ولا لغيرهـم . فيكـون اتّباع أولئـك أوْلى ، لأنّا لـو فرضنا مثلا خروج شخصين من بغـداد يريـدان الكوفـة ، فوجـدا طريقين سلك كل منهما طريقا ، فخـرج ثـالث يطلـب الكوفـة : فسأل أحدهما : إلى أين تذهب؟ فقال إلي الكوفة . فقـال لـه : هل طريقك توصلك إليها ؟ وهل طريقك آمن أم مخوف ؟ وهـل طريق صاحبك تؤديه إلى الكوفة ؟ وهـل هـو آمـن أم مخـوف ؟ فقال : لا أعلم شيئا من ذلك . ثم سـأل صـاحبه فقـال أعلـم أن طريقـي يوصِّـلني إلـى الكوفـة ، وأنـه آمـن ، وأعلـم أن طريـق صاحبي لا يؤديه إلى الكوفة ، وأنه ليس بـآمن ، فـإن الثـالث إن تابع الأول عدَّه العقلاء سفيها ، وإن تابع الثاني نُسب إلـى الأخـذ بالحزم)) .

هكذا ذكره في كتابه ، والصواب أن يُقال : وسـأل الثـاني فقال له الثاني: لا أعلم أن طريقي تؤديني إلى الكوفة ولا أعلـم أنه آمن أم مخوف .

والجواب على هذا من وجوه :

أحدها :أن يُقال : إن كان اتّباع الأئمة الـذين تُـدَّعى لهـم الطاعة المطلقة، وأن ذلك يوجب لهم النجاة واجبا ، كـان اتّبـاع خلفاء بني أمية الذين كانوا يوجبون طاعة أئمتهم طاعة مطلقــة ويقولون : إن ذلك يوجب النجـاة مصـيبين علـى الحـق ، وكـانوا في سـبِّهم عليـا وغيـره وقتـالهم لمـن قـاتلوه مـن شـيعة علـيّ مصيبين ، لأنهم كانوا يعتقدون أن طاعة الأئمــة واجبـة فـي كـل شيء ، وأن الإمام لا يؤاخذه الله بذنب ، وأنه لا ذنـب لهـم فيمـا أطاعوا فيه الإمام ، بل أولئك أوْلى بالحجة مـن الشـيعة ، لأنهـم كانوا مطيعين أئمة أقامهم الله ونصبهم وأيّـدهم وملّكهـم ، فإذا كان مذهب القدرية أن الله لا يفعل إلا ما هو الأصلح لعباده ،كان تولية أولئك الأئمة مصلحة لعباده .

ومعلوم ان اللطف والمصلحة الـتي حصـلت بهـم أعظـم من اللطف والمصـلحة الـتي حصـلت بإمـام معـدوم أو عـاجز . ولهذا حصل لاتّبـاع خلفـاء بنـي أميـة مـن المصـلحة فـي دينهـم ودنيـاهم ، أعظـم ممـا حصـل لاتّبـاع المنتظـر ؛ فـإن هـؤلاء لـم يحصل لهم إمام يأمرهم بشيء من المعروف ، ولا ينهـاهم عــن شيء من المنكر ، ولا يعينهم على شيء من مصـلحة دينهـم ولا دنياهم ، بخلاف أولئك ؛ فإنهم انتفعوا بأئمتهم منـافع كـثيرة فـي دينهم ودنياهم ، أعظم مما انتفع هؤلاء بأئمتهم .

فتبين أنه إن كانت حجـة هـؤلاء المنتسـبين إلـى مشـايعة عليّ صحيحة ، فحجة أولئك المنتسبين إلى مشـايعة عثمـان أوْلى بالصحة ، وإن كانت باطلـة فهـذه أبطـل منهـا . فـإذا كـان هؤلاء الشيعة متفقين مع سائر أهل السنة على أن جـزم أولئـك بنجاتهم إذا أطاعوا أولئك الأئمة طاعـة مطلقـة خطـأ وضـلال ، فخطأ هؤلاء وضلالهم إذا جزموا بنجـاتهم لطـاعتهم لمـن يـدّعي أنـه نـائب المعصـوم – والمعصـوم لا عيـن لـه ولا أثـر – أعظـم وأعظم ؛ فإن الشيعة ليس لهم أئمة يباشـرونهم بالخطـاب ، إلا شيوخهم الذين يأكلون أموالهم بالباطل، ويصدّونهم عـن سـبيل الله.

الوجه الثاني : أن هذا المثل إنما كان يكون مطابقاً لو ثبت مقدمتان : إحداهما : أن لنا إماما معصـوماً. والثانيـة : أنـه أمر بكذا وكذا . وكلتا المقدمتين غيـر معلومـة ، بـل باطلـة . دع المقدمة الأولـى ، بـل الثانيـة ، فـإن الأئمـة الـذين يـدّعى فيهـم العصمة قد ماتوا منذ سنين كثيرة ، والمنتظر له غائب أكثر مــن أربعمائة وخمسين سنة ، وعنـد آخريـن هـو معـدوم لـم يوجـد . والذين يُطـاعون شـيوخ مـن شـيوخ الرافضـة ، أو كتـب صـنّفها

بعض شيوخ الرافضة ، وذكـروا أن مـا فيهـا منقـول عـن أولئـك المعصـومين . وهـؤلاء الشـيوخ المصـنِّفون ليسـوا معصـومين بالاتفاق ، ولا مقطوعاً لهم بالنجاة .

فإذاً الرافضة لا يتّبعون إلا أئمة لا يقطعـون بنجـاتهم ولا سعادتهم ، فلـم يكونـوا قـاطعين لا بنجـاتهم ، ولا بنجـاة أئمتهـم الذين يباشرونهم بالأمر والنهي ، وهـم أئمتهـم ، وإنمـا هـم فـي انتسابهم إلى أولئـك الأئمـة ، بمنزلـة كـثير مـن أتبـاع شـيوخهم الذين ينتسبون إلى شيخ قد مات من مدة ،ولا يدرون بماذا أمـر ، ولا عماذا نهى ، بل له اتباع يأكلون أموالهم بالباطـل ويصـدون عن سبيل الله ، يأمرونهم بالغلو في ذلك الشيخ وفـي خلفـائه ، وأن يتخذوهم أربابا ، وكما تأمر شـيوخ الشـيعة أتبـاعهم ، وكمـا تأمر شيوخ النصارى أتبـاعهم ، فهـم يـأمرونهم بالإشـراك بـالله وعبادة غير الله ، ويصدونهم عن سـبيل اللـه ، فيخرجـون عـن حقيقة شهادة أن لا إله إلا اللـه وان محمـداً رسـول اللـه ، فـإن التوحيد أن نعبد الله وحده ، فلا يُدعى إلا هو ، ولا يُخشى إلا هو ، ولا يتقى إلا هو ، ولا يتوكل إلا عليـه ، ولا يكـون الـدين إلا لـه ، لا لأحد من الخلق ، وأن لا نتخـذ الملائكـة والنـبيين أربابـاً ، فكيـف بالأئمة والشيوخ والعلماء والملوك وغيرهم !؟

والرسول صلى الله تعالى عليه وسلم هو المبلِّغ عن الله أمره ونهيه ، فلا يُطاع مخلوق طاعة مطلقة إلا هـو ، فـإذا جُعـل الغمام والشيخ كأنه إله يُدعى مع مغيبه وبعـد مـوته ، ويُسـتغاث به ، ويُطلب منه الحوائج ، والطاعة إنما هي لشخص حاضر يأمر بما يريد ، وينهى عمّا يريد كان الميت مشبَّها بالله تعالى، والحي مشبهاً برسول الله صلى اللـه تعـالى عليـه وسـلم ، فيخرجـون عن حقيقة الإسلام الذي أصله شهادة أن لا إله إلا الله ، وشهادة أن محمداً رسول الله .

ثم إن كثيراً منهم يتعلّقون بحكايات تُنقل عن ذلك الشيخ ، وكثير منها كذب عليه ، وبعضها خطأ منه ، فيَعدِلون عن النقـل الصدق عن القائل المعصوم إلى نقل غير مصدَّق عن قائل غيـر معصوم . فـإذا كـان هـؤلاء مخطئيـن فـي هـذا ، فالشـيعة أكـثر وأعظـم خطـأ ، لأنهـم أعظـم كـذبا فيمـا ينقلـونه عـن الأئمـة ، وأعظم غلوا في دعوى عصمة الأئمة .

الوجه الثالث : منع الحكم في هذا المثال الـذي ضـربه وجعلـه أصـلا قـاس عليـه،فـان الرجـل إذا قـال لـه أحـد الرجلين:طريقى آمن يوصلني،وقال لـه الآخـر:لا علـم لـي بـأن طريقي آمن يوصلني،أو قال ذلك الأول ، لم يحسن فـي العقـل

تصديق الأول بمجرد قوله ، بل يجوز عنـد العقلاء أن يكـون هـذا محتالا عليه ، يكذب حتى يصحبه في الطريق فيقتله ويأخذ مـاله ، ويجوز أن يكون جاهلا لا يعرف ما فـي الطريـق مـن الخـوف ، وأما ذاك الرجل فلم يضمن للسائل شيئا ، بل رده إلـى نظـره ، فـالحزم فـي مثـل هـذا أن ينظـر الرجـل أيّ الطريقيـن أولـى بالسلوك : أحد ذينك الطريقين أو غيرهما .

فتبين أن مجـرد الإقـدام علـى الحـزم لا يـدل علـى علـم صـاحبه ولا علـى صـدقه، وأن التوقـف والإمسـاك حـتى يتـبين الدليل هو عادة العقلاء .

الـوجه الرابـع : أن يقـال : قـوله : ((إنهـم جـازمون بحصول النجاة لهم دون أهل السنة)) كذب ، فإنه إن أراد بذلك أن كـل واحـد ممـن اعتقـد اعتقـادهم يـدخل الجنـة ، وإن تَـرَك الواجبـات وفَعَـل المحرمـات ، فليـس هـذا قـول الإماميـة ، ولا يقوله عاقل .

وإن كان حب عليّ حسنة لا يضر معهـا سـيئة ، فلا يضـره ترك الصلوات ، ولا الفجور بالعلويّات ، ولا نيـل أغراضـه بسـفك دماء بني هاشم إذا كان يحب عليًّا .

فإن قالوا : المحبة الصادقة تستلزم الموافقة ، عاد الأمر إلـى أنـه لا بـد مـن أداء الواجبـات وتـرك المحرمـات . وإن أراد بذلك أنهم يعتقدون أن كل من اعتقـد الاعتقـاد الصـحيح ، وأدى الواجبات ، وترك المحرّمـات يـدخل الجنـة – فهـذا اعتقـاد أهـل السنة ؛ فإنهم يجزمون بالنجاة لكل من اتّقى الله ، كما نطق به القرآن.

وإنما يتوقفون في الشخص المعين لعـدم العلـم بـدخوله في المتيقن ، فإنه إذا علم أنه مات علـى التقـوى عُلـم أنـه مـن أهل الجنة . ولهذا يشهدون بالجنة لمن شهد له الرسـول صـلى الله تعالى عليه وسلم ، ولهم فيمن استفاض في النـاس حسـن الثناء عليه قولان .

فتبين أنه ليس في الإمامية جزم محمود اختُصوا بـه عـن أهل السنة والجماعة . وإن قالوا : إنّا نجزم لكل شـخص رأينـاه ملتزماً للواجبات عندنا تاركاً للمحرمات ، بأنه من أهـل الجنـة ، من غير أن يخبرنا بباطنه معصوم . قيل : هذه المسألة لا تتعلق بالإمامية ، بل إن كان إلى هذا طريق صحيح فهو لأهـل السـنة ، وهم بسلوكه أحذق ، وإن لم يكن هنا طريق صـحيح إلـى ذلـك ، كان ذلك قولا بلا علم ، فلا فضيلة فيه ، بل في عدمه .

ففي الجملة لا يدّعون علما صحيحا إلا وأهل السنة أحق به ، وما ادّعوه من الجهل فهو نقص وأهل السنة أبعد عنه .

الوجه الخامس : أن أهل السنة يجزمون بحصول النجاة لأئمتهم أعظم من جزم الرافضة . وذلك أن أئمتهم بعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هم السابقون الأوَّلون من المهاجرين والأنصار ، وهم جازمون بحصول النجاة لهؤلاء ، فإنهم يشهدون ان العشرة في الجنة ، ويشهدون أن الله قال لأهل بدر: ((**اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**)) ، بل يقولون : إنه ((لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة)) كما ثبت ذلك في الصحيح عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم[1] . فهؤلاء أكثر من ألف وأربعمائة إمام لأهل السنة ، يشهدون أنه لا يدخل النار منهم أحد ، وهي شهادة بعلم ، كما دل على ذلك الكتاب والسنة .

الوجه السادس : أن يقال : أهل السنة يشهدون بالنجاة : إما مطلقا ، وإما معينا ، شهادة مستندة إلى علم . وأما الرافضة فإنهم إن شهدوا شهدوا بما لا يعلمون ، أو شهدوا بالزور الذي يعلمون أنه كذب ، فهم كما قال الشافعي رحمه الله : ما رأيت قوما أشهد بالزور من الرافضة .

الوجه السابع : أن الإمام الذي شهد له بالنجاة : إما أن يكون هو المطاع في كل شيء وإن نازعه غيره من المؤمنين ، أو هو مطاع فيما يأمر به من طاعة الله ورسوله ، وفيما يقوله باجتهاده إذا لم يعلم أن غيره أوْلى منه، ونحو ذلك . فإن كان الإمام هو الأول ، فلا إمام لأهل السنة بهذا الاعتبار إلا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وهم يقولون كما قال مجاهد والحاكم ومالك وغيرهم : كل أحد يُؤخذ من قوله ويُترك إلا رسول الله عليه السلام . وهم يشهدون لإمامهم أنه خير الخلائق ، ويشهدون ان كل من ائتم به ، ففعل ما أمر به وترك ما نُهى عنه ، دخل الجنة . وهذه الشهادة بهذا وهذا هم فيها أتم من الرافضة من شهادتهم للعسكريِيْن وأمثالهما بأنه من أطاعهم دخل الجنة .

فثبت أن إمام أهل السنة أكمل ، وشهادتهم له ولهم إذا أطاعوه أكمل ، ولا سواء .

---

[1](1) انظر البخاري ج 3 ص 46 ومسلم ج 2 ص 822.

ولكـن قـال اللـه تعـالى : ﴿**ءآلله خَيْـرٌ أَمَّـا يُشْـرِكون**﴾[1]،فعند المقابلة يُذكر الخير المحض على الشر المحض ، وإن كان الشر المحض لا خير فيه .

وإن أرادوا بالإمام الإمـام المقيَّـد ، فـذاك لا يُـوجب أهـل السنة طاعته ، إن لم يكن ما أمر به موافقا لأمر الإمام المطلق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وهم إذا أطاعوه فيمـا أمر اللـه بطـاعته فيـه ، فإنمـا هـم مطيعـون للـه ورسـوله ، فلا يضرهم توقفهم في الإمام المقيَّد : هل هو في الجنة أم لا ؟ .

الوجه الثامن : أن يُقال : إن اللـه قـد ضـمن السـعادة لمن أطاعه وأطاع رسوله ، وتوعّد بالشقاء لمن لم يفعل ذلـك ، فمناط السعادة طاعة الله ورسوله . كما قال تعـالى : ﴿ **وَمَـن يُطِعْ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلئِكَ مَعَ الَّذينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقينَ والشُّهَداءْ وَالصَّالِحينَ وَحَسَـنَ أولَئِكَ رَفيقًا** ﴾[2] وأمثال ذلك .

وإذا كـان كـذلك واللـه تعـالى يقـول : ﴿ **فـاتَّقوا اللـه مـا اسْتَطَعْتُمْ** ﴾[3] فمـن اجتهـد فـي طاعـة اللـه ورسـوله بحسـب استطاعته كان من أهل الجنة .

فقول الرافضـة : لـن يـدخل الجنّـة إلا مـن كـان إماميـا ، كقول اليهود والنصارى :﴿**لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ، تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُـلْ هَـاتُوا بُرْهَـانَكُمْ إِنْ كُنْتُـمْ صَادِقِين ، بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للـهِ وَهُـوَ مُحْسِـنٌ فَلَـهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون** ﴾[4] .

ومن المعلوم أن المنتظر الذي يـدّعيه الرافضـي لا يجـب على أحد طاعته ، فإنه لا يُعلم له قـول منقـول عنـه ، فـإذاً مـن أطاع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم دخـل الجنـة وإن لـم يؤمن بهذا الإمام ، ومن آمن بهذا الإمام لـم يـدخل الجنـة إلا إذا أطاع الرسول صلى الله تعالى عليـه وسـلم ، فطاعـة الرسـول صلى الله تعالى عليه وسلم هي مدار السـعادة وجـودا وعـدما ، وهي الفارقة بين أهل الجنـة والنـار ، ومحمـد صـلى للـه تعـالى عليه وسـلم فـرّق بيـن النـاس ، واللـه سـبحانه وتعـالى قـد دل

---

(1)[1] الآية 59 من سورة النمل .
(2)[2] الآية 69 من سورة النساء .
(1)[3] الآية 69 من سورة النساء .
(2)[4] الآيتان 111 ، 112 من سورة البقرة .

الخلق على طاعته بما بينه لهم ، فتبين أن أهل السـنة جـازمون بالسعادة والنجاة لمن كان من أهل السنّة .

(فصـــل)

قال الرافضي: الـوجه الرابـع : أن الإماميـة أخـذوا مذهبهم عـن الأئمـة المعصـومين المشـهورين بالفضـل والعلـم ولزهد والورع ، والاشتغال في كل وقت بالعبادة والـدعاء وتلاوة القرآن ،والمداومة على ذلك من زمن الطفولة إلى آخر العمر ، ومنهم من يعلم الناس العلوم ، ونزل في حقهم : ﴿**هـلْ أَتَـى** ﴾ وآية الطهارة ، وإيجاب المودة لهم ، وآيـة الابتهـال وغيـر ذلـك . وكان عليّ ﷺ يصلّي في كل يوم وليلة ألف ركعة ، ويتلـو القـرآن مع شدّة ابتلائه بالحروب والجهاد .

فأولهم علـيّ بـن أبـي طـالب ﷺ كـان أفضـل الخلـق بعـد رسول الله ﷺ وجعله الله نفس رسول الله حيث قال:﴿**وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ** ﴾[1] وواخـاه رسـول اللـه وزوّجـه ابنتـه ، وفَضْـلُهُ لا يخفـى وظهـرت منـه معجـزات كـثيرة ، حـتى ادَّعـى قـوم فيـه الربوبية وقتلهم ، وصار إلـى مقـالتهم آخـرون إلـى هـذه الغايـة كالغلاة والنصيرية . وكان ولداه سبطا رسول الله ﷺ سيدا شباب أهل الجنة ، إمامين بنص النبي صلى اللـه تعـالى عليـه وسـلم ، وكانا أزهد الناس وأعلمهم في زمانهما ، وجاهـدا فـي اللـه حـق جهاده حتى قتلا ، ولبس الحسن الصوف تحت ثيابه الفاخرة من غير أن يشعر أحد بـذلك ، وأخـذ النـبي صـلى اللـه تعـالى عليـه وسلم يوما الحسين على فخذه الأيمـن ، وإبراهيـم علـى فخـذه الأيسر ، فنزل جبرائيل عليه السـلام وقـال: إن اللـه تعـالى لـم يكن ليجمع لك بينهمـا ، فـاختر مـن شـئت منهمـا ، فقـال النـبي صلى الله تعالى عليه وسلم : إذا مات الحسين بكيت أنـا وعلـيّ وفاطمـة ، وإذا مـات إبراهيـم بكيـت أنـا عليـه ، فاختـار مـوت إبراهيم فمات بعد ثلاثة أيام ، وكـان إذا جـاء الحسـين بعـد ذلـك يقبله ويقول : أهلا ومرحبا بمن فديته بابني إبراهيم .

وكان علي بن الحسين زين العابدين يصوم نهاره ويصوم ليله ، ويتلو الكتاب العزيز ، ويصلّي كل يـوم وليلـة ألـف ركعـة ، ويدعو كل ركعتين بالأدعية المنقولة عنـه وعـن آبـائه ثـم يرمـي

---

[1](1) الآية 61 من سورة آل عمران .

الصحيفة كالمتضجر ، ويقول : أنّى لي بعبادة عليّ ، وكان يبكي كثيراً حتى أخذت الدموع من لحم خديه ، وسجد حتى سمى ذا الثَفِنات ، وسماه رسول الله سيد العابدين .

وكان قد حج هشام بن عبد الملك فاجتهد أن يستلم الحجر فلم يمكنه من الزحام ، فجاء زين العابدين فوقف الناس له وتَنَحَّوْا عن الحجر حتى استلمه ، ولم يبق عند الحجر سواه ، فقال هشام بن عبد الملك : من هذا فقال الفرزدق وذكر أبيات الشعر المشهورة فبعث إليه الإمام زين العابدين بألف دينار ، فردها ، وقال: إنما قلت هذا غضباً لله ولرسوله ، فما آخذ عليه أجرا ، فقال عي بن الحسين : نحن أهل بيت لا يعود إلينا ما خرج منا فقبلها الفرزدق .

وكان بالمدينة قوم يأتيهم رزقهم ليلا ولا يعرفون ممن هو ، فلما مات زين العابدين ، انقطع ذلك عنهم وعرفوا أنه كان منه .

وكان ابنه محمد الباقر أعظم الناس زهداً وعبادة ، بَقَرَ السجودُ جبهتَه، وكان أعلم أهل وقته ، سمَّاه رسول الله الباقر ، وجاء جابر بن عبد الله الأنصاري إليه وهو صغير في الكُتَّاب ، فقال له : جدّك رسول الله يسلّم عليك . فقال : وعلى جدّي السلام . فقيل لجابر كيف هو ؟ قال كنت جالساً عند رسول الله والحسين في حجره وهو فهذا لو قُدِّر أن جميع الناس ظهر منهم الأمر بقتله ، فكيف وجمهورهم أنكروا قتله ، ودافع عنه من دافع في بيته ، كالحسن بن عليّ وعبد الله بن الزبير وغيرهما ؟

ثم دعوى المدّعي الإجماع على قتل عثمان مع ظهور الإنكار من جماهير الأمة له وقيامهم في الانتصار له والانتقام ممن قتله،أظهر كذبا من دعوى المدّعى إجماع الأمة على قتل الحسين .

فلو قال قائل:إن الحسين قتل بإجماع الناس،لان الذين قاتلوه وقتلوه لم يدفعهم أحد عن ذلك،لم يكن كذبه بأظهر من كذب المدّعى للإجماع على قتل عثمان؛فإن الحسين لم يعظم إنكار الأمة لقتله،كما عظم إنكارهم لقتل عثمان،ولا انتصر له جيوش كالجيوش الذين انتصرت لعثمان،ولا انتقم أعوانه من أعدائه كما انتقم أعوان عثمان من أعدائه،ولا حصل بقتله من الفتنة والشر والفساد ما حصل بقتل عثمان، ولا كان قتله أعظم إنكاراً عند الله وعند رسوله وعند المؤمنين من قتل

عثمان؛فإن عثمان من أعيان السابقين الأولين مـن المهـاجرين من طبقة عليّ وطلحة والزبير ، وهو خليفة للمسـلمين أجمعـوا على بيعته ، بل لم يُشْهر في الأمـة سـيفاً ولا قتـل علـى ولايتـه أحداً ، وكان يغزو بالمسـلمين الكفّـار بالسـيف ، وكـان السـيف في خلافته كما كـان فـي خلافـة أبـي بكـر وعمـر مسـلولا علـى الكفَّار ، مكفوفا عن أهل القبلة .

وأما قوله : ((إن عائشة كانت في كل وقت تأمر بقتل عثمان ، وتقول في كل وقت:اقتلوا نعثلا ، قتل اللـه نعثلا ، ولمـا بلغها قتله فرحت بذلك)).

فيقال له : أولا : أين النقل الثابت عن عائشة بذلك ؟

ويقال : ثانيا : المنقول الثابت عنها يكذّب ذلـك ، ويـبين أنها أنكرت قتله ، وذمّت مـن قتلـه ، ودعـت علـى أخيهـا محمـد وغيره لمشاركتهم في ذلك .

ويقال : ثالثا : هب أن واحدا مـن الصـحابة : عائشـة أو غيرها قال في ذلك على وجه الغضب ، لإنكاره بعـض مـا ينكـر ، فليس قوله حجة ، ولا يقدح ذلك لا في إيمان القائل ولا المقـول له ، بل قد يكون كلاهما وليًّا لله تعالى مـن أهـل الجنـة ، ويظـن أحدهما جواز قتل الآخر ، بل يظن كفره ، وهو مخطئ فـي هـذا الظن .

والكلام في النـاس يجـب أن يكـون فـي علـم وعـدل ، لا بجهل وظلم ، كحال أهل البدع ؛ فإن الرافضة تعمـد إلـى أقـوام متقاربين في الفضـيلة ، تريـد أن تجعـل أحـدهما معصـوماً مـن الـذنوب والخطايـا ، والآخـر مأثومـاً فاسـقا أو كـافرا ، فيظهـر جهلهم وتناقضهم ، كاليهودي والنصـراني إذا أراد أن يثبـت نبـوّة موسى أو عيسى ، مع قدحه في نبوة محمد ، فإنه يظهر عجزه وجهله وتناقضه .

وأما قوله : ((إنها سألت من تولّى الخلافـة ؟ فقـالوا : عليّ فخرجت لقتاله على دم عثمان فـأي ذنـب كـان لعلـيّ فـي ذلك ؟)).

فيقـال لـه : أولا : قـول القائـل إن عائشـة وطلحـة والزبير اتهموا عليًّا بأنه قتل عثمان وقاتلوه على ذلك –كذب بيّن ، بل إنما طلبوا القتلة الذين كانوا تحيّزوا إلى عليّ ،وهم يعلمون أن براءة عليّ مـن دم عثمـان كـبراءتهم وأعظـم ، لكـن القتلـة كانوا قد أووا إليه ، فطلبوا قتل القتلة ، ولكن كانوا عاجزين عـن ذلك هم وعليّ ، لأن القوم كانت لهم قبائل يذبُّون عنهم .

والفتنة إذا وقعت عجز العقلاء فيها عن دفع السفهاء ، فصار الأكابر رضى الله عنهم عاجزين عن إطفاء الفتنة وكف أهلها . وهذا شأن الفتن كما قال تعالى : ﴿ **وَاتّقُوا فِتْنَةً لاَ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَةً** ﴾[1] .وإذا وقعت الفتنة لم يسلم من التلوث بها إلا من عصمه الله .

وأيضا قوله : ((أي ذنب كان لعليّ في قتله؟)) .

تناقض منه ، فإنه يزعم أن عليًّا كان ممن يستحل قتله وقتاله ، وممن ألّب عليه وقام في ذلك ، فإن عليًّا ﷺ نسب به إلى قتل عثمان كثير من شيعته ومن شيعة عثمان ، هؤلاء لبغضهم لعثمان وهؤلاء لبغضهم لعليّ ، وأما جماهير المسلمين فيعلمون كذب الطائفتين عَلَى عليّ .

والرافضة تقول : إن عليّا كان ممن يستحل قتل عثمان ، بل وقتل أبي بكر وعمر ، وترى أن الإعانة على قتله من الطاعات والقربات . فكيف يقول من هذا اعتقاده : أيّ ذنب كان لعليّ على ذلك ؟ وإنما يليق هذا التنزيه لعليّ بأقوال أهل السنة ، لكن الرافضة من أعظم الناس تناقضا .

وأما قوله : ((وكيف استجاز طلحة والزبير وغيرهما مطاوعته على ذلك ؟ وبأي وجه يلقون رسول الله ﷺ؟ مع ان الواحد منا لو تحدث مع امرأة غيره وأخرجها من منزلها وسافر بها كان أشد الناس عداوة له)) .

فيقال : هذا من تناقض الرافضة وجهلهم ؛ فإنهم يرمون عائشة بالعظائم ، ثم منهم من يرميها بالفاحشة التي برَّأها الله منها ، وأنزل القرآن في ذلك .

ثم إنهم لفرط جهلهم يدّعون ذلك في غيرها من نساء الأنبياء ، فيزعمون أن امرأة نوح كانت بَغِيًّا ، وأن الابن الذي دعاه نوح لم يكن منه وإنما كان منها ، وأن معنى قوله : ﴿ **إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ** ﴾[2] .أن هذا الولد من عملٍ غير صالح . ومنهم من يقرأ : ﴿**وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ** ﴾[3] . يريدون : ابنها ، ويحتجون بقوله : ﴿ **إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ** ﴾ . و يتأوّلون قوله تعالى :

---

(1)[1] الآية 25 من سورة الأنفال .

(1)[2] الآية 46 من سورة هود .

(2)[3] الآية 42 من سورة هود .

 ضرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُـوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِـنْ عِبَادِنَـا صَـالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَـا [1] على أن امرأة نوح خانته في فراشه، وأنها كانت قَحبة .

وضاهوا في ذلك المنافقين والفاسقين أهل الإفك الـذين رموا عائشة بالإفك والفاحشة ولم يتوبوا ، و فيهم خطب النـبي فقال :« يا أيها الناس من يعذرني مـن رجـل بلغنـي أذاه فـي أهلي ، والله ما علمت علـى أهلـي إلا خيـرا،ولقـد ذكـروا رجلا ، والله ما علمت عليه إلا خيرا »[2] .

ومـن المعلـوم أنـه مـن أعظـم أنـواع الأذى للإنسـان أن يكذب على امرأتـه رجـل ويقـول إنهـا بغـى ويجعـل الـزوج زوج قحبة ، فإن هذا من أعظم ما يشـتم بـه النـاس بعضـهم بعضـا ، حتى أنهم يقولون في المبالغة : شتمه بـالزاى والقـاف مبالغـة في شتمه .

والرمي بالفاحشة – دون سائر المعاصي – جعل الله فيه حد القذف ، لأن الأذى الذي يحصل بـه للمرمـى لا يحصـل مثلـه بغيره ،فإنه لو رُمِيَ بالكفر أمكنه تكذيب الرامي بما يظهره من الإسـلام ، بخلاف الرمـي بالفاحشـة ؛ فـإنه لا يمكنـه تكـذيب المفترى بما يضاد ذلك ، فإن الفاحشة تخفى وتكتم مـع تظـاهر الإنسان بخلاف ذلك ، وأما أهل السنة فعندهم أنه ما بغت امرأة نبي قط ، وأن ابن نوح كان ابنه . كما قال الله تعالى وهو أصدق القائلين : **وَنَادَى نُوحٌ ابْنَه** ، وكمـا قـال نـوح : **يـا بُنـيَّ ارْكَبْ مَعَنَا** ،وقال: **إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي**.

فالله ورسوله يقـولان : إنـه ابنـه ، وهـؤلاء الكـاذبون المفـترون المؤذون للأنبياء يقولون : إنه ليس ابنه . والله تعالى لـم يقـل : إنه ليس ابنك، ولكن قال: **إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ** .

ثم مـن جهـل الرافضـة أنهـم يعظّمـون أنسـاب الأنبيـاء : آباءهم وأبناءهم ويقدحون في أزواجهم ؛ كل ذلك عصبية واتّبـاع هوى حتى يعظّمون فاطمة والحسن والحسين ، ويقـدحون فـي عائشة أم المؤمنين ، فيقولون – أو من يقول منهم - :إن آزر أبا إبراهيم كان مؤمنـا ، وأن أبـوي النـبي كانـا مـؤمنَيْنِ، حـتى لا يقولون : إن النبي يكون أبوه كافرا ، فإذا كان أبوه كافرا أمكـن أن يكون ابنه كافراً ، فلا يكون في مجرد النسب فضيلة .

---

[1](3) الآية 10 من سورة التحريم .

[2](4) رواه البخاري : 3/173 وغيره وتقدم ص .

وأما قوله : ((كيف أطاعها على ذلـك عشـرات ألـوف من المسلمين وساعدوها على حرب أمير المؤمنين ، ولم ينصر أحد منهم بنت رسول الله ﷺ لما طلبت حقّها من أبي بكر ﷺ ، ولا شخص واحد كلّمه بكلمة واحدة)) .

فيقال : أولا : هذا مـن أعظـم الحجـج عليـك ؛ فـإنه لا يشك عاقل أن القـوم كـانوا يحبـون رسـول اللـه ﷺ ويعظمـونه ويعظمون قبيلته وبنته أعظم مما يعظمون أبا بكر وعمر،ولو لم يكن هو رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم.فكيـف إذا كـان هـو رسول الله ﷺ الذي هـو أحـب إليهـم مـن أنفسـهم وأهليهـم؟ولا يستريب عاقل أن العرب-قريشا وغير قريش-كانت تـدين لبنـي عبد مناف وتعظّمهم أعظم مما يعظّمون بني تيم وعـدي،ولهـذا لما مات رسول اللـه ﷺوتـولّى أبـو بكـر،قيـل لأبـي قحافـة:مـات رسول الله ﷺ.فقال:حدث عظيم،فمن ولي بعده؟ قالوا أبو بكـر. قال : أو رضيت بنو عبد مناف وبنو مخزوم ؟ قالوا : نعم . قال : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، أو كما قال .

ولهذا جاء أبو سفيان إلى عليّ فقال : أرضـيتم أن يكـون هذا الأمر في بني تيم ؟ فقـال : يـا أبـا سـفيان إن أمـر الإسـلام ليس كأمر الجاهلية ، أو كما قال.

فـإذا كـان المسـلمون كلهـم ليـس فيهـم مـن قـال : إن فاطمة رضى الله عنها مظلومة ، ولا أن لها حقًّـا عنـد أبـي بكـر وعمر رضى الله عنهما ولا أنهما ظلماها ، ولا تكلّم أحد في هــذا بكلمة واحدة-دل ذلك على أن القوم كانوا يعلمـون أنهـا ليسـت مظلومة ، إذ لو علموا أنها مظلومة لكان تركهـم لنصـرتها : إمـا عجزا عن نصرتها ، وإما إهمالا وإضاعة لحقها ، وإما بغضا فيهـا ، إذ الفعل الذي يقدر عليه الإنسان إذا أراده إرادة جازمة فعلــه لا محالة ، فإذا لم يرده – مع قيام المقتضى لإرادته –فإما أن يكون جاهلا به ، أو له معارض يمنعه من إرادته ، فلـو كـانت مظلومـة مع شرفها وشـرف قبيلتهـا وأقاربهـا ، وأن أباهـا أفضـل الخلـق وأحبهـم إلـى أمتـه ، وهـم يعلمـون أنهـا مظلومـة –لكـانوا إمـا عاجزين عن نصرتها ، وإما أن يكون لهـم معـارض عـارض إرادة النصر مع بغضها ، وكلا الأمرين باطل ؛ فإن القوم ما كانوا كلهم عاجزين أن يتكلم واحد منهم بكلمة حق ،وهم كانوا أقـدر علـى تغيير ما هو أعظم من هذا .

وهذا وغيـره ممـا يـبيّن أن الأمـر علـى نقيـض مـا تقـوله الرافضة من أكاذيبهم ، وأن القوم كانوا يعلمـون أن فاطمـة لـم

تكن مظلومة أصلا ، فكيف ينتصر القوم لعثمان حتى سفكوا دماءهم ، ، ولا ينتصرون لمن هو أحب إليهم من عثمان ،وهو رسول الله وأهل بيته ؟!

(فصـــــل)

قال الرافضي : ((وسمّوها أم المؤمنين ولم يسمّوا غيرها بذلك ، ولم يسمّوا أخاها محمد بن أبي بكر- مع عظم شأنه وقربه من منزلة أبيه وأخته عائشة أم المؤمنين – فلم يسموه خال المؤمنين ، وسموا معوية بن أبي سفيان خال المؤمنين ، لأن أخته أم حبيبة بنت أبي سفيان إحدى زوجات النبي ، وأخت محمد بن أبي بكر وأبوه أعظم من أخت معاوية ومن أبيها)) .

والجـــواب أن يقـــال : أمـــا قـــوله ((إنهـــم ســـموا عائشةرضى الله عنها أم المؤمنين ولم يسموا غيرها بذلك)).

فهذا من البهتان الواضح الظاهر لكل أحد ، وما أدرى هل هذا الرجل وأمثاله يتعمّدون الكذب ، أم أعمى الله أبصارهم لفرط هواهم ، حتى خفى عليهم أن هذا كذب ؟ وهم ينكرون على بعض النواصب أن الحسن لما قال لهم أما تعلمون أني ابن فاطمة بنت رسول الله ؟ قالوا : والله ما نعلم ذلك . وهذا لا يقوله ولا يجحد نسب الحسين إلا متعمداً للكذب والافتراء ، ومن أعمى الله بصيرته باتّباع هواه حتى يخفى عليه مثل هذا ؟ فإن عين الهوى عمياء . والرافضة أعظم جحداً للحق تعمدا ، وأعمى من هؤلاء ؛ فإن منهم – من المنتسبين إليهم – كالنصيرية وغيرهم من يقول : إن الحسن و الحسين ما كانا أولاد عليّ ، بل أولاد سلمان الفارسي . ومنهم من يقول : إن عليًّا لم يمت، وكذلك يقولون عن غيره .

ومنهم من يقول : إن أبا بكر وعمر ليسا مدفونين عند النبي صلى الله عليه وسلم،ومنهم من يقول:إن رقية وأم كلثوم زوجتى عثمان ليستا بنتى النبي صلى الله عليه وسلم،ولكن هما بنتا خديجة من غيره.ولهم في المكابرات وجحد العلومات بالضرورة أعظم مما لأولئك النواصب الذين قتلوا الحسين.وهذا مما يبين أنهم أكذب وأظلم وأجهل من قتلة الحسين.

وذلك أنه من المعلوم أن كل واحدة من أزواج النبي يقال لها ((أم المؤمنين))عائشة،وحفصة،و زينب بنت جحش ،وأم سلمة ،و سودة بنت زمعة،وميمونة بنت الحارث الهلالية،وجويرية بنت الحارث المصطلقية،وصفية بنت حي بن

أخطب الهارونية،رضي الله عنهن.وقد قال الله تعالى:﴿**النبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم**﴾[1] . وهذا أمر معلوم للأمة علما عاما،وقد أجمع المسلمون على تحريم نكاح هؤلاء بعد موته على غيره،وعلى وجوب احترامهن؛ فهن أمهات المؤمنين في الحرمة والتحريم،ولسن أمهات المؤمنين في المحرمية،فلا يجوز لغير أقاربهن الخلوة بهن،ولا السفر بهن،كما يخلو الرجل ويسافر بذوات محارمه.

وأما قوله:((وعظم شأنه)).

فإن أراد عظم نسبه،فالنسب لاحرمة له عندهم،لقدحهم في أبيه وأخته.وأما أهل السنة فإنما يعظّمون بالتقوى،لا بمجرد النسب.قال تعالى:﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُم**﴾[2] . وإن أراد عظم شأنه لسابقته وهجرته ونصرته وجهاده ، فهو ليس من الصحابة : لا من المهاجرين ولا من الأنصار . وإن أراد بعظم شأنه أنه كان من أعلم الناس وأدْيَنهم ، فليس الأمر كذلك .

وأما قوله : ((وأخت محمد وأبوه أعظم من أخت معاوية وأبيها)) .

فيقال : هذه الحجة باطلة على الأصلين . وذلك أن أهل السنة لا يفضلون الرجل إلا بنفسه ، فلا ينفع محمداً قربه من أبي بكر وعائشة ، ولا يضر معاوية أن يكون ذلك أفضل نسبا منه ، وهذا أصل معروف لأهل السنة، كما لم يضر السابقين الأوّلين من المهاجرين والأنصار الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا ، كبلال وصهيب وخبّاب وأمثالهم ، أن يكون من تأخر عنهم من الطلقاء وغيرهم ، كأبي سفيان بن حرب وابنيه معاوية ويزيد وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب ونحوهم ، أعظم نسبا منهم .

(فصـــل)

قال الرافضي : ((مع أن رسول الله لعن معاوية الطليق بن الطليق اللعين بن اللعين ، وقال : إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه . وكان من المؤلفة قلوبهم ، وقاتل عليًّا وهو عندهم رابع الخلفاء ، إمام حق ، وكل من حارب إمام حق فهو باغ ظالم)) .

---

[1] (1) الآية 6 من سورة الأحزاب .

[2] (1) الآية 13 من سورة الحجرات.

قال : ((وسبب ذلك محبة محمد بن أبي بكر لعليّ عليه السلام ، ومفارقته لأبيه ، وبغض معاوية لعليّ ومحاربته له . وسموه كاتب الوحي ولم يكتب له كلمة واحدة من الوحي ، بل كان يكتب له رسائل . وقد كان بين يدي النبي أربعة عشر نفسا يكتبون الوحي ، أولهم وأخصهم وأقربهم إليه عليّ بن أبي طالب عليه السلام،مع أن معاوية لم يزل مشركا بالله تعالى في مدة كون النبي مبعوثا يكذّب بالوحي ويهزأ بالشرع)).

والجواب:أن يقال((أما ما ذكره من أن النبي لعن معاوية وأمر بقتله إذا رؤى على المنبر ،فهذا الحديث ليس في شيء من كتب الإسلام التي يرجع إليها في علم النقل،وهو عند أهل المعرفة بالحديث كذب موضوع مختلق على النبي صلى الله عليه وسلم،وهذا الرافضي الراوي له لم يذكر له إسنادا حتى ينظر فيه،وقد ذكره أبو الفرج بن الجوزي في الموضوعات.

ومما يبيّن كذبه أن منبر النبي قد صعد عليه بعد معاوية من كان معاوية خيراً منه باتفاق المسلمين.فإن كان يجب قتل من صعد عليه لمجرد الصعود على المنبر،وجب قتل هؤلاء كلهم.ثم هذا خلاف المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام، فإن مجرد صعود المنبر لا يبيح قتل مسلم.وإن أمر بقتله لكونه تولّى الأمر وهو لا يصلح،فيجب قتل كل من تولّى الأمر بعد معاوية ممن معاوية أفضل منه.وهذا خلاف ما تواترت به السنن عن النبي من نهيه عن قتل ولاة الأمور وقتالهم،كما تقدم بيانه.

ثم الأمة متفقة على خلاف هذا ؛ فإنها لم تقتل كل من تولّى أمرها ولا استحلّت ذلك .ثم هذا يوجب من الفساد والهرج ما هو أعظم من ولاية كل ظالم ، فكيف يأمر النبي بشيء يكون فعله أعظم فسادا من تركه ؟ !

وأما قوله : ((إنه الطليق ابن الطليق)) .

فهذا ليس نعت ذم ، فإن الطلقاء هم مسلمة الفتح ، الذين أسلموا عام فتح مكة ، وأطلقهم النبي ، وكانوا نحواً من ألفَيْ رجل ، وفيهم من صار من خيار المسلمين ، كالحارث بن هشام ، وسهل بن عمرو ، وصفوان بن أميّة ، وعكرمة بن أبي جهل ، ويزيد بن أبي سفيان ، وحكيم بن حزام ، وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم النبي الذي كان يهجوه ثم حسن إسلامه، وعتّاب بن أسيد الذي ولاّه النبي مكة لما فتحها ، وغير هؤلاء ممن حَسُنَ إسلامه .

ومعاوية ممن حَسُن إسلامه باتفاق أهل العلم . ولهذا ولاّه عمر بن الخطاب موضع أخيه يزيد بن أبي سفيان لما مات أخوه يزيد بالشام ، وكان يزيد بن أبي سفيان من خيار الناس ، وكان أحد الأمراء الذين بعثهم أبو بكر وعمر لفتح الشام : يزيد بن أبي سفيان ، وشرحبيل بن حسنة ، وعمرو بن العاص ، مع أبي عُبيدة بن الجراح ، وخالد بن الوليد ، فلما توفي يزيد بن أبي سفيان ولّى عمر مكانه أخاه معاوية ، وعمر لم تكن تأخذه في الله لومة لائم ، وليس هو ممن يحابى في الولاية ، ولا كان ممن يحب أبا سفيان أباه ، بل كان من أعظم الناس عداوة لأبيه أبي سفيان قبل الإسلام ، حتى أنه لما جاء به العباس يوم فتح مكة كان عمر حريصا على قتله ، حتى جرى بينه وبين العباس نوع من المخاشنة بسبب بغض عمر لأبي سفيان . فتولية عمر لابنه معاوية ليس لها سبب دنيوي ، ولولا استحقاقه للإمارة لما أمّره .

وأما قوله : ((كان معاوية من المؤَلَّفة قلوبهم)) .

نعم وأكثر الطلقاء كلهم من المؤلفة قلوبهم ، كالحارث بن هشام ، وابن أخيه عكرمة بن أبي جهل ، وسهيل بن عمرو ، وصفوان بن أمية ، وحكيم بن حزام ، وهؤلاء من خيار المسلمين . والمؤلَّفة قلوبهم غالبهم حسُن إسلامه ، وكان الرجل منهم يُسلم أول النهار رغبة منه في الدنيا ، فلا يجيء آخر النهار إلا والإسلام أحب إليه مما طلعت عليه الشمس .

وأما قوله : ((وقاتل عليًّا وهو عندهم رابع لخلفاء إمام حق ، وكل من قاتل إمام حق فهو باغ ظالم)) .

فيقال له : أولا : الباغي قد يكون متأوّلا معتقدا أنه على حق ، وقد يكون متعمدا يعلم أنه باغٍ ، وقد يكون بَغْيُهُ مركّبا من شبهة وشهوة ، وهو الغالب . وعلى كل تقدير فهذا لا يقدح فيما عليه أهل السنة ؛ فإنهم لا ينزّهون معاوية ولا من هو أفضل منه من الذنوب ، فضلا عن تنزيههم عن الخطأ في الإجتهاد ، بل يقولون : إن الذنوب لها أسباب تُدفع عقوبتها من التوبة والاستغفار ، والحسنات الماحية ، والمصائب المكفِّرة ، وغير ذلك .وهذا أمر يعم الصحابة وغيرهم .

ويقال لهم : ثانيا : أما أهل السنة فأصلهم مستقيم مطّرد في هذا الباب . وأما أنتم فمتناقضون . وذلك أن النواصب – من الخوارج وغيرهم – الذين يكفّرون عليًّا أو يفسِّقونه أو يشكّون في عدالته من المعتزلة والمروانية وغيرهم ، لو قالوا لكم : ما الدليل على إيمان عليّ وإمامته

وعدله ؟ لم يكن لكم حجة ؛ فإنكم إن احتججتم بما تواتر من إسلامه وعبادته ، قالوا لكم : وهذا متواتر عن الصحابة ، والتابعين والخلفاء الثلاثة ، وخلفاء بني أمية كمعاوية ويزيد وعبد الملك وغيرهم ، وأنتم تقدحون في إيمانهم ، فليس قدحنا في إيمان عليّ وغيره إلا وقدحكم في إيمان هؤلاء أعظم ، والذين تقدحون أنتم فيهم أعظم من الذين نقدح نحن فيهم . وإن احتججتم بما في القرآن من الثناء والمدح . قالوا : آيات القرآن عامة تتناول أبا بكر وعمر وعثمان وغيرهم مثل ما تتناول عليًّا وأعظم من ذلك . وأنتم قد أخرجتم هؤلاء من المدح والثناء فإخراجنا عليًّا أيسر . وإن قلتم بما جاء عن النبي في فضائله : قالوا : هذه الفضائل روتها الصحابة الذين رووا فضائل أولئك ، فإن كانوا عدولا فاقبلوا الجميع ، وإن كانوا فسَّاقا فإن جاءكم فاسق بنبأٍ فتبيَّنوا ، وليس لأحد أن يقول في الشهود : إنهم إن شهدوا لي كانوا عدولا ، وإن شهدوا عليّ كانوا فسّاقا ، أو : إن شهدوا بمدح من أحببته كانوا عدولا ، وإن شهدوا بمدح من أبغضته كانوا فسَّاقا .

وأما قوله((إن سبب ذلك محبة محمد بن أبي بكر لعليّ ،ومفارقته لأبيه)) .

فكذب بيّن . وذلك أن محمد بن أبي بكر في حياة أبيه لم يكن إلا طفلا له أقل من ثلاث سنين ، وبعد موت أبيه كان من أشد الناس تعظيما لأبيه، وبه كان يتشرف ، وكانت له بذلك حرمة عند الناس .

وأما قوله : ((إن سبب قولهم لمعاوية : إنه خال المؤمنين دون محمد، إن محمداً هذا كان يحب عليًّا ،ومعاوية كان يبغضه)) .

فيقال : هذا كذب أيضا؛ فإن عبد الله بن عمر كان أحق بهذا المعنى من هذا وهذا ، وهو لم يقاتل لا مع هذا ولا مع هذا ، وكان معظِّما لعليّ ، محباً له ، يذكر فضائله ومناقبه ، وكان مبايعا لمعاوية لما اجتمع عليه الناس غير خارج عليه ، وأخته أفضل من أخت معاوية ، وأبوه أفضل من أبي معاوية ، والناس أكثر محبة وتعظيماً له من معاوية ومحمد ،ومع هذا فلم يشتهر عنه أنه خال المؤمنين . فعُلم أنه ليس سبب ذلك ما ذكره .

(فصـــــل)

وأما قول الرافضي : ((وسمّوه كاتب الوحي ولم يكتب له كلمة واحدة من الوحي)) .

فهذا قول بلا حجة ولا علم ، فما الدليل على أنه لم يكتب كلمة واحدة من الوحي ، وإنما كان يكتب له رسائل ؟

وقوله : ((إن كتاب الوحي كـانوا بضـعة عشـر أخصّـهم وأقربهم إليه عليّ)) .

فلا ريب أن عليًّـا كـان ممـن يكتـب لـه أيضـا ، كمـا كتـب الصلح بينه وبين المشركين عام الحديبية . ولكن كان يكتـب لـه أبو بكر وعمر أيضا ، ويكتب له زيد بن ثابت بلا ريب .

ففي الصحيحين أن زيد بن ثابت لما نزلت: **لاَّ يسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِين**[1] .كتبها له[2] .وكتب له أبو بكر وعمر ، وعثمان ،وعليّ، وعامر بن فهيرة ، وعبد الله بن الأرقم ، وأبيّ بن كعب ، وثابت بن قيس ، وخالد بن سعيد بن العاص،وحنظلة بن الربيع الأسدي ،وزيد بن ثابت ومعاوية،وشُرحبيل بن حسنة رضى الله عنهم .

وأما قوله :((إن معاويـة لـم يـزل مشـركاً مـدة كـون النبي مبعوثا)) .

فيقال : لا ريب أن معاوية وأباه وأخاه وغيرهم أسـلموا عام فتح مكة ، قبل موت النبي بنحو من ثلاث سنين ، فكيـف يكون مشركا مدة المبعث ، ومعاوية كان حيـن بُعـث النـبي صغيرا، كانت هند ترقّصه . ومعاوية أسلم مع مسـلمة الفتـح ، مثل أخيه يزيد ، وسهيل بن عمرو ، وصفوان بن أميـة، وعكرمـة بن أبي جهل ، وأبي سفيان بن حرب وهؤلاء كانوا قبل إسـلامهم أعظم كفراً ومحاربة للنبي من معاوية .

(فصـــــل)

قال الرافضي : ((وكان باليمن يوم الفتح يطعن على رسول الله ، وكتب إلى أبيه صـخر بـن حـرب يعيّـره بإسـلامه ،ويقول : أَصَبَوْتَ إلى دين محمد؟ .

والجواب : أمـا قـوله : ((كـان بـاليمن يطعـن علـى النبي وكتب إلى أبيه صخر بن حرب يعيّره بإسلامه)) .

---

[1](1) الآية 95 من سورة النساء .

[2](2) انظر البخاري :ج 6 ص 48 ، ومسلم : ج 3 ص 1508.

فهذا من الكذب المعلوم ؛ فإن معاوية إنما كان بمكة ، لم يكن باليمن ، وأبوه أسلم قبل دخول النبي مكة بمر الظهران ليلة نزل بها ، وقال له العباس : إن أبا سفيان يحب الشرف . فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((من دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن ألقى السلاح فهو آمن))[1] .

وأما قوله : ((إن الفتح كان في رمضان لثمان من مقدم النبي المدينة)) فهذا صحيح .

وأما قوله : ((إن معاوية كان مقيما على شِرْكِهِ هاربا من النبي ، لأنه كان قدر أهدر دمه، فهرب إلى مكة ، فلما لم يجد له مأوى صار إلى النبي مضطراً ، فأظهر الإسلام ، وكان إسلامه قبل موت النبي بخمسة أشهر)) .

فهذا من أظهر الكذب ؛ فإن معاوية أسلم عام الفتح باتفاق الناس، وقد تقدّم قوله: ((إنه من المؤلفة قلوبهم)) والمؤلفة قلوبهم أعطاهم النبي عام حنين من غنائم هَوَازن ، وكان معاوية ممن أعطاه منها ، والنبي كان يتألّف السادة المطاعين في عشائرهم ، فإن كان معاوية هاربا لم يكن من المؤلفة قلوبهم ، ولو لم يسلم إلا قبل موت النبي بخمسة أشهر لم يُعط شيئاً من غنائم حنين .

ومن كانت غايته أن يؤمن لم يحتج إلى تأليف .

ومما يبين كذب ما ذكره هذا الرافضي أنه لم يتأخر إسلام أحد من قريش إلى هذه الغاية ، وأهل السير والمغازى متفقون على أنه لم يكن معاوية ممن أهدر دمه عام الفتح .

وأما قوله : ((إنه استحق أن يُوصف بذلك دون غيره)) .

ففرية على أهل السنة ؛ فإنه ليس فيهم من يقول : إن هذا من خصائص معاوية ، بل هو واحد من كتاب الوحي . وأما عبد الله بن سعد بن أبي سرح فارتد عن الإسلام ، وافترى على النبي ، ثم إنه عاد إلى الإسلام.

---

[1](1) رواه مسلم 3/1407.

وأما قوله:((إنه نزل فيه : ﴿ ولكن مَّن شرح بالكفر صدراً ﴾[2] الآية.

فهو باطل ؛ فإن هذه الآية نزلت بمكة ، لما أُكره عمَّار وبلال على الكفر . وردة هذا كانت بالمدينة بعد الهجرة ، ولو قُدِّر أنه نزلت فيه هذه الآية؛ فالنبي ﷺ قَبِل إسلامه وبايعه .

وأما قوله : ((وقد روى عبد الله بن عمر قال : أتيت النبي ﷺ فسمعته يقول : ((يطلع عليكم رجل يموت على غير سنتي)) فطلع معاوية . وقام النبي ﷺخطيبا ، فأخذ معاوية بيد ابنه يزيد وخرج ولم يسمع الخطبة ، فقال النبي ﷺ: ((لعن الله القائد والمقود ، أي يوم يكون للأمة مع معاوية ذي الإساءة)) .

فالجواب أن يقال أولا : نحن نطالب بصحة الحديث ؛ فإن الاحتجاج بالحديث لا يجوز إلا بعد ثبوته . ونحن نقول هذا في مقام المناظرة ، وإلا فنحن نعلم قطعا أنه كذب .

ويقال ثانيا : هذا الحديث من الكذب الموضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث ، ولا يوجد في شيء من دواوين الحديث التي يُرجع إليها في معرفة الحديث ، ولا له إسناد معروف .

وهذا المحتج به لم يذكر له إسناد . ثم من جهله أن يروي مثل هذا عن عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمر كان من أبعد الناس عن ثلب الصحابة، وأروى الناس لمناقبهم ، وقوله في مدح معاوية معروف ثابت عنه ، حيث يقول : ما رأيت بعد رسول الله ﷺأسْوَد من معاوية . قيل له : ولا أبو بكر و عمر ؟ فقال : كان أبو بكر وعمر خيرا منه ، وما رأيت بعد رسول الله ﷺأسود من معاوية .

قال أحمد بن حنبل : السيد الحليم يعني معاوية ، وكان معاوية كريما حليما .

ثم إن خطب النبي ﷺ لم تكن واحدة ، بل كان يخطب في الجمع والأعياد والحج وغير ذلك . ومعاوية وأبوه يشهدان الخطب، كما يشهدها المسلمون كلهم . افتراهما في كل خطبة كانا يقومان ويُمَكِّنان من ذلك ؟ هذا قدح في النبي ﷺ وفي سائر المسلمين ، إذ يمكِّنون اثنين دائما يقومان ولا يحضران الخطبة ولا الجمعة . وإن كانا يشهدان كل خطبة ، فما بالهما يمتنعان من سماع خطبة واحدة قبل أن يتكلم بها ؟.

وأما قوله :((إنه بالغ في محاربة علي)) .

---

[2](1) الآية 106 من سورة النحل .

فلا ريب أنه اقتتل العسكران : عسكر علي ومعاوية بصفين ، ولم يكن معاوية ممن يختار الحرب إبتداء ، بل كان من أشد الناس حرصا على أن لا يكون قتال ، وكان غيره أحرص على القتال منه .

(فصـــل)

إذا تبين هذا فيقال : قول الرافضة من أفسد الأقوال وأشدها تناقضا ؛ فإنهم يعظّمون الأمر على من قاتل عليًّا ، ويمدحون من قتل عثمان ، مع أن الذم والإثم لمن قتل عثمان أعظم من الذم والإثم لمن قتل عليًّا ، فإن عثمان كان خليفة اجتمع الناس عليه ، ولم يقتل مسلما ، وقد قتلوه لينخلع من الأمر ، فكان عذره في أن يستمر على ولايته أعظم من عذر عليّ في طلبه لطاعتهم له ، وصَبَرَ عثمان حتى قُتل مظلوما شهيدا من غير أن يدفع عن نفسه ، وعليّ بدأ بالقتال أصحاب معاوية ، ولم يكونوا يقاتلونه ، ولكن امتنع من بيعته .

وإن قيل : إن عثمان فعل أشياء أنكروها .

قيل : تلك الأشياء لم تبح خلعه ولا قتله ، وإن أباحت خلعه وقتله كان ما نقموه على عليّ أوْلى أن يبيح ترك مبايعته .

وأما قوله : « الخلافة ثلاثون سنة » ونحو ذلك . فهذه الأحاديث لم تكن مشهورة شهرة يعلمها مثل أولئك ؛ إنما هي من نقل الخاصة لا سيما وليست من أحاديث الصحيحين وغيرهما.وإذا كان عبد الملك بن مروان خَفِيَ عليه قول النبي لعائشة رضى الله عنها:« لولا أن قومك حديثوعهد بالجاهلية لنقضت الكعبة، ولألصقتها بالأرض، ولجعلت لها بابين»[1] ونحو ذلك حتى هدم ما فعله ابن الزبير ، ثم لما بلغه ذلك قال : وددت أنّي وليته من ذلك ما تولاه . مع أن حديث عائشة رضى الله عنها ثابت صحيح متفق على صحته عند أهل العلم ، فلأن يخفى على معاوية وأصحابه قوله : « الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تصير ملكا » بطريق الأوْلى ، مع أن هذا في أول خلافة عليّ لا يدل على عليّ عيناً ، وإنما عُلمت دلالته على ذلك لما مات ، مع أنه ليس نصّاً في إثبات خليفة معيّن . وهم يقولون :

إذا كان لا ينصفنا إما تأويلا منه وإما عجزا منه عن نصرتنا ، فليس علينا أن نبايع من نُظلم بولايته .

---

[1](1) الحديث في البخاري ج 2 ص 146 ومسلم ج 2 ص 968.

وأما قوله : ((إن معاوية قتل جمعاً كثيرا من خيار الصحابة)) .

فيقال : الذين قُتلوا قُتلوا من الطائفتين ؛ قتل هؤلاء من هؤلاء ، وهؤلاء من هؤلاء . وأكثر الذين كانوا يختارون القتال من الطائفتين لم يكونوا يطيعون لا عليّاً ولا معاوية ، وكان عليّ ومعاوية رضى الله عنهما أطلب لكف الدماء من أكثر المقتتلين ، لكن غُلبا فيما وقع .والفتنة إذا ثارت عجز الحكماء عن إطفاء نارها ، وكان في العسكرين مثل الأشتر النخعي ، وهاشم بن عُتبة المرقال ، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وأبي الأعور السلمى،ونحوهم من المحرضين على القتال : قوم ينتصرون لعثمان غاية الانتصار ، وقوم ينفِّرون عنه ، وقوم ينتصرون لعليّ وقوم ينفِّرون عنه .

وأما ما ذكره من لعن عليّ ، فإن التلاعن وقع من الطائفتين كما وقعت المحاربة ، وكان هؤلاء يلعنون رؤوس هؤلاء في دعائهم ، وهؤلاء يلعنون رؤوس هؤلاء في دعائهم . وقيل : إن كل طائفة كانت تقنت على الأخرى . والقتال باليد أعظم من التلاعن باللسان .

ثم من العجب أن الرافضة تنكر سب عليّ ، وهم يسبّون أبا بكر وعمر وعثمان ويكفِّرونهم ومن والاهم . ومعاوية وأصحابه ما كانوا يكفِّرون عليًّا، وإنما يكفِّره الخوارج المارقون ، والرافضة شر منهم .

ولا ريب أنه لا يجوز سب أحد من الصحابة : لا عليّ ولا عثمان ولا غيرهما ،ومن سب أبا بكر وعمر وعثمان فهو أعظم إثما ممن سب عليًّا ، وإن كان متأولا فتأويله أفسد من تأويل من سب عليًّا .

وأما قوله : ((إن معاوية سمّ الحسن)).

فهذا مما ذكره بعض الناس ، ولم يثبت ذلك ببيِّنة شرعية ، أو إقرار معتبر ، ولا بنقل يُجزم به . وهذا مما لا يمكن العلم به ، فالقول به قول بلا علم .

وأما قوله : ((وقتل ابنه يزيد مولانا الحسين ونهب نساءه)) .

فيقال : إن يزيد لم يأمر بقتل الحسين باتفاق أهل النقل ، ولكن كتب إلى ابن زياد أن يمنعه عن ولاية العراق . والحسين كان يظن أن أهل العراق ينصرونه ويفون له بما كتبوا إليه ، فأرسل إليهم ابن عمه مسلم بن عقيل ، فلما قتلوا مسلما وغدروا به وبايعوا ابن زياد ، أراد الرجوع فأدركته

السـرية الظالمـة ،فطلـب أن يـذهب إلـى يزيـد،أو يـذهب إلـى الثغر،أو يرجع إلى بلده ، فلم يمكّنوه من شـيء مـن ذلـك حـتى يستأسر لهم ، فامتنع ، فقاتلوه حتى قُتل مظلوما ، ولمـا بلـغ ذلك يزيد أظهر التوجّع على ذلك ، وظهر البكاء فـي داره ، ولـم يسب له حريما أصلا ، بل أكرم أهل بيته ، وأجازهم حـتى ردّهـم إلى بلدهم .

وأما قوله : ((وكسر أبوه ثنيّة النبي ، وأكلت أمّه كبـد حمزة عم النبي)) .

فلا ريب أن أبا سفيان بن حرب كان قائد المشركين يـوم أُحُد ، وكُسرت ذلك اليوم ثنيّة النبي ، كسرها بعض المشركين . لكن لم يقل أحد : إن أبـا سـفيان باشـر ذلـك ، وإنمـا كسـرها عُتبـة بـن أبـي وقـاص، وأخـذت هنـد كبـد حمـزة فلاكتهـا ، فلـم تستطع أن تبلعها فلفظتها .

وكان هذا قبل إسـلامهم ، ثـم بعـد ذلـك أسـلموا وحسـن إسلامهم وإسلام هند ، وكان النبي يكرمها ، والإسلام يَجُبُّ ما قبله ، وقد قـال الله تعالى :

 قُلْ لِلذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَر لَهُم مَا قَدْ سَلَفَ [1] .

(فصـــل)

قال الرافضي : ((وسمّوا خالد بن الوليـد سـيف اللـه عناداً لأمير المؤمنين ، الذي هو أحـق بهـذا الاسـم ، حيـث قتـل بسيفه الكفّار)) .

فيقال : أما تسمية خالد بن الوليـد بسـيف اللـه فليـس هو مختصا به ، بل هو ((سيف من سـيوف اللـه سـلّه اللـه علـى المشركين))[2] هكذا جاء في الحديث عن النـبي . والنبي هـو أول من سمّاه بهذا الاسم ، كما ثبت فـي صـحيح البخـاري مـن حديث أيوب السختياني ، عن حميد بن هلال ، عن أنس بن مالك أن النبي نَعَى زيدا و جعفرا وابن رواحة للناس قبل أن يأتيه خبرهم، فقـال : ((أخـذ الرايـة زيد فأُصـيب ، ثـم أخـذها جعفـر فأُصيب ، ثم أخذها ابـن رواحـة فأُصـيب وعينـاه تـذرفان، حـتى أخذها سيف من سيوف الله خالد حتى فتح الله عليهم))[3].

---

(1) الآية 38 من سورة الأنفال .

(2) أخرجه أحمد . انظر المسند ج 1 ص 173 طبعة المعارف .

(3) البخاري : ج 5 ص 27 والمسند ج 3 ص 113.

وأما قوله : ((عليّ أحق بهذا الاســم)).

فيقال : أولا : من الذي نازع في ذلك ؟ ومـن قـال : إن عليًّا لم يكن سيفا من سيوف الله وقول النبي الذي ثبت فـي الصحيح يدل على أن لله سيوفا متعددة ، ولا ريـب أن عليًّـا مـن أعظمها . وما في المسلمين من يفضِّل خالدا على علـيّ ،حـتى يقال : إنهم جعلوا هذا مختصًّا بخالد . والتسمية بذلك وقعت من النبي في الحديث الصحيح ، فهو الذي قال : إن خالدا سـيف من سيوف الله.

ثم يقال : ثانيا : عليّ أجلّ قدرا من خالد ، وأجـلّ مـن أن تجعل فضيلته أنه سيف من سيوف الله ؛ فإن عليًّا له من العلـم والبيان والدين والإيمان والسابقة ما هو به أعظم من أن تُجعـل فضيلته أنه سيف من سيوف الله ؛ فإن السـيف خاصـته القتـال ،وعليّ كـان القتـال أحـد فضـائله ؛ بخلاف خالـد فـإنه كـان هـو فضيلته التي تميّز بها على غيره ،لم يتقدم بسابقة ولا كثرة علم ولا عظيم زهد ، وإنما تقدم بالقتال ؛ فلهـذا عبّـر عـن خالـد بـأنه سيف من سيوف الله .

وقوله : ((إن عليّا قتل بسيفه الكفار)) .

فلا ريـب أنـه لـم يقتـل إلا بعـض الكفّـار .وكـذلك سـائر المشهورين بالقتال من الصحابة كعمر والزبير وحمزة والمقداد وأبي طلحة والبراء بن مالك وغيرهم رضى الله عنهم ، ما منهم من أحد إلا قتل بسيفه طائفة من الكفّار.والبراء بـن مالـك قتـل مائة رجل مبارزة ، غير من شَرَكَ في دمه .

وأما قوله : ((وقال فيه رسول الله : عليّ سيف اللـه وسهم الله)).

فهذا الحديث لا يُعرف في شيء مـن كتـب الحـديث ، ولا له إسناد معروف ، ومعنـاه باطـل ؛ فـإن عليًّـا ليـس هـو وحـده سيف الله وسهمه . وهذه العبارة يقتضي ظاهرها الحصر.

وكذلك ما نقل عن علـيّ أنه قـال علـى المنـبر : ((أنـا سيف الله على أعدائه ورحمته لأوليائه)) .

فهذا لا إسناد له ، ولا يُعرف له صحة . لكن إن كـان قـاله فمعناه صحيح ، وهو قدر مشترك بينه وبين أمثاله .

وأما قوله : ((وخالد لم يزل عدواً لرسول الله مكذِّبا له)) .

فهذا كان قبل إسلامه ، كما كان الصـحابة كلهـم مكـذِّبين له قبل الإسلام، مـن بنـي هاشـم وغيـر بنـي هاشـم ، مثـل أبـي

سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وأخيه ربيعة ، وحمزة عمه ، وعقيل ،وغيره .

وقوله : ((وبعثة النبي إلى بني جَذِيمة ليأخذ منهم الصدقات ، فخانه وخالفه على أمره وقتل المسلمين ، فقام النبي خطيبا بالإنكار عليه رافعا يديه إلى السماء حتى شوهد بياض إبطيه، وهو يقول : « اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد » ثم أنفذ إليه بأمير المؤمنين لتلافى فارطه ، وأمره أن يسترضى القوم من فعله)) .

فيقال : هذا النقل فيه من الجهل والتحريف ما لا يخفى على من يعلم السيرة ؛ فإن النبي أرسله إليهم بعد فتح مكة ليسلموا ، فلم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا ، فقالوا : صبأنا صبأنا ، فلم يقبل ذلك منهم،وقال: إن هذا ليس بإسلام ، فقتلهم ، فأنكر ذلك عليه من معه من أعيان الصحابة ، كسالم مولى أبي حذيفة ، وعبد الله بن عمر ، وغيرهما . ولما بلغ ذلك النبي رفع يديه إلى السماء وقال : « اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد » . لأنه خاف أن يطالبه الله بما جرى عليهم من العدوان. وقد قال تعالى : **فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ** [1]، ثم أرسل عَلِيًّا ،وأرسل معه مالا ، فأعطاهم نصف الديات ، وضمن لهم ما تلف حتى مِيلَغَة الكلب ، ودفع إليهم ما بقي احتياطا لئلا يكون بقي شيء لم يعلم به .

ومع هذا فالنبي صلى الله لم يعزل خالدا عن الإمارة ،بل ما زال يؤمّره ويقدّمه ، لأن الأمير إذا جرى منه خطأ أو ذنب أُمر بالرجوع عن ذلك، وأُقرّ على ولايته ، ولم يكن خالدا معانداً للنبي ، بل كان مطيعا له ، ولكن لم يكن في الفقه والدين بمنزلة غيره ، فخفى عليه حكم هذه القضية .

ويُقال : إنه كان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية ، وكان ذلك مما حرّكه على قتلهم .وعليّ كان رسولا في ذلك .

وأما قوله : ((إنه أمره أن يسترضى القوم من فعله)) .

فكلامُ جاهل ؛ فإنما أرسله لإنصافهم وضمان ما تلف لهم ، لا لمجرد الاسترضاء .

وكذلك قوله عن خالد : ((إنه خانه وخالف أمره وقتل المسلمين)).

---

[1](1) الآية 216 من سورة الشعراء .

كذب على خالد ؛فإن خالدا لم يتعمد خيانة النبي صلى الله عليه وسلم، ولا مخالفة أمره ، ولا قتل من هو مسلم معصوم عنده ، ولكنه أخطأ كما أخطأ أسامة بن زيد في الذي قتله بعد أن قال : لا إله إلا الله ، وقتل السرية لصاحب الغنَيمْةَ الذي قال : أنا مسلم ، فقتلوه وأخذوا غنمه .

(فصـــــل)

قال الرافضي : ((ولما قُبض النبي وأنفذه أبو بكر لقتال أهل اليمامة قتل منهم ألفا ومائتي نفر مع تظاهرهم بالإسلام ، وقتل مالك بن نويرة صبراً وهو مسلم ، وعرَّس بامرأته ، وسمّوا بني حنيفة أهل الردة لأنهم لم يحملوا الزكاة إلى أبي بكر لأنهم لم يعتقدوا إمامته ، واستحلّ دماءهم وأموالهم ونساءهم حتى أنكر عمر عليه ، فسمّوا مانع الزكاة مرتداً ، ولم يسمّوا من استحلّ دماء المسلمين ومحاربة أمير المؤمنين مرتداً ، مع أنهم سمعوا قول النبي : ((يا عليّ حربك حربي وسلمك سلمي ، ومحارب رسول الله كافر بالإجماع)) .

والجواب بعد أن يقال : الله أكبر على هؤلاء المرتدين المفترين ، أتباع المرتدّين الذين برزوا بمعاداة الله ورسوله وكتابه ودينه ، ومرقوا من الإسلام ونبذوه وراء ظهورهم ، وشاقّوا الله ورسوله وعباده المؤمنين ، وتولوا أهل الردة والشقاق ، فإن هذا الفصل وأمثاله من كلامهم يحقق أن هؤلاء القوم المتعصبين على الصدّيق وحزبه ، من جنس المرتدّين الكفار ، كالمرتدين الذين قاتلهم الصديق .

وذلك أن أهل اليمامة هم بنوا حنيفة الذين كانوا قد آمنوا بمسيلمة الكذاب ، الذي ادّعى النبوة في حياة النبي ، وكان قد قدم المدينة وأظهر الإسلام ، وقال : إن جعل محمد لي الأمر من بعده آمنت به . ثم لما صار إلى اليمامة ادّعى أنه شريك النبي في النبوّة، وأن النبي صدّقه على ذلك ، وشهد له الرَجَّال بن عُنْفُوة . وكان قد صنّف قرآنا يقول فيه : ((والطاحنات طحنا ، فالعاجنات عجنا ، فالخابزات خبزا ، إهالة وسمنا ، إن الأرض بيننا و بين قريش نصفين و لكن قريش قوم لا يعدلون)) . و منه قوله لعنه الله : ((يا ضفدع بنت ضفدعين ، نقّي كم تنقّين ، لا الماء تكدّرين . ولا الشارب تمنعين . رأسك في الماء وذنبك في الطين)) . ومنه قوله لعنه

الله : ((الفيل وما أدراك ما الفيل ، لـه زلـوم طويـل ، إن ذلـك من خلق ربنا الجليل)) ونحو ذلك من الهذيان السمج الذي قال فيه الصديق رضي الله عنه لقومه لما قرؤوه عليـه : ((ويلكـم أين يذهب بعقولكم ، إن هذا كلام لم يخرج من إله)) .

وكـان هـذا الكـذّاب قـد كتـب للنـبي ﷺ: ((مـن مسـيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله. أما بعد فإني قد أُشركت في الأمر معك)) . فكتب إليه رسول الله ﷺ: ((مـن محمـد رسـول الله إلى مسيلمة الكذّاب)) . فلما توفي رسول الله ﷺ بعث إليه أبو بكر خالد بن الوليد فقاتله بمن معه من المسـلمين ، بعـد أن قاتل خالد بن الوليد طليحة الأسديّ ، الذي كان أيضا قـد ادّعـى النبوة ، واتبعه طوائف من أهل نجد ، فلما نصـر اللـه المـؤمنين على هؤلاء وهزمـوهم ، وقُتـل ذلـك اليـوم عُكاشـة بـن محصـن الأسدي ، وأسلم بعد ذلك طليحة الأسدي هذا ، ذهبـوا بعـد ذلـك إلى مسيلمة الكذّاب باليمامة ، ولقى المؤمنون في حربه شـدة عظيمة ، وقتل في حربه طائفة من خيار الصحابة مثـل زيـد بـن الخطاب ، وثـابت بـن قيـس بـن الشـمّاس ، وأسـيد بـن حضـير وغيرهم .

وفي الجملة فأمر مسيلمة الكذّاب وادعاؤه النبوة واتّبـاع بني حنيفة له باليمامـة ، وقتـال الصـدّيق لهـم علـى ذلـك ، أمـر متواتر مشهور ، قد علمه الخاص والعام ، كتواتر أمثاله . وليس هذا من العلم الذي تفرّد به الخاصّة ، بل علم الناس بذلك أظهر من علمهم بقتـال الجمـل وصـفّين ، فقـد ذُكـر عـن بعـض أهـل الكلام أنه أنكر الجمل وصفّين ، وهذا الإنكار – وإن كان بـاطلا – فلم نعلم أحدا أنكر قتـال أهـل اليمامـة ، وأن مسـيلمة الكـذاب ادّعى النبوة ، وأنهم قاتلوه على ذلك .

لكن هؤلاء الرافضة من جحدهم لهذا وجهلهـم بـه بمنزلـة إنكارهم لكون أبي بكر وعمر دفنا عند النبي ﷺ، وإنكارهم لموالاة أبي بكر وعمر للنبي ﷺ، ودعواهم أنه نصَّ على علـيّ بالخلافـة . بل منهم من ينكر أن تكـون زينـب ورقيَّـة وأم كلثـوم مـن بنـات النبي ﷺ، ويقولون : إنهن لخديجة من زوجها الذي كان كافرا قبل النبي ﷺ.

ومنهم من يقول : إن عمر غصب بنت علـيّ حـتى زوّجـه بها ، وأنه تزوج غصباً فـي الإسـلام . ومنهـم مـن يقـول : إنهـم بعجوا بطن فاطمة حتى أسقطت ، وهدموا سقف بيتها على من فيه ، وأمثال هذه الأكاذيب التي يعلم من له أدنى علـم ومعرفـة

أنها كذب ، فهم دائما يعمدون إلى الأمور المعلومة المتواترة ينكرونها ، وإلى الأمور المعدومة التي لا حقيقة لها يثبتونها . فلهم أوفر نصيب من قوله تعالى : ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ** ﴾[1] ، فهم يفترون الكذب ويكذّبون بالحق ، وهذا حال المرتدين .

وهم يدّعون أن أبا بكر وعمر ومن اتّبعهما ارتدّوا عن الإسلام . وقد علم الخاص والعام أن أبا بكر هو الذي قاتل المرتدّين ، فإذا كانوا يدّعون أن أهل اليمامة مظلومون قُتلوا بغير حق ، وكانوا منكرين لقتال أولئك متأوّلين لهم ، كان هذا مما يحقق أن هؤلاء الخلف تبع لهؤلاء السلف ، وأن الصدّيق وأتباعه يقاتلون المرتدّين في كل زمان.

وقوله : ((إنهم سمّوا بني حنيفة مرتدين ، لأنهم لم يحملوا الزكاة إلى أبي بكر)) .

فهذا من أظهر الكذب وأبْيَنه ؛ فإنه إنما قاتل بني حنيفة لكونهم آمنوا بمسيلمة الكذّاب ، واعتقدوا نبوّته . وأما مانعوا الزكاة فكانوا قوما آخرين غير بني حنيفة . وهؤلاء كان قد وقع لبعض الصحابة شبهة في جواز قتالهم . وأما بنو حنيفة فلم يتوقف أحد في وجوب قتالهم . وأما مانعوا الزكاة فإن عمر بن الخطاب قال: يا خليفة رسول الله كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله : ((أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقّها وحسابهم على الله)) . فقال أبو بكر : ألم يقل : ((إلا بحقها)) فإن الزكاة من حقها . والله لو منعوني عَنَاقا أو عُقالا كانوا يؤدّونه إلى رسول الله لقاتلهم عليه))[2].

وهؤلاء لم يقاتلوهم لكونهم لم يؤدوها إلى الصدّيق ؛ فإنهم لو أعطوها بأنفسهم لمستحقيها ولم يؤدوها إليه لم يقاتلهم . هذا قول جمهور العلماء ، كأبي حنيفة وأحمد وغيرهما .وقالوا : إذا قالوا : نحن نؤديها بأنفسنا ولا ندفعها إلى الإمام ، لم يكن له قتالهم . فإن الصدّيق لم يقاتل أحداً على طاعته ، ولا ألزم أحدا بمبايعته . ولهذا لما تخلّف عن بيعته سعد لم يكرهه على ذلك .

---

(1)[1] الآية 68 من سورة العنكبوت .

(1)[2] البخاري ج 9 ص 93 ومسلم ج 1 ص 51 .

فقول القائل : ((سمّوا بني حنيفة أهـل الـردة لأنهـم لـم يحملوا الزكاة إلى أبي بكـر ، لأنهـم لـم يعتقـدوا إمـامته)) مـن أظهر الكذب والفرية . وكذلك قوله : ((إن عمر أنكر قتال بنـي حنيفة)) .

وأما قوله : ((ولم يسمّوا من إستحل دمـاء المسـلمين ، ومحاربة أمير المؤمنين ، مرتداً ، مع أنهم سمعوا قـول النـبي ﷺ: ((يا عليّ حربك حربي وسـلمك سـلمي ومحـارب رسـول اللـه ﷺكافر بالإجماع)) .

فيقال في الجواب : أولا : دعواهم أنهم سمعوا هـذا الحديث من النبي ﷺأو عنه كذب عليهم ، فمن الـذي نقـل عنهـم أنهم سمعوا ذلـك ؟ وهـذا الحـديث ليـس فـي شـيء مـن كتـب علماء الحديث المعروفة ، ولا رُوي بإسـناد معـروف . ولـو كـان النبي ﷺقاله لم يجب أن يكونوا قد سمعوه ، فإنه لـم يسـمع كـلٌّ منهم كل ما قاله الرسول ﷺ، فكيف إذا لم يُعلم أن النبي ﷺ قاله ، ولا روي بإسناد معروف ؟ بل كيـف إذا عُلـم أنـه كـذب موضـوع على النبي ﷺ باتفاق أهل العلم بالحديث ؟.

وعليّ ﷺ لم يكن قتاله يوم الجمل وصفّين بأمر مـن النـبي ﷺ، وإنما كان رأياً رآه .

وقال أبو داوُد في سننه : ((حدّثنا إسماعيل بـن إبراهيـم الهذلي ، حدثنا ابن عليّه ، عن يونس ، عن الحسـن ، عـن قيـس بن عبّاد قال : قلـت لعلـيّ ﷺ : أخبرنـا عـن مسـيرك هـذا : أعهـد عهده إليك رسـول اللـه ﷺ، أم رأى رأيتَـه ؟ قـال: مـا عهـد إلـيَّ رسول الله ﷺ شيئا ، ولكنه رأى رأيته))[1].

ولو كان محارب عليّ محارباً لرسول الله ﷺ مرتداً ، لكان عليّ يسير فيهم السيرة في المرتدين . وقد تواتر عن عليّ يوم الجمل لما قاتلهم أنه لم يتّبع مدبرهم ، ولم يُجهّز على جريحهـم ، ولم يغنم لهم مالاً ، ولا سبى لهم ذرية ، وأمر مناديه ينادي في عسكره : أن لا يُتّبع لهم مُدبر ولا يُجهز على جريحهم ، ولا تُغنـم أموالهم . ولو كانوا عنـده مرتـدّين لأجهـز علـى جريحهـم واتّبـع مدبرهم. وكـانت عائشـة فيهـم ، فـإن قلتـم : إنهـا ليسـت أمّنـا كفرتم بكتاب الله، وإن قلتم : هي أمنا واستحللتم وطأها كفرتم بكتاب الله .

---

[1](1) انظر السنن ج 4 ص 300 .

وإن كـان أولئـك مرتـدين ، وقـد نـزل الحسـن عـن أمـر المسلمين ، وسلّمه إلى كافر مرتد ، كان المعصوم عنـدهم قـد سـلّم أمـر المسـلمين إلـى المرتـدين . وليـس هـذا مـن فعـل المؤمنين ، فضلا عن المعصومين .

وأيضا فإن كان أولئك مرتدّون ، والمؤمنون أصحاب عليّ ، لكان الكفار المرتدّون منتصرين على المؤمنين دائما .

والله تعالى يقول في كتابه :﴿**إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يُقُومُ الأَشْهَاد**﴾[1]،وأيضا فإن الله تعالى يقول في كتابه : ﴿**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا**﴾[2]،فقد جعلهم مؤمنين إخوة مع الاقتتال والبغي .

وأيضا فقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « تمرق مارقة على حين فُرقة من المسلمين تقتلهم أوْلى الطائفتين بالحق » . وقال:« إن ابني هذا سيد ، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين». و قال لعمّار: « تقتلك الفئة الباغية » لم يقل : الكافرة[3] .

وهذه الأحاديث صحيحة عند أهل العلم بالحديث ، وهي مروية بأسانيد متنوعة ، لم يأخذ بعضهم عن بعض . وهذا مما يوجب العلم بمضمونها . وقد أخبر النبي ﷺ أن الطائفتين المفترقتين مسلمتان ، ومدح من أصلح الله به بينهما . وقد أخبر أنه تمرق مارقة وأنه تقتلها أدنى الطائفتين إلى الحق .

ثم يقال لهؤلاء الرافضة : لو قالت لكم النواصب : عليّ قد استحل دماء المسلمين ، وقاتلهم بغير أمر الله ورسوله على رياسته . وقد قال النبي ﷺ: «سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر»[4]. وقال : « لا ترجعوا بعدي كفَّارا يضرب بعضكم رقاب بعض »[5] فيكون عليّ كافرا لذلك – لم تكن حجتكم أقوى من حجتهم ؛ لأن الأحاديث التي احتجّوا بها صحيحة .

وأيضا فيقولون : قتل النفوس فساد ، فمن قتل النفوس على طاعته كان مريدا للعلو في الأرض والفساد . و هذا حال فرعون والله تعالى يقول :

---

[1](1) الآية 51 من سورة غافر .
[2](2) الآية 9 من سورة الحجرات .
[3](3) سبقت هذه الأحاديث .
[4](4) انظر البخاري ج 1 ص 51 ومسلم ج 1 ص 81.
[5](5) البخاري ج 1 ص 31 ومسلم ج 1 ص 81- 82 .

﴿تلك الدارُ الآخرةُ نجعلها للذين لا يريـدون علـوا فـي الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ﴾[1]؛ فمن أراد العلـو في الأرض والفساد لـم يكـن مـن أهـل السـعادة فـي الآخـرة . وليـس هـذا كقتـال الصـدّيق للمرتـدين ولمـانعي الزكـاة ؛ فـإن الصدّيق إنما قاتلهم على طاعة الله ورسوله ، لا علـى طـاعته . فإن الزكاة فـرضٌ عليهـم ، فقـاتلهم علـى الإقـرار بهـا ، وعلـى أدائها ، بخلاف من قاتل ليُطاع هو .

قال الرافضي:((وقد احسن بعض الفضلاء في قوله : شر من ابليس من لم يسبقه في سـالف طـاعته , وجـرى معـه في ميدان معصيته. ولا شك بين العلماء ان ابليس كان اعبد من الملائكة , وكان يحمل العرش وحده ستة آلاف سنة, ولما خلـق الله آدم وجعله خليفـة فـي الارض , وامـره بالسـجود فاسـتكبر فاستحق اللعنة والطرد , ومعاوية لم يزل في الاشـراك وعبـادة الاصـنام الـى ان اسـلم بعـد ظهـور النـبي ﷺ بم دة طويلـة, ثـم استكبر عن طاعة الله فـي نصـب اميـر المـؤمنين عليـه امامـا, وبايعه الكل بعد قتـل عثمـان وجلـس مكـانه , فكـان شـراً مـن ابليس)) .

فيقال:هذا الكلام فيه من الجهل والضلال والخروج عن دين الاسلام وكل دين بـل وعـن العقـل الـذي يكـون لكـثير مـن الكفار , ما لا يخفي على من تدبره.

اما اولا: فلأن ابليس اكفر من كل كافر , وكل من دخل النار فمن اتباعه. كمـا قـال تعـالى:﴿ لأملأنّ جهنّـم منـك وممـن تبعك منهم أجمعين﴾ [2]. وهو الآمر لهم بكـل قبيـح المزيّـن لهـم فكيف يكون أحد شراً منه ؟ لا سـيما مـن المسـلمين , لا سـيما من الصحابة؟

وقول هذا القائل: ((شر من ابليس من لم يسبقه في سالف طاعة , وجرى معه في ميدان المعصـية)) يقتضـي ان كـل مـن عصى الله فهو شـر مـن ابليـس , لانـه لـم يسـبقه فـي سـالف طاعة, وجرى معـه فـي ميـدان المعصـية . وحينئـذ فيكـون آدم

---

[1](1) الآية 83 من سورة القصص .
[2](2) الاية 85 من سورة ص .

وذريته شرا من ابليس , فإن النبي ﷺقال: ﴿ كل بني آدم خطّاء , وخير الخطّائين التوابون﴾[1].

ثم هل يقول من يؤمن بالله واليوم الاخر : أن من أذنب ذنبا من المسلمين يكون شرا من إبليس ؟ أوليس هذا مما يعلم فساده بالاضطرار من دين الإسلام؟وقائل هذا كافر كفرا معلوما بالضرورة من الدين . وعلى هذا فالشيعة دائما يذنبون , فيكون كل منهم شرا من إبليس . ثم إذا قالت الخوارج: إن علياً أذنب فيكون شرا من إبليس –لم يكن للروافض حجة إلا دعوى عصمته. وهم لا يقدرون أن يقيموا حجة على الخوارج بإيمانه وإمامته وعدالته , فكيف يقيمون حجة عليهم بعصمته؟ ولكن أهل السنة تقدر أن تقيم الحجة بإيمانه وإمامته, لأن ما تحتج به الرافضة منقوض ومعارض بمثله , فيبطل الاحتجاج به.

ثم إذا قام الدليل على قول الجمهور الذي دل عليه القرآن كقوله تعالى:
﴿**وعصى آدم ربّه فغوى**﴾[2], لزم أن يكون آدم شراً من ابليس .

وفي الجملة فلوازم هذا القول وما فيه من الفساد يفوق الحصر والتعداد.
وأما ثانيا: فهذا الكلام كلام بلا حجة , بل هو باطل في نفسه . فلم قلت: إن شرا من إبليس من لم يسبقه في سالف طاعة وجرى معه ميدان معصية؟ وذلك أن احدا لا يجري مع إبليس في ميدان معصيته كلها, فلا يتصور أن يكون في الآدميين من يساوي إبليس في معصيته , بحيث يضل الناس كلهم ويغويهم.

وأما طاعة إبليس المتقدمة فهي حابطة بكفره بعد ذلك , فإن الردة تحبط العمل, فما تقدم من طاعته : إن كان طاعة فهي حابطة بكفره وردته , وما يفعله من المعاصي لا يماثله أحد فيه ,فامتنع أن يكون أحد شرا منه, وصار نظير هذا المرتد الذي يقتل النفوس ويزني ويفعل عامة القبائح بعد سابق طاعاته, فمن جاء بعده ولم يسبقه إلى تلك الطاعات الحابطة ,

---

[1](1) رواه الترمذي ج 4 ص 70 وابن ماجه ج 2 ص 1420 وغيريهما .
[2](2) الآية 121 من سورة طه .

وشاركه في قليل من معاصيه , لا يكون شرا منه , فكيف يكون أحدا شرا من إبليس ؟؟

وهذا ينقض أصول الشيعة : حقها وباطلها , وأقل ما يلزمهم أن يكون أصحاب علي الذين قاتلوا معه, وكانوا أحيانا يعصونه , شرا من الذين امتنعوا عن مبايعته من الصحابة , لأن هؤلاء عبدوا الله قبلهم , وأولئك جروا معهم في ميدان المعصية.

ويقال ثالثا: ما الدليل على أن إبليس كان أعبد الملائكة ؟ وأنه كان يحمل العرش وحده ستة آلاف سنة؟ أو أنه كان من حملة العرش في الجملة؟ أو أنه كان طاووس الملائكة؟ أو أنه ما ترك في السماء رقعة ولا في الأرض بقعة إلا وله فيها سجدة وركعة؟ ونحو ذلك مما يقوله بعض الناس ؟ فإن هذا أمر إنما يعلم بالنقل الصادق , وليس في القرآن شيء من ذلك ولا في ذلك خبر صحيح عن النبي . وهل يحتج بمثل هذا في أصول الدين إلا من هو من أعظم الجاهلين؟!!

وأعجب من ذلك قوله: ((ولا شك بين العلماء أن إبليس كان أعبد الملائكة)) .

فيقال: من الذي قال هذا من علماء الصحابة والتابعين وغيرهم من علماء المسلمين ؟ فضلا عن أن يكون هذا متفقا عليه بين العلماء ؟ وهذا شيء لم يقله قط عالم يقبل قوله من علماء المسلمين , وهو أمر لا يعرف إلا بالنقل , ولم ينقل هذا أحد عن النبي لا بإسناد صحيح ولا ضعيف . فإن كان قاله بعض الوعّاظ أو المصنفين في الرقائق , أو بعض من ينقل في التفسير من الإسرائيليات مالا أسناد له, فمثل هذا لا يحتج به في جرزة بقل , فكيف يحتج به في جعل إبليس خيرا من كل من عصى الله من بني آدم ويجعل الصحابة من هؤلاء الذين إبليس خير منهم؟

وما وصف الله ولا رسوله إبليس بخير قط ولا بعبادة متقدمة ولا غيرها , مع أنه لو كان له عبادة لكانت قد حبطت بكفره وردته.

وأعجب من ذلك قوله: ((لا شك بين العلماء أنه كان يحمل العرش وحده ستة آلاف سنة)) فياسبحان الله ! هل قال ذلك أحد من علماء المسلمين المقبولين عند المسلمين؟ وهل

يتكلم بذلك إلا مفرط في الجهل ؟ فإن هذا لا يعـرف – لـو كـان حقا- إلا بنقل الأنبياء , وليس عن النبي في ذلك شيء .

ويقال : قد ثبت إسلام معاويـة ، والإسـلام يَجُـبُّ مـا قبله. فمن ادّعى أنه ارتدّ بعد ذلـك كـان مـدّعيا دعـوى بلا دليـل لولم يُعلم كذب دعواه، فكيف إذا عُلم كذب دعواه ، وأنه ما زال على الإسلام إلى أن مات ، كما علم بقاء غيـره علـى الإسـلام ؟ فالطريق الذي يُعلم به بقـاء إسـلام أكـثر النـاس مـن الصـحابة وغيرهـم ، يُعلـم بـه بقـاء إسـلام معاويـة . والمـدّعي لارتـداد معاوية وعثمان وأبي بكـر وعمـر رضـى اللـه عنهـم ، ليـس هـو أظهر حجة من المدّعي لارتداد عليّ . فإن المدَّعي كان لارتـداد عليّ كاذبا ، فالمدَّعي لارتداد هؤلاء أظهر كذبا ، لأن الحجة علـى بقـاء إيمـان هـؤلاء أظهـر ، وشـبهة الخـوارج أظهـر مـن شـبهة الروافض .

ويقال : هـذه الـدعوى إن كـانت صـحيحة ،ففيهـا مـن القدح والغضاضة بعليّ والحسن وغيرهما ما لايخفي . وذلك أنه كان مغلوبا مع المرتدّين ، وكان الحسن قد سلّم أمر المسلمين إلى المرتدّين ، فيكون نصر الله لخالد علـى الكفـار أعظـم مـن نصره لعليّ . والله سبحانه وتعالى عدل لا يظلم واحـداً منهمـا، فيكون مـا اسـتحقه خالـدا أعظـم مما اسـتحقه علـيّ ، فيكـون أفضل عند الله منه .

ويقال : قوله : ((وبايعه الكل بعد عثمان)) .

إن لـم يكـن هـذا حجـة فلا فائـدة فيـه ، وإن كـان حجـة فمبايعتهم لعثمان كان اجتماعهم عليهـا أعظـم . وأنتـم لا تـرون الممتنع عن طاعة عثمان كافراً ، بل مؤمناً تقيّاً .

ويقال : اجتماع الناس على مبايعة أبي بكر كانت علـى قولكم أكمل ، وأنتم وغيركم تقولون : إن عليًّا تخلف عنها مدة . فيلزم على قولكم أن يكون عليّ مستكبراً عن طاعـة اللـه فـي نصب أبي بكر عليـه إمامـا ، فيلـزم حينئـذ كفـر علـيّ بمقتضـى حجتكم ، أو بطلانها في نفسها . وكفر عليّ باطل ، فلزم بطلانها .

ويقال : قولكم : ((بايعه الكل بعد عثمان)) .

من أظهر الكذب ، فإن كثيرا من المسلمين : إما النصف ، وإما أقل أو أكثر لم يبايعوه ،ولم يبايعه سعد بن أبي وقاص ولا ابن عمر ولا غيرهما .

ويقال: قولكم : ((إنه جلس مكانــه)) .

كذب ؛ فإن معاوية لم يطلب الأمر لنفسه ابتداء ، ولا ذهب إلى عليّ لينزعه عن إمارته ، ولكن امتنع هو وأصحابه عن مبايعته ، وبقي على ما كان عليه والياً على من كان واليا عليه في زمن عمر وعثمان . ولما جرى حكم الحكمين إنما كان متولياً على رعيته فقط .فإن أريد بجلوسه في مكانه أنه استبد بالأمر دونه في تلك البلاد ، فهذا صحيح ، لكن معاوية يقول : إني لم أنازعه شيئا هو في يده ، ولم يثبت عندي ما يوجب عليّ دخولي في طاعته . وهذا الكلام سواء كان حقا أو باطلا لا يوجب كون صاحبه شرًّا من إبليس ، ومن جعل أصحاب رسول الله شرًّا من إبليس ، فما أبقى غاية في الافتراء على الله ورسوله والمؤمنين ، والعدوان على خير القرون في مثل هذا المقام ، والله ينصر رسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ، والهوى إذا بلغ بصاحبه إلى هذا الحد فقد أخرج صاحبه عن ربقة العقل ، فضلا عن العلم والدين ، فنسأل الله العافية من كل بليّة ، وإن حقًّا على الله أن يذل أصحاب مثل هذا الكلام ،وينتصر لعباده المؤمنين – من أصحاب نبيه وغيرهم – من هؤلاء المفترين الظالمين .

(فصـــل)

قال الرافضي : ((وتمادى بعضهم في التعصب حتى اعتقد إمامة يزيد بن معاوية مع ما صدر عنه من الأفعال القبيحة من قتل الإمام الحسين ونهب أمواله وسبى نسائه ودورانهم في البلاد على الجمال بغير قتب ، ومولانا زين العابدين مغلول اليدين ، ولم يقنعوا بقتله حتى رضُّوا أضلاعه وصدره بالخيول، وحملوا رؤوسهم على القنا مع أن مشايخهم رووا أن يوم قتل الحسين مطرت السماء دما . وقد ذكر ذلك الرافعي في ((شرح الوجيز)) وذكر ابن سعد في ((الطبقات)) أن الحمرة ظهرت في السماء يوم قتل الحسين ولم تر قبل ذلك . وقال أيضا : ما رفع حجرا في الدنيا إلا وتحته دم عبيط ، ولقد مطرت السماء مطرا بقي أثره في الثياب مدة حتى تقطعت . قال الزهري : ما بقى أحد من قاتلي الحسين إلا وعوقب في الدنيا : إما بالقتل وإما بالعمى أو سواد الوجه أو زوال الملك في مدة يسيرة .

وكان رسول الله يكثر الوصية للمسلمين في ولديه الحسن والحسين ويقول لهم : هؤلاءوديعتي عندكم . وأنزل

الله تعالى : ﴿ **قُل لاَّ أسأَلُكُمْ عَلَيْـهِ أَجـرًا إلاَّ الْمَـوَدَّةَ فـي القُرْبَى** ﴾[1].

والجواب : أما قوله : ((وتمادى بعضهم في التعصب حتى اعتقد إمامة يزيد بن معاوية)) .

إن أراد بذلك أنه اعتقد أنه من الخلفاء الراشدين والأئمـة المهديين ، كأبي بكر وعمر وعثمان وعليّ ، فهذا لم يعتقده أحـد من علماء المسلمين . وإن اعتقد مثل هذا بعـض الجهـال ، كمـا يحكى عن بعض الجهال من الأكراد ونحوهم أنـه يعتقـد أن يزيـد من الصحابة ، وعن بعضهم أنه من الأنبياء ، وبعضهم يعتقد أنـه من الخلفاء الراشدين المهديين ، فهؤلاء ليسوا مـن أهـل العلـم الذين يحكى قولهم . وهم مع هذا الجهل خير من جهال الشيعة وملا حدتهم الذين يعتقدون إلاهية علـيّ ، أو نبـوته ، أو يعتقـدون أن بـاطن الشـريعة ينـاقض ظاهرهـا ، كمـا تقـول الإسـماعيلية والنصيرية وغيرهم من أنه يسقط عن خواصهم الصوم والصـلاة والحج والزكاة ، وينكرون المعاد .

وأما علماء أهل السنة الذين لهم قول يُحكى فليس فيهم مـن يعتقـد أن يزيـد وأمثـاله مـن الخلفـاء الراشـدين والأئمـة المهديين ، كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضى الله عنهم ، بـل أهل السنة يقولون بالحديث الذي في السنن : ((خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم تصير ملكا))[2] .

وإن أراد باعتقادهم إمامة يزيد ، أنهـم يعتقـدون أنـه كـان ملك جمهور المسلمين وخليفتهم فـي زمـانه صـاحب السـيف ، كما كان أمثاله من خلفاء بنـي أميـة وبنـي العبـاس ، فهـذا أمـر معلوم لكل أحد ، ومن نازع في هذا كان مكابرا؛ فإن يزيـد بويـع بعد موت أبيه معاوية ، وصـار متوليـا علـى أهـل الشـام ومصـر والعراق وخراسان وغير ذلك من بلاد المسلمين .

وهذا معنى كونه إمامـا وخليفـة وسـلطانا ، كمـا أن إمـام الصلاة هو الذي يصلّي بالناس . فـإذا رأينـا رجلا يصـلّي بالنـاس كان القول بأنه إمام أمرا مشهوداً محسوسا لا يمكـن المكـابرة فيه . وأما كونه برًّا أو فـاجرا ، أو مطيعـا أو عاصـيا ، فـذاك أمـر آخر .

فأهل السنّة إذا اعتقدوا إمامة الواحد من هؤلاء : يزيد، أو عبد الملك ، أو المنصور ، أو غيرهم – كان بهـذا الاعتبـار . ومـن نازع في هذا فهـو شـبيه بمـن نـازع فـي ولايـة أبـي بكـر وعمـر

---

[1](1) الآية 23 من سورة الشورى .

[2](2) تقدمت الإشارة إليه .

وعثمان ، وفي ملك كسرى وقيصر والنجاشي وغيرهم من الملوك .

وأما كون الواحد من هؤلاء معصوما ، فليس هذا اعتقاد أحد من علماء المسلمين ، وكذلك كونه عادلا في كل أموره ، مطيعا لله في جميع أفعاله ، ليس هذا اعتقاد أحد من أئمة المسلمين .

وأما مقتل الحسين فلا ريب أنه قُتل مظلوما شهيدا ، كما قُتل أشباهه من المظلومين الشهداء . وقتل الحسين معصية لله ورسوله ممن قتله أو أعان على قتله أو رضي بذلك ، وهو مصيبة أصيب بها المسلمون من أهله وغير أهله ، وهو في حقِّه شهادة له ، ورفع درجة ، وعلو منزلة ؛ فإنه وأخاه سبقت لهما من الله السعادة ، التي لا تُنال إلا بنوع من البلاء ، ولم يكن لهما من السوابق ما لأهل بيتهما ، فإنهما تربيا في حجر الإسلام ، في عز وأمان ، فمات هذا مسموما وهذا مقتولا ، لينالا بذلك منازل السعداء وعيش الشهداء .

وليس ما وقع من ذلك بأعظم من قتل الأنبياء ؛ فإن الله تعالى قد أخبر أن بني إسرائيل كانوا يقتلون النبيين بغير حق . وقتل النبي أعظم ذنبا ومصيبة، وكذلك قتل عليّ أعظ م ذنبا ومصيبة ،وكذلك قتل عثمان أعظم ذنبا ومصيبة .إذا كان كذلك فالواجب عند المصائب الصبر والاسترجاع ، كما يحبه الله ورسوله .

(فصـــل)

وصار الشيطان بسبب قتل الحسين يُحدث للناس بدعتين : بدعة الحزن والنوح يوم عاشوراء ، من اللطم والصراخ والبكاء والعطش وإنشاد المراثي ، وما يُفضى إليه ذلك من سبّ السلف ولعنتهم ، وإدخال من لا ذنب له مع ذوي الذنوب ، حتى يسب السابقون الأولون ، وتقرأ أخبار مصرعه التي كثير منها كذب . وكان قصد من سنّ ذلك فتح باب الفتنة والفرقة بين الأمة ؛ فإن هذا ليس واجبا ولا مستحبا باتفاق المسلمين ، بل إحداث الجزع والنياحة للمصائب القديمة من أعظم ما حرّمه الله ورسوله . وكذلك بدعة السرور والفرح .

وأما ما ذكره من سبي نسائه والـذرارى ، والـدوران بهـم في البلاد ، وحملهم على الجمال بغير أقتاب ، فهذا كذب وباطل : ما سبى المسلمون – ولله الحمد – هاشميةً قط ، ولا استحلت أمة محمد سبى بني هاشـم قـط ، ولكـن أهـل الهـوى والجهـل يكـذبون كـثيرا ، كمـا تقـول طائفـة منهـم : إن الحجـاج قتـل الأشراف ، يعنون بني هاشم .

(فصـــــل)

قـال الرافضـي : ((وتوقـف جماعـة ممـن لا يقـول بإمامته فـي لعنـه مـع أنـه عنـدهم ظـالم بقتـل الحسـين ونهـب حريمه . وقد قال الله تعالى : **أَلا لَعْنَةُ اللهِ على اَلظَّالِمينَ** [1]**.**وقال أبو الفرج ابن الجـوزي مـن شـيوخ الحنابلـة عـن ابـن عباس رضى الله عنهمـا قـال : أوحـى اللـه تعـالى إلـى محمـد صلى الله عليه وسلم: إني قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفـا ، وإني قاتل بابن بنتك سبعين ألفا وسبعين ألفا . وحكـى السُـدِّي وكان من فضلائهم قال : نزلت بكربلاء ومعـي طعـام للتجـارة ، فنزلنا على رجل فتعشينا عنده ، وتذاكرنا قتـل الحسـين وقلنـا : ما شرك أحـد فـي قتـل الحسـين إلا ومـات أقبـح مـوته . فقـال الرجل : ما أ كذبكم، أنا شركت في دمه وكنـت ممـن قتلـه فمـا أصابني شيء . قال : فلما كان مـن آخـر الليـل إذا أنـا بصـائح . قلنا مالخبر ؟ قالوا قام الرجل يصلح المصباح فاحترقت إصـبعه ، ثم دب الحريق في جسده فاحترق . قال السدى : فأنـا واللـه رأيته وهو حممة سوداء . وقـد سـأل مهنـا بـن يحيـى أحمـد بـن حنبل عن يزيد ، فقال : هو الذي فعل ما فعل . قلت : وما فعـل ؟ قال : نهب المدينة . وقـال لـه صـالح ولـده يومـاً : إن قومنـا ينسبوننا إلى تولى يزيد . فقال : يا بنـي وهـل يتـولى يزيـد أحـد يؤمن بالله واليوم الآخر ؟ فقال : لم لا تلعنه . فقـال : وكيـف لا ألعن من لعنه الله في كتابه ؟ فقلت : وأين لعن يزيـد ؟ فقـال : في قوله تعـالى : **فهـلْ عَسَـيْتُمْ إِنْ تَـوَلَّيْتُمُ أَن تُفْسِـدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَـامَكُمْ . أُوْلئِـكَ الَّـذينَ لَعَنَهُـمْ اللهُ فأَصَـمَّهُمْ وَأَعْمَـى أَبْصَـارَهُمْ** [2]، فهل يكـون فسـاد أعظم من القتل ونهب المدينة ثلاثة أيـام وسـبى أهلهـا ؟ وَقَتَـلَ

---

[1](1) الآية 18 من سورة هود .

[2](1) الآيتان 22-23 من سورة محمد .

جمعا من وجوه الناس فيها من قريش والأنصار والمهاجرين من يبلغ عددهم سبعمائة ، وقتل من لم يعرف من عبدٍ أو حرٍ أو امرأة عشرة آلاف ، وخاض الناس في الدماء حتى وصلت الدماء إلى قبر رسول الله ﷺ وامتلأت الروضة والمسجد ، ثم ضرب الكعبة بالمنجنيق وهدمها وأحرقها .

وقال رسول الله ﷺ: ((إن قاتل الحسين في تابوت من نار عليه نصف عذاب أهل النار وقد شُدَّ يداه ورجلاه بسلاسل من نار ينكس في النار حتى يقع في قعر جهنم ، وله ريح يتعوذ أهل النار إلى ربهم من شدة نتن ريحه ، وهو فيها خالد وذائق العذاب الأليم ، كلما نضجت جلودهم بدَّل الله لهم الجلود حتى يذوقوا العذاب ، لا يفتّر عنهم ساعة ، ويسقى من حميم جهنم ، الويل لهم من عذاب الله عز وجل . وقال عليه الصلاة والسلام : اشتد غضب الله وغضبي على من أراق دم أهلي وآذاني في عترتي)).

والجواب : أن القول في لعنة يزيد كالقول في لعنة أمثاله من الملوك الخلفاء وغيرهم ، ويزيد خير من غيره :خير من المختار بن أبي عبيد الثقفي أمير العراق ، الذي أظهر الانتقام من قتلة الحسين ؛ فإن هذا ادّعى أن جبريل يأتيه . وخير من الحجاج بن يوسف ؛ فإنه أظلم من يزيد باتفاق الناس.

ومع هذا فيُقال : غاية يزيد وأمثاله من الملوك أن يكونوا فسّاقا ، فلعنة الفاسق المعيَّن ليست مأموراً بها ، إنما جاءت السنّة بلعنة الأنواع ، كقول النبي : ((لعن الله السارق ؛ يسرق البيضة فتقطع يده))[1]. وقوله : ((لعن الله من أحدث حَدَثا أو آوى محدثا))[2].وقوله ((لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه))[3] وقوله : ((لعن الله المحَلِّلَ والمحَلَّلَ له))[4] ، ((لعن الله الخمر وعاصرها ومعتصرها ، وحاملها والمحمولة إليه ، وساقيها ، وشاربها ، وآكل ثمنها))[5].

وأما ما فعله بأهل الحرَّة ، فإنهم لما خلعوه وأخرجوا نوابه وعشيرته ، أرسل إليهم مرة بعد مرة يطلب الطاعة ، فامتنعوا ، فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المرّى ، وأمره إذا ظهر

---

[1](1) البخاري ج 8 ص 159 ومسلم ج 3 ص 1314 .
[2](2) مسلم ج 3 ص 1567.
[3](3) البخاري ج 7 ص 169 ومسلم ج 3 ص 1219 .
[4](4) سنن أبي داود ج 2 ص 307 والترمذي ج 2 ص 294 .
[5](5) سنن أبي داود ج 3 ص 445 .

عليهم أن يبيح المدينة ثلاثة أيـام . وهـذا هـو الـذي عظـم إنكـار الناس له من فعل يزيد . ولهذا قيل لأحمد : أتكتب الحديث عـن يزيد ؟ قال : لا ولا كرامة . أو ليس هو الذي فعل بأهـل المدينـة ما فعل ؟

لكن لم يقتل جميع الأشراف ، ولا بلغ عدد القتلى عشـرة آلاف ، ولا وصلت الدماء إلى قبر النبي ﷺ، ولا إلى الروضـة ، ولا كان القتل في المسجد ، وأما الكعبة فإن الله شـرفها وعظّمهـا وجعلها محرَّمة ، فلم يمكِّن الله أحدا من إهانتها لا قبـل الإسـلام ولا بعـده ، بـل لمـا قصـدها أهـل الفيـل عـاقبهم اللـه العقوبـة المشهورة .

وأما الحديث الذي رواه وقوله : ((إن قاتل الحسين فـي تابوت من نار عليه نصف عـذاب أهـل النـار ، وقـد شُـدت يـداه ورجلاه بسلاسل من نار ، يُنَكَّس فـي النـار حـتى يقـع فـي قعـر جهنم ، وله ريح يتعوّذ أهل النار إلى ربهم من شـدة نتـن ريحـه ، وفيها خالد)) إلى آخره .

فهـذا مـن أحـاديث الكـذّابين الـذين لا يسـتحيون مـن المجازفة في الكذب على رسول الله ﷺ، فهل يكون على واحـد نصف عذاب أهل النار ؟ أو يُقدِّر نصف عذاب أهل النـار ؟ وأيـن عذاب آل فرعون وآل المائدة والمنافقين وسائر الكفار ؟ وأيـن قتلة الأنبياء ، وقتلة السابقين الأوَّلين ؟.

وقاتل عثمان أعظم إثما من قاتل الحسـين . فهـذا الغلـو الزائد يقابل بغلـو الناصـبة ، اللـذين يزعمـون أن الحسـين كـان خارجيا ،وأنه كان يجوز قتله ، لقول النبي ﷺ: ((من أتاكم وأمركم علـى رجـل واحـد يريـد أن يفـرِّق جمـاعتكم ، فاضـربوا عنقـه بالسيف كائنا من كان)).رواه مسلم[1] .

وأهـل السـنّة والجماعـة يـردّون غلـو هـؤلاء وهـؤلاء ، ويقولون : إن الحسين قُتـل مظلومـا شـهيدا،وإن الـذين قتلـوه كانوا ظالمين معتدين .وأحـاديث النـبي ﷺالـتي يـأمر فيهـا بقتـال المفارق للجماعة لم تتناوله ؛فـإنه ﷺ لـم يفـرّق الجماعـة ، ولـم يُقتل إلا وهو طالب للرجوع إلى بلده ، أو إلى الثغر ، أو إلى يزيد ، داخلا في الجماعة ، معرضا عن تفريق الأمة . ولو كان طـالب ذلك أقل الناس لوجب إجابته إلـى ذلـك ، فكيـف لا تجـب إجابـة

---

[1](1) انظر مسلم : ج 3 ص 1479 .

الحسين إلى ذلك ؟ ولو كان الطالب لهـذه الأمـور مـن هـو دون الحسين لم يجز حبسه ولا إمساكه ، فضلا عن أسره وقتله .

وكذلك قوله : اشتد غضب الله علـى مـن أراق دم أهلـي وآذاني في عترتي .

كلام لا ينقله عن النـبي ﷺ ولا ينسـبه إليـه إلا جاهـل . فـإن العاصم لدم الحسن والحسـين وغيرهمـا مـن الإيمـان والتقـوى أعظم من مجرد القرابة ،ولو كان الرجـل مـن أهـل بيـت النـبي ﷺ وأتى بما يبيح قتله أو قطعه ، كان ذلك جائزا بإجماع المسلمين .

كما ثبت عنه في الصحيح أنه قال : ((إنما أهلك مـن كـان قبلكم أنهم كانوا إذا سـرق فيهـم الشـريف تركـوه ، وإذا سـرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد . وأيم اللـه لـو أن فاطمـة بنـت محمد سرقت لقطعت يدها))[1] .فقد أخبر أن أعز النـاس عليـه من أهله لو أتى بما يوجب الحد لأقامه عليه ، فلو زنى الهاشمي وهو محصن رُجم حتى يموت باتفاق علماء المسلمين ، ولو قتل نفساً عمدا عدوانا محضا لجاز قتله به ، وإن كـان المقتـول مـن الحبشة أو الروم أو الترك أو الديلم .

فإن النبي ﷺ قال: ((المسلمون تتكافأ دماؤهم))[2] فدماء الهاشميين وغيـر الهاشـميين سـواء إذا كـانوا أحـراراً مسـلمين باتفاق الأمة ، فلا فرق بين إراقة دم الهاشـمي وغيـر الهاشـمي إذا كان بحق ، فكيف يخص النبي ﷺ أهله بـأن يشـتد غضـب اللـه على من أراق دماءهم .

فإن الله حرَّم قتل النفس إلا بحـق ، فـالمقتول بحـق لِـمَ يشتد غضب الله على من قتله ، سواء كان المقتـول هاشـمياً أو غير هاشمي؟ .

وإن قتل بغير حـق ، فمـن يَقْتُـل مؤمنـا متعمـدا فجـزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيمـا . فالعاصم للدماء والمبيح لها يشترك فيها بنو هاشم وغيرهم ، فلا يضيف مثل هـذا الكلام إلـى رسـول اللـه ﷺ إلا منـافق يقـدح فـي نبوته ، أو جاهل لا يعلم العدل الذي بُعث به ﷺ.

وكذلك قوله : ((من آذاني في عترتي)) فإن إيذاء رسول الله ﷺ حرام في عترته وأمته وسنته وغير ذلك .

---

[1](1) انظر البخاري : ج 5 ص 23 ، ومسلم : ج 3 ص 1315.

[2](2) رواه أبو داود ج 3 ص 107 وابن ماجة ج 2 ص 895 وأحمد ج 2 ص 199 . أحمد شاكر .

(فصـــل)

قال الرافضي : ((فلينظر العاقـل أي الفريقيـن أحـق بالأمن : الذي نزَّه الله وملائكته وأنبيـاءه وأئمتـه ؛ ونـزَّه الشـرع عن المسائل الردّية ، ومن يبطل الصـلاة بإهمـال الصـلاة علـى أئمتهم ،ويذكر أئمـة غيرهـم ، أم الـذي فعـل ضـد ذلـك واعتقـد خلافه ؟)).

والجواب أن يقال : ما ذكرتموه مـن التنزيـه إنمـا هـو تعطيل وتنقيض لله ولأنبيائه . بيان ذلـك أن قـول الجهميـة نفـاة الصفات يتضمن وصف الله تعالى بسلب صـفات الكمـال الـتي يشابه فيها الجمادات والمعدومات ، فإذا قالوا : إنـه لا تقـوم بـه حياة ولا علم ولا قدرة ، ولا كلام ولا مشيئة ،ولا حـب ولا بغـض ، ولا رضا ولا سخط ، ولا يُرى ولا يفعل بنفسه فعلاً ، ولا يقـدر أن يتصـرف بنفسـه ، كـانوا قـد شـبّهوه بالجمـادات المنقوصـات ، وسلبوه صفات الكمـال ، فكـان هـذا تنقيصـا وتعطيلا لا تنزيهـا ، وإنما التنزيه أن ينزَّه عـن النقـائص المنافيـة لصـفات الكمـال ، فينزَّه عن الموت والسِّـنة والنـوم ، والعجـز والجهـل والحاجـة ، كما نزَّه نفسه في كتابه ، فيُجمع له بين إثبات صـفات الكمـال ، ونفي النقائص المنافية للكمال ، وينزّه عـن مماثلـة شـيء مـن المخلوقات له في شيء من صفاته ، وينزّه عن النقائص مطلقا ، وينزّه في صفات الكمال أن يكون له فيها مثلٌ من الأمثال .

وأما الأنبياء فإنكم سلبتموهم ما أعطاهم الله من الكمال وعلو الدرجات، بحقيقة التوبة والاستغفار ، والانتقال مـن كمـال إلى ما هو أكمل منه، وكذّبتم ما أخبر الله به مـن ذلـك وحرَّفتـم الكلم عن مواضعه ، وظننتم أن انتقال الآدمي مـن الجهـل إلـى العلم ، ومن الضلال إلى الهدى ، ومن الغي إلى الرشاد ،تنقّصـا ، ولم تعلموا أن هذا من أعظم نعم اللـه وأعظـم قـدرته ، حيـث ينقل العباد من النقص إلى الكمال ، وأنه قد يكـون الـذي يـذوق الشر والخير ويعرفهما ، يكون حبه للخير وبغضـه للشـر أعظـم ممن لا يعرف إلا الخير . كما قال عمر بـن الخطـاب : ((إنم ا تُنقض عرى الإسـلام عـروة عـروة إذا نشـأ فـي الإسـلام مـن لا يعرف الجاهلية)) .

وأما تنزيه الأئمة فمن الفضائح التي يُستحيا مـن ذكرهـا ، لا سيما الإمام المعدوم الذي لا يُنتفع به لا في دين ولا دنيا .

وأما تنزيه الشرع عن المسائل الردّية ، فقد تقدم أن أهل السنّة لم يتفقوا على مسألة ردّية ، بخلاف الرافضة ؛ فإن لهم من المسائل الردّية ما لا يوجد لغيرهم .

وأما قوله : ((ومن يبطل الصلاة بإهمال الصلاة على أئمتهم ، ويذكر أئمة غيرهم)) .

فإما أن يكون المراد بذلك أن تجب الصلاة على الأئمة الاثنى عشر ، أو على واحد معيّن غير النبي ﷺ منهم أو من غيرهم .

وإما أن يكون المراد وجوب الصلاة على آل النبي ﷺ. فإن أراد الأول فهذا من أعظم ضلالهم وخروجهم عن شريعة محمد ﷺ؛ فإنا نحن وهم نعلم بالاضطرار أن النبي ﷺ لم يأمر المسلمين أن يصلّوا على الاثنى عشر : لا في الصلاة ، ولا في غير الصلاة ، ولا كان أحد من المسلمين يفعل شيئا من ذلك على عهده ، ولا نقل هذا أحد عن النبي ﷺ: لا بإسناد صحيح ولا ضعيف،ولا كان يجب على أحد في حياة رسول الله ﷺ أن يتخذ أحداً من الاثنى عشر إماما ،فضلا عن أن تجب الصلاة عليه في الصلاة.

وكانت صلاة المسلمين صحيحة في عهده بالضرورة والإجماع . فمن أوجب الصلاة على هؤلاء في الصلاة ، وأبطل الصلاة بإهمال الصلاة عليهم ، فقد غيَّر دين النبي محمد ﷺ وبدَّله ، كما بدَّلت اليهود والنصارى دين الأنبياء.

وإن قيل:المراد أن يصلى على آل محمد،وهم منهم .

قيل:آل محمد يدخل فيهم بنو هاشم وأزواجه،وكذلك بنو المطلب على أحد القولين.وأكثر هؤلاء تذمّهم الإمامية؛ فإنهم يذمون ولد العباس ، لاسيما خلفاؤهم ، وهم من آل محمد ﷺ، ويذمّون من يتولى أبا بكر وعمر . وجمهور بني هاشم يتولون أبا بكر وعمر ، ولا يتبرأ منهم صحيح النسب من بني هاشم إلا نفر قليل بالنسبة إلى كثرة بني هاشم . وأهل العلم والدين منهم يتولون أبا بكر وعمر رضى الله عنهما .

ومن العجب من هؤلاء الرافضة أنهم يدَّعون تعظيم آل محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، وهم سعوا في مجيء التتر الكفّار إلى بغداد دار الخلافة ، حتى قتلت الكفار من المسلمين ما لا يحصيه إلا الله تعالى من بني هاشم وغيرهم وقتلوا بجهات بغداد ألف ألف وثمانمئة ألف ونيفا وسبعين ألفا وقتلوا الخليفة العباسي ، وسبوا النساء الهاشميات وصبيان الهاشميين .

فهذا هو البغض لآل محمد بلا ريب . وكان ذلك من فعل الكفار بمعاونة الرافضة ، وهم الذي سعوا في سبي الهاشميات ونحوهم إلى يزيد وأمثاله ، فما يعيبون على غيرهم بعيب إلا وهو فيهم أعظم.

(فصـــــل)

قال الرافضي : ((السادس: أن الإمامية لما رأوا فضائل أمير المؤمنين وكمالاته لا تحصى قد رواها المخالف والموافق ، ورأوا الجمهور قد نقلوا عن غيره من الصحابة مطاعن كثيرة ، ولم ينقلوا في عليّ طعنا ألبتة ، اتّبعوا قوله وجعلوه إماماً لهم حيث نزّهه المخالف والموافق ، وتركوا غيره ، حيث روى فيه من يعتقد إمامته من المطاعن ما يطعن في إمامته .ونحن نذكر هنا شيئا يسيرا مما هو صحيح عندهم ونقلوه في المعتمد من قولهم وكتبهم ، ليكون حجة عليهم يوم القيامة .

فمن ذلك ما رواه أبو الحسن الأندلسي في ((الجمع بين الصحاح الستة)) موطأ مالك وصحيحي البخاري ومسلم وسنن أبي داود وصحيح الترمذي وصحيح النسائي عن أم سلمة زوج النبي أن قوله تعالى : **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾**[1] .أنزلت في بيتها وأنا جالسة عند الباب ، فقلت : يا رسول الله ألست من أهل البيت ؟ فقال ((إنك على خير إنك من أزواج النبي . قالت: وفي البيت رسول الله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين فجللهم بكساء ، وقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا)) .

والجواب أن يقال : إن الفضائل الثابتة في الأحاديث الصحيحة لأبي بكر وعمر أكثر وأعظم من الفضائل الثابتة لعليّ ، والأحاديث التي ذكرها هذا وذكر أنها في الصحيح عند الجمهور ، وأنهم نقلوها في المعتمد من قولهم وكتبهم ، وهو من أبْيَنَ الكذب على علماء الجمهور ؛ فإن هذه الأحادي التي ذكرها أكثرها كذب أو ضعيف باتفاق أهل المعرفة بالحديث ، والصحيح الذي فيها ليس فيه ما يدل على إمامة عليّ ولا فضيلته عَلَى أبي بكر وعمر ، بل وليست من خصائصه ، بل هي من فضائل

---

[1](1) الآية 33 من سورة الأحزاب .

شاركه فيها غيره ، بخلاف ما ثبت من فضائل أبـي بكـر وعمـر ؛ فإن كثيرا منها خصائص لهما ، لا سـيما فضـائل أبـي بكـر ، فـإن عامتها خصائص لم يشركه فيها غيره .

وأما ما ذكـره مـن المطـاعن ، فلا يمكـن أن يـوجّه علـى الخلفاء الثلاثة من مطعن إلا وُجه عَلَى عليّ ما هو مثله وأعظم منه .

فتبين أن ما ذكره فـي هـذا الـوجه مـن أعظـم الباطـل ، ونحن نبيّن ذلك تفصيلا .

وأمـا قـوله :((إنهـم جعلـوه إمامـا لهـم حيـث نزَّهـه المخـالف والموافـق،وتركـوا غيـره حيـث روى فيـه مـن يعتقـد إمامته من المطاعن ما يطعن في إمامته)).

فيقال : هذا كذب بيّن ؛ فإن عليًّا لم ينزّهه المخالفون ، بـل القـادحون فـي علـيّ طوائـف متعـددة ، وهـم أفضـل مـن القادحين في أبي بكر وعمر وعثمـان ، والقـادحون فيـه أفضـل من الغلاة فيه ، فإن الخـوارج متفقـون علـى كفـره ، وهـم عنـد المسلمين كلهم خير من الغلاة الذين يعتقدون إلاهيته أو نبـوته ، بل هم – والذين قاتلوه من الصحابة والتابعين –خير عند جماهير المسلمين من الرافضة الاثنـى عشـرية ،الـذين اعتقـدوه إمامـا معصوما .

وأبو بكر وعمر وعثمان ليس في الأمة من يقدح فيهم إلا الرافضـة ، والخـوارج المكفِّـرون لعلـيّ يوالـون أبـا بكـر وعمـر ويترضُّون عنهما ، والمروانية الذين يَنْسـبون عليًّـا إلـى الظلـم ، ويقولون : إنه لم يكن خليفة يوالون أبا بكر وعمر مع أنهما ليسا من أقـاربهم ، فكيـف يُقال مـع هـذا : إن عليًّـا نزَّهـه المؤالـف والمخالف بخلاف الخلفاء الثلاثة ؟

ومن المعلوم أن المنزِّهين لهؤلاء أعظم وأكـثر وأفضـل ، وأن القادحين فـي علـيّ –حـتى بـالكفر والفسـوق والعصـيان – طوائف معروفة ، وهم أعلـم مـن الرافضـة وأَدْيَـن ، والرافضـة عاجزون معهم علما ويداً ، فلا يمكـن الرافضـة أن تقيـم عليهـم حجة تقطعهم بها ، ولا كانوا معهم في القتال منصورين عليهم .

والذين قدحوا فـي علـيّ وجعلـوه كـافرا وظالمـا ليـس فيهم طائفة معروفة بالردة عن الإسلام ، بخلاف الذين يمدحونه ويقـدحون فـي الثلاثـة ، كالغاليـة الـذين يـدّعون إلاهيتـه مـن النصيرية وغيرهم ، وكالإسماعيلية الملاحدة الذين هم شـر مـن النصـيرية ، وكالغاليـة الـذين يـدّعون نبـوَّته ؛ فـإن هـؤلاء كفـار مرتدُّون ، كفرهم بالله ورسوله ظاهر لا يخفى على عـالم بـدين

الإسلام ، فمن اعتقد في بشر الإلهية ، أو اعتقد بعد محمد نبيا ، أو أنه لم يكن نبيا بل كان عليّ هو النبي دونه وإنما غلط جبريل ؛ فهذه المقالات ونحوها مما يظهر كفر أهلها لمن يعرف الإسلام أدنى معرفة .

بخلاف من يكفِّر عليًّا ويلعنه من الخوارج ، وممن قاتله ولعنه من أصحاب معاوية وبني مروان وغيرهم ؛ فإن هؤلاء مقرّين بالإسلام وشرائعه : يقيمون الصلاة ،ويؤتون الزكاة ، ويصومون رمضان ، ويحجون البيت العتيق، ويحرّمون ما حرم الله ورسوله ، وليس فيهم كفر ظاهر ، بل شعائر الإسلام وشرائعه ظاهرة فيهم معظمة عندهم ، وهذا أمر يعرفه كل من عرف أحوال الإسلام،فكيف يدّعى مع هذا أن جميع المخالفين نزّهوه دون الثلاثة؟

(فصـــــل)

وأما حديث الكساء فهو صحيح رواه أحمد والترمذي من حديث أم سلمة،ورواه مسلم في صحيحه من حديث عائشة.قالت:خرج النبي ذات غداة وعليه مرط مرحّل من شعر أسود،فجاء الحسن بن علي فأدخله،ثم جاء الحسين فأدخله معه،ثم جاءت فاطمة فأدخلها،ثم جاء علّي فأدخله،ثم قال: **إِنَّمَا يُرِيدُ اللهَ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** [1].

وهذا الحديث قد شركه فيه فاطمة وحسن وحسين رضى الله عنهم،فليس هو من خصائصه.ومعلوم أن المرأة لا تصلح للإمامة ، فعُلم أن هذه الفضيلة لا تختص بالأئمة ، بل يشركهم فيها غيرهم . ثم إن مضمون هذا لحديث أن النبي دعا لهم بأن يذهب عنهم الرجس ويطهّرهم تطهيرا . وغاية ذلك أن يكون دعا لهم بأن يكونوا من المتّقين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم ، واجتناب الرجس واجب على المؤمنين ، والطهارة مأمور بها كل مؤمن .

قال الله تعالى: **مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمَ** [2].

---

[1] (1) الآية 33 من سورة الأحزاب .وانظر مسلم ج 4 ص 1883 والمسند ج 6ص 292 ، 298، 304 والترمذي ج 5 ص 30 وتقدم تخريجه أيضاً.

[2] (1) الآية 6 من سورة المائدة .

وقال : ﴿**خذْ مِنْ أَمْوَالِهِم صَدَقةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا** ﴾[1].

وقال تعالى : ﴿**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ المُتَطَهِّرِينْ** ﴾[2] .

فغاية هذا أن يكون هذا دعاء لهم بفعل المأمور وترك المحظور .

والصدّيق قد أخبر الله عنه بأنه :﴿**الأَتْقَى . الذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى. وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى . إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى . وَلَسَوْفَ يَرْضَى** ﴾[3] .

وأيضا فإن السابقين الأوَّلين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه : ﴿**وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيم** ﴾[4] .لا بد أن يكونوا قد فعلوا المأمور وتركوا المحظور ، فإن هذا الرضوان وهذا الجزاء إنما يُنال بذلك . وحينئذ فيكون ذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم من الذنوب بعض صفاتهم . فما دعا به النبي لأهل الكساء هو بعض ما وصف الله به السابقين الأوّلين .والنبي دعا لغير أهل الكساء بأن يصلّي الله عليهم ، ودعا لأقوام كثيرين بالجنة والمغفرة وغير ذلك ،مما هو أعظم من الدعاء بذلك ، ولم يلزم أن يكون من دعا له بذلك أفضل من السابقين الأوّلين .

ولكن أهل الكساء لما كان قد أوجب عليهم اجتناب الرجس وفعل التطهير ، دعا لهم النبي بأن يعينهم على فعل ما أمرهم به لئلا يكونوا مستحقين للذم والعقاب ، ولينالوا المدح والثواب.

(فصـــل)

قال الرافضي : ((في قوله تعالى : ﴿ **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُول فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً** ﴾[5]. قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب : لم يعمل

---

[1](2) الآية 103 من سورة التوبة .
[2](3) الآية 222 من سورة البقرة .
[3](4) الآيات 17 – 21 من سورة الليل .
[4](5) الآية 100 من سورة التوبة .
[5](1) الآية 12 من سورة المجادلة .

بهذه الآية غيري ، وبي خفف الله عن هذه الأمة أمر هذه الآية)) .

والجواب أن يقال : الأمر بالصدقة لم يكن واجبا على المسلمين حتى يكونوا عصاة بتركه ، وإنما أمر به من أراد النجوى إذ ذاك إلا عليّ، فتصدّق لأجل المناجاة .

وهذا كأمره بالهَدْيِ لمن تمتع بالعمرة إلى الحج ، وأمره بالهدي لمن أحصر .

(فصـــــل)

قال الرافضي : ((وعن محمد بن كعب القرظي قال : افتخر طلحة بن شيبة من بني عبد الدار وعباس بن عبد المطلب وعليٌّ بن أبي طالب . فقال طلحة بن شيبة : معي مفاتيح البيت ، ولو أشاء بتُّ فيه . وقال العباس : أنا صاحب السقاية والقائم عليها ، ولو أشاء بتَّ في المسجد . وقال عليّ : ما أدري ما تقولان ، لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس ، وأنا صاحب الجهاد . فأنزل الله تعالى : **أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِين** [1] .

والجواب أن يقال : هذا اللفظ لا يعرف في شيء من كتب الحديث المعتمدة ، بل دلالات الكذب عليه ظاهرة . منها : أن طلحة بن شيبة لا وجود له ، وإنما خادم الكعبة هو شيبة بن عثمان بن طلحة . وهذا مما يبين لك أن الحديث لم يصح . ثم فيه قول العباس : ((لو أشاء بتُّ في المسجد)) فأيّ كبير أمره في مبيته في المسجد حتى يتبجح به ؟.

ثم فيه قول عليّ : ((صليت ستة أشهر قبل الناس)) فهذا مما يُعلم بطلانه بالضرورة ، فإن بين إسلامه وإسلام زيد وأبي بكر وخديجة يوماً أو نحوه ، فكيف يصلّي قبل الناس بستة أشهر ؟!

وأيضا فلا يقول : أنا صاحب الجهاد ،وقد شاركه فيه عدد كثير جداً .

(فصـــــل)

---

[1](2) الآية 19 من سورة التوبة .

قال الرافضي : ((ومنها ما رواه أحمد بن حنبل عن أنس بن مالك ، قال : قلنا لسلمان : سل النبي من وصيه ، فقال له سلمان: يا رسول الله من وصيك ؟ فقال : يا سلمان من كان وصّى موسى ؟ فقال : يوشع بن نون . قال : فإن وصيي ووارثي يقضى دَيْني وينجز موعدي عليّ بن أبي طالب)) .

والجواب : أن هذا الحديث كذب موضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث، ليس هو في مسند الإمام أحمد بن حنبل . وأحمد قد صنَّف كتابا في((فضائل الصحابة)) ذكر فيه فضل أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ وجماعة من الصحابة ، وذكر فيه ما رُوي في ذلك من صحيح وضعيف للتعريف بذلك ، وليس كل ما رواه يكون صحيحا . ثم إن في هذا الكتاب زيادات من رواية القطيعي عن شيوخه . وهذه الزيادات التي زادها القطيعي غالبها كذب ، كما سيأتي ذكر بعضها إن شاء الله ، وشيوخ القطيعي يروون عن من في طبقة أحمد .وهؤلاء الرافضة جهَّال إذا رأوا فيه حديثا ظنوا أن القائل لذلك أحمد بن حنبل ، ويكونه القائل لذلك هو القطيعى ، وذاك الرجل من شيوخ القطيعى الذين يروون عن من في طبقة أحمد .و وكذلك في المسند زيادات زادها ابنه عبد الله ، لاسيما في مسند عليّ بن أبي طالب ، فإنه زاد زيادات كثيرة .

(فصـــل)

قال الرافضي : ((وعن يزيد بن أبي مريم عن علي : قال : انطلقت أنا ورسول الله حتى أتينا الكعبة ، فقال لي رسول الله : اجلس ، فصعد على منكبى ، فذهبت لأنهض به ، فرأى مني ضعفا ، فنزل وجلس بي نبي الله وقال : اصعد على منكبى ، فصعدت على منكبه . قال : فنهض بي .قال : فإنه تخيل لي أني لو شئت لنلت أفق السماء ، حتى صعدت عَلَى البيت وعليه تمثال صفر أو نحاس ، فجعلت أزاوله عن يمينه وعن شماله وبين يديه ومن خلفه ، حتى استمكنت منه قال لي رسول الله : اقذف به فقذفت به فتكسر كما تنكسر القوارير ، ثم نزلت فانطلقت أنا ورسول الله نستبق حتى تواريا في البيوت خشية أن يلقانا أحد من الناس)) .

والجواب : أن هذا الحديث إن صح فليس فيه شيء من خصائص الأئمة ولا خصائص عليّ ؛ فإن النبي كان يصلّي وهو حامل أمامة بنت أبي العاص بن الربيع على منكبه ، إذا قام حملها ، وإذا سجد وضعها .وكان إذا سجد جاء الحسن فارتحله ، ويقول : « إن ابني ارتحلني»[1] وكان يقبل زبيبة الحسن . فإذا كان يحمل الطفلة والطفل لم يكن في حمله لعلي ما يوجب أن يكون ذلك من خصائصه ، بل قد أشركه فيه غيره و إنما حمله لعجز عليّ عن حمله ، فهذا يدخل في مناقب رسول الله ، وفضيلة من يحمل النبي أعظم من فضيلة من يحمله النبي ، كما حمله يوم أحد من حمله من الصحابة ، مثل طلحة بن عبيد الله ، فإن هذا نفع النبي ، وذاك نفعه النبي ، ومعلوم أن نفعه بالنفس والمال أعظم من انتفاع الإنسان بنفس النبي وماله .

(فصـــــل)

قال الرافضي : ((وعن ابن أبي ليلى قال : قال رسول الله : الصدّيقون ثلاثة: حبيب النجارمؤمن آل ياسين ، وحزقيل مؤمن آل فرعون ،
وعليّ بن أبي طالب وهو أفضلهم)) .

والجـــواب: أن هذا كذب على رسول الله ، فإنه قد ثبت عنه في الصحيح أنه وصف أبا بكر بأنه صدّيق . وفي الصحيح عن ابن مسعود عن النبي أنه قال : « عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صدِّيقا . وإياكم والكذب ؛ فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرّى الكذب حتى يُكتب هند الله كذابا »[2] .فهذا يبيّن أن الصدِّيقون كثيرون .

---

[1](1) رواه النسائي ج 2 ص 182 وأحمد ج 3 ص 493 حلبى .

[2](1) انظر مسلم ج 4 ص 2012-2013 .

وأيضا فقد قال تعالى عن مريم ابنة عمران إنها صـدِّيقة ، وهي امرأة. وقال النبي :((كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا أربع))[3].فالصديقون من الرجال كثيرون .

فصـــــل)

قال الرافضي : ((وعن رسول الله أنه قال لعلـي: ((أنت مني وأنا منك)).

والجواب : أن هذا حديث صحيح أخرجاه في الصحيحين من حديث البراء بن عازب ، لمّا تنازع عليّ وجعفر وزيد في ابنة حمزة ، فقضى بها لخالتها ، وكانت تحـت جعفـر ، وقـال لعلـيّ : ((أنت مني وأنا منك)) . وقال لجعفر : ((أشبهت خَلْقِـي وخُلُقـي)).وقال ليزيد : ((أنت أخونا ومولانا))[2] .

لكن هذا اللفظ قد قاله النبي لطائفة من أصحابه ، كما في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري أن النبي قال : ((إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو أو قلت نفقة عيالهم في المدينة جمعوا ما كان معهم في ثوب واحد ، ثم قسموه بينهم بالسوية . هم مني وأنا منهم))[3].

وكذلك قال عن جليـبيب : ((هـو منـي وأنـا منـه)) فـروى مسلم في صحيحه عن أبـي بـرزة قـال : كنـا مـع النـبي فـي مغزى له. فأفاء الله عليه ، فقال لأصحابه : ((هـل تفقـدون مـن أحد ؟)). قالوا : نعم ، فلانا وفلانا . ثم قال : ((هـل تفقـدون مـن أحد ؟)) قالوا: نعم ، فلانا وفلانا وفلانا . ثم قال : ((هـل تفقـدون مـن أحـد ؟)) قـالوا : لا .قـال: ((لكنـي أفقـد جُلَيْبِيبًـا ، فـاطلبوه)) فطلبوه في القتلى ، فوجـدوه إلـى جنـب سـبعة قـد قتلهـم ثـم قتلوه فأتى النبي فوقف عليه فقال ((قتل سـبعة ثـم قتلـوه . هذا مني وأنا منـه ، هـذا منـي وأنا منـه)) قال : فوضـعه على ساعديه ، ليس له إلا ساعدا النبي . قال : فحفر له فوضع فـي قبره ، ولم يذكر غسلا))[4].

فتبيّن أن قوله لعليّ : ((أنت مني وأنا منك)) ليـس مـن خصائصه ، بل قال ذلـك للأشـعريين ، وقال لجليـبيب . وإذا لـم يكن مـن خصائصـه ، بـل قـد شـاركه فـي ذلـك غيـره مـن دون

---

(2)[3] انظر البخاري : مع الفتح ج 6 ص 446و 471 ،ومسلم : ج 4 ص 1886.

(3)[2] انظر البخاري : ج 3 ص 184 وغيره .

(1)[3] انظر البخاري ج 3 ص 138 ومسلم ج 4 ص 1944 – 1945 .

(2)[4] انظر مسلم ج 4 ص 1918 – 1919 .

الخلفاء الثلاثة في الفضيلة ، لم يكن دالاًّ على الأفضلية ولا على الإمامة .

(فصـــــل)

قال الرافضي : ((وعن عمرو بن ميمون قـال: لعلـيّ بن أبي طالب عشر فضائل ليسـت لغيـره . قـال لـه النـبي : ((لأبعثن رجلا لا يخزيه الله أبدا، يحب الله ورسـوله ، ويحبـه اللـه ورسوله ، فاستشرف إليها من استشرف . قال : أين علـيّ بـن أبي طالب ؟ . قالوا : هو أرمد في الرحـى يطحـن . قـال : ومـا كان أحدهم يطحن . قال : فجاء وهو أرمد لا يكد أن يبصر .قـال : فنفثت في عينيه ثم هز الراية ثلاثا وأعطاها إياه ، فجاء بصفية بنت حييّ . قال : ثم بعث أبـا بكـر بسـورة التوبـة ، فبعـث عليًّـا خلفه فأخذها منه وقال : لا يذهب بها إلا رجل هو مني وأنـا منـه)).

وقال لبني عمه : أيكم يواليني في الدنيا والآخرة ؟ قال : وعليّ معهم جالس فـأبَوْا ، فقـال علـيّ : أنـا أواليـك فـي الـدنيا والآخرة .قال : فتركه ،ثم أقبل على رجل رجـل منهـم ، فقـال : أيكم يواليني في الدنيا والآخرة ؟ فأبَوْا ، فقال عليّ : أنا أواليــك في الدنيا والآخرة ، فقال : أنت وليي في الدنيا والآخرة .

قال : وكان عليّ أول من أسلم من النـاس بعـد خديجـة . قـال : وأخـذ رسـول اللـه ﷺ ثـوبه فوضـعه علـى علـيّ وفاطمـة والحسن والحسين ، فقال: ﴿**إِنَّما يُرِيدُ اللـهُ لِيُـذْهِبَ عَنْكُـمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾[1].

قال : وشرى عليّ نفسه ولبس ثوب رسول الله ﷺ ثم نـام مكانه ، وكان المشركون يرمونه بالحجارة .

وخرج النبي بالناس في غزاة تبـوك ، فقـال لـه علـيّ : أخرج معك ؟ قـال : لا فبكـى علـيٌّ ، فقـال لـه : أمـا ترضـى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسـى ؟ ألا أنـك لسـت بنـبي ، لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي .

وقال له رسول الله ﷺ: أنت وليي في كل مؤمن بعدي .

قال : وسدّ أبواب المسـجد إلا بـاب علـيّ . قـال : وكـان يدخل المسجد جُنبا ، وهو طريقه ليس له طريق غيره .

وقال له : من كنت مولاه فعليّ مولاه .

---

[1](1) الآية 33 من سورة الأحزاب .

وعن النبي مرفوعا أنه بعث أبا بكر في براءة إلى مكة ، فسار بها ثلاثا ثم قال لعليّ : ((الحقه فردّه وبلغها أنت ، ففعل . فلما قدم أبو بكر على النبي بكى وقال : يا رسول الله حدث فيّ شيء ؟ قال : لا ، ولكن أمرت أن لا يبلغها إلا أنا أو رجل مني)) .

والجواب : أن هذا ليس مسندا بل هو مرسل لو ثبت عن عمرو بن ميمون ، وفيه ألفاظ هي كذب على رسول الله ، كقوله : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ، غير أنك لست بنبي ، لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي . فإن النبي ذهب غير مرة وخليفته على المدينة غير عليّ ، كما اعتمر عمرة الحديبية وعليّ معه وخليفته غيره ، وغزا بعد ذلك خيبر ومعه عليّ وخليفته بالمدينة غيره ، وغزا غزوة الفتح وعليّ معه وخليفته في المدينة غيره ، وغزا حُنَيْنا والطائف وعليّ معه وخليفته بالمدينة غيره ، وحج حجة الوداع وعليّ معه وخليفته بالمدينة غيره ، وغزا غزوة بدر ومعه عليّ وخليفته بالمدينة غيره .

وكل هذا معلوم بالأسانيد الصحيحة وباتفاق أهل العلم بالحديث ، وكان عليّ معه في غالب الغزوات وإن لم يكن فيها قتال .

فإن قيل: استخلافه يدل على انه لا يستخلف إلا الأفضل ، لزم أن يكون عليٌّ مفضولا في عامة الغزوات ، وفي عمرته وحجته، لا سيما وكل مرة كان يكون الاستخلاف على رجال مؤمنين ، وعام تبوك ما كان الاستخلاف إلا على النساء والصبيان ومن عَذَرَ الله ، وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا أو مُتَّهم بالنفاق ، وكانت المدينة آمنة لا يُخاف على أهلها ، ولا يحتاج المستخلِف إلى جهاد، كما يحتاج في أكثر الاستخلافات .

وكذلك قوله : ((وسد الأبواب كلها إلاَّ باب عليّ)) فإن هذا مما وضعته الشيعة على طريق المقابلة ، فإن الذي في الصحيح عن أبي سعيد عن النبي أنه قال في مرضه الذي مات فيه ((إن أمّن الناس عليّ في ماله وصحبته أبو بكر ، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربّي لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن أخوة الإسلام ومودّته ، لا يبقين في المسجد خَوْخة إلا سُدت إلا خوخة أبي بكر))[1] . رواه ابن عباس أيضاً في الصحيحين . ومثل قوله :

---

[1](1) انظر البخاري ج 1 ص 96 – 97 وج 5 ص 4 ص 1855.

((أنت وليي في كل مؤمن بعـدي)) فـإن هـذا موضـوع باتفـاق أهل المعرفة بالحديث ، والذي فيه مـن الصـحيح ليـس هـو مـن خصائص الأئمة ، بل ولا من خصائص عليّ ، بل قـد شـاركه فيـه غيره ، مثل كونه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، ومثـل استخلافه وكونه منه بمنزلـة هـارون مـن موسـى ، ومثـل كـون عليّ مولى مَن النبي مولاه فإن كل مؤمن موالٍ لله ورسوله ، ومثل كون ((براءة)) لا يبلِّغها إلا رجل من بني هاشم ؛ فإن هذا يشترك فيه جميع الهاشميين ، لما رُوى أن العـادة كـانت جاريـة بأن لا ينقض العهود ولا يحلّها إلا رجل من قبيلة المطاع .

(فصـــــل)

قال الرافضي : ((ومنها ما رواه أخطب خوارزم عــن النبي أنه قال : يا عليّ لو أن عبداً عبد الله عز وجل مثـل مـا قام نوح في قومه ، وكان له مثل أُحُـد ذهبـاً فـأنفقه فـي سـبيل الله ، ومدّ في عمره حتى حج ألف عام علـى قـدميه ، ثـم قُتـل بين الصفا والمروة مظلوما ، ثـم لـم يوالـك يـا علـي، لـم يشـم رائحة الجنة ولم يدخلها .

وقال رجل لسلمان : ما أشدّ حبك لعليّ . قال : سـمعت رسول الله يقول : من أحب عليًّا فقد أحبني ، ومن أبغض عليًّـا فقد أبغضني . وعن أنس قال : قال رسول الله : ((خلق اللــه من نور وجه عليّ سبعين ألف مَلَك يستغفرون له ولمحبيه إلــى يوم القيامة)) .

وعن ابن عمر قال : قال رسـول اللـه : مـن أحـب عليًّـا قبل الله عنه صلاته وصيامه وقيامه واستجاب دعـاءه . ألا ومـن أحب عليًّا أعطاه الله بكل عرق من بدنه مدينـة فـي الجنـة : ألا ومن أحب آل محمد أمن من الحساب والميزان والصــراط . ألا ومن مات على حب آل محمد فأنا كفيله في الجنة مع الأنبياء ألا ومن أبغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه : ((آيس من رحمة الله)).

وعن عبد الله بـن مسـعود قـال : سـمعت رسـول اللـه يقول : من زعم أنه آمن بي وبما جئت به وهو يبغـض عليًّـا فهـو كاذب ليس بمؤمن .

وعن أبي برزة قال: قال رسول الله ونحن جلوس ذات يوم : والذي نفسي بيده لا تـزول قـدم عبـد يـوم القيامـة حـتى يسأله الله تبارك وتعالى عن أربع: عن عمره فيمَ أفنـاه ، وعــن

جسده فيمَ أبلاه ، وعن ماله ممَّ اكتسبه وفيمَ أنفقه ، وعن حُبنا أهل البيت . فقال له عمر : فما آية حبكم من بعدكم ؟ فوضع يده على رأس عليّ بن أبي طالب وهو إلى جانبه فقال : إن حبي من بعدي حب هذا .

وعن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله وقد سئل : بأي لغة خاطبك ربك ليلة المعراج ؟ فقال : خاطبني بلغة عليّ ، فألهمني أن قلت : يا رب خاطبتني أم عليّ ؟ فقال : يا محمد أنا شيء لست كالأشياء ، لا أقاس بالناس ولا أوصف بالأشياء ، خلقتك من نوري وخلقت عليًّا من نورك فاطلعت عَلَى سرائر قلبك ، فلم أجد إلى قلبك أحبَّ من عليّ ، فخاطبتك بلسانه كيما يطمئن قلبك .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله : لو أن الرياض أقلام ، والبحر مداد ، والجنّ حسّاب ، والإنس كتّاب ما أحصوا فضائل عليّ بن أبي طالب .

وبالإسناد قال :قال رسول الله : إن الله تعالى جعل الأجر عَلَى فضائل عليّ لا يُحصى كثرة ، فمن ذكر فضيلة من فضائله مقرًّا بها غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر ، ومن كتب فضيلة من فضائله لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي لتلك الكتابة رسم ، ومن استمع فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالاستماع ، ومن نظر إلى كتاب من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالنظر ، ثم قال : النظر إلى وجه أمير المؤمنين عليّ عبادة ، وذكره عبادة ، لا يقبل الله إيمان عبدٍ إلاّ بولايته والبراءة من أعدائه .

وعن حكيم بن حزام عن أبيه عن جده عن النبي أنه قال : لَمُبارزة عليّ لعمرو بن عبد ودّ يوم الخندق أفضل من عمل أمتي إلى يوم القيامة .

وعن سعد بن أبي وقاص قال : أمر معاوية بن أبي سُفيان سعداً بالسبّ فأبى ، فقال : ما منعك أن تسبّ عليّ بن أبي طالب ؟ قال : ثلاث قالهن رسول الله فلن أسبّه ، لأن يكون لي واحدة منهن أحب إليّ من حمر النعم : سمعت رسول الله يقول لعليّ وقد خلّفه في بعض مغازيه ، فقال له عليٌّ : تخلفني مع النساء والصبيان ؟ فقال له رسول الله : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ؟ إلا أنه لا نبي بعدي . وسمعته يقول يوم خيبر : لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله . قال : فتطاولنا فقال : ادعوا لي

عليًّا ، فأتاه وبه رمد ، فبصق في عينيه و دفع الراية إليه ، ففتح الله عليه . وأنزلت هذه الآية : ﴿ **فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبنَاءَكُمْ** ﴾[1]. دعا رسول الله ﷺ عليًّا وفاطمة والحسن والحسين فقال : ((هؤلاء أهلي)).

والجواب : أن أخطب خوارزم هذا له مصنّف في هذا الباب فيه من الأحاديث المكذوبة ما لا يخفى كذبه على من له أدنى معرفة بالحديث ، فضلاً عن علماء الحديث ، وليس هو من علماء الحديث ولا ممن يُرجع إليه في هذا الشأن البتة . وهذه الأحاديث مما يعلم أهل المعرفة بالحديث أنها من المكذوبات . وهذا الرجل قد ذكر أنه يذكر ما هو صحيح عندهم ، ونقلوه في المعتمد من قولهم وكتبهم ، فكيف يذكر ما أجمعوا على أنه كذب موضوع ، ولم يُرو في شيء من كتب الحديث المعتمدة ، ولا صححه أحد من أئمة الحديث .

فالعشرة الأول كلها كذب إلى آخر حديث : قتله لعمرو بن عبد ودّ . وأما حديث سعد لما أمره معاوية بالسبّ فأبى ، فقال : ما منعك أن تسبّ عليّ بن أبي طالب ؟ فقال : ثلاث قالهن رسول الله ﷺ فلن أسبّه ، لأن يكون لي واحدة منهن أحب إليَّ من حمر النعم.. الحديث . فهذا صحيح رواه مسلم في صحيحه[2] وفيه ثلاث فضائل لعليٍّ لكن ليست من خصائص الأئمة ولا من خصائص عليّ ، فإن قوله وقد خلّفه في بعض مغازيه فقال له عليّ : يا رسول الله تخلّفني مع النساء والصبيان ؟ فقال له رسول الله ﷺ: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ؟ ألا أنه لا نبي بعدي ، ليس من خصائصه ؛ فإنه استخلف عَلَى المدينة غير واحد ، ولم يكن هذا الاستخلاف أكمل من غيره . ولهذا قال له عليّ : أتخلفني مع النساء والصبيان ؟ لأن النبي ﷺ كان في كل غزاة يترك بالمدينة رجالا من المهاجرين والأنصار ، إلا في غزوة تبوك فإنه أمر المسلمين جميعهم بالنفير ، فلم يتخلف بالمدينة إلا عاصٍ أو معذور غير النساء والصبيان . ولهذا كره عليّ الاستخلاف ، وقال : أتخلفني مع النساء والصبيان ؟ يقول تتركني مخلفا لا تستصحبني معك ؟ فبيّن له النبي ﷺأن الاستخلاف ليس نقصا ولا غضاضة ؛ فإن موسى استخلف هارون على قومه لأمانته عنده

---

[1](1) الآية 61 من سورة آل عمران .

[2](1) انظر مسلم ج 4 ص 1871 .

، وكذلك أنت استخلفتك لأمانتك عندي ، لكن موسى استخلف نبيًّا وأنا لا نبي بعدي . وهذا تشبيه في أصل الاستخلاف ، فإن موسى استخلف هارون على جميع بني إسرائيل ، والنبي استخلف عليًّا على قليل من المسلمين ،وجمهورهم استصحبهم في الغزاة. وتشبيه بهارون ليس بأعظم من تشبيه أبي بكر وعمر : هذا بإبراهيم وعيسى ، وهذا بنوح وموسى ؛ فإن هؤلاء الأربعة أفضل من هارون ، وكل من أبي بكر وعمر شبه باثنين لا بواحد ؛ فكان هذا التشبيه أعظم من تشبيه عليّ ، مع أن استخلاف عليّ له فيه أشباه وأمثال من الصحابة .

(فصـــــل)

قال الرافضي : ((وعن عامر بن واثلة قال : كنت مع عليّ عليه السلام يوم الشورى يقول لهم : لأحتجنّ عليكم بما لا يستطيع عربيّكم ولا عجميّكم تغيير ذلك ، ثم قال : أنشدكم بالله أيها النفر جميعا ، أفيكم أحد وحّد الله تعالى قبلي ؟ قالوا اللهم لا . قال : فأنشدكم بالله هل فيكم أحد له أخ مثل أخي جعفر الطيَّار في الجنة مع الملائكة غيري ؟ قالوا : اللهم لا . قال : فأنشدكم بالله : هل فيكم أحد له عمّ مثل عمي حمزة أسد الله وأسد رسوله سيد الشهداء غيري ؟ قالوا : اللهم لا . ق ال : فأنشدكم ب الله هل فيكم أحد له زوجة مثل زوجتي فاطمة بنت محمد سيدة نساء أهل الجنة غيري ؟ قالوا : اللهم لا . قال : فأنشدكم بالله هل فيكم أحد له سبطان مثل سبطيّ الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة غيري ؟ قالوا : اللهم لا . قال : فأنشدكم بالله هل فيكم أحد ناجى رسول الله عشر مرات قدّم بين يدي نجواه صدقة غيري ؟ قالوا: اللهم لا . قال : فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله : م ن كنت مولاه فعليّ مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، ليبلغ الشاهد الغائب غيري ؟ قالوا : اللهم لا . قال : فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله : اللهم ائتني بأحب خلقك إليك وإليّ يأكل معي من هذا الطير ، فأتاه فأكل معه غيري؟ قالوا : اللهم لا . قال : فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله : لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه إذ رجع غيري منهزما غيري؟ قالوا : اللهم لا . قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله لبني وكيعة : لتنتهنّ أو لأبعثنّ إليكم رجلا نفسه

كنفسي وطاعته كطاعتي ، ومعصيته كمعصيتي يفصلكم بالسيف غيري ؟ قالوا : اللهم لا . قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله كذب من زعم أنه يحبني ويبغض هذا غيري ؟ قالوا : اللهم لا . قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد سلَّم عليه في ساعة واحدة ثلاثة آلاف من الملائكة : جبرائيل وميكائيل وإسرافيل حيث جئت بالماء إلى رسول الله من القليب غيري ؟ قالوا:اللهم لا . قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد نودي به من السماء: لا سيف إلا ذو الفقار ، ولا فتى إلا عليّ غيري؟ قالوا : اللهم لا . قال : قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له جبريل هذه هي المواساة ، فقال له رسول الله : إنه مني وأنا منه . فقال جبريل : وأنا منكما غيري؟ قالوا : اللهم لا . قال فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين ، على لسان النبي غيري ؟ قالوا: اللهم لا . قال فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله : إني قاتلت على تنزيل القرآن وأنت تقاتل على تأويله غيري ؟ قالوا : اللهم لا . قال : فأنشدكم بالله هل فيكم أحد رُدّت عليه الشمس حتى صلى العصر في وقتها غيري ؟ قالوا : اللهم لا . قال فأنشدكم بالله هل فيكم أحد أمره رسول الله أن يأخذ ((براءة)) من أبي بكر، فقال له أبو بكر : يا رسول الله أنزل فيّ شيء ؟ فقال له رسول الله : إنه لا يؤدّي عني إلا عليّ غيري ؟ قالوا : اللهم لا .

قال:فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق كافر غيري؟ قالوا : اللهم لا .

قال:فأنشدكم بالله هل تعلمون أنه أمر بسدّ أبوابكم وفتح بابي فقلتم في ذلك ، فقال رسول الله : ما أنا سددت أبوابكم ولا فتحت بابه ، بل الله سد أبوابكم وفتح بابه غيري؟ قالوا : اللهم لا .

قال:فأنشدكم بالله أتعلمون أنه ناجاني يوم الطائف دون الناس فأطال ذلك ، فقلتم : ناجاه دوننا ، فقال : ما أنا انتجيته بل الله انتجاه غيري ؟ قالوا : اللهم نعم .

قال:فأنشدكم بالله أتعلمون أن رسول الله قال : الحق مع عليّ وعليّ مع الحق يزول الحق مع عليّ كيفما زال ؟ قالوا : اللهم نعم .

قال:فأنشدكم بالله أتعلمون أن رسول الله قال : إنـي تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، لن تضلوا مـا استمسكتم بهما ، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحـوض ؟ قـالوا : اللهم نعم .

قال:فأنشدكم بالله هـل فيكـم أحـد وقـى رسـول اللـه بنفسه من المشركين واضـطجع فـي مضـجعه غيـري ؟ قـالوا : اللهم لا .

قال:فأنشدكم بالله هل فيكم أحد بـارز عمـر بـن عبـد ودّ العامري حيث دعاكم إلى البراز غيري ؟ قالوا : اللهم لا.

قال:فأنشدكم بالله هل فيكم أحد نـزل فيـه آيـة التطهيـر حيث يقول **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللـه لِيُـذْهِبَ عَنْكُـمُ الرِّجْـسَ أَهْـلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾**[1]غيري ؟ قالوا : اللهم لا.

قال:فأنشدكم بالله هل فيكـم أحـد قـال لـه رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم: أنت سيد المؤمنين غيري؟ قالوا : اللهـم لا .

قال:فأنشدكم بالله هل فيكـم أحـد قـال لـه رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم: ما سألت الله شيئا إلا وسـألت لـك مثلـه غيري ؟ قالوا : اللهم لا .

ومنها ما رواه أبـو عمـرو الزاهـد عـن ابـن عبـاس قـال : لعليّ أربع خصال ليست لأحد من الناس غيـره ، هـو أوّل عربـي وعجمي صلّى مع النبي ، وهو الذي كـان لـواؤه معـه فـي كـل زحف ، وهو الذي صبر معه يوم حنين، وهو الذي غسَّـله وأدخلـه قبره .

وعن النبي قال : مررت ليلـة المعـراج بقـوم تُشرشـر أشداقهم ، فقلت: يا جبريل مـن هـؤلاء ؟ قـال : قـوم يقطعـون الناس بالغيبة . قال : ومررت بقوم وقـد ضوضـؤا ، فقلـت : يـا جبريل من هـؤلاء ؟ قـال: هـؤلاء الكفـار. قـال : ثـم عـدلنا عـن الطريق فلما انتهينـا إلـى السـماء الرابعـة رأيـت عليّـا يصـلّي ، فقلت : يا جبريل هذا عليّ قد سبقنا . قال : لا ليس هـذا عليًّـا . قلـت : فمـن هـو ؟ قـال : إن الملائكـة المقرَّبيـن والملائكـة الكروبيين لما سمعت فضائل عليّ وخاصته وسمعت قولك فيـه : أنـت منـي بمنزلـة هـارون مـن موسـى إلا أنـه لا نـبي بعـدي ، اشتاقت إلى عليّ ، فخلق الله تعالى مَلَكـا علـى صـورة علـيّ ،

---

[1](1) الآية 33 من سورة الأحزاب .

فإذا اشتاقت إلى عليّ جاءت إلى ذلك المكان ، فكأنها قـد رأت عليًّا .

وعن ابن عباس قال : إن المصطفى [illegible] نشيط : [illegible] . [illegible] : [illegible]: [illegible] [illegible] [illegible]

وفـي هـذا الحـديث الـذي ذكـره الرافضـي أنـواع مـن الأكاذيب التي نزّه الله عليًّا عنهـا ، مثـل احتجـاجه بـأخيه وعمـه وزوجته ، وعليّ أفضل من هؤلاء ، وهـو يعلـم أن أكـرم الخلـق عند الله أتقاهم . ولو قال العباس : هل فيكم مثل أخـي حمـزة ومثل أولاد إخوتي محمد وعلـي وجعفـر ؟! لكـانت هـذه الحجـة من جنس تلـك ، بـل احتجـاج الإنسـان ببنـي إخـوته أعظـم مـن احتجاجه بعمه . ولو قال عثمان : هل فيكم من تزوج بنتَـى نـبي لكان من جنس قول القائل : هل فيكم مـن زوجتـه كزوجـتي ؟ وكانت فاطمة قد ماتت قبل الشورى كما ماتت زوجتـا عثمـان ، فإنها ماتت بعد موت النبي بنحو ستة أشهر .

وكذلك قوله : ((هل فيكم مَنْ له ولد كولدي ؟)) .

وفيه أكاذيب متعددة ، مثل قوله ((ما سـألت اللـه شـيئاً إلا وسألت لك مثله)) . وكذلك قوله : ((لا يؤدّي عنـي إلا علـيّ)) من الكذب .

وقال الخطابي في كتاب ((شعار الدين)) : ((وقوله : لا يؤدّي عني إلا رجـل مـن أهـل بيـتي)) هـو شـيء جـاء بـه أهـل الكوفة عن زيد بن يُثَيْع ، وهو متهـم فـي الروايـة منسـوب إلـى الرفض . وعامة من بلّغ عنه غير أهـل بيتـه ، فقـد بعـث رسـول الله أسعد بن زرارة إلى المدينة يدعوا النـاس إلـى الإسـلام ، ويعلّم الأنصار القرآن ، ويفقههـم فـي الـدين . وبعـث العلاء بـن الحضرمي إلى البحرين في مثل ذلك ، وبعث معاذاً وأبا موسـى إلى اليمن ، وبعث عتاب بن أسيد إلى مكة . فأين قول من زعم أنه لا يبلّغ عنه إلا رجل من أهل بيته ؟!

وأما حديث ابن عباس ففيـه أكـاذيب : منهـا قـوله : كـان لواؤه معه في كل زحف ، فإن هذا من الكذب المعلوم ، إذ لـواء النبي كان يوم أُحد مع مصعب بن عمير باتفاق الناس ، ولـواؤه يوم الفتح كان مع الزبير بن العـوام ، وأمـره رسـول اللـه أن يركز رايته بالحجون ، فقال العبـاس للزبيـر بـن العـوام: أهاهنـا أمـرك رسـول اللـه أن تركـز الرايـة ؟ أخرجـه البخـاري فـي صحيحه[1] .

وكذلك قوله : ((وهو الذي صبر معه يوم حُنين)) .

وقد عُلم أنه لـم يكـن أقـرب إليـه مـن العبـاس بـن عبـد المطلب ، وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، والعبـاس

---

[1](1) انظر البخاري ج 5 ص 121 .

آخذ بلجام بغلته ، وأبو سفيان بن الحارث آخذ بركابه ، وقال له النبي ﷺ: « ناد أصحاب السمرة » قال : فقلت بأعلى صوتي : أين أصحاب السمرة ؟ فوالله كأن عطفتهم عليّ حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها ، فقالوا : يالبيك يالبيك . والنبي ﷺ يقول : « أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب » ونزل عن بغلته وأخذ كفًّا من حصى فرمى بها القوم وقال : « انهزموا ورب الكعبة » قال العباس : « فوالله ما هو إلا أن رماهم فمازلت أرى حدّهم كليلا وأمرهم مدبرا ، حتى هزمهم الله» أخرجاه في الصحيحين . وفي لفظ البخاري قال : « وأبو سفيان آخذ بلجام بغلته » وفيه : « قال العباس: لزمت أنا وأبو سفيان رسول الله ﷺ يوم حُنين فلم نفارقه»[1].

وأما غُسله ﷺ وإدخاله قبره ، فاشترك فيه أهل بيته ، كالعباس وأولاده، ومولاه شقران ، وبعض الأنصار، لكن عليٌّ كان يباشر الغسل ، والعباس حاضر لجلالة العباس ، وأن عليًّا أولاهم بمباشرة ذلك .

وكذلك قوله : ((هو أوّل عربي وعجمي صلّى)) يناقض ما هو المعروف عن ابن عباس .

(فصـــل)

وأما حديث المعراج وقوله فيه : إن الملائكة المقرَّبين والملائكة الكروبيين لما سمعت فضائل عليّ وخاصته وقول النبي صلى الله عليه وسلم: « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ؟ » اشتاقت إلى علي فخلق الله لها مَلَكاً على صورة عليّ)) .

فالجواب : أن هذا من كذب الجُهّال الذين لا يحسنون أن يكذبوا ، فإن المعراج كان بمكة قبل الهجرة بإجماع الناس ، كما قال تعالى :﴿ **سبحانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِير** ﴾[2] . وكان الإسراء من المسجد الحرام .

---

[1](2) رواه البخاري في أماكن متعددة وانظر المغازى الباب 56 ، ومسلم : ج 3 ص 1398 .

[2](1) الآية 1 من سورة الإسراء .

وقال : ﴿**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى . مَا ضَلَّ صَاحِبُكُم وَمَا غَوَى.وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى . إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى** ﴾ [1] إلى قوله :﴿ **أَفتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى. وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى .عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى**﴾[2] إلى قوله تعالى: ﴿ **أَفَرَأَيْتُم اللَّاتَ وَالْعُزَّى** ﴾[3].وهذا كله نزل بمكة بإجماع الناس .

وقوله : « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ؟ » قاله في غزوة تبوك ، وهي آخر الغزوات عام تسع من الهجرة . فكيف يُقال : إن الملائكة ليلة المعراج سمعوا قوله : « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ؟»

(فصـــل)

وكذلك الحديث المذكور عن ابن عباس : أن المصطفى ﷺ قال ذات يوم وهو نشيط :((أنا الفتى ابن الفتى أخو الفتى)) قال : فقوله : أنا الفتى: يعني فتى العرب ، **وقوله :** ابن الفتى ، يعني إبراهيم الخليل صلوات الله عليه ، من قوله :﴿ **سمعنا فتىً يَذْكُرُهُم يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيم** ﴾[4]، وقوله أخو الفتى : يعني عليًّا ، وهو معنى قول جبريل في يوم بدر وقد عرج إلى السماء وهو فرح وهو يقول: لا سيف إلا ذو الفقار ، ولا فتى إلا عليّ)) .

فإن هذا الحديث من الأحاديث المكذوبة الموضوعة باتفاق أهل المعرفة بالحديث ، وكذبه معروف من غير جهة الإسناد من وجوه .

منها :أن لفظ ((الفتى)) في الكتاب والسنّة ولغة العرب ليس هو من أسماء المدح ، كما ليس هو من أسماء الذم ، ولكنه بمنزلة اسم الشاب والكهل والشيخ ونحو ذلك ، والذين قالوا عن إبراهيم : سمعنا فتى يذكرهم يُقال له إبراهيم ، هم الكفار ،ولم يقصدوا مدحه بذلك ، وإنما الفتى كالشاب الحَدَث .

ومنها : أن النبي ﷺ أجلُّ من أن يفتخر بجده ، وابن عمه .

ومنها: أن النبي ﷺ لم يؤاخ عليًّا ولا غيره ، وحديث المؤاخاة لعليّ ، ومؤاخاة أبي بكر لعمر من الأكاذيب . وإنما

---

[1](2) الآيات من 1 – 4 من سورة النجم .
[2](3) الآيات من 12- 14 من سورة النجم .
[3](4) الآية 19 من سورة النجم .
[4](1) الآية 60 من سورة الأنبياء .

آخـى بيـن المهـاجرين والأنصـار ، ولـم يـؤاخ بيـن مهـاجريّ ومهاجريّ.

ومنها: أن هذه المناداة يوم بدر كذب .

ومنها : أن ذا الفقار لم يكن لعليّ ، وإنما كان سيفا مـن سيوف أبي جهل غنمه المسلمون منه يوم بدر ، فلـم يكـن يـوم بدر ذو الفقار من سيوف المسلمين ، بـل مـن سـيوف الكفّـار ، كما روى ذلك أهل السنن . فروى الإمام أحمد والترمـذي وابـن ماجة عـن ابـن عبـاس أن النـبي تنفـل سـيفه ذا الفَقَـار يـوم بدر[1] .

ومنها : أن النبي كان بعد النبـوة كهلا قـد تعـدّى سـن الفتيان .

(فصـــــل)

وأما حـديث أبـي ذر الـذي رواه الرافضـي فهـو موقـوف عليه ليس مرفوعا ، فلا يحتج به ، مع أن نقلـه عـن أبـي ذر فيـه نظر ، ومع هذا فحب عليّ واجب ،وليس ذلك من خصائصه ، بل علينا أن نحبه ، كما علينا أن نحب عثمان وعمـر وأبـا بكـر ، وأن نحب الأنصار .

ففي الصـحيح عـن النـبي أنـه قـال : ((آيـة الإيمـان حـب الأنصار ، وآية النفاق بغض الأنصار))[2] وفي صـحيح مسـلم عـن عليّ أنه قال : ((إنـه لعهـد النـبي الأمّي إلـيّ أنـه لا يحبنـي إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق))[3].

(فصـــــل)

قال الرافضي : ((ومنها ما نقله صاحب ((الفـردوس)) في كتابه عن معاذ بن جبل عن النبي أنه قال : ((حب علـيّ حسنة لا تضر معها سيئة وبغضه سيئة لا ينفع معها حسنة)).

والجواب : أن كتاب ((الفردوس)) فيـه مـن الأحـاديث الموضـوعات مـا شـاء اللـه ، ومصـنفه شـيرويه بـن شـهردار الديلمي وإن كان من طلبة الحديث ورواته ، فإن هذه الأحـاديث التي جمعها وحذف أسانيدها ، نقلهـا مـن غيـر اعتبـار لصـحيحها

---

[1](1) انظر سنن الترمذي ج 3 ص 60-61 وسنن ابن ماجة ج 2 ص 939 والمسند ج 4 ص 146 –147 تحقيق أحمد شاكر .

[2](2) انظر البخاري ج 1 ص 9 ومسلم ج 1 ص 85 .

[3](3) انظر مسلم ج 1 ص 86 وتقدم .

وضعيفها وموضوعها ؛ فلهذا كان فيه من الموضوعات أحاديث كثيرة جداً .

وهذا الحديث مما يشهد المسلم بأن النبي لا يقوله؛ فإن حب الله ورسوله أعظم من حب عليّ ، والسيئات تضر مع ذلك . وقد قال النبي يضرب عبد الله بن حمار في الخمر ، وقال: ((إنه يحب الله ورسوله)).وكل مؤمن فلابد أن يحب الله ورسوله ، والسيئات تضره . وقد أجمع المسلمون وعُلم بالاضطرار من دين الإسلام أن الشرك يضر صاحبه ولا يغفره الله لصاحبه ، ولو أحب عليّ بن أبي طالب ؛ فإن أباه أبا طالب كان يحبه وقد ضره الشرك حتى دخل النار ، والغالية يقولون إنهم يحبونه وهم كفّار من أهل النار .

وبالجملة فهذا القول كفر ظاهر يُستتاب صاحبه ، ولا يجوز أن يقول هذا من يؤمن بالله واليوم الآخر.

وكذلك قوله : ((وبغضه سيئة لا ينفع معها حسنة)) فإن من أبغضه إن كان كافرا فكفره هو الذي أشقاه ، وإن كان مؤمنا نفعه إيمانه وإن أبغضه .

وكذلك الحديث الذي ذكره عن ابن مسعود أن النبي قال : ((حب آل محمد يوماً خير من عبادة سنة ، ومن مات عليه دخل الجنة . وقوله عن عليّ : أنا وهذا حجة الله على خلقه –هما حديثان موضوعان عند أهل العلم بالحديث . وعبادة سنة فيها الإيمان والصلوات الخمس كل يوم وصوم شهر رمضان ، وقد أجمع المسلمون على أن هذا لا يقوم مقامه حب آل محمد شهراً ، فضلا عن حبهم يوما .

وكذلك حجة الله على عباده قامت بالرسل فقط . كما قال تعالى: **لئلاّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُل** [1].ولم يقل : بعد الرسل والأئمة أو الأوصياء أو غير ذلك .

وكذلك قوله: ((لو اجتمع الناس عَلَى حب عليّ لم يخلق الله النار)) من أبين الكذب باتفاق أهل العلم والإيمان ، ولو اجتمعوا على حب عليّ لم ينفعهم ذلك حتى يؤمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويعملوا صالحا ، وإذا فعلوا ذلك دخلوا الجنة ، وإن لم يعرفوا عليًّا بالكلية ، ولم يخطر بقلوبهم لا حبه ولا بغضه .

---

(1) الآية 165 من سورة النساء .

(فصـــــل)

وكذلك الحديث الذي ذكره في العهد الذي عهده الله في علي، وأنه راية الهدى وإمام الأولياء ، وهو الكلمـة الـتي ألزمهـا للمتقين ... الخ .

فإن هذا كـذب موضـوع باتفـاق أهـل المعرفـة بالحـديث والعلم . ومجـرد روايـة صـاحب ((الحليـة)) ونحـوه لا تفيـد ولا تدل على الصحة ؛ فإن صاحب ((الحلية)) قد روى فـي فضـائل أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ والأولياء وغيرهم أحـاديث ضـعيفة بل موضوعة باتفاق العلماء ، وهو وأمثـاله م ن الحفـاظ الثقـات أهل الحديث ثقات فيما يروونه عن شيوخهم، لكـن الآفـة ممـن هو فوقهم. وكذلك حديث عمَّار وابن عباس كلاهما من الموضوعات .

(فصـــــل)

قال الرافضي : ((وأما المطـاعن فـي الجماعـة فقـد نقل الجمهور منها أشياء كثيرة : حتى صنَّف الكلبي كتابا ((فـي مثالب الصحابة)) ولم يذكر فيه منقصة واحدة لأهل البيت)) .

والجواب أن يقال : قبل الأجوبة المفصلة عن ما يُذكر من المطاعن أن ما يُنقل عن الصحابة من المثالب فهو نوعان : أحدهما : ما هو كذب : إما كذب كله ، وإما محرَّف قد دخله مـن الزيادة والنقصان ما يُخرجه إلى الذم والطعن . وأكثر المنقـول مـن المطـاعن الصـريحة هـو مـن هـذا البـاب يرويهـا الكـذّابون المعروفون بالكذب ، مثـل أبـي مخنـف لـوط بـن يحيـى ،ومثـل هشام بن محمد بن السـائب الكلـبي وأمثالهمـا مـن الكـذّابين . ولهذا استشهد هذا الرافضي بما صنّفه هشام الكلبي في ذلـك ، وهو من أكذب الناس ، وهـو شـيعي يـروى عـن أبيـه وعـن أبـي مخنف ، وكلاهما متروك كذّاب .

النوع الثاني : ما هو صدق . وأكثر هذه الأمور لهم فيها معاذير تخرجها عن أن تكون ذنوبا ،وتجعلها من موارد الاجتهـاد ، التي إن أصاب المجتهد فيهـا فلـه أجـران وإن أخطـأ فلـه أجـر . وعامة المنقول الثابت عن الخلفاء الراشـدين مـن هـذا البـاب ، وما قُدِّر من هذه الأمور ذنبا محققا فإن ذلك لا يقـدح فيمـا عُلـم من فضائلهم وسـوابقهم وكـونهم مـن أهـل الجنـة ، لأن الـذنب المحقق يرتفع عقابه في الآخرة بأسباب متعددة .

منها : التوبة الماحية . وقد ثبت عن أئمة الإماميـة أنهـم تابوا من الذنوب المعروفة عنهم .

ومنها : الحسنات الماحية للذنوب ؛ فإن الحسنات يذهبن السيئات . وقد قال تعالى : ﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرُ عَنْكُم سَيِّئَاتِكُم ﴾[1].

ومنها : المصائب المكفِّرة .

ومنها : دعاء المؤمنين بعضهم لبعض ، وشفاعة نبيهم ، فما من سبب يسقط به الذم والعقاب عن أحد من الأمة إلا والصحابة أحق بذلك ، فهم أحق بكل مدح ،ونفي كل ذم ممن بعدهم من الأمة .

قال الرافضي : ((وقد ذكر غيره منها أشياء كثيرة ، ونحن نذكر منها شيئا يسيرا . منها ما رووه عن أبي بكر أنه قال على المنبر : إن النبي ﷺ كان يعتصم بالوحي ، وإن لي شيطانا يعتريني ، فإن استقمت فأعينوني ، فإن زغت فقوموني ، وكيف يجوز إمامة من يستعين بالرعية على تقويمه ، مع أن الرعية تحتاج إليه ؟)).

والجواب أن يقال : هذا الحديث من أكبر فضائل الصديق ﷺ وأدلها على أنه لم يكن يريد علوًا في الأرض ولا فسادا ، فلم يكن طالب رياسة ،ولا كان ظالما ، وإنه إنما كان يأمر الناس بطاعة الله ورسوله فقال لهم : إن استقمت على طاعة الله فأعينوني عليها ، وإن زغت عنها فقوّموني . كما قال أيضا : أيها الناس ... أطيعوني ما أطعت الله ، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم .

والشيطان الذي يعتريه يعتري جميع بني آدم ؛ فإنه ما من أحد إلا وقد وكَّل الله به قرينه من الملائكة وقرينه من الجن .

ومقصود الصديق بذلك: إني لست معصوماً كالرسول صلى الله عليه وسلم. وهذا حق. وقول القائل:كيف تجوز إمامة من يستعين على تقويمه بالرعية؟كلام جاهل بحقيقة الإمامة.فإن الإمام ليس هو ربًّا لرعيته حتى يستغني عنهم، ولا هو رسول الله إليهم حتى يكون هو الواسطة بينهم وبين الله. وإنما هو والرعية شركاء يتعاونون هم وهو على مصلحة الدين والدنيا؛ فلا بد له من إعانتهم ، ولا بد لهم من إعانته ، كأمير القافلة الذي يسير بهم في الطريق : إن سلك بهم الطريق اتّبعوه ، وإن أخطأ عن الطريق نبّهوه وأرشدوه، وإن خرج

---

[1](1) الآية 31 من سورة النساء .

عليهم صائل يصول عليهم تعاون هو وهم على دفعه . لكن إذا كان أكملهم علما وقدرة ورحمة كان ذلك أصلح لأحوالهم .

(فصـــــل)

قال الرافضي : ((وقال : أقيلوني فلست بخيركم ، وعليٌّ فيكم . فإن كانت إمامته حقًّا كانت استقالته منها معصية ، وإن كانت باطلة لزم الطعن)).

والجواب : أن هذا كذب ، ليس فيه شيء من كتب الحديث ، ولا له إسناد معلوم .

فإنه لم يقل ((وعليٌّ فيكم))بل الذي ثبت عنه في الصحيح أنه قال يوم السقيفة : بايعوا أحد هذين الرجلين : عمر بن الخطاب وأبا عبيدة بن الجراح . فقال له عمر : بل أنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله . قال عمر : كنت والله لأن أُقدَّم فتُضرب عنقي ، لا يقرّبني ذلك إلى إثم، أحب إليّ من تأمُّري على قوم فيهم أبو بكر[1] .

ثم لو قال : ((وعليٌّ فيكم)) لاستخلفه مكان عمر ؛ فإن أمره كان مطاعا.

وأما قوله : ((إن كانت إمامته حقًّا كانت استقالته منها معصية)) .

فيقال : إن ثبت أنه قال ذلك ، فإن كونها حقا إما بمعنى كونها جائزة ، والجائز يجوز تركه . وإما بمعنى كونها واجبة إذا لم يولّوا غيره ولم يقيلوه . وأما إذا أقالوه وولّوا غيره لم تكن واجبة عليه .

والإنسان قد يعقد بيعا أو إجارة ، و يكون العقد حقا ، ثم يطلب الإقالة، وهو لتواضعه و ثقل الحمل عليه قد يطلب الإقالة ، و إن لم يكن هناك من هو أحق بها منه . و تواضع الإنسان لا يسقط حقه .

(فصـــــل)

---

[1](1) تقدم تخريجه ص 93 وسيأتي ص 407 وتخريجه هناك .

قال الرافضي : ((وقال عمر : كانت بيعة أبي بكر فَلْتة وقى الله المسلمين شرها ، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه . ولو كانت إمامته صحيحة لم يستحق فاعلها القتل ، فيلزم تطرق الطعن إلى عمر . وإن كانت باطلة ، لزم الطعن عليهما معا)) .

والجواب : أن لفظ الحديث سيأتي . قال فيه : ((فلا يغترن امرؤ أن يقول : ((إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة فتمت . ألا وإنّها قد كانت كذلك ، ولكن وقى اللهُ شرَّها ، وليس فيكم من تقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر)) . ومعناه أن بيعة أبي بكر بودر إليها من غير تريث ولا انتظار ، لكونه كان متعيّنا لهذا الأمر . كما قال عمر : ((ليس فيكم من تُقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر)).

وكان ظهور فضيلة أبي بكر على من سواه ، وتقديم رسول الله له على سائر الصحابة أمراً ظاهرا معلوما . فكانت دلالة النصوص على تعيينه تُغنى عن مشاورة وانتظار وتريث ، بخلاف غيره ؛ فإنه لا تجوز مبايعته إلا بعد المشاورة والانتظار والتريث . فمن بايع غير أبي بكر عن غير انتظار وتشاور لم يكن له ذلك .

(فصـــــل)

قال الرافضي : ((وقال أبو بكر عند موته : ليتني كنت سألت رسول الله هل للأنصار في هذا الأمر حق ؛ وهذا يدل على أنه في شكٍ من إمامته ولم تقع صوابا)) .

والجواب : أن هذا كذب على أبي بكر ، وهو لم يذكر له إسنادا .ومعلوم أن من احتج في أي مسألة كانت بشيء من النقل ، فلابد أن يذكر إسنادا تقوم به الحجة . فكيف بمن يطعن في السابقين الأوّلين بمجرد حكاية لا إسناد لها ؟

ثم يقال : هذا يقدح فيما تدّعونه من النص على عليّ ؛ فإنه لو كان قد نصّ على عليّ لم يكن للأنصار فيه حق ، ولم يكن في ذلك شك .

(فصـــــل)

قال الرافضي : ((وقال عند احتضاره : ليت أمي لم تلدني ! يا ليتني كنت تبنة في لبنة . مع أنهم قد نقلوا عن النبي

 أنه قال : ما من محتضر يحتضر إلا ويـرى مقعـده مـن الجنـة والنار)).

والجواب : أن تكلمه بهذا عند الموت غير معروف ، بـل هو باطل بلا ريب . بل الثابت عنه أنه لما احتُضر ، وتمثلت عنده عائشة بقول الشاعر :

لعُمرك ما يغني الثراءُ عن الفتى إذا حشرجت يوما وضاق بهاالصدرُ

فكشف عن وجهه ، وقال : ليـس كـذلك ، ولكـن قـولي : ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾[1].

ولكن نقل عنه أنه قال في صحته : ليت أمي لم تلــدني ! ونحو هذا قـ اله خوفـاً – إن صـح النقـل عنـه . ومثـل هـذا الكلام منقول عـن جماعـة أنهـم قـالوه خوفـاً وهيبـة مـن أهـوال يـوم القيامة ، حتى قال بعضهم : لو خُيِّـرت بيـن أن أحاسـب وأدخـل الجنـة ، وبيـن أن أصـير ترابـا، لاخـترت أن أصـير ترابـا . وروى الإمام أحمد عن أبي ذر أنه قال : والله لوددت أني شجرة تعضد .

(فصـــــل)

قال الرافضي : ((وقال أبو بكر : ليتني في ظلة بنـي ساعدة ضربت بيدي علـى يـد أحـد الرجليـن ، فكـان هـو الأميـر وكنت الوزير)). قـال : ((وهـو يـدل علـى أنـه لـم يكـن صـالحاً يرتضى لنفسه الإمامة)).

والجواب : أن هذا إن كان قاله فهو أدلّ دليـل علـى أن عليًّا لم يكن هو الإمام ؛ وذلك أن قائل هذا إنما يقوله خوفاً مـن الله أن يضيع حق الولاية ، وأنه إذا ولّى غيَره ، وكان وزيـرا لـه ، كان أبرأ لذمته . فلو كان عليّ هـو الإمـام ، لكـانت تـوليته لأحـد الرجلين إضاعة للإمامة أيضا ، وكان يكون وزيرا لظـالم غيـره ، وكان قد باع آخرته بدنيا غيره . وهذا لا يفعلـه م ن يخـاف اللـه ، ويطلب براءة ذمته .

(فصـــــل)

قال الرافضي : ((وقال رسول الله في مرض مـوته ، مـرة بعـد أخـرى ، مكـرراً لـذلك : أنفـذوا جيـش أسـامة ، لعـن اللـه

---

[1](1) الآية 19 من سورة ق.

المتخلف عن جيش أسامة. وكان الثلاثة معه ، ومنع عمر أبو بكر من ذلك)).

والجواب : أن هذا من الكذب المتفق على أنه كذب عند كل من يعرف السيرة ، ولم ينقل أحد من أهل العلم أن النبي أرسل أبو بكر أو عثمان في جيش أسامة . وإنما رُوى ذلك في عمر . وكيف يرسل أبا بكر في جيش أسامة ، وقد استخلفه يصلّي بالمسلمين مدة مرضه . وكان ابتداء مرضه من يوم الخميس إلى الخميس إلى يوم الاثنين ، اثنى عشر يوما ، ولم يقدّم في الصلاة بالمسلمين إلا أبا بكر بالنقل المتواتر ، ولم تكن الصلاة التي صلاَّها أبو بكر بالمسلمين في مرض النبي صلاةً ولا صلاتين ، ولا صلاة يوم ولا يومين ، حتى يُظَنّ ما تدعيه الرافضة من التلبيس ، وأن عائشة قدّمته بغير أمره ، بل كان يصلّي بهم مدة مرضه ؛ فإن الناس متفقون على أن النبي لم يصل بهم في مرض موته ولم يصل بهم إلا أبو بكر ، وعلى أنه صلّى بهم عدة أيام . وأقل ما قيل : أنّه صلّى بهم سبع عشرة صلاة ؛ صلّى بهم صلاة العشاء الآخرة ليلة الجمعة ، وخطب بهم يوم الجمعة . هذا ما تواترت به الأحاديث الصحيحة ، ولم يزل يصلّي بهم إلى فجر يوم الاثنين. صلّى بهم صلاة الفجر ، وكشف النبي الستارة ، فرآهم يصلّون خلف أبي بكر ، فلما رأوه كادوا يفتنون في صلاتهم ، ثُم أرخى الستارة . وكان ذلك آخر عهدهم به، وتوفي يوم الاثنين حين اشتد الضحى قريبا من الزوال .

(فصـــــل)

قال الرافضي : ((وأيضا لمْ يُوَلِّ النبي أبا بكر البتة عملا في وقته، بل ولّى عليه عمرو بن العاص تارة وأسامة أخرى . ولما أنفذه بسورة ((براءة)) ردّه بعد ثلاثة أيام بوحي من الله ، وكيف يرتضي العاقل إمامة من لا يرتضيه النبي بوحي من الله لأداء عشر آيات من ((براءة))؟!)).

والجواب : أن هذا من أَبْيَن الكذب ؛ فإنه من المعلوم المتواتر عند أهل التفسير والمغازى والسير والحديث والفقه وغيرهم : أن النبي استعمل أبا بكر على الحج عام تسع ، وهو

أول حج كان في الإسلام من مدينة رسول الله ، ولم يكن قبله حج في الإسلام ، إلا الحجة التي أقامها عتاب بن أسيد بن أبي العاص بن أمية من مكة ؛ فإن مكة فتحت سنة ثمان ، وأقام الحج ذلك العام عتاب بن أسيد ، الذي استعمله النبي على أهل مكة ثم أمّر أبا بكر سنة تسع للحج ، بعد رجوع النبي من غزوة تبوك ، وفيها أَمَر أبا بكر بالمناداة في الموسم : أن لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عُريان. ولم يؤمِّر النبي غير أبي بكر على مثل هذه الولاية ؛ فولاية أبي بكر كانت من خصائصه ، فإن النبي لم يؤمِّر على الحج أحدا كتأمير أبي بكر ، ولم يستخلف على الصلاة أحداً كاستخلاف أبي بكر ، وكان عليٌّ من رعيته في هذه الحجة ؛ فإنه لحقه فقال : أمير أو مأمور ؟ فقال عليّ: بل مأمور . وكان عليّ يصلّي خلف أبي بكر مع سائر المسلمين في هذه الولاية ، ويأتمر لأمره كما يأتمر له سائر من معه ، ونادى عليٌّ مع الناس في هذه الحجة بأمر أبي بكر .

وأما ولاية غير أبي بكر فكان يشاركه فيها غيره ، كولاية عليّ وغيره؛ فلم يكن لعليّ ولاية إلا ولغيره مثلها ، بخلاف ولاية أبي بكر ، فإنها من خصائصه ، ولم يولِّ النبي على أبي بكر لا أسامة بن زيد ولا عمرو بن العاص .

فأما تأمير أسامة عليه فمن الكذب المتفق على كذبه .

وأما قصة عمرو بن العاص ، فإن النبي كان أرسل عَمْراً في سرية ، وهي غزوة ذات السلاسل ، وكانت إلى بني عذرة ، وهم أخوال عمرو ، فأمَّر عمراً ليكون ذلك سبباً لإسلامهم ، للقرابة التي له منهم . ثم أردفه بأبي عبيدة ، ومعه أبو بكر وعمر و غيرهما من المهاجرين . و قال :

((تطاوعا ولا تختلفا)) فلما لحق عَمْراً قال : أصلّي بأصحابي وتصلّي بأصحابك . قال : بل أنا أصلّي بكم ؛ فإنما أنت مدد لي . فقال له أبو عبيدة : إن رسول الله أمرني أن أطاوعك ، فإن عصيتني أطعتك. قال : فإني أعصيك . فأراد عمرو أن ينازعه في ذلك ، فأشار عليه أبو بكر أن لا يفعل . ورأى أبو بكر أن ذلك أصلح للأمر ، فكانوا يصلّون خلف عمرو، مع علم كل أحد أن أبا بكر وعمر وأبا عبيدة أفضل من عمرو .

وأما قول الرافضي : إنه لما أنفذه ببراءة ردّه بعد ثلاثة أيام ؛ فهذا من الكذب المعلوم ؟أنه كذب . فإن النبي لما أمَّر أبا بكر على الحج ، ذهب كما أمره ، وأقام الحج في ذلك

العام ، عام تسع ، للناس ، ولم يرجع إلى المدينة حتى قضى الحج ، وأنفذ فيه ما أمره به النبي ، فإن المشركين كانوا يحجون البيت ، وكانوا يطوفون بالبيت عراة ، وكان بين النبي وبين المشركين عهود مطلقة ، فبعث أبا بكر وأمره أن ينادي : أن لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عُريان. فنادى بذلك من أمره أبو بكر بالنداء ذلك العام ، وكان عليّ بن أبي طالب من جملة من نادى بذلك في الموسم بأمر أبي بكر ، ولكن لما خرج أبو بكر أردفه النبي بعليّ بن أبي طالب لينبذ إلى المشركين العهود .

قالوا : وكان من عادة العرب أن لا يعقد العهود ولا يفسخها إلا المطاع ، أو رجل من أهل بيته . فَبَعَث عليًّا لأجل فسخ العهود التي كانت مع المشركين خاصة ، لم يبعثه لشيء آخر . ولهذا كان عليّ يصلّي خلف أبي بكر ، ويدفع بدفعه في الحج ، كسائر رعية أبي بكر الذين كانوا معه في الموسم.

(فصـــل)

قال الرافضي: ((وقطع يسار سارق ، ولم يعلم أن القطع لليد اليمنى)).

والجواب : أن قول القائل : إن أبا بكر يجهلُ هذا ، من أظهر الكذب . ولوقدِّر أن أبا بكركان يجيز ذلك ، لكان ذلك قولا سائغاً ؛ لأن القرآن ليس في ظاهره ما يعيِّن اليمين ، لكن تعيين اليمين في قراءة ابن مسعود : **فاقطعوا أيمانهما** وبذلك مضت السنة .ولكن أين النقل بذلك عن أبي بكر أنه قطع اليسرى ؟ وأين الإسناد الثابت بذلك ؟ وهذه كتب أهل العلم بالآثار موجودة ليس فيها ذلك ، ولا نقل أهل العلم بالاختلاف ذلك قولا ، مع تعظيمهم لأبي بكر .

(فصـــل)

قال الرافضي : ((وأحرق الفجاءة السلمى بالنار، وقد نهى النبي عن الإحراق بالنار)).

الجواب : أن الإحراق بالنار عن عليّ أشهر وأظهر منه عن أبي بكر. وأنه قد ثبت في الصحيح أن عليًّا أُتِيَ بقوم زنادقة من غلاة الشيعة ، فحرَّقهم بالنار ، فبلغ ذلك ابن عباس، فقال : لو كنت أنا لم أحرِّقهم بالنار ، لنهي النبي أن يُعَذَّب بعذاب الله ، ولضربت أعناقهم ، لقول النبي : ((من بدَّل دينه فاقتلوه)).

فبلغ ذلـك عليًّـا فقـال : ويـح ابـن أم الفضـل مـا أسـقطه عَلَـى الهنات[1] .

فعليّ حرق جماعـة بالنـار . فـإن كـان مـا فعلـه أبـو بكـر منكراً ، ففعل عليّ أنكر منه ، وإن كان فعـل علـيّ ممـا لا يُنكـر مثله على الأئمة ، فأبو بكر أوْلى أن لا يُنكر عليه .

(فصـــل)

قال الرافضي : ((وَخَفِيَ عليه أكثر أحكام الشـريعة ، فلم يعرف حكم الكلالة ، وقـال : أقـول فيهـا برأيـي ، فـأن يـك صوابا فمن الله ، وإن يك خطأ فمني ومـن الشـيطان . وقضـى بالجد بسبعين قضية . وهو يدل على قصوره في العلم)).

والجواب : أن هذا من أعظم البهتان . كيف يخفى عليه أكثر أحكام الشـريعة ، ولـم يكـن بحضـرة النـبي مـن يقضـى ويُفـتى إلا هـو ؟! ولـم يكـن النـبي أكـثر مشـاورة لأحـدٍ مـن الصحابة منه له ولعمر . ولم يكن أحدٌ أعظم اختصاصاً بـالنبي منه ثم عمر .

وقد ذكر غير واحد ، مثل منصور بن عبد الجبّار السمعاني وغيره ، إجماع أهل العلم على أن الصـدّيق أعلـم الأمـة ، وهـذا بيِّنٌ ، فإن الأمة لم تختلف في ولايته فـي مسـألة إلا فصـلَّها هـو بعلم يبيِّنه لهم ، وحجة يذكرها لهم من الكتاب والسنة . كما بيَّن لهم موت النبي ، وتثبيتهم على الإيمان ، وقراءته عليهم الآية ، ثم بيَّن لهم موضـع دفنـه ، وبيَّـن لهـم قتـال مـانعي الزكـاة لمـا استراب فيه عمر ، وبيَّن لهم أن الخلافة في قريش في سـقيفة بني ساعدة ، لمّا ظن من ظن أنها تكون في غير قريش .

وقد استعمله النـبي على أول حجـة حجـت مـن مدينـة النبي . وعِلْمُ المناسك أدقّ ما في العبادات ، لـولا سـعة علمـه بها لم يستعمله . وكذلك الصلاة استخلفه فيها ، ولولا علمـه بهـا لم يستخلفه . ولم يستخلف غيره لا في حج ولا في صلاة .

وكتاب الصدقة التي فرضها رسول الله أخذه أنس من أبي بكر . وهو أصح ما رُوى فيها ، وعليه اعتمد الفقهاء .

وفي الجملة لا يُعرف لأبي بكر مسألة من الشريعة غلـط فيها ، وقد عُرف لغيره مسائل كثيرة ، كما بسط في موضعه .

---

[1](1) انظر البخاري ج 9 ص 15 .

وأما قول الرافضي : ((لم يعرف حكم الكلالة حتى قال فيها برأيه)).

فالجواب : أن هذا من أعظم علمه . فإن هذا الرأي الذي رآه في الكلالة قد اتفق عليه جماهير العلماء بعده ؛ فإنهم أخذوا في الكلالة بقول أبي بكر ، وهو من لا ولد له ولا والد ، والقول بالرأي هو معروف عن سائر الصحابة ، كأبي بكر وعمر وعثمان وعليّ وابن مسعود وزيد بن ثابت ومعاذ بن جبل ، لكن الرأي الموافق للحق هو الذي يكون لصاحبه أجران ، كرأي الصدِّيق ، فإن هذا خير من الرأي الذي غاية صاحبه أن يكون له أجر واحد .

وقد قال قيس بن عُبَاد لعليّ : أرأيت مسيرك هذا : ألعهد عهده إليك رسول الله أم رأى رأيته ؟ فقال : بل رأى رأيته . رواه أبو داود وغيره[1].

فإن كان مثل هذا الرأي الذي حصل به من سفك الدماء ما حصل ، لا يمنع صاحبه أن يكون إماماً ، فكيف بذلك الرأي الذي اتفق جماهير العلماء على حسنه .

وأما ما ذكره من قضائه في الجد بسبعين قضية ، فهذا كذب . وليس هو قول أبي بكر ، ولا نُقل هذا عن أبي بكر بل نقل هذا عن أبى بكر يدل على غاية جهل هؤلاء الروافض وكذبهم .

(فصـــل)

قال الرافضي : فأي نسبة له بمن قال : ((سلوني قبل أن تفقدوني ، سلوني عن طرق السماء فإني أعرف بها من طرق الأرض)).

قال أبو البحتري : رأيت عليًّا صعد المنبر بالكوفة ، وعليه مدرعة كانت لرسول الله متقلداً لسيف رسول الله متعمما بعمامة رسول الله . وفي أصبعه خاتم رسول الله فقعد على المنبر ، وكشف عن بطنه ، فقال : سلوني من قبل أن تفقدوني ، فإنما بين الجوانح مني علم جم ، هذا سفط العلم ، هذا لعاب رسول الله ، هذا ما زقّني رسول الله زقًّا من غير وحي إليّ ، فوالله لو ثُنيت لي وسادة فجلست عليها لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم ، وأهل الإنجيل بإنجيلهم ، حتى يُنطق الله التوراة

---

[1](1) انظر مسلم ج 4 ص 2143 وسنن أبي داود ج 4 ص 300.

والإنجيل فتقول : صدق عليّ ، قد أفتاكم بما أنزل الله فيَّ ، وأنتم تتلون الكتاب، أفلا تعقلون)).

والجواب : أما قول عليّ : ((سلوني)) فإنما كان يخاطب بهذا أهل الكوفة ليعلّمهم العلم والدين ؛ فإن غالبهم كانوا جُهَّالاً لم يدركوا النبي ﷺ. وأما أبو بكر فكان الذين حول منبره هم أكابر أصحاب النبي ﷺ، الذين تعلَّموا من رسول الله ﷺ العلم والدين ، فكانت رعية أبي بكر أعلم الأمة وأدْيَنها . وأما الذين كان عليّ يخاطبهم فهم من جملة عوام الناس التابعين ، وكان كثير منهم من شرار التابعين . ولهذا كان عليّ ﷺ يذمّهم ويدعو عليهم ، وكان التابعون بمكة والمدينة والشام والبصرة خيراً منهم .

وقد جمع الناس الأقضية والفتاوى المنقولة عن أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ ، فوجدوا أَصْوَبَها وأدلّها على علم صاحبها أمور أبي بكر ثم عمر . ولهذا كان ما يُوجد من الأمور التي وُجد نصٌ يخالفها عن عمر أقل مما وُجد عن عليّ ، وأما أبو بكر فلا يكاد يوجد نصّ يخالفه ، وكان هو الذي يفصل الأمور المشتبهة عليهم، ولم يكن يُعرف منهم اختلاف على عهده.وعامة ما تنازعوا فيه من الأحكام كان بعد أبي بكر .

والحديث المذكور عن عليّ كذب ظاهر لا تجوز نسبة مثله إلى عليّ ؛ فإن عليًّا أعلم بالله وبدين الله من أن يحكم بالتوراة والإنجيل ، إذ كان المسلمون متفقين على أنه لا يجوز لمسلم أن يحكم بين أحد إلا بما أنزل الله في القرآن . وإذا تحاكم اليهود والنصارى إلى المسلمين لم يجز لهم أن يحكموا بينهم إلا بما أنزل الله في القرآن .

وإذا كان من المعلوم بالكتاب والسنة والإجماع ، أن الحاكم بين اليهود والنصارى لا يجوز أن يحكم بينهم إلا بما أنزل الله على محمد ، سواء وافق ما بأيديهم من التوراة والإنجيل أو لم يوافقه ، كان من نسب عليًّا إلى أنه يحكم بالتوراة والإنجيل بين اليهود والنصارى ، أو يفتيهم بذلك ، ويمدحه بذلك: إما أن يكون من أجهل الناس بالدين ، وبما يُمدح به صاحبه ، وإما أن يكون زنديقا ملحداً أراد القدح في عليّ بمثل هذا الكلام الذي يستحق صاحبه الذم والعقاب ، دون المدح والثواب .

(فصـــل)

قال الرافضي : ((وروى البيهقي بإسناده عن رسول الله ﷺ أنه قال : من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه ، وإلى نوح

في تقواه، وإلى إبراهيم في حلمه ، وإلى موسى في هيبته ، وإلى عيسى في عبادته ، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب ، فأثبت له ما تفرَّق فيهم)).

والجواب أن يقال أولا : أين إسناد هذا الحديث ؟ والبيهقي يروي في الفضائل أحاديث كثيرة ضعيفة ، بل موضوعة ، كما جرت عادة أمثاله من أهل العلم .

ويقال ثانيا : هذا الحديث كذب موضوع على رسول الله بلا ريب عند أهل العلم بالحديث ، ولهذا لا يذكره أهل العلم بالحديث ، وإن كانوا حراصا على جمع فضائل عليّ ، كالنسائي ؛ فإنه قصد أن يجمع فضائل عليّ في كتاب سماه ((الخصائص)) ، والترمذي قد ذكر أحاديث متعددة في فضائله ، وفيها ما هو ضعيف بل موضوع ، ومع هذا لم يذكروا هذا ونحوه .

(فصـــل)

قال الرافضي : ((قال أبو عمر الزاهد : قال أبو العباس : لا نعلم أحداً قال بعد نبيه : ((سلوني)) من شيثٍ إلى محمدٍ إلا عليّ ، فسأله الأكابر : أبو بكر وعمر وأشباههما ، حتى انقطع السؤال . ثم قال بعد هذا : يا كُمَيْل بن زياد ، إن ههنا لعلما جما لو أصبت له حملة)).

والجواب : أن هذا النقل إن صح عن ثعلب ؛ فثعلب لم يذكر له إسنادا حتى يُحتج به . وليس ثعلب من أئمة الحديث الذين يعرفون صحيحه من سقيمه ، حتى يُقال : قد صح عنده . كما إذا قال ذلك أحمد أو يحيى بن معين أو البخاري ونحوهم . بل من هو أعلم من ثعلب من الفقهاء يذكرون أحاديث كثيرة لا أصل لها ، فكيف ثعلب ؟! وهو قد سمع هذا من بعض الناس الذين لا يذكرون ما يقولون عن أحد .

وعليّ لم يكن يقول هذا بالمدينة ، لا في خلافة أبي بكر ولا عمر ولا عثمان ، وإنما كان يقول هذا في خلافته في الكوفة ، ليعلم أولئك الذين لم يكونوا يعلمون ما ينبغي لهم علمه . وكان هذا لتقصيرهم في طلب العلم ، وكان عليّ يأمرهم بطلب العلم والسؤال .

وحديث كُمَيْل بن زياد يدل على هذا ؛ فإن كميلا من التابعين لم يصحبه إلا بالكوفة ، فدل عَلَى أنه كان يرى تقصيراً من أولئك عن كونهم حملة للعلم ، ولم يكن يقول هذا في المهاجرين والأنصار ، بل كان عظيم الثناء عليهم .

وأما أبو بكر فلم يسأل عليًّا قـط ء ن شـيء . وأمـا عمـر فكان يشاور الصحابة : عثمان وعليًّا وعبد الرحمن وابن مسعود وزيد بن ثابت وغيرهم . فكان عليّ من أهل الشورى .

(فصـــل)

قال الرافضي : ((وأهمل حدود الله فلـم يقتـص مـن خالد بن الوليد ولا حدَّه حيث قتل مالك بن نويرة ، وكان مسـلما ، وتزوج امرأته في ليلة قتله وضاجعها . وأشار عليه عمر بقتلــه فلم يفعل)).

والجــواب أن يقــال أولاً: إن كـان تـرك قتـل قاتـل المعصوم مما يُنكر على الأئمة ، كان هذا من أعظم حجة شـيعة عثمان عَلَى عليّ ؛ فإن عثمان خيـر مـن ملـء الأرض مـن مثـل مالك بـن نـويرة ، وهـو خليفـة المسـلمين ، وقـد قُتـل مظلومـاً شهيداً بلا تأويل مسوِّغ لقتله . وعليّ لم يقتل قَتَلَته ، وكـان هـذا من أعظم ما امتنعت به شيعة عثمـان عـن مبايعـة علـيّ ، فـإنْ كان عليّ له عذر شرعي في ترك قتل قتلة عثمان ، فعـذر أبـي بكر في ترك قتل قاتل مالك بن نويرة أقوى ، وإن لم يكن لأبـي بكر عذر في ذلك فعليّ أَوْلى أن لا يكون له عذر فـي تـرك قتـل قتلة عثمان .

وأما ما تفعله الرافضة من الإنكار على أبي بكر في هــذه القضية الصغيرة ، وترك إنكار مـا هـو أعظـم منهـا عَلَـى علـيّ ، فهذا من فرط جهلهم وتناقضهم .

وكذلك إنكارهم عَلَى عثمان كونه لم يقتل عُبيـد اللـه بـن عمر بالهرمزان، هو من هذا الباب .

وإذا قال القائل : عليّ كان معـذورا فـي تـرك قتـل قتلـة عثمان ، لأن شروط الاستيفاء لم توجد : إما لعدم العلم بأعيــان القَتَلة ، وإما لعجزه عن القوم لكونهم ذوى شوكة ، ونحو ذلك .

قيل : فشروط الاستيفاء لم توجد في قتل قاتل مالك بن نويرة ، وقتل قاتل الهرمزان ، لوجود الشبهة في ذلك .والحـدود تُدرأ بالشّبهات .

وإذا قالوا : عمر أشار عَلَى أبي بكر بقتل خالد بن الوليد ، وعليّ أشار عَلَى عثمان بقتل عبيد الله بن عمر .

قيل : وطلحة والزبير وغيرهما أشـاروا عَلَـى علـيّ بقتـل قتلة عثمان ، مع أن الذين أشاروا عَلَى أبـي بكـر بـالقَوَد ، أقـام عليهم حجّة سلّموا لها : إما لظهور الحق معه ، وإما لكـون ذلـك مما يسوغ فيه الاجتهاد.

وعليّ لما يوافق الذين أشاروا عليه بالقود ، جرى بينه وبينهم من الحروب ما قد عُلم . وقتل قتلة عثمان أهون مما جرى بالجمل وصفِّين فإذا كان في هذا اجتهاد سائغ ، ففي ذلك أوْلى .

وإن قالوا : عثمان كان مباح الدم .

قيل لهم : فلا يشك أحد في أن إباحة دم مالك بن نُويرة أظهر من إباحة دم عثمان ، بل مالك بن نويرة لا يُعرف أنه كان معصوم الدم ، ولم يثبت ذلك عندنا . وأما عثمان فقد ثبت بالتواتر ونصوص الكتاب والسنة أنه كان معصوم الدم . وبين عثمان ومالك بن نويرة من الفرق ما لا يحصى عدده إلا الله تعالى .

ومن قال : إن عثمان كان مباح الدم ، لم يمكنه أن يجعل عليًّا معصوم الدم ، ولا الحسين ؛ فإن عصمة دم عثمان أظهر من عصمة دم عليّ والحسين. وعثمان أبعد عن موجبات القتل من علي والحسين . وشُبهة قَتَلة عثمان أضعف بكثير من شبهة قَتَلة عليّ والحسين ؛ فإن عثمان لم يقتل مسلما، ولا قاتل أحداً على ولايته ولم يطلب قتال أحد على ولايته أصلا؛ فإن وجب أن يُقال : من قتل خلقا من المسلمين على ولايته إنه معصوم الدم ، وإنه مجتهد فيما فعله ، فَلأن يُقال : عثمان معصوم الدم ، وإنه مجتهد فيما فعله من الأموال والولايات بطريق الأوْلى والأحرى .

ثم يُقال : غاية ما يُقال في قصة مالك بن نويرة : إنه كان معصوم الدم وإن خالدا قتله بتأويل ، وهذا لا يبيح قتل خالد ، كما أن أسامة بن زيد لما قتل الرجل الذي قال: لا إله إلا الله . وقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ((يا أسامة أقتلته بعد أن قال : لا إله إلا الله ؟ يا أسامة أقتلته بعد أن قال : لا إله إلا الله ؟يا أسامة أقتلته بعد أن قال : لا إله إلا الله ؟))[1] فأنكر عليه قتله ، ولم يوجب عليه قَوَداً ولا دِية ولا كفَّارة .

وأما ما ذكره من تزوجه بامرأته ليلة قتله , فهذا مما لم يعرف ثبوته . ولو ثبت لكان هناك تأويل يمنع الرجم . والفقهاء مختلفون في عدة الوفاة : هل تجب للكافر ؟ على قولين . وكذلك تنازعوا هل يجب على الذميّة عدة الوفاة ؟ على قولين مشهورين للمسلمين . بخلاف عدة الطلاق , فإن تلك سببها الوطء, فلا بد من براءة الرحم . وأما عدة الوفاة فتجب بمجرد

---

[1](1) انظر مسلم ج 1 ص 96 – 97 وسنن أبي داود ج 3 ص 61 .

العقد , فإذا مات قبل الدخول بها فهل تعتـد مـن الكـافر أم لا ؟ فيه نزاع .و كذلك إن دخل بها , وقد حاضت بعد الدخول حيضة .

هذا إذا كان الكافر أصليا . وأما المرتد إذا قتل , أو مات على ردته . ففي مذهب الشافعي وأحمد وأبي يوسف ومحمـد ليس عليها عدة وفاة بل عدة فرقة بائنة , لأن النكاح بطل بردة الزوج . وهذه الفرقة ليست طلاقاً عند الشافعي وأحمد , وهـي طلاق عند مالك وأبي حنيفة , ولهذا لم يوجبوا عليها عدة وفـاة , بل عدة فرقة بائنة , فإن كان لم يدخل بها فلا عـدة عليهـا, كمـا ليس عليها عدة من طلاق .

ومعلوم أن خالداً قتل مالك بن نويرة لأنه رآه مرتدا , فإذا كان لم يدخل بإمرأته فلا عدة عليها عند عامة العلماء , وإن كان قد دخل بها فإنه يجب عليه استبراء بحيضـة لا بعـدة كاملـة فـي أحد قوليهم , وفي الآخـر بثلاث حيـض . وإن كـان كـافراً أصـلياً فليس على امرأته عدة وفاة في أحد قوليهم . وإذا كان الواجب استبراء بحيضة فقد تكـون حاضـت . ومـن الفقهـاء مـن يجعـل بعض الحيضة استبراء , فإذا كانت في آخـر الحيـض جعـل ذلـك استبراءً لدلالته على براءة الرحم.

وبالجملة فنحن لم نعلم أن القضية وقعت علـى وجـه لا يسوغ فيها الاجتهاد والطعن بمثل ذلك مـن قـول مـن يتكلـم بلا علم , وهذا مما حرّمه الله ورسوله.

(فصـــل)

قال الرافضي : ((وخالف أمر النبي في توريث بنت النبي ومنعها فدكاً , وتسمّى بخليفة رسول اللـه م ن غيـر أن يستخلفه)) .

الجــواب: اما الميراث فجميع المسلمين مع أبي بكر في ذلك , ما خلا بعض الشيعة , وقد تقدم الكلام في ذلك , وبيّنا أن هذا من العلـم الثـابت عـن النـبي , وأن قـول الرافضـة باطـل قطعاً .

وكذلك ما ذكر من فدك , والخلفاء بعد أبي بكر على هذا القول . وأبو بكر وعمر لم يتعلقا من فدك ولا غيرها مـن العقـار

بشيء ولا أعطيا أهلهما من ذلك شيئاً . وقد أعطيا بني هاشم أضعاف اضعاف ذلك .

ثم لو احتج محتج بان علياً كان يمنع المال ابن عباس وغيره من بني هاشم , حتى اخذ ابن عباس بعض مال البصرة وذهب به . لم يكن الجواب عن علي إلا بأنه إمام عادل .
وهذا الجواب هو في حق أبي بكر بطريق الأولى والأحرى . وأبو بكر أعظم محبة لفاطمة ومرعاة لها من علي لابن عباس . وابن عباس بعلي أشبه من فاطمة بأبي بكر , فإن فضل أبي بكر على فاطمة أعظم من فضل عليّ على ابن عباس .

(فصـــل)

وأما تسميته بخليفة رسول الله ؛ فإن المسلمين سمّوه بذلك . فإن كان الخليفة هو المستخلَف ، كما ادّعاه هذا ، كان رسول الله قد استخلفه ، كما يقول ذلك من يقوله من أهل السنّة . وإن كان الخليفة هو الذي خَلَفَ غيرَه – وإن كان لم يستخلفه ذلك الغير كما يقوله الجمهور – لم يحتج في هذا الاسم إلى الاستخلاف .
والاستعمال الموجود في الكتاب والسنة يدل على أن هذا الاسم يتناول كل من خَلَفَ غيره : سواء استخلفه أو لم يستخلفه ، كقوله تعالى: ﴿**ثمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلائِفَ في الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلونَ** ﴾[1].

(فصـــل)

قال الرافضي : ((ومنها ما رووه عن عمر . روى أبو نُعيم الحافظ في كتابه ((حلية الأولياء)) أنه قال لما احتُضر قال : يا ليتني كنت كبشا لقومي فسمّنوني ما بدا لهم ، ثم جاءهم أحب قومهم إليهم فذبحوني ، فجعلوا نصفي شواءً ونصفي قديدا ، فأكلوني ، فأكون عذرة ولا أكون بشرا . وهل هذا إلا مساوٍ لقول الكافر : ﴿**يا لَيْتَني كُنْتُ تُرابًا** ﴾[2].
قال : ((وقال لابن عباس عند احتضاره : لو أن لي ملء الأرض ذهباومثله معه لافتديت به نفسي من هول المطلع.وهذا مثل قوله:﴿**وَلَوْ أَنَّ للذِّينَ ظَلَمُوا مَا في**

---

(1)[1] الآية 14 من سورة يونس .
(1)[2] الآية 40 من سورة النبأ .

الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُـوءِ الْعَـذَاب ِ[1]**.** فلينظر المنصـف العاقـل قـولَ الرجليـن عنـد احتضـارهما ، وقول عليّ :

متى ألقى الأحبة ..؟ محمداً وحزبه مـتى ألقاهـا ..؟ مـتى يُبعث أشقاها

وقوله حين قتله ابن ملجم : فزت ورب الكعبة)) .

والجواب : أن في هذا الكلام من الجهالة ما يـدل علـى فرط جهل قائله؛ وذلك أن ما ذكره عن عليّ قد نُقل مثله عمَّـن هو دون أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ ، بل نُقل مثله عمَّن يكفِّـر عليّ بن أبي طالب من الخوارج . كقول بلال عتيق أبي بكر عند الاحتضار ، وامرأته تقول : واحرباه ، وهو يقول : واطربـاه غـداً ألقى الأحبة محمداً وحزبه .

وكان عمر قد دعا لما عارضوه في قسمة الأرض فقـال : ((اللهـم اكفنـي بلالاً وذويـه))فمـا حـال الحَـوْل وفيهـم عيـن تَطْرِفُ.

وروى أبو نُعيم في ((الحلية)): ((حدثنا القطيعى ، حدثنا الحسن بن عبد الله ، حدثنا عامر بن سيّار ، حـدثنا عبـد الحميـد بن بهرام ، عن شهر بن حوشب ، عن عبد الرحمن بن غنم ، عن الحارث بن عمير ، قال : طُعن معاذ وأبـو عبيـدة وشُـرحبيل بـن حسنة وأبو مالك الأشعري في يوم واحد . فقال معاذ: إنه رحمة ربكم ، ودعوة نبيكم ، وقبـض الصـالحين قبلكـم . اللهـم آتِ آل معاذ النصيب الأوفر من هذه الرحمة . فمـا أمسـى حـتى طُعـن ابنه عبد الرحمن بِكْرُه الذي كان يُكنَّى به ، وأحـب الخلـق إليـه . فرجع من المسجد فوجده مكروبا . فقال : يا عبد الرحمن كيف أنت ؟ قال : يا أبتِ الحق من ربك فلا تكونن من الممترين .قال : وأنا إن شاء الله ستجدني مـن الصـابرين . فأمسـكه لَيْلَـهُ ثـم دفنه من الغد . وطُعن معاذ ، فقال حيـن اشـتدَّ بـه النـزع ، نـزع الموت ، فنزع نزعاً لم ينزعه أحد ، وكان كلما أفاق فتح طرفه ، وقال : رب أخنقني خَنْقَك ، فوعزتك إنك لتعلـم أن قلـبي يحبـك))[2].

وكذلك قوله : فزت ورب الكعبة . قد قالهـا مـن هـو دون عليّ ، قالها عامر بن فُهيرة مَوْلَى أبي بكر الصديق لما قُتل يوم بئر معونة . وكـان قـد بعثـه النـبي ﷺ مـع سـرية قِبَـل نجـد .قـال

---

[1](2) الآية 1 من سورة الزمر .

[2](1) انظر الحلية ج 1 ص 240 .

العلماء بالسير : طعنه جبّار بـن سَـلْمى فأنفـذه. فقـال عـامر : فزت والله . فقال جبّار : ما قوله فزت واللـه ؟ قـال عـروة بـن الزبير: يرون أن الملائكة دفنته[1] .

وشبيب الخارجي لمـا طُعـن دخـل فـي الطعنـة ، وجعـل يقول : وعجلت إليك ربِ لترضى .

واعرف شخصاً مـن أصـحابنا لمـا حضـرته الوفـاة جعـل يقول : حبيبي هاقد جئتك ، حتى خرجت نفسه . ومثل هذا كـثير .

وأما خوف عمر وخشيته من الله لكمال علمه ؛ فإن اللـه تعالى يقول : ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾[2].

وقد كان النبي ﷺ يصلّي ولصدره أزيز كأزيز المرجل مـن البكاء[3].

وأما قول الرافضي : ((وهل هذا إلا مساوٍ لقول الكافر : ﴿ **يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً** ﴾[4].

فهذا جهل منه ؛ فإن الكافر يقول ذلك يوم القيامة ، حيـن لا تُقبل توبة ، ولا تنفع حسنة . وأما من يقـول ذلـك فـي الـدنيا ، فهذا يقوله في دار العمل على وجه الخشـية للـه ، فيُثـاب علـى خوفه من الله .

وقد قالت مريم :﴿ **يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا** ﴾[5].ولم يكن هذا كتمنّي الموت يوم القيامة .

ولا يُجعل هذا كقول أهل النار ، كما أخبر الله عنهم بقوله :﴿ **وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَـا رَبُّـكَ** ﴾[6]. وكـ ذلك قـوله : ﴿ **وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًـا وَمِثْلَـهُ مَعَـهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُـمْ مِّـنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ** ﴾[7]؛ فهذا إخبار عن حـالهم يـوم القيامة حين لا ينفع توبة ولا خشية .

وأما في الدنيا ، فالعبد إذا خاف ربَّه كان خوفه ممـا يـثيبه الله عليه ، فمن خاف الله في الـدنيا أمّنـه يـوم القيامـة ، ومـن جعل خوف المؤمن من ربه في الدنيا كخوف الكافر في الآخـرة

---

[1] (2) انظر الحلية ج 1 ص 240 .
[2] (3) انظر الحلية ج 1 ص 240 .
[3] (4) انظر سنن النسائي ج 3 ص 14 والمسند ج 4 ص 25، 26 .
[4] (5) الآية 40 من سورة النبأ .
[5] (1) الآية 23 من سورة مريم .
[6] (2) الآية 77 من سورة الزخرف .
[7] (3) الآية 47 من سورة الزمر .

، فهو كمن جعل الظلمات كـالنور ، والظـل كـالحرور ، والأحيـاء كالأموات .

(فصـــل)

قال الرافضي : ((وروى أصحاب الصحاح السـتة مـن مسند ابن عباس أن رسول الله قال في مرض مـوته:ائتـوني بدواة و بياض، أكتب لكم كتابا لا تضـلّون بـه مـن بعـدي . فقـال عمر : إن الرجل لَيَهْجُر، حسبُنا كتاب الله . فكثر اللَّغَط . فقــال رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: اخْرُجُـوا عنـي ، لا ينبغـي التنازع لديّ . فقال ابن عباس : الرزية كل الرزية مـا حـال بيننـا وبين كتاب رسول الله . وقال عمر لما مات رسول اللـه : مـا مات محمد ولا يموت حتي يقطـع أيـدي رجـال وأرجلهـم . فلمـا نهاه أبو بكر وتلا عليه : **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ** [1]، وقوله : **أَفَإِنْ مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ** [2]قـال : كـأني ما سمعت هذه الآية)).

والجواب : أن يقـال : أمـا عمـر فقـد ثبـت مـن علمـه وفضله ما لم يثبت لأحد غير أبي بكر . ففي صـحيح مسـلم عـن عائشة عن النبي أنه كان يقول: ((قد كـان فـي الأمـم قبلكـم مُحَدَّثون ، فإن يكـن فـي أمـتي أحـد فعمـر)).قـال ابـن وهـب : تفسير ((محدَّثون)) : ملهمون[3] .

وروى البخاري عن أبي هريرة عن النبي قال :

((إنه قد كان فيما مضى قبلكم مـن الأمـم محـدَّثون ، وإنـه إن كان في أمتي هذه منهم فـإنه عمـر بـن الخطـاب)) وفـي لفـظ للبخاري : ((لقد كان فيمن كان قبلكم من بنـي إسـرائيل رجـال يكلَّمون من غير أن يكونوا أنبياء فإن يكن في أمـتي منهـم أحـد فعمر))[4].

وفي الصحيح عن ابن عمر عن النبي قال: ((بينا أنا نائم إذ رأيت قدحا أتيت به فيـه لبـن ، فشـربت منـه حـتى أنـي لأرى الرِّيَّ يخرج من أظفاري ، ثم أعطيت فضلى عمـر بـن الخطـاب)). قالوا : فما أوَّلته يا رسول الله ؟ قال : ((العلم))[5] .

---

(1) الآية 30 من سورة الزمر .
(2) الآية 144 من سورة آل عمران .
(3) انظر البخاري ج 5 ص 11 وأماكن أُخر وانظر مسلم ج 4 ص 1864 .
(4) انظر ما تقدم قبل قليل .

وفي الصحيحين عن أبي سعيد قال : قال رسـول اللـه ﷺ: ((بينا أنا نائم رأيت الناس يُعرضون عليَّ وعليهم قمص ، منها ما يبلغ الثدي ، ومنها مـا يبلـغ دون ذلـك ، ومـر عمـر بـن الخطـاب وعليه قميص يجرُّه)).قالوا:ما أوّلت ذلك يـا رسـول اللـه ؟قـال: ((الدين))[1] .

وأما قصة الكتاب الذي كان رسول الله ﷺ يريد أن يكتبه ، فقد جاء مبيَّنا ، كما في الصحيحين عـن عائشـة رضي الله عنها قـالت : قـال رسول الله ﷺ في مرضه:((ادعى لـي أبـاك وأخـاك حـتى أكتـب كتابا ، فإني أخاف أن يتمنـى متمـنٍّ ويقـول قائـل : أنـا أوْلَـى ، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر))[2] .

وفي صحيح البخاري عن القاسم بن محمد ، قال : قـالت عائشة : ((وارأساه . فقال رسـول اللـه ﷺ: ((لـو كـان وأنـا حـيّ فاستغفر لك وأدعو لك)) . قالت عائشة : ((واثكلاه ، والله إنـي لأظنك تحب موتى ، فلو كان ذلـك لظللـت آخـر يومـك مُعَرِّسـاً ببعض أزواجك .فقال رسول الله صلى الله عليـه وسـلم: ((بـل أنا وارأساه . لقد هممت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه وأعهد: أن يقول القائلون أو يتمنى المتمنُّون ، ويدفع الله ويأبى المؤمنـون))[3].

وأما عمر فاشتبه عليه هل كان قـول النـبي ﷺ مـن شـدة المرض ، أو كان مـن أقـواله المعروفـة . والمـرض جـائز علـى الأنبياء .ولهذا قال : ((ماله ؟ أهجـر ؟)) فشـكَّ فـي ذلـك ولـم يجزم بأنه هجر . والشك جـائز علـى عمـر ، فـإنه لا معصـوم إلا النبي ﷺ. لا سيما وقد شك بشبهة ؛ فإن النبي ﷺ كان مريضا ، فلم يدر أكلامه كان من وهج المرض ، كما يعرض للمريض ، أو كـان من كلامه المعروف الذي يجب قبوله . وكذلك ظن أنه لم يمـت حتى تبين أنه قد مات .

والنـبي ﷺ قـد عـزم علـى أن يكتـب الكتـاب الـذي ذكـره لعائشة ، فلما رأى أن الشك قد وقـع ، علـم أن الكتـاب لا يرفـع

---

[5](5) انظر البخاري ج 1 ص 23-24 وج 9 ص 35 ومسلم ج 4 ص 1859 .

[1](1) انظر البخاري ج 5 ص 12 ، ج 9 ص 35-36 ومسلم ج 4 ص 1859 .

[2](2) انظر البخاري ج 7 ص 119 وج 9 ص 80 –81 ومسلم ج 4 ص 1857.

[3](3) انظر البخاري ج 9 ص 80 –81 .

الشك ، فلم يبق فيه فائدة ، وعلم أن الله يجمعهم على ما عزم عليه ، كما قال:« ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر» .

وقول ابن عباس : « إن الرزية ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب الكتاب » يقتضي أن هذا الحائل كان رزية ، وهو رزية في حق من شك في خلافة الصدِّيق ، أو اشتبه عليه الأمر ؛ فإنه لو كان هناك كتاب لزال هذا الشك . فأما من علم أن خلافته حق فلا رزّية في حقه ، ولله الحمد .

ومن توهّم أن هذا الكتاب كان بخلافة عليّ فهو ضال باتفاق عامة الناس من علماء السنة والشيعة . أما أهل السنة فمتفقون على تفضيل أبي بكر وتقديمه . وأما الشيعة القائلون بأن عليًّا كان هو المستحق للإمامة ، فيقولون : إنه قد نصّ على إمامته قبل ذلك نصًّا جليا ظاهرا معروفا ، وحينئذ فلم يكن يحتاج إلى كتاب .

وإن قيل: أن الأمة جحدت النص المعلوم المشهور ، فلأن تكتم كتابا حضره طائفة قليلة أوْلى وأحرى.

وأيضا فلم يكن يجوز عندهم تأخير البيان إلى مرض موته ، ولا يجوز له ترك الكتاب لشك من شك ، فلو كان ما يكتبه في الكتاب مما يجب بيانه وكتابته ، لكان النبي يبيّنه ويكتبه ، ولا يلتفت إلى قول أحدٍ ، فإنه أطوع الخلق له ، فعُلم أنه لما ترك الكتاب لم يكن الكتاب واجبا ، ولا كان فيه من الدين ما تجب كتابته حينئذ ، إذ لو وجب لفعله ، ولو أن عمر اشتبه عليه أمر ، ثم تبيّن له أوشك في بعض الأمور ، فليس هو أعظم ممن يفتى ويقضى بأمور ويكون النبي قد حكم بخلافها، مجتهدا في ذلك ، ولا يكون قد علم حكم النبي صل الله عليه وسلم ؛ فإن الشك في الحق أخف من الجزم بنقيضه .

وكل هذا إذا كان باجتهاد سائغ كان غايته أن يكون من الخطأ الذي رفع الله المؤاخذة به . كما قضى عليٌّ في الحامل المتوفّى عنها زوجها أنها تعتدّ أبعد الأجلين ، مع ما ثبت في الصحاح عن النبي أنه لما قيل له : إن أبا السنابل بن بعكك أفتى بذلك لسبيعة الأسلمية . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«كذب أبو السنابل ، بل حللتِ فانكحي من شئت»[1].فقد كذّب النبي هذا الذي أفتى بهذا . وأبو السنابل لم يكن من أهل الاجتهاد ، وما كان له أن يفتِيَ بهذا مع حضور النبي .

---

[1](1) انظر البخاري ج 5 ص 80 ومسلم ج 2 ص 1122.

وأما عليّ وابن عباس رضى الله عنهما وإن كانا أفتيا بذلك ، لكن كان ذلك عن اجتهاد ، وكان ذلك بعد موت النبي ، ولم يكن بلغهما قصة سُبَيْعة .

(فصـــل)

قال الرافضي : ((ولما وعظت فاطمة أبا بكر في فَدَك ، كتب لها كتابا بها ، وردها عليها ، فخرجت من عنده ، فلقيها عمر بن الخطاب فحرق الكتاب ، فدعت عليه بما فعله أبو لؤلؤة به وعطّل حدود الله فلم يحدّ المغيرة بن شعبة ، وكان يعطي أزواج النبي من بيت المال أكثر مما ينبغي ، وكان يعطي عائشة وحفصة في كل سنة عشرة آلاف درهم . وغيَّر حكم الله في المنفيين ، وكان قليل المعرفة في الأحكام)).

والجواب : أن هذا من الكذب الذي لا يستريب فيه عالم ، ولم يذكر هذا أحد من أهل العلم بالحديث ، ولا يُعرف له إسناد . وأبو بكر لم يكتب فَدَكا قط لأحد : لا لفاطمة ولا غيرها ، ولا دعت فاطمة على عمر .

وما فعله أبو لؤلؤة كرامة في حق عمر ، وهو أعظم ممّا فعله ابن ملجم بعليّ ، وما فعله قتلة الحسين به . فإن أبا لؤلؤة كافرٌ قتل عمر كما يقتل الكافر المؤمن . وهذه الشهادة أعظم من شهادة من يقتله مسلم ؛ فإن قتيل الكافر أعظم درجةً من قتيل المسلمين ، وقتل أبي لؤلؤة لعمر كان بعد موت فاطمة ، بمدة خلافة أبي بكر وعمر إلا ستة أشهر ، فمن أين يُعرف أن قتله كان بسبب دعاء حصل في تلك المدة.

والداعي إذا دعا عَلَى مسلم بأن يقتله كافر ، كان ذلك دعاء له لا عليه، كما كان النبي يدعو لأصحابه بنحو ذلك ، كقوله : ((يغفر الله لفلان)) فيقولون : لو أمتعتنا به ! وكان إذا دعا لأحد بذلك استُشهد[1].

ولو قال قائل أن عليًّا ظلم أهل صفِّين والخوارج حتى دعوا عليه بما فعله ابن ملجم ، لم يكن هذا أبعد عن المعقول من هذا . وكذلك لو قال إن آل سفيان بن حرب دعوا على الحسين بما فُعل به .

---

[1](1) انظر البخاري ج 5 ص 130 وغيره ومسلم ج 3 ص 1427.

وأما قول الرافضي: ((وعطّل حدود الله فلم يحدّ المغيرة بن شعبة)).

فالجواب:أن جماهير العلماء على ما فعله عمر في قصة المغيرة.وأن البيّنة إذا لم تكمل حدّ الشهود.ومن قال بالقول الآخر لم ينازع في أن هذه مسألة اجتهاد. وقد تقدّم أن ما يرد على علي بتعطيل إقامة القصاص والحدود على قتلة عثمان أعظم. فإذا كان القادح في علّي مبطلا،فالقادح في عمر أولى بالبطلان.

وقوله: ((وكان يعطي أزواج النبي من بيت المال أكثر مما ينبغي.وكان يعطي عائشة وحفصة من المال في كل سنة عشرة آلاف درهم)).

فالجواب:أما حفصة فكان ينقصها من العطاء لكونها ابنته،كما نقص عبد الله بن عمر.وهذا من كمال احتياطه في العدل،وخوفه مقام ربه،ونهيه نفسه عن الهوى.وهو كان يرى التفضيل في العطاء بالفضل،فيعطي أزواج النبي أعظم مما يعطي غيرهن من النساء،كما كان يعطي بني هاشم من آل أبي طالب وآل العباس أكثر مما يعطي من عداهم من سائر القبائل.فإذا فضّل شخصاً كان لأجل اتصاله برسول الله صلى الله عليه وسلم،أو لسابقته واستحقاقه.وكان يقول:ليس أحد أحق بهذا المال من أحد،وإنما هو الرجل وغناؤه، والرجل وبلاؤه ، والرجل وسابقته ، والرجل وحاجته . فما كان يعطي من يُتهم على إعطائه بمحاباة في صداقة أو قرابة ، بل كان ينقص ابنه وابنته ونحوهما عن نظرائهم في العطاء ، وإنما كان يفضِّل بالأسباب الدينية المحضة ، ويفضِّل أهل بيت النبي على جميع البيوتات ويقدِّمهم .

وهذه السيرة لم يسرها بعده مثله لا عثمان ولا عليّ ولا غيرهما . فإن قُدح فيه بتفضيل أزواج النبي ، فليُقدح فيه بتفضيل رجال أهل بيت رسول الله ، بل وتقديمهم على غيرهم .

(فصـــل)

وأما قوله : ((وغيَّر حكم الله في المنفيين)).

فالجواب : أن التغيير لحكم الله بما يناقض حكم الله ، مثل إسقاط ما أوجبه الله ، وتحريم ما أحلّه الله . والنفي في الخمر كان من باب التعزير الذي يسوغ فيه الاجتهاد . وذلك أن

الخمر لم يقدِّر النبي حدَّها: لا قَدْرُهُ ولا صفتُهُ ، بل جـوّز فيهـا الضرب بالجريـد والنعـال ، وأطـراف الثيـاب وعُثْكـول النخـل . والضرب في حد القذف والزنا إنما يكون بالسوط . وأمـا العـدد في الخمر فقد ضرب الصحابة أربعيـن ، وضـربوا ثمـانين . وقـد ثبت في الصحيح عن عليّ أنه قال : ((وكُلٌّ سُنَّة))[1].

(فصـــل)

قال الرافضي: ((وكان قليل المعرفة بالأحكام : أمــر برجم حامل . فقال له عليّ: إن كان لك عليها سبيل ، فلا سبيل لك على ما في بطنها . فأمسك . وقال : لـولا علـيّ لهلـك عمـر)).

والجواب : أن هذه القصة إن كانت صـحيحة ، فلا تخلـو من أن يكون عمر لم يعلم أنها حامل ، فأخبره عليٌّ بحملها . ولا ريب أن الأصل عدم العلم، والإمـام إذا لـم يعلـم أن المسـتحقة للقتل أو الرجم حامل ، فعرَّفه بعض الناس بحالها ، كان هذا من جملة إخباره بأحوال الناس المغيَّبات ،ومن جنس مـا يشـهد بـه عنده الشهود . وهذا أمر لا بد منه مع كل أحد من الأنبياء والأئمة وغيرهم ، وليس هذا من الأحكام الكلية الشرعية .

وإما أن يكون عمر قد غاب عنـه كـون الحامـل لا ترجـم ، فلما ذكَّره علـيّ ذكـر ذلـك ، ولهـذا أمسـك . ولـو كـان رأيـه أن الحامل ترجم لرجمها ، ولم يرجع إلى رأي غيـره . و قـد مضـت سنة النبي في الغامدية ، لما قالت :

((إني حبلى من الزنا فقال لها النبي ((اذهبي حتى تضعيه))[2].ولو قدِّر أنه خفى عليه علـم هـذه المسـألة حـتى عرفـه، لـم يقدح ذلك فيه ، لأن عمر ساس المسلمين وأهل الذمّة ، يعطـي الحقوق ، ويقيم الحدود ، ويحكم بين النـاس كلهـم. وفـي زمنـه انتشر الإسلام ، وظهر ظهورا لـم يكـن قبلـه مثلـه ، وهـو دائمـا يقضى ويُفتى ، ولولا كثرة علمه لم يُطق ذلك . فإذا خفيت عليه قضية من مائة ألف قضية ثـم عرفهـا ،أو كـان نسـيها فـذكرها ، فأي عيب في ذلك ؟!

---

[1](1) انظر صحيح مسلم ج 3 ص 1331 –1332 وسنن أبي داود ج 4 ص 228 .

[2](1) انظر مسلم ج 3 ص 1323 وسنن أبي داود ج 4 ص 212 –213 .

وعليّ قد خَفِيَ عليه من سنة رسول الله أضعاف ذلك ، ومنها ما مات ولم يعرفه .

(فصـــل)

قال الرافضي : ((وأمر برجم مجنونة ، فقال له عليّ : إن القلم رُفع عن المجنون حتى يفيق ، فأمسك. وقال: لولا عليّ لهلك عمر)).

والجواب : أن هذه الزيادة ليست معروفة في هذا الحديث . ورجم المجنونة لا يخلو : إما أن يكون لم يعلم بجنونها فلا يقدح ذلك في علمه بالأحكام ، أو كان ذاهلا عن ذلك فذُكِّر بذلك ، أو يظن الظان أن العقوبات لدفع الضرر في الدنيا . والمجنون قد يُعاقب لدفع عدوانه على غيره من العقلاء والمجانين . والزنا هو من العدوان ، فيُعاقب على ذلك حتى يتبين له أن هذا من باب حدود الله تعالى التي لا تقام إلا على المكلف .

والشريعة قد جاءت بعقوبة الصبيان على ترك الصلاة ،كما قال : ((مروهم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر،وفرِّقوا بينهم في المضاجع))[1].

والمجنون إذا صال ولم يندفع صياله إلا بقتله قُتل ، بل البهيمة إذا صالت ولم يندفع صيالها إلا بقتلها قُتلت ، وإن كانت مملوكة لم يكن على قاتلها ضمان للمالك عند جمهور العلماء ، كمالك والشافعي وأحمد وغيرهم .

وبالجملة فما ذكره من المطاعن في عمر وغيره يرجع إلى شيئين : إما نقص العلم ، وإما نقص الدين . ونحن الآن في ذكره . فما ذكره من منع فاطمة ومحاباته في القَسْم ودرء الحد ونحو ذلك يرجع إلى أنه لم يكن عادلا بل كان ظالما . ومن المعلوم للخاص والعام أن عدل عمر ملأ الآفاق ، وصار يُضرب به المثل ، كما قيل : سيرة العمرين ، وأحدهما عمر بن الخطاب ، والآخر قيل : إنه عمر بن عبد العزيز ، وهو قول أحمد بن حنبل وغيره من أهل العلم والحديث وقيل : هو أبو بكر وعمر ، وهو قول أبي عبيدة وطائفة من أهل اللغة والنحو .

---

[1](1) رواه أبو داود ج 1 ص 193 وأحمد ج 10 ص 217-218 تحقيق أحمد شاكر .

فهرس الجزء الأول
لمختصر منهاج السنة

الموضوع الصفحة

سبب تأليف الكتاب
.....

الرافضة أكذب الناس وأكثرهم تصديقا للكذب واتباعا للباطل .....

وجوب إظهار العلم ولا سيما عندما يعلن آخر هذه الأمة أولها

مشابهة الرافضة لليهود من وجوه كثيرة
.....

متى سميت الرافضة بهذا الإسم, وكذا الزيدية وبذلك يعرف كذب

الأحاديث التي فيها لفظ الرافضة
.....

بعض حماقات الرافضة
.....

لا ينكر في مسائل الاجتهاد إلا إذا كانت شعاراً لأمر لا يجوز.....

بعض حماقاتهم في إمامهم المنتظر.....

بعض حماقاتهم في التمثيل لم يبغضونه وغير ذلك .....

عبد الرحمن بن مالك بن مغول ومقاتل بن سليمان والواقدي ونحوهم

تصلح رواياتهم للإعتضاد والمتابعة.....

الرافضة أكذب الناس وهذا فيهم قديم , وليسوا أهل علم .....

أصول الرافضة التي بنوا عليها دينهم .....

الموضوع الصفحة

زعم الرافضة أن الإمامة من أهم أصول الدين . وهذا كفر .....

وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم مطلقا في كل شيء

وعلى كل حال في كل مستطاع .....

يلزم الرافضة في قولهم في المنتظر أن الخلق أشقياء جميعا وهم اشقاهم .....

لا وجود للخضر . والقطب والغوث .....

شرك بعض الصوفية والرافضة حتى الربوبية .....

تناقض الرافضة في الإمام بين القول والتطبيق .....

لا يحصل بمعرفة الإمام خير إن لم يعمل صالحا .....

ليست الإمامة من واجبات الدين .....

بطلان دعوى إمامة ابن العسكري , المعدوم .....

هل كان استخلاف أبي بكر بنص أو اجتهاد ؟ .....

الأمير والملك لا يصير ملكا إلا بمبايعة أهل الشوكة والقوة .....

انظر دليل مبايعة سعد بن عبادة للصديق رضي الله عنهما .....

مقارنة بين قول أهل السنة والرافضة في الإمام المتولى.....

دعوى الرافضي بأن مذهب الإمامية واجب الاتباع .....

الموضوع الصفحة

بعض النصوص الدالة على أن الصحابة هم أفضل هذه الأمة

وأن الله قد رضي عنهم.....

من هم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار .....

بيان كذب حديث أن عليا تصدق بخاتمه وهو راكع .....

((من)) المفيدة لبيان الجنس .....

بيان أن المنافقين في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم قد

انتهوا عن النفاق.....

التقية التي يزعم الرافضة أنها من أصول دينهم هي كذب .....

قصة أبي الطيب الباقلاني مع ملك النصارى .....

الملاحدة يتظاهرون بالتشيع لقلة عقل الشيعة ومقصدهم إفساد الدين ...

تقسيم الرافضي الصحابة إلى أصحاب هوى أو جهل ظالم أو مقلد لظالم ..

الرافضة يوالون الكفار ويعادون المؤمنين . ويعاونون الكفار

على المسلمين.....

ولاة الأمور يطاعون في طاعة الله ورسوله, ولا يطاعون في المعصية.....

دعوى الرافضي إبطال القياس , وعيب أهل السنة بالقول به .....

دعوى الرافضي رجحان مذهب الرافضة وأحقيته, والرد عليه .....

الموضوع الصفحة

ذكر بعض ما صنعه هولاكو بالمسلمين بإشارة الطوسي الرافضي.....

استدلال الرافضي بشذوذ مذهبهم على أنهم على الحق والرد عليه .....

دعوى الرافضي أن طائفته هم اهل الحق لأنهم جازمون بنجاتهم .....

الرافضة اتخذوا أئمتهم ومشايخهم أربابا من دون الله فعبدوهم .....

أهل السنة أعظم جزما بنجاة أئمتهم كالعشرة وأهل بدر, وأهل بيعة الرضوان.....
.....

مناط السعادة طاعة الله ورسوله , ومناط الشقاوة معصية الله ورسوله ....

دعوى الرافضي انهم أخذوا مذهبهم عن الأئمة المعصومين.....

أكاذيب ملفقة في تزيين مذهب الرفض وأئمته.....

معنى قوله تعالى: ((إلا مودة في القربى)) والرد على الرافضي

في كونها دليلا على إمامة علي
.....

جهل الرافضي في استدلاله على إمامة عليّ بأنه كان يصلي كل ليلة

الف ركعة وكذبه في ذلك
.....

جهل الرافضي في قوله جعله الله نفس رسوله – يعني علي ابن أبي طالب..

قول علي بن الحسين للرافضة : ((ما زال حبكم بنا حتى صار

عار علينا
))..... ..

الموضوع
الصفحة

من المصائب التي ابتلي بها ولد الحسين انتساب الرافضة إليهم

فمدحوهم بما يقدح فيهم
.....

ذكر الرافضي حكاية امتحان محمد بن علي الجواد وسؤال يحيى بن أكثم

له , وهي حكاية لا يخفى أنها كذب
.....

ذكر الرافضي حكايات مكذوبة عن عليّ الهادي والرد عليه.....

الحسن بن علي العسكري مات ولم يعقب أحداً فما تدعيه الرافضة في

المهدي باطل لا أصل له
.....

دعوى الرافضي أن أحاديث المهدي يراد بها مهديهم محمد بن

العسكري والرد عليه.....

غرور الرافضة بما يكذبه علماؤهم على أئمتهم وجهلهم بذلك.....

دعوى الرافضي أن كثيرا من أهل السنة يتدينون بمذهب الرفض باطنا..

شدة تعصب الرافضة ومن أجل ذلك جعلوا للبنت جميع الميراث ليقولوا

إن فاطمة رضي الله عنها ورثت أباها رسول الله صلى الله عليه وسلم..

دعوى الرافضي أن أهل السنة ابتدعوا أشياء لم تكن . مثل ذكر الخلفاء

على المنابر وكذبه .....

دعوى الرافضي أن مسح الرجلين في الوضوء هو الواجب, والرد عليه ..

الموضوع الصفحة

تحريم متعة النساء , وهي من الزنا .....

دعوى الرافضي أن أبا بكر منع فاطمة إرثها من أبيها رسول الله عليه

السلام.....
.....

تناقض الرافضي ودعواه أن النبي صلى الله عليه وسلم وهب فدك

لفاطمة بعد دعواه انها إرث لها
.....

كذب الرافضي فيما نسبه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال :

عليّ مع الحق والحق معه.
الخ.....

دعوى الرافضي أن أبا ذر أولى أن يسمى صديقا , ولم يسموه بل سموا

أبا بكر بذلك
فقط.....

زعم الرافضي أن ابا بكر لا يستحق أن يسمى خليفة رسول الله والرد

عليه .....
.....

نقمة الرافضي على أهل السنة لأنهم سموا عمرا الفاروق دون علي .....

عيب الرافضي أهل السنة بتعظيمهم عائشة رضي الله عنها والرد عليه

وبيان
خزيه.....
...

طعن الرافضة في أم المؤمنين مما يخرجهم من الإسلام.....

الموضوع الصفحة

دعوى الرافضي أن المسلمين أجمعوا على قتل عثمان رضي الله عنه.....

قد يرمي الرجل الآخر بالكفر أو النفاق غيرة على الحق ويكون كل

منهما من أهل الجنة.....

الرافضة أصحاب جهل وظلم وتناقض .....

الرافضة يشتمون الأنبياء برمي زوجاتهم بالزنا.....

تعجب الرافضي من نصر المسلمين لعائشة وخروجهم معها وعدم

نصرهم لفاطمة على أبي بكر .....

زعم الرافضي أن الصحابة ومن تبعهم سموا عائشة فقك أم المؤمنين

وسموا معاوية خال المؤمنين .....

الرافضة يمدحون محمد بن أبي بكر ويلعنون والده لفرط هواهم وظلمهم..... .....

زعم الرافضي أن معاوية رضي الله عنه لم يزل مشركا يهزأ بالشرع

طيلة حياة النبي صلى الله عليه وسلم .....

إفحام الرافضة بالحجج المقنعة وإبطال دعواهم.....

كذب الرافضي على أهل السنة بأنهم خصوا معاوية بأنه كاتب وحي ..

الموضوع الصفحة

دعوى الرافضي أن معاوية طيلة حياة النبي كان كافرا وأنه هرب إلى

اليمن وأن الرسول صل الله عليه وسلم قد أهدر دمه .....

الرافضة تضع الأحاديث عن النبي صلى الله علي وسلم في لعن معاوية

وأنه يموت على الكفر.....

قول الرافضة من أفسد الأقوال , وأشدها تناقضا .....

دعوى الرافضي أن معاوية سم الحسن بن علي رضي الله عنهم .....

دعوى الرافضي من أهل السنة خصوا خالد بن الوليد بتسميته سيف

الله مراغمة لعلي.....

دعواه أن علياً قتل بسيفه الكفار , وأنه سيف الله وسهمه .....

زعم الرافضي أن خالدا لم يزل عدوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم

مكذبا له كعادته في البهت .....

دفاع الرافضي عن مسيلمة الكذاب والمؤمنين به ولومه الصحابة على

قتالهم ....

تعجيز الرافضة أن يقيموا دليلا على إيمان عليّ رضي الله عنه على أصلهم..... .....

زعم الرافضي أن معاوية رضي الله عنه – شر من إبليس والرد عليه ...

الموضوع الصفحة

بطلان كون إبليس كان اعبد الملائكة , وإنه كان يحمل العرش , أو من حملته..... .....

كذب الرافضة وخرافاتهم التي زعموا وقوعها بسبب قتل الحسين رضي

الله عنه..... .....

أوجه ضلال الرافضة , وإخوانهم الباطنية من الإسماعيلية والنصيرية ونحوهم.....
.....

أهل السنة يقولون بإمامة يزيد بن معاوية ونحوه بمعنى ذو سلطان بغض

النظر عن كونه براً أو فاجراً
.....

الناس في يزيد طرفان ووسط
.....

ادخل الشيطان بسبب مقتل الحسين على الناس أموراً شنيعة من سب

السلف والجزع وغير ذلك
.....

ما يذكره الرافضة من سبي عيال الحسين والطواف بأهله في الأسواق

كذب مقصود منهم.....

دعوى الرافضي بأن مذهب الرفض أحق بالاتباع , وأنهم هم الذين

نزهوا الله دون أهل السنة.....

من هم آل النبي صلى الله عليه وسلم الذين تحرم عليهم الزكاة؟ .....

الموضوع الصفحة

الفضائل الثابتة لعليّ مشتركة بخلاف فضائل أبي بكر وعمر ففضائلهما

خاصة بهما.....

الأحاديث التي يعتمد عليها الرافضي في فضائل علي وأنه الوصي كلها

كذب .....

أنواع من أكاذيب الرافضة , في فضائل عليّ .....

الرسول صلى الله عليه وسلم شبه أبو بكر بإبراهيم وعيسـى , وشبه

عمر بنوح وموسى وذلك أبلغ قوله لعلي: وأنت مني بمنزلة هارون من

موسى إلا أنه لا نبي بعدي.....

أكاذيب أخرى من صنع الرافضة.....

كتاب الفردوس للدليمي فيه أحاديث موضوعة كثيرة .....

بيان كذب الحديث ((حب عليّ حسـنة لا يضر معها سـيئة, وهذا

ظاهره كفر))

الرافضة عرفوا باستعانتهم بالكفار , وإعانتهم إياهم على المسلمين ....

أصول الرافضة التي تعتمد عليها في إثبات شرعها .....

مشابهة الرافضة للسامرة الذين هم أخبث اليهود من وجوه كثيرة .....

الموضوع الصفحة

عيب الرافضة على الصديق قوله : ((إن استقمت فأعينوني , وإن

زغت فقوموني)) والرد عليهم .....

عيب الرافضة أبا بكر الصديق بقوله : ((أقيلوني فلست بخيركم ,

وجوابه)) ....

خطبة عمر في تحذير المسلمين من يريد أن يتوثب على الخلافة بدون مشورة..... .....

قوله: إنه قال عند موته : ليت أمي لم تلدني وبيان بطلانه .....

إذا تكلم الرجل بكلام يتمنى فيه ما لا يكون يعذر إذا كان الحامل

عليه الخوف من الله.....

عيب الرافضي أبا بكر على قوله : ((ليتني في ظلة بني ساعدة ضربت

بيدي على يد أحد الرجلين .....

زعم الرافضي –وهو مكذوب- أن الرسول صلى الله عليه وسلم لعن

من تخلف عن جيش أسـامة , ثم ادعى كاذبا أن الخلفاء الثلاثة كانوا

فيه وإبطال دعواه بالبرهان.....

زعم الرافضي –وهم مكذوب- أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يولّ

ابا بكر عملا قط.....

الموضوع الصفحة

الولايات التي ولاها النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر كانت خصائص

كإقامة الحج سنة تسع.....

كذب الرافضي في زعمه أن أبا بكر رضي الله عنه قطع يسار سارق ...

بهتان الرافضي في أن أبا بكر جهل أكثر أحكام الشريعة .....

الدلائل على كمال الصديق رضي الله عنه في العلم والسياسة والتقوى ..

مدح الرافضة لعلي يعود قدحا وذما , وهكذا أئمتهم لأن رأس مالهم الكذب.....

الرافضة يعيبون أبا بكر لأنه لم يقتص من خالد لما قتل مالك بن نويرة ,

ولا يعيبون علياً لما لم يقتص من قتلة عثمان.....

زعم الرافضي الكذوب أن أبا بكر منع فاطمة إرثها , وعابه بتسمية

خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم .....

دعوى الرافضي أن أبا بكر وعمر تمنيا عدم الوجود أو أنهما بهيمة تؤكل

وخافا هول المطلع بخلاف علي .....

اشـتبه على عمر قول النبي صلى الله عليه وسـلم : ((ائتوني بكتاب

أكتب لكم)) هل هو من شدة المرض؟ .....

الصفحة

من قال أن الكتاب الذي هم النبي أن يكتبه في خلافة عليّ , فهو ضال

عن اهل السنة ومخالف لقول الرافضة وبيان ذلك .....

أنواع من أكاذيب الرافضي على أمير الؤمنين عمر رضي الله عنه وبيان بطلانها.....

زعم الرافضي أن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه عطل حدود الله .....

دعوى الرافضي أن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه قليل المعرفة

بالأحكام.....